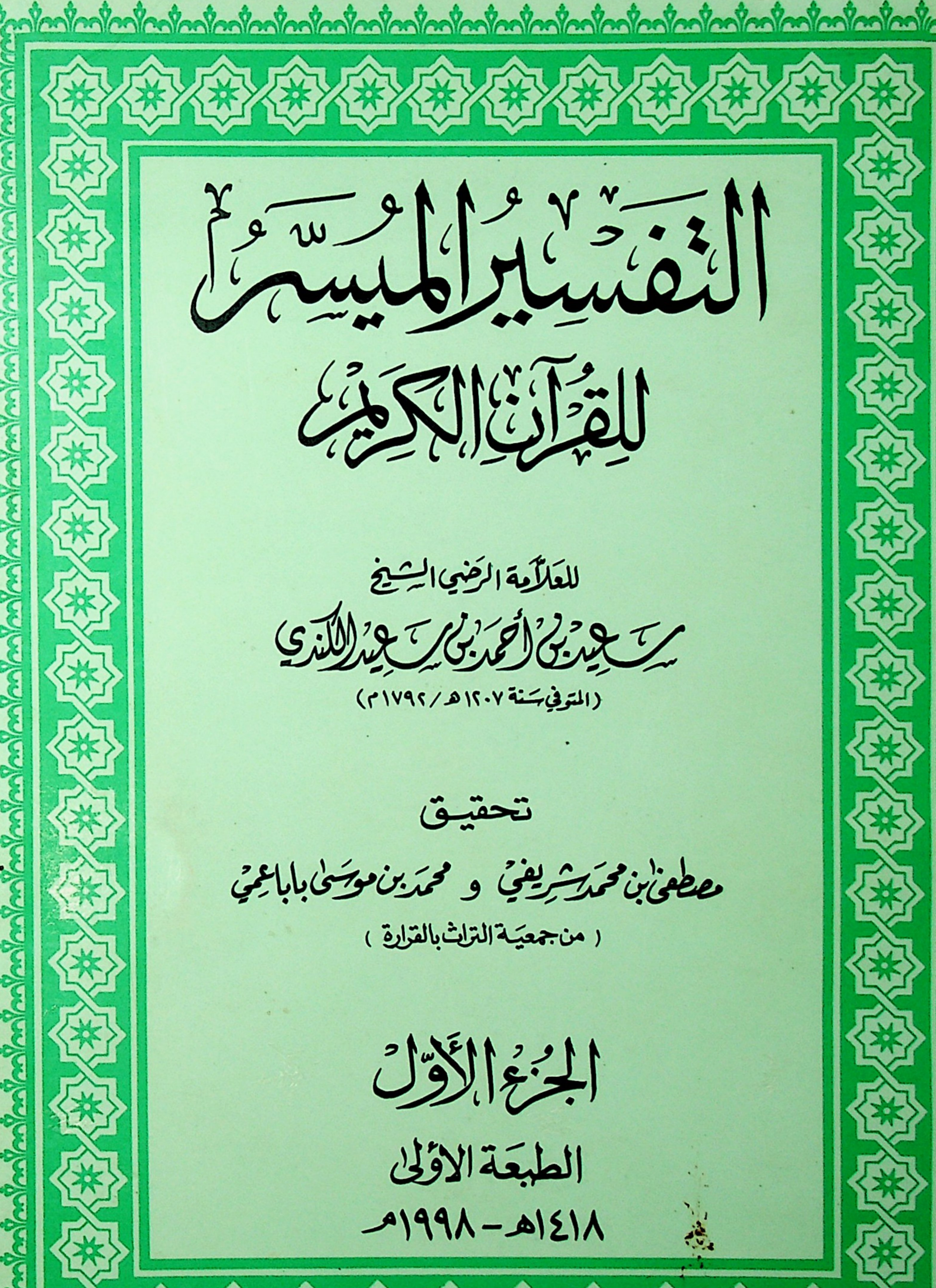


التفسير الميسر للقرآن الكريم

للعلامة الرضي الشيخ

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفي سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م)

تحقيق

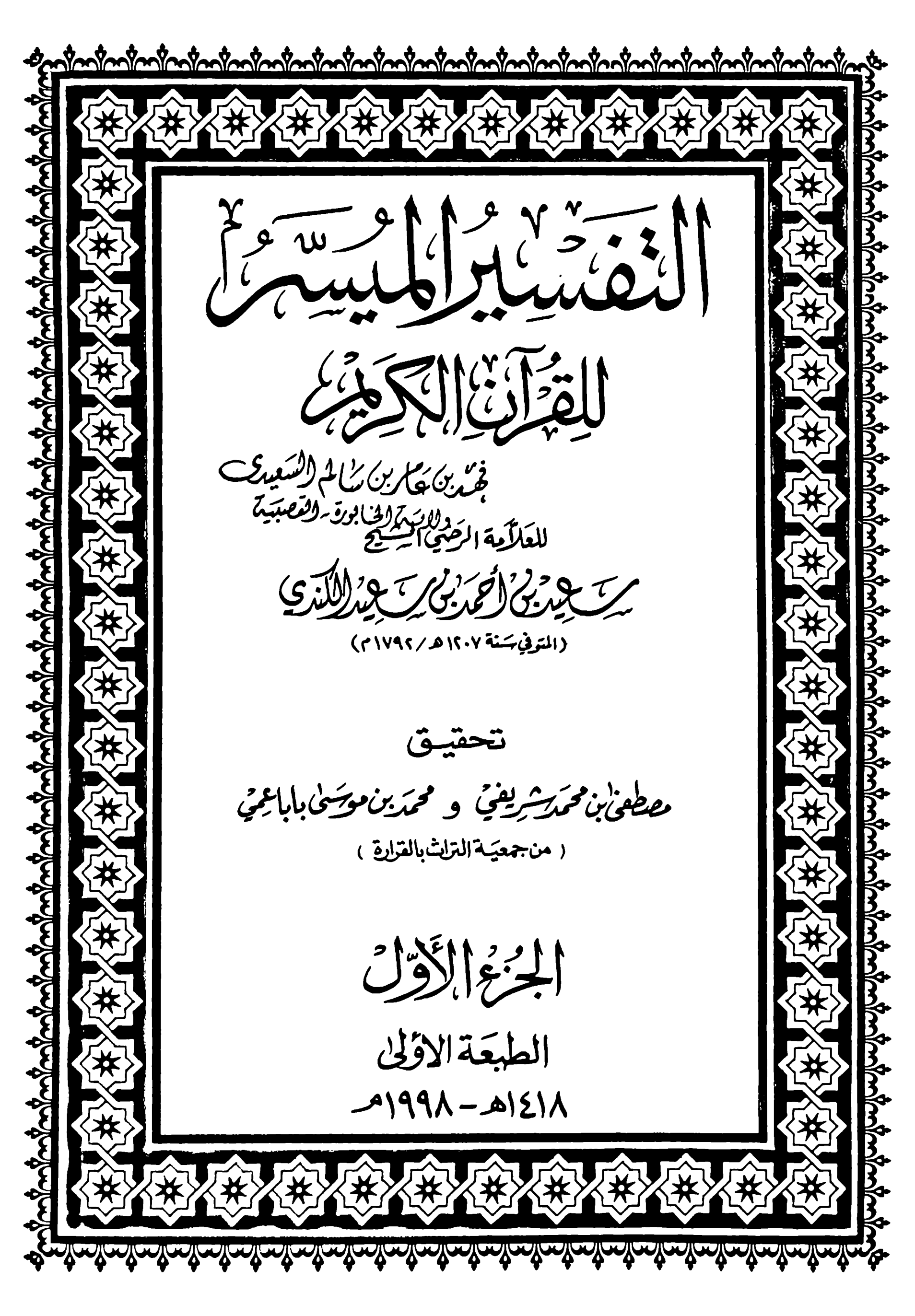
مصطفى بن محمد شريفي و محمد بن موسى باباعمي

(من جمعية التراث بالقرارة)

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



التفسير الميسر للقرآن الكريم

للعلامة الرضي الشيخ

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفي سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م)

تحقيق

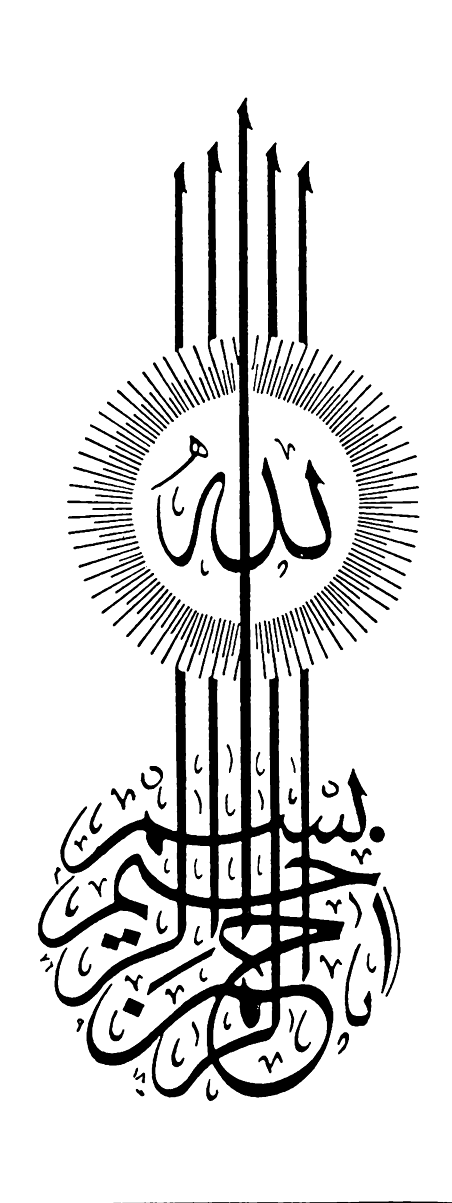
مصطفى بن محمد شريفي و محمد بن موسى باباعمي

(من جمعية التراث بالقرارة)

الجزء الأول

الطبعة الأولى

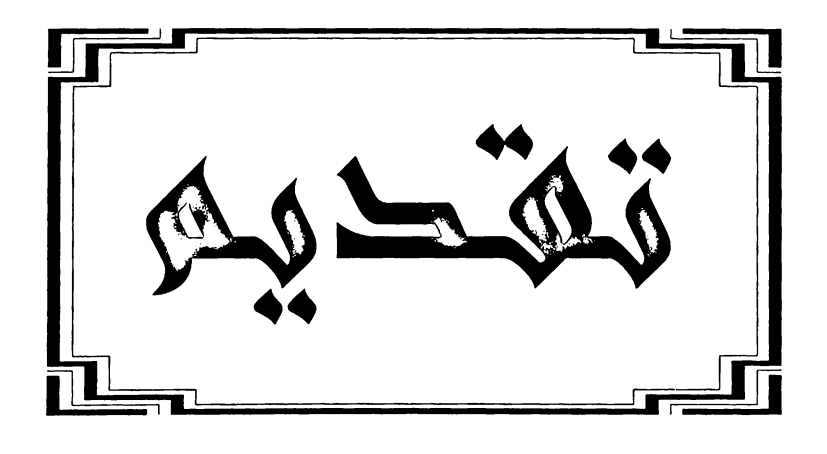
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اي فرض حمده على عباده رب العالمين الرب
المالك وقيل الخالق والعالمين جمع عالم وقيل الدنيا عالم والاخرة عالم وعن [illegible] عشر الف عالم
وقيل الرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم فعيل
منه مالك يوم الدين اي يوم الجزاء وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه
وتعالى من كونه ربا اي مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب
والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت
هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه اياك نعبد واياك نستعين
معناه اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك واياك نستعين اي لا نستعين
الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله وعمل الثاني هو العمل بالله
والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله توجب تصحيح الارادة اهدنا الصراط
المستقيم اي ثبتنا على المنهاج الواضح وهو طريق الحق وملة الاسلام صراط الذين انعمت
عليهم اي صراط المسلمين غير المغضوب عليهم ولا الضالين اي غير الكافرين والمنافقين
والمنعم عليه والمغضوب عليه متضادان لا يستويان سورة البقرة قيل مدنية
وهي مايتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم ونظايرها قيل انها
اسماء للسور وقيل انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقيل
غير ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب الكامل لا ريب لا شك فيه وحقيقة الريبة
قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا
يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه
كما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن فيه قلبك
وانما قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون به لا الفاسقون ولم نقل هدى
للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى
وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصايرين
الى الهدى فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه
تصديرا للسورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران بذكر اولياء الله والمتقي
في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤه واو ولامه ياء فاذا بنيت من ذلك افتعل
قلبت الواو تاء وادغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وقيل الكمال
اكمال الحق والتعيين والنقص [illegible] الباطل والشبهة وقيل العالم فيم [illegible] اتصلحا
وفي شبهة [illegible] ان لم يخبر عنه بانه هدى للمتقين [illegible] نفيا للاعوم
الشك حوله وحقا الاباتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذين هم الذين يؤمنون
يصدقون

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط


تقديم



شاء اللّـه جـل وعـلا ، إبـراز كِتـاب : " التفسـير الْمُيسـر للقُرآن الكريم " ، الذي أَلَّفه العلامة سعيد بن أحمـد الكنـدي ، بعدما مكث مُدةً في حُكم الْمجهول ، لا يُعلم عنه .

ولقد تغلبنا بفضل اللّـه علـى الصعوبـات التـي واجهتنـا في إبراز التفسـير ، مـن تشـابك الْخـط ، وعـدم وضوحـه ؛ وبعـد نسخه ، سـاعدنا علـى ترتيبـه وتَحقيقـه ، إخوتنـا في الْجزائـر ، ونشكرهم على ذلك .

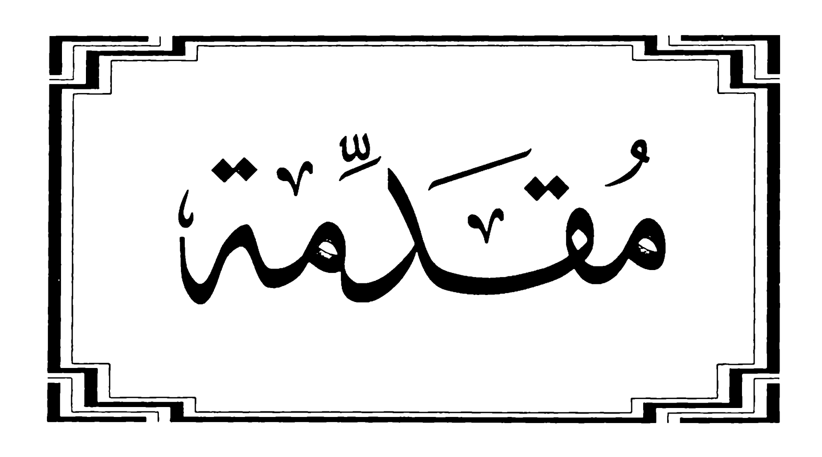
إن الأهمية التي أوليناها لهذا الكِتاب ؛ أولاً : أنها خدمـة لكِتـاب اللّـه ، والإشـتغال بـه طاعــة ؛ وثانيــاً : أن عُلمائنـا الْمشـارقة يتورعـون كثيراً عـن تفسـير القُـرآن ، مـع عِلمهـم الغزيـر ، واطلاعهـم الواسـع ، ولـم نَجـد لهـم تفسـيراً كـاملاً للقُرآن الكريم ، إِلاَّ هذا التفسير للعلامة الكندي .

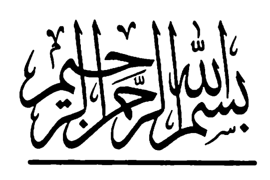
وليس العلامة الكندي بأقل ورعاً وزهداً عمن سبقه ، بـل هـو الزاهـد الـورع ، كمـا أوضحنـا بعضـاً مـن مواقـف ورعـه وزهـده في ترجمتـه ، ولكنـه تنبـه لهـذه الثغـرة عنـد عُلمـاء الْمشارقة ، فبادر إلى أن يسـدها بتـأَلِّيف تفسـيره هـذا ، الـذي

جاء تفسيراً وسطاً ، ليس بالْمطول الْمُمل ، ولا بالْمُقتصر الْمُخل ، وقد تَحرى فيه دقة التعبير ، وبساطة الأُسلوب ، وتسهيل فِهم الْمعاني ، بِلُغة سهله ، وإسلوب رصين ، جزاه اللّه خيراً ورضى عنه .

واللّه ولي التوفيق ،،،

محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي


مُقَدِّمَة



هو العلامة الرضي الصالح الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن سليمان الكندي النزوي ، يتصل نسبه إلى أُسرة شريفة مُتدينة ، عريقة بالعِلم الراسخ ، والمجد الباذخ ، منها العلامة الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي ، مُؤلِّف كِتاب " بيان الشرع " ، في (٧٢) مُجلداً ، ويُعتبر هذا الكِتاب مرجعاً عِلمياً في الفقه الأباضي ؛ ومنها العلامة النحرير الشيخ أحمد بن عبد اللّه الكندي ، مُؤلِّف كِتاب " المُصنف " ، في (٤٢) مُجلداً ، في العقيدة والفقه .

نشأته ومولده :

وُلِدَ (رحمه اللّه) ، في عقد الثلاثينات من القرن الثاني عشر الهجري ، بمدينة نزوى ، عاصمة الحضارة الإسلامية ، من أبوين كريمين ، غَذياه بزاد صالح ، في عقله ، وخُلقه ، وجسمه ، فأصبح ذكياً ، قوياً ، طموحاً ، شُجاعاً ، غيوراً على دينه ووطنه ، وكان مُحباً للعِلم ، شغوفاً به ، مُنذ نعومة أظفاره .

شيوخه :

إلتحق بِحلقة علاّمة زمانه ، الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، فلازم حلقته العِلمية ، ونهل من معين درسه ، كما لازم - في رواية أُخرى - الشيخ حبيب بن سالم أمبوسعيدي ، أحد أقطاب ذلك الزمان ، وعليه مدار الفُتيا آنذاك .

صبره وعزيمته :

وما أن نبغ (رحمه اللّه) ، ووصل إلى درجة كبيرة من العلم والْمعرفة ، وتبوأ الْمكانة العُليا في مُجتمعه ، شاءت له الأقدار أن تلحق به فتنة عمياء من بني بلده ، فتلقاها بعزيمة وصبر ، وذلك شأن أولياء اللّه .

فقد قُتل أحد أولاده ، في خضم أحداث ومُشاحنات وثأرات قبلية ، فأرادت قبيلته الثأر من قبيلة أُخرى ، فرفض رفضاً قاطعاً لِمنطق قومه ، مُحتسباً أمره إلى اللّه تعالى ، لكن رغم ذلك وبدون عِلم الشيخ ، أخذت القبيلة الثأر لِمقتلِ ولده ، وعلى أثرها خرج مُهاجراً عن بلده وقومه ، تاركاً ورائه تُربة لامست جلده ، وربي عليها ، إنها عزيمة الرجال الصناديد ، لا يقواها إلاّ أولي العزم من أمثاله .

وقد إختار (رحمه اللّه) ، قرية الهجار ـ بوادي بني خروص ـ مَحطته ، ومُنتهى أمله. فألقى بها عصاه ، وقرَّ بها عيناً ، فأخذ في التدريس ، وتَخرج على يده عُلماء كبار ، منهم : العلاّمة الرئيس الشيخ جاعد بن خميس الْخروصي (رحمه الله) ؛ والشيخ الزاهد محمد بن عامر الكندي ؛ والشيخ الزعيم عبد اللّه بن محمد الكندي ، مؤسس بيت سليط بنزوى .

جهاده وزهده :

وكان (رحمه اللّه) ، داعيةً كبرى ضد الْجهل والفساد ، وكان يعرف أمراض مُجتمعه ، ونفوس قومه ، فوعظهم بالْحِكمة ، وعرفهم

بعيوبهم ، ومعاصيهم ، وعلمهم دين اللّه ، وأراهم ما أخطأوا فيه .

فقد روى العلاّمة حميد بن محمد بن رزيق - الْمُؤرخ العُماني - في كِتابه " الصحيفه اليمانية " : أن شيخنا الكندي هذا ، صحب السيد الوكيل خلفان بن محمد آلبوسعيدي - والي مسقط - إلى الْحج ، وعند عودتهم من الديار الْمُقدسة ، أقام الشيخ في ضيافة الوالي بمسقط ، وكان الوالي وأبناؤه وحاشيته ، يرسلون إليه الأموال والعطايا مع رسائلهم ، فكان الشيخ يضع كل ذلك تَحت بساطته الذي يقعد عليها ، وعندما خرج إلى بلدته نزوى ، بعث إليهم أن إكشفوا ما تَحت بُساطي فهو لكم ، فلما فعلوا وجدوا عطاياهم كما أرسلوها لم ينقص منها شيء .

ورغم حياته العِلمية الْحافلة التي قضاها الشيخ ، لم نعثر على مُؤلّفات عنه ، ربما أخنى عليه الْمرزبان ، وعفاها الزمان ، سوى أن هناك جُزئين مَخطوطين من كِتاب : " قاموس الشريعة " ، للشيخ جَميل بن خَميس السعدي ، موجودين تَحت رقمي (١٥٢٠ ، ١٥٢١) ، بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود بن حمد بن هلال آلبوسعيدي ، بخط الْمُؤلِّف نفسه ، الذي أشار في مُقدمتهما أنهما الْجُزءان الْخامس عشر والشادس عشر ، من كِتاب " قاموس الشريعة " ، كلاهما يتضمنان طريقة السالك في عِلم الشريعة والْحقيقة ، وهما منقولان من كِتاب " إحياء عُلوم الدين " ، للعلاّمة الغزالي ، وقد عقب الشيخ الكندي (رحمه اللّه) على ذلك الْموضوع بما يُلائم الْمذهب الأباضي ويوافقه ، مُوضحاً الدليل والبرهان ، وقد أَشار الشيخ جميل السعدي بهذه الْمُلاحظات .

بذلك نستدل على رسوخ قَدم هذا العلامة الْجليل في الإستنباط

والإستخراج .

كما كانت بيه وبين الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد آلبوسعيدي مُراسلات ومُكاتبات ، جلها في النصائح والإرشاد .

ولنا في ذلك كله خلف صالح نسلُواْ به ، وهو كِتاب " التفسير الْمُيسر للقُرآن الكريم " ، الذي بين أيدينا ، ويعتبر أول تفسير كامل للقُرآن الكريم لِمُؤلّف عُماني .

إنها بِحق تركة صالِحة لهذا الشيخ ، وهي الباقية ؛ (رحم اللّه) تلك الأوصال ، وأوصلها إلى روضات الْجنان .

وفاته :

توفي (رحمه اللّه) ، بولاية نَخل ، سنة ١٢٠٧هـ ، عن عُمر يُناهز الثمانين عاماً .

واللّه ولي التوفيق ،،،

عبد اللّه بن سيف بن محمد الكندي
يوسف بن إبراهيم بن سيف الكندي



بسم الله الرحمن الرحيم[1] [١]

---

١ - كتبت في وجه الورقة الأولى من المخطوط ـ وهي غير مرقّمة ـ عبارةٌ تحمل اسم المالك الأوَّل للكتاب ومالكه الثاني، وهي كالتالي:

«...ـت [انمحاء، تقديره: اشتريت] هَذَا الكتاب بالشراء الصحيح من تراثك الشيخ الثقة: قيس بن سليمان ...ـيخ [انمحاء تقديره: بن الشيخ] العالم سعيد بن أحمد بن الكندي. وهو الآن ملكي وأنا الأقل [كَذَا] لله تعالى، ...ـ [انمحاء] بن أحمد بن سليمان الكندي بيدي. تاريخ يوم ٢٧ من شهر ربيع الأوَّل سنة ١٢٧٨هـ».

وفي ظهر نفس الورقة كتب ما يلي:

«[قـ]ـوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حَتَّى يبلغ أشده﴾ ورد في آيتين متجانستين [في] اللفظ في الأنعام. و"سبحان" معناه: لا تقربوا أي لا تتعرضوا لمال اليتيم. مَنَعَهُم مَنْعَ تحريم [و]زجرٍ وتهديد، لقوله في سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أتلُ ما حرَّم ربكم عليكم﴾ فكانت هَذِهِ واحدة [ممَّـ]ـا تلاه عليهم، فقد حرَّم عَلَيهم الدخول في مال اليتيم إلاَّ بشريطة هي أن يُنزَلوا بالمنزلة التي حدَّها [لـ]ـهم، وَهي قوله: ﴿إلاَّ بالتي هي أحسن﴾، أي بالطريقة المستقيمة فيدخلوا أنفسهم في ماله وينبسطوا».

وهذه العبارة ليست من تفسير الكندي، كما سيتَّضح لنا في تفسير سورة الأنعام، (الآية:١٥٢)، وفي تفسير سورة الإسراء (الآية: ٣٤). ويبدو أنَّهَا من إضافة الناسخ، ويقصد بقوله: «و"سبحان"» سورةَ الإسراء.

كما يوجد تحتها بيتان من الشعر، وهما:

﴿الحمد لله﴾ أي: فَرض حمده على عباده، وحمدُ الله: هو الثناءُ عليه بصفاته الحسنى.

﴿ربِّ العالمين(٢)﴾ الربُّ المالكُ، وقيل: الخالق، والعالَمين جمع عالَم، وقيل: الدنيا عالَم واحدٌ من ثمانية عشر ألف عالَم، وقيل: لا يحصي عدد العالَمين أحدٌ إلاّ الله؛ وقال الله: ﴿وما يعلمُ جنودَ ربِّك إلاّ هو﴾[1].

﴿الرحمن﴾ "فَعلان" مِن "رحم"، وهو الذي وسعت رحمته كلَّ شيءٍ، وكذا ﴿الرحيم(٣)﴾ "فعيل" منه.

﴿مالك يوم الدين(٤)﴾ أي: قاضي يوم الجزاء، وقيل: المالك، والمِلك: هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحد إلاّ الله. وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربًّا أي مالكاً للعالَمينَ، ومنعِما للنعم كلّها، ومالكاً للأمر كلّه، أي[2] يومَ الثواب والعقاب، بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله: ﴿الحمد لله﴾ دليلٌ على أنَّ من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحقَّ منه بالحمد والثناء عليه.

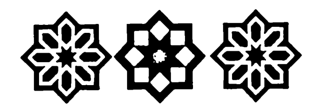
﴿إِيَّاكَ نعبد وإيَّاك نستعين(٥)﴾ أي لا نعبد إلاّ إِيَّاكَ، ولا نشرك في

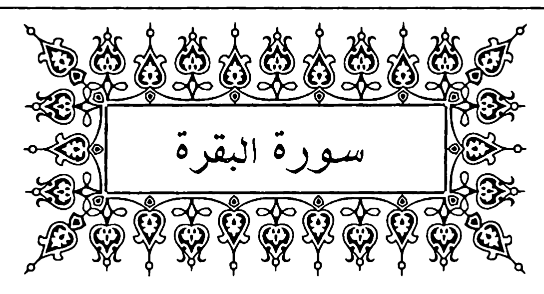
«تبيَّن أخي في الله قولي فإنَّني عَلَى النصح في ذات الإله مع العتبى
وأهديه صرفا في عموم أولي النهى كذا في خصوص من عموم أولي القربى»

١ - سورة المدَّثـر: ٣٩.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «أي».

عبادتنا غيرك، ﴿وإيَّاك نستعين﴾ أي: لا نستعين إلاَّ بك، لا بأنفسنا وحَوْلِنا وقوَّتنا، فعَمَل الأوَّلِ هو العمل لله، وعَمَلُ الثاني هو العمل با لله؛ والعمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل با لله يوجب تصحيح الإرادة. ﴿**اهدنا الصراط المستقيم(٦)**﴾ أي: ثبِّتنا، وقيل: أي أَرشِدنا وثبِّتنا على المنهاج الواضح، وهو طريق الحقِّ وملَّة الإسلام. ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ أي: صراط المسلمين، ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ من اليهود والمستوجبين لغضب ا لله، وغضب ا لله هو عقوبته. ﴿**ولا الضالِّين(٧)**﴾ من النصارى، أي غيرِ الكافرين والمنافقين؛ والمنعَمُ عليه والمغضوبُ عليه متضادَّان لا يستويان. قيل: وأصل الضلال والهلاك والغيبوبة، يقال: ضلَّ الماء في اللبن، إذا هلكَ وغاب به.





قيل: مدنيـَّة، وهي مائتان وسبع وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألَم(١)﴾ ونظائرهـا قيـل: إنـَّها أسمـاء للسُّوَر، وقيـل: إنـَّها اسـم الله الأعظم، وقيل: إنـَّها من المتشابه الذي لا يعلمه إلاَّ الله، وفائدة ذكرهـا طلـب الإيمان بها، كما قال: ﴿آمنـَّا به كلٌّ مِّنْ عندِ ربِّنا﴾[١] الله، وقيل غير ذلك.

﴿ذلك الكتاب﴾ أي ذلك الكتاب الكامل، ﴿لا ريبَ﴾ لا شكَّ فيه أنـَّه من عند الله وأنـَّه الحقُّ الصدقُ، وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابهـا، ومنـه قوله عليه الصلاة والسلام: «*دع ما يُريبك إلى ما لا يريبـكَ*»[٢]، فـإنَّ الشـكَّ

---

١ - سورة آل عمران: ٧. ولعلَّ الصواب حذف كلمة "الله".

٢ - رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٤٢، بسند: حَدَّثَنَا أَبُـو مُوسَـى الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيـسَ حَدَّثَنَـا شُعْبَةُ عَنْ بُرَيْـدِ بْـنِ أَبِـي مَرْيَـمَ عَـنْ أَبِـي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، عن الحسن بن عليٍّ، وبزيـادة: «*فَـإِنَّ الصِّـدْقَ طُمَأْنِينَـةٌ وَإِنَّ الْكَـذِبَ رِيبَةٌ*». قَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه النسائي في آداب القضاة، وَفِي الأشربة؛ وأحمد في مسند أهل البيت، وَفِي باقي مسند المكثرين؛ والدارمي في المقدِّمة والبيوع.

ريبةً، وإنَّ الصدق اطمئنانيَّة، أي: فإنَّ كون الأمر مسلوكٌ[1] فيه كما تقلق[2] له النفس ولا تستقرُّ، وكونه صحيحاً صادقا مِمَّا تطمئنُّ له القلوب وتسكن، ﴿ألاَ بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوب﴾[3]، والمعنى: أنَّه من وضوح دلالته بحيث لا ينبغي أن يُرتاب فيه، إذ لا مجال للريبة فيه.

﴿فيه هدى﴾ وإنَّما قيل: ﴿هدى للمتَّقين﴾، والمتَّقون: مهتدون به إلاَّ الفاسقون، و لم يقل: هدى للضَّالين؛ لأنَّهم فريقان: فريق عَلِم بقاءَهم على الضلالة، وفريق علم أنَّ مسيرهم إلى الهدى، وهو هدى لهؤلاء فحسب، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل: هدى للسائرين إلى الهدى، فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا، فقيل: **﴿هدى للمتقين(٢)﴾** [٢] والمتَّقي في الشريعة: هو الذي يقي نفسه تعاطي ما تستحقُّ به العذاب، ويقال: اتَّقى بترسه، أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده، فكان التقيُّ يجعل امتثال أوامر الله والاجتناب عمَّا نهاه عنه، حاجزاً بينه وبين العذاب، (لَعَلَّهُ)[4] أي: هو بيان ورشد لأهل التقوى، والتقوى: عبارة عن مقتضى الخوف، مع أنَّ فيه تصدير للسورة التي هي

انظر: العالمية: موسوعة الحديث.

١ - كذا في الأصل، والصواب: «مشكوكًا».

٢ - كتب الناسخ في الهامش: «لعلّه: بهما تقلق».

٣ - سورة الرعد: ٢٨.

٤ - هَذِهِ الكلمة كثيرا ما ترد في النصّ، ويبدو أنَّهَا من إضافة الناسخ لِما لم يفهمه من نسخة الأمّ؛ لذلك وضعناها بين قوسين، لأنَّها ليست من وضع المؤلّف.

أولى الزهراوين[1]، وسنام القرآن[2]. بذكر أولياء الله.

والمتّقي في اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاء فاتّقى، ففاؤها واو ولامها ياء، فإذا بَنيتَ من ذلك "افتعل" قَلبتَ الواو ياء وأدغمتَها في التاء الأخرى، فقلت: اتّقى. والوقاية فرط الصيانة، وقيل: لا كمال أكمل مـا[3] للحقّ واليقين، ولا نقص أنقص مِمَّا للباطل والشبهة. وقيل لعالم: فيم لذّتك؟ قال: «في حُجّة تتحرَّ اتّضاحاً، وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً». ثمَّ أخبر عنه بأنَّه هدى للمتّقين، فقرَّر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشكُّ حوله، وحقًّا ﴿لا يأتيه الباطل من بين

---

١ - ثبت هَذَا الاسم من الحديث الشريف، فقد روى أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، رقم ٢١٨٩٧ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ مُهَاجِرٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: *«تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ. تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا هُمَا الزَّهْرَاوَانِ يَجِيئَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلاَنِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»*. وروى نحوه أيْضًا في باقي مسند الأنصار. والدارمي في كتاب فضائل القرآن. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «الزهراوان».

٢ - روى الترمذيُّ في سننه، رقم ٢٨٠٣ قال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلاَنَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: *«لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ»*. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ تَكَلَّمَ شُعْبَةُ فِي حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ وَضَعَّفَهُ. رورى نحوه أحمد في مسند البصريِّين؛ والدارمي في فضائل القرآن. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «سنام القرآن».

٣ - كذا في الأصل، والصواب: «مِمَّا».

يديه ولا من خلفه﴾[1]، والمتّقي في الشريعة هو الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحقُّ به العقاب من فعل أو ترك[2].

﴿الذين﴾ هم الذين ﴿يؤمنون﴾ يصدِّقون ﴿بالغيب﴾ بما غاب عنهم مِمَّا أنبأهم به النبيُّ ﷺ من أمر البعث والثواب والعقاب وغير ذلك، فهو بمعنى الغائب. وحقيقة الإيمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته وبرسله، وبجميع ما جاءت به رسله؛ وكلُّ عارف بشيء فهو مصدِّق به، لأنَّ الإيمان هو التصديق، والمؤمن هو المصدِّق، والمصدِّق هو المقرُّ المعترف بالإسلام. والتصديق من الإيمان الطاعةُ والعمل لله بما أمر. ﴿ويقيمون الصلاة﴾ يتشمَّرون لأدائها من غير فتور ولا توانٍ؛ أو أريد بإقامتها تعديل أركانها. وقيل: للداعي مصلٍّ تشبيها في تخشُّعه بالراكع الساجد، ويقال: أقام بالأمرِ، وأقام الأمرَ، أتى به معطيا حقوقه. ﴿ومِمَّا رزقناهم ينفقون(٣)﴾ المراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي أختها، أو غيرها من الإنفاق في سبيل الخير لمجيئه مطلقا.

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن، ﴿وما أنزل من قبلك﴾ سائر الكتب المنزَّلة قبله، ﴿وبالآخرة هم يوقنون(٤)﴾ الإيقان العلمُ بانتفاء الشكِّ.

﴿أولئك على هدى من ربِّهم﴾ أي مُنِحوه وأعُطُوه من عنده، وَهُوَ اللطف والتوفيق عَلَى أعمال البرِّ. ﴿وأولئك هم المفلحون(٥)﴾ أي الظافرون بما طلبوا، الناجون عمَّا هربوا، فالفلاح دَرْكُ البُغية، والمفلح والفائز من البغية

---

١ - سورة فصِّلت: ٤٢.

٢ - في الأصل: «أو اترك» وَهُوَ خطأ.

كأنَّه الذي انفتحت له وجوه الظفر.

﴿**إنَّ الذين كفروا**﴾ والكفر سِبْرُ[1] الحقِّ بالجحود وغيره، والكفر هو التغطية للحقِّ والسترُ عليه، وإظهار خلافه، كما يقال: «كفر فلانٌ حقَّه»، إذا أنكره وجحده وغطَّاه، فالكفر التغطية، فالكفر تغطية الحقِّ، فغَطَّوْه وجَحَدوه. وكُفْر نعمةِ الله: جَحْدها وسترها، والمكفر: المجحود النعمة مع إحسانه، وكَافَرَه حقَّه: جحده، والتكفير في المعاصي كالإحباط [٣] في الثواب.

﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**﴾ بهمزتين كوفي[كَذَا]، و«سواء» بمعنى الاستواء، كأنَّه قيل: إنَّ الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، والإنذار التخويف من عقاب الله، ﴿**لا يؤمنون(٦)**﴾.

﴿**ختم الله على قُلوبِهم**﴾ قيل: الختم التغطية، لأنَّ في الاستيثاق من الشيء يضرب الخاتم عليه تغطيةً له لئلاَّ يُطَّلع عليه. وقال ابن عبَّاس: «طبع الله على قلوبهم، فلا يعقلون الخير»، يعني أنَّ الله طَبَع عليها فجعلها حيث لا يَخرج منها ما فيها من الكفر، ولا يَدخُلها ما ليس فيها من الإيمان؛ وحاصل الختم والطبعِ والرَّيْن والحجابِ والعمَى والصمم والغطاء خَلْقُ الظلمة

---

١ - قال في اللسان: «السبرُ: التجربة، وسَبَر الشيء سبرا: حزره وخبره»، ثمَّ قال: «قال المؤرِّج... السِّبر: العداوة، قال: وَهَذَا غريب»، ويبدو أنَّ المؤلِّف يقصد بالسبر المعنى الثاني الغريب، فهو أقرب إلىَ السياق. ابن منظور: لسان العرب المحيط، قدَّم له العلاَّمة الشيخ عبد الله العلايلي، أعاد بناء عَلَى الحرف الأَوَّل من الكلمة: يوسف خيَّاط، نشر دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٣/٨٥.

والضيق في صدر العبد عندنا، فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه. وقال بعضهم: إنَّ إسناد الختم إلى ا لله تعالى مجاز، والخاتم في الحقيقة الكافر، إلاَّ أنَّه تعالى لَمَّا كان هو قدَّره ومكَّنه أسند إليه الختم.

﴿**وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ البصر: نور العين، وهو ما يبصر به الرائي، كما أنَّ البصيرة نور القلب، وهو ما به يستبصر ويتأمَّل؛ وكأنَّهما جوهران لطيفان خلقهما ا لله تعالى، فيهما آلتين[1] للإبصار والاستبصار. والغشاوة: الغطاء. والأسماع داخلة في حكم الختم، لا في حكم التغشية. قال أبو منصور: «الكافرُ لـمَّا لم يسمع قول الحقِّ، ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات، ليرى آثار الحدث، فيعلم أن لا بدَّ له من صانع، جُعل كأنَّ على بصره وسمعه غشاوة، وإن لم يكن ذلك حقيقةً». والغشاوة: فِعَالَة مِن "غشاه"، إذا غطَّاه.

﴿**ولهم عذاب عظيم(٧)**﴾ ومعنى التنكير أنَّ على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات ا لله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب، لا يعلم كنهه إلاَّ ا لله، والفرق بين العظيم والكبير أنَّ العظيم يقابِل الحقير، والكبير يقابل الصغير. والعذاب قيل ما يمنع الإنسانَ عن مراده، كأنَّهم مُنعوا عن مرادهم الحقيقيِّ، إلاَّ أنَّهم لم يعلموا به، ولذلك قال: ﴿**وما يشعرون**﴾، (لَعَلَّهُ) لأنَّهم تركوا التفكُّر عن[2] حقيقة مآلهم فصاروا معذَّبين في الدنيا والآخرة في المعنى، لأنَّ ما بهم من

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «آلتان»، أو: «خلق الله تعالى فيهما آلتين».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «في».

دنياهم ليس بثابت، فليس بشيء في الحقيقة؛ والمؤمنون بضدِّ ذلك، فهم منعمون في الدنيا والآخرة، لأنَّ ما ينالهم من المكروهات في الدنيا ليس بباقٍ، ولهم الثواب عليه.

﴿**ومن الناس من يقول آمنًا بالله وباليوم الآخر**﴾ افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله، وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم؛ ثمَّ ثنَّى بالكافر قلوبًا وألسنةً؛ ثمَّ ثلَّث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، وهم أخبث الكفرة، لأنَّهم خلطوا[1] بالكفر استهزاء وخداعًا، ولذا نزل فيهم: ﴿إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[2]. ﴿**وما هم بمؤمنين(٨)**﴾ إنكارا لِما ادَّعوه من الإيمان ونفيَه.

﴿**يخادعون الله**﴾ يظهرون غير ما في نفوسهم، فالخداع إظهار غير ما في النفس. ﴿**والذين [٤] آمنوا وما يخدِعون إلاَّ أنفسَهم**﴾ أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبَّهة بمعاملة المخادعين لأنفسهم، لأنَّ ضررها يلحقهم، وحاصلُ خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع إليهم؛ فكأنَّهم خدعوا أنفسهم. والنفس ذات الشيء وحقيقته، والخداع من الله في قوله: ﴿وهو خَادِعُهم﴾[3] أي يظهر لهم ويجعل لهم من النعيم في الدنيا خلافَ ما يغيِّب عنهم من عذاب الآخرة؛ وقيل: أصل الخدع الفسادُ، معناه يفسدون (لَعَلَّهُ) ما أظهروا من

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «خلطوا الإيمانَ بالكفر».

٢ - سورة النساء: ١٤٥.

٣ - سورة النساء: ١٤٢.

الإيمان بما أضمروا من الكفر؛ ﴿وهو خَادِعُهم﴾: (لَعَلَّهُ) أي يفسد عليهم (لعلّه) يعني في الدنيا، لما (لعلّه) يصيروا إليه من عذاب الآخرة. ثمَّ قيل: للقلب والروح «النفسُ»، لأنَّ النفس بهما، وللدم نفس، لأنَّ قوامها بالدم، وللماء نفس لفرط حاجتها إليه؛ والمراد بالأنفس هاهنا ذواتُهم، والمعنى: لِمُخادعتهم ذواتِهم، لأنَّ الخداع لاصقٌ بهم، لا يعدوهم إلى غيرهم. ﴿وما يشعرون(٩)﴾ أنَّ حاصل خداعهم يرجع إليهم، والشعور على الشيء[1] علم حسٍّ من الشعار وهو ثوب يلي الجسدَ، ومشاعر الإنسان حواسُّه لأنَّها آلات الشعور. والمعنى أنَّ لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس، وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حسَّ له.

﴿في قلوبهم مرضٌ﴾ أي شكٌّ أو نفاقٌ، لأنَّ الشكَّ تردُّد بين الأمرين، والمنافق متردِّد؛ في الحديث: *«مثلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين»*[2]، والمريض متردِّد بين الحياة والموت، ولأنَّ المرضَ ضدُّ الصحَّة، والفساد يقابل الصحَّة، فصار المرض اسماً لكلِّ فساد؛ والشكُّ والنفاق فسادٌ في القلب. ﴿فزادهم الله مرضا﴾ أي ضُعفاً عن الانتصار، وعجزاً على الاقتدار؛ وقيل:

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بالشيء».

٢ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم ٤٩٩٠. عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: *«مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»*. وَفِي رواية: *«تَكِرُّ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً»*. ورواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه. وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة من عدَّة طرق؛ والدارمي في كتاب المقدِّمة. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «مثل المنافق».

المراد به خَلْقُ النفاقِ في حالة البقاء بِخَلقِ أمثالِه، كما عُرف في زيـادة الإيمـان؛ وقيل: لأنَّ الآيات كانت تـنزل تترى آيةً بعد آيـة، كلَّمـا كفـروا بآيـة ازدادوا كفراً ونفاقاً، وذلك معنى قوله: ﴿وأمَّا الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجسـاً إلى رجسهم﴾[1]. ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي مـؤلم، يخلص وجعه إلى قلوبهـم ﴿بما كانوا يكذبون(١٠)﴾، أي بِكَذِبهم في قولهـم[2]: ﴿آمنّـا بـا لله وبـاليوم الآخر، وما هم بمؤمنين﴾.

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ الفساد خروج الشيء عـن حـال استقامته وكونه منتفعاً به، وضدُّه الصلاح، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة؛ والفسـاد في الأرض هيج الحروب والفتن، لأنَّ في ذلـك فسـادا في الأرض وانتفـاء الاستقامة على أحـوال النـاس، والـزروع والمنـافع الدينيـَّة والدنيويـَّة. ﴿قـالوا: إنـَّمَا نحن مصلحـون(١١)﴾ أي إنَّ صفة المصلحـين حصلت لنا، وتمحَّضت من غير شائبة قادح فيها من وجه مـن وجـوه الفسـاد، وذلك ظنًّا منهم وحرصاً بلا قيام دليل، ولو قـابلوا أحوالهـم بـالدليل لاستبان لهم فسادها عياناً.

﴿ألاَ إنـَّهم هُمُ المفسدون﴾ أنفسَهم بالكفر، والناسَ بالتعويق عن الإيمان، [٥] ﴿ولكـن لا يشـعرون(١٢)﴾ أي لا يعلمـون أنـَّهم مفسـدون، لأنـَّهم يظنُّون أنَّ الذي هم عليه من إبطال الحقِّ صلاح، قد ردَّ ا لله ما ادَّعوه من جملة

---

١ - سورة التوبة: ١٢٥.

٢ - في الأصل: «قلوهم»، وَهُوَ خطأ.

المصلحين أبلغَ ردًّا[1].

﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ نُصِحوا من وجهين: أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب، وجرِّه إلى الفساد، وثانيها[2] تبصيرهم لطريق السداد، وكان مِن جوابهم أن سفَّهوهم وجهَّلوهم لتمادي جهلهم، وفيه تسلية للعالِم مِمَّا يلقى من الجهَلَة. وذَكَرَ الناسَ أي كما آمن الكاملون في الإنسانيَّة، أو جُعل المؤمنون كأنَّهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم، وإنَّما سفَّهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنَّهم جُمِع لجهلهم اعتقدوا[3] أنَّ ما هم فيه هو الحقُّ، وأنَّ ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيها. والسفه سخافة العقل، وخفَّة الحِلم؛ وقيل: السفيه خفيف العقل، رقيق الحِلم، وقولهم: ثوبٌ سفيه، أي رقيق.

﴿ألا إِنَّهُمْ هم السفهاء ولكن لا يعلمون(١٣)﴾ إنَّهم هم السفهاء.

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنَّا﴾ بيانا لمذهب المنافقين، **﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾** رؤوسهم الذين ماثلوا الشياطين في تمرُّدهم، والشيطان: المتمرِّد العاتي من الجنِّ والإنس، وأصله البُعد، يقال: بئر شيطان، أي بعيدة قعر العمق؛ وسمِّي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشرِّ وبعده من الخير، **﴿قالوا: إِنَّا معكم﴾** أي مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم، **﴿إنَّما نحن**

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ردٌّ».

٢ - كذا في الأصل، والأصوب: «وثانيهما».

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «اعتقادهم»، أو «أنَّهم اعتقدوا».

مستهزئون(١٤)﴾ توكيد لقوله: ﴿إنّا معكم﴾، وقوله: ﴿إنّما نحن مستهزئون﴾ ردٌّ للإسلام، لأنَّ المستهزئ بالشيء المستخفٌ به منكِرٌ له، والاستهزاء السخريّة والاستخفاف، **﴿ا لله يستهزئ بهم﴾** أي يجازيهم على استهزائهم، فسمّى جزاء الاستهزاء باسمه، كقوله: ﴿وجزاء سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها﴾[1]، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾[2]، فسمّى جزاء السيِّئة سيِّئة، وجزاء الاعتداء اعتداء، وإن لم يكن الجزاء سيِّئةً والاعتداء[3]؛ وهذا لأنَّ الاستهزاء على ا لله تعالى لا يجوز من حيث الحقيقة، لأنّه من باب العبث وتعالى عنه، ويجوز في المعنى استهزاؤه بهم خذلانُه لهم، وتركُ نصرته إيّاهم، كما تَركوا دينه، و لم يحتلفوا[4] به، على معنى المقابلة والمجازاة، لأنّهم إذا تركوا دينه فقد اتّخذوه هزُؤًا، وإن لم يستهزئوا بألسنتهم؛ وقيل: معناه إهانتهم لأنَّ المستهزئ غرضه[5] بالشيء غرضه إدخال الهوان والحقارة عَلَيه. **﴿ويمدُّهم﴾** يمهلهم **﴿في طغيانهم﴾** في غلوِّهم وكفرهم **﴿يعمهون(١٥)﴾** أي:

---

١ - سورة الشورى: ٤٠.

٢ - سورة البقرة: ١٩٤.

٣ - كذا في الأصل، والصواب: «ولا اعتداءً».

٤ - كذا في الأصل، و لم نجد هَذِهِ الكلمة في كتب اللغة ولعلَّ الصواب: «و لم يحتفلوا به»، أي لم يبالوا، قال ابن منظور في اللسان: «وما حفله، وما حفل به، يحفِل حفْلاً، وما احتفل به، أي ما بالى، والحفل: المبالاة، يقال: ما أحفِلُ بفلان،: أي ما أبالي به». ابن منظور: لسان العرب، ج١/٦٧٦.

٥ - كذا في الأصل، والصواب: - «غرضه»، فتكون العبارة: «لأنَّ المستهزئ بالشيء غرضه إدخال الهوان...».

يعمهون ويترَدَّدون، والعمَه محرَّك ترَدُّدٌ في الضلال، والتحيُّر في منازعةٍ أو طريق، لا يعرف الحجَّة.

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدَى﴾ أي استبدلوها به، واختاروها عليه، وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا، لأنَّهم لم يتلفَّظوا بلفظ الشراء، ولكن تركوا الهدى بالضلالة [٦] عن اختيار، وسمَّى ذلك شراء[١]، فصار دليلا على أنَّ من أخذ شيئاً من غيره وتركَ عوضَه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلَّم به. وضلالةٌ[٢]: الجور عن القصد، [و]فَقْدُ[٣] الاهتداء، يقال: ضلَّ منزله، واستعير للذهاب عن الصواب في الدين، ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ الربح الفضل على رأس المال، والتجارة صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، ﴿وما كانوا مهتدين(١٦)﴾ لطريق التجارة، كما يكون التجَّار المتصرِّفون العالِمون بما يُرشَّح بربحٍ فيه ويخسروا، والمعنى أنَّ مطلوب التجَّار سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوها[٤]، فرأس مالهم الهدى، ولم يبق لهم مع الضلالة، وإذا لم تبق لهم إلاَّ الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأعراض الدنيويَّة، لأنَّ الضالَّ خاسرٌ، ولأنَّه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله: قد ربح.

---

١ - في الأصل: «شرًى».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصوب: «والضلالةُ».

٣ - في الأصل: «فقد»، وهو خطأ.

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أضاعوهما».

﴿مَثَلُهم كَمَثَل الذي استوقد نارا﴾ لـمَّا جاء بحقيقة صفتهم عقَّبها بضرب المثل زيادة في الكشف، وتتميماً للبيان، ولضرب الأمثال في إبراز خفيَّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، بائير[1] ظاهر، ولقد كثر في الكتب السماوية ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمثل في أصل كلامهم هو، وهو [كذا] النظير؛ يقال: مَثل ومِثل.

﴿فلـمَّا أضاءت ما حوله ذهب ا لله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون(١٧)﴾ فالمنافق خابط في ظلمات الكفر أبدا، ولكن المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المخفية، المفضية إلى ظلمة العقاب السرمديِّ؛ وللآية تفسير آخر، وهو أنَّهم لـمَّا وصفوا بأنَّهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثِّل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقِد، والضلالةَ التي اشتروها بذهاب ا لله بنورهم، وتركِه إيَّاهُم في الظلمات.

﴿صمٌّ بُكمٌ عُميٌ﴾ أي هم صمٌّ، كانت حواسُّهم سليمة ولكن لـمَّا سدُّوا عن الإصاخة[2] إلى الحقِّ مسامعَهم، وأبوا أن يُنطقوا به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصَّروا بعيونهم[3]، جعلوا كأنَّما انقبت حشاعرهم[4]؛ أو أنَّهم حينما لم

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بأسلوب»، أو «بتعبير» حسب ما يُتبادر من السياق.

٢ - في الأصل: «الإضاحة»، وهو خطأ، والإصاخة الاستماع، قال في اللسان: «أصاخ له يُصيخُ إصاخة: استمع وأنصت لصوت... ويروى بالسين». ابن منظور: لسان العرب، ج٣/٤٩٨.

٣ - يمكن أن نقرأ: «بعيوبهم»، ورسم الكلمة في الأصل هكذا: «بعتوبهم»، وهو خطأ.

يستعملوها فيما جعلت له، كأنَّهم عدموها فصارت كَلاَ شيءَ، وكأنَّهم خلقوا (لعلّة) بغير آذان وبغير ألسن وبغير أعين، وإن وجدت صُوَرُها بهم، لأنَّ تلك الآلات أريدت (لعلّة) لا لغيرها. وقدَّم ذكر الصمِّ على البكم، لأنَّ من لم يسمع الحقَّ لتصامّه عنه لم يفهم معانيه، ومن لم يفهم معانيه لم يستطع أن ينطق به؛ وقدَّم ذكر البكم على العمي، لأنَّ من لم يستطع أن ينطق بالحقِّ لم يقدر أن يعمل به، وهذه الأحوال متلازمة لا ينفكُّ بعضها من بعض، لأنَّ من استمع علم، ومن علم عمل. ﴿**فهم لا يرجعون(١٨)**﴾ لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، أو أراد أنَّهم متحيِّرون، بقوا خامدين [٧] في مكاناتهم لا يبرحون، ولا يدرون أيتقدَّمون أم يتأخَّرون.

﴿**أو كصيِّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ**﴾ ثنَّى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، لزيادة الكشف والإفصاح، وشبَّه المنافق في التمثيل الأوَّل بالمستوقد ناراً، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وهنا شبَّه دين الإسلام بالصيِّب، لأنَّ القلوب تحيَى به حياة الأرض بالمطر. ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق**﴾ الصاعقة قصفة رعد تنفضُّ معها شقَّة من نار، قالوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكَّت أجرامه، وهي نار لطيفة حديدة لا تمرُّ بشيء إلاَّ أتت عليه، إلاَّ أنَّها مع حدَّتها سريعة

---

٤ - كذا في الأصل، ويبدو أنَّ الناسخ متأكِّد مِمَّا كتبه فقد كتب حاءً صغيرة تحت حرف الحاء من كلمة «حشاعرهم»، ولا معنى له، ولعلَّ الصواب: «انتفت مشاعرهم»، بدليل ما يأتي من السياق.

الخمود؛ يحكى أنَّها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثمَّ طفئت. ويقال: صعقته الصاعقة، إذا أهلكته، فصعق أي مات، إمَّا بشدَّة الصوت أو بالإحراق. ﴿**حذر الموت**﴾ الموت فساد بنية الحيوان، أو عرَض لا يصحُّ معه إحساس، معاقب للحياة. ﴿**وا لله محيط بالكافرين(١٩)**﴾ يعني أنَّهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ به المحيطَ به.

﴿**يكاد البرق**﴾ أي يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب و لم يفعل، ﴿**يخطف أبصارهم**﴾ الخطف الأخذ بسرعة، و«كاد» يستعمل لتقريب الفعل، ﴿**كلَّما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ هذا تمثيل لشدَّة الأمر على المنافقين بشدَّته على أصحاب الصيِّب، وما هم فيها من غاية التحيُّر والجهل، لِما يأتون وما يذرون، إذا صادفوا من البرق خفقه مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهضوا لتلك الخفقة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا. . . [1] خفي لَمَعَانُه بقوا واقفين، ﴿**وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم متحيِّرين، فا لله شبَّههم في نفاقهم بقوم كانوا في مفازة[2] في ليلة مظلمة أصابهم مطر، فيه ظلمات، لا يقدر على المشي[3] فيها، فالماء القرآن لأنَّه حياة الجَنان، والظلمات صفة الكفر، والبرق صفة الهدى. ﴿**ولو شاء ا لله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنَّ ا لله على كُلِّ شيء قديرٌ(٢٠)**﴾ أي إنَّ ا لله قادر عَلَى كُلِّ شيء.

---

١ - كلمة غير واضحة في الأصل، رسمها: «وفير»، والمعنى كامل بحذفها.

٢ - قال في اللسان: «المفاز والمفازة: البرِّيَّة القَفْر، وتجمع المفاوز». ابن منظور: لسان العرب، ج٤/١١٤٤.

٣ - في الأصل: «المسيء»، وهو خطأ.

﴿**يا أيُّهَا الناس اعبدوا ربَّكم**﴾ أكثر النـداء في القـرآن مـن ا لله لعبـاده، من أوامره ونواهيه، ووعـده ووعيـده، أمـور عظـام، وخطـوب جسـام، يجـب عليهم أن يتيقَّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم إليها، وهم عنها غـافلون، وعـن معانيهـا سـاهون، فـاقتضت الحـال أن ينـادوا يـاء كدالابلغ(؟)[كَـذَا]، فقـال: ﴿اعبـدوا ربَّكم﴾، قيل: كلُّ عبادة في القرآن فهـو توحيـد، ومـن وحَّـد ا لله تعـالى فقـد عبده، ومن عبده فقد وحَّده. ﴿**الذي خلقكم**﴾ الخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، ﴿**والذين من قبلكم**﴾ احتجَّ عليهم بأنَّـه خـالقهم وخـالق مـن كـان مـن قبلهـم، لأنـَّهم كـانوا مقرِّيـن بذلـك، وإذا تقـرَّر ذلـك معهـم في [٨] عقائدهم، اقتضى الحال أن لا يستحقَّ العبادة سواه، فقيل لهم: إن كنتم مقرِّيـن بأنَّـه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام؛ وممَّا يدخل في اسم الأصنام والآلهة عبادة الأَهْوِيَة بغـير الحقِّ، كمـا قـال: ﴿أفرأيـت مـن اتـَّخذ إلهه هـواه﴾[1]، ﴿**لَعَلَّكُمْ تتَّقون(٢١)**﴾ أي اعبدوه على رجاء أن تـتَّقوا، فتنجـوا بسـببه مِـن العذاب، وقيل: لعلَّ بمعنى كي.

﴿**الذي جعـل لكـم الأرض فراشـا**﴾ بسـاطا، تقعـدون عليهـا، وتنـامون وتتقلَّبون، ﴿**والسماء بناء**﴾ سقفاً، ﴿**وأنزل من السماء ماء فـأخرج بـه مـن الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنـدادا**﴾ أمثـالاً تعبدونهـم[2] كعبـادة ا لله، وهو متعلِّق بالأمر، أي اعبدوا ربَّكم الذي جعل لكـم هـذا لتستعينوا بـه علـى

---

١ - سورة الجاثية: ٢٣.

٢ - في الأصل: «تعبدوانهم»، وهو خطأ.

العبادة، فلا تجعلوا له ندًّا، لأنَّ أصلَ العبادة وأساسَها التوحيدُ، وأن لا يجعل لـه ندٌّ ولا شريك في شيء، لأنَّه لم يشاركه أحد في مـا جعله وخلقه وأنعم بـه عليكم، ﴿**وأنتم تعلمون(٢٢)**﴾ أنَّه لا يخلـق ولا يـرزق ولا يستحقُّ العبـادة غيره، فكيف وأنتم من أهل العلم، وجعلُ الأصنام لله أنداداً غاية الجهل، ولـمَّا احتجَّ عليهم بمـا يثبت الوحدانيـَّة، ويبطل الإشراك، [احتجَّ] بخلقهم أحيـاء قادرين، وخلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرُّهم، وخلـق السماء الـتي هـي كالقبَّة المضروبة على هذا القرار وما سواه عـزَّ وجـلَّ، مـن شبه عقـد النكـاح التكافؤ بين المقلة والمظلة[١] بإنزال الماء منها عليها، والإخراج به من بطنها مـن الثمار رزقا لهم، فهـذا كلُّه دليـل موصـل إلى التوحيـد، مبطل للإشـراك، لأنَّ المخلوقات عاجزة لا تقـدر علـى إيجاد شـيء، فكيـف تستحقُّ أن تعبـد، ثـمَّ عطف على إثبات نبوَّة محمَّد ﷺ فقال:

﴿**وإن كنتم في ريب مِمَّا نزَّلنا على عبدنا**﴾ العبـد اسـم لمملـوك مـن جنس العقلاء، أي إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله، ﴿**فـأتوا بسـورة**﴾ أي فهـاتوا أنتـم بسورة ﴿**من مثله**﴾ والسورة الطائفة من القرآن المترجمة الـتي أقلُّهـا ثـلاث آيـات، وواوُها إن كانت أصلاً فإمَّا أن يسـمَّى بسـورة[٢] المدينـة وهـي حائطهـا، لأنـَّها

١ - كذا في الأصل، ولم يتَّضح لنا مَعنَى العبارة.

٢ - كذا في الأصل، أنَّث المصنِّف هَـذِهِ الكلمـة، والصـواب تذكيرهـا، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿فضُـرب بينهـم بسـورٍ لـه بـاب باطنـه فيـه الرحمـة وظـاهره مِـن قِبَلـه العـذاب﴾ [الحديد:١٣]، وقد ناقش ابن منظور قَضِيـَّة اشـتقاق السـورة، وأورد أقـوال اللغويـِّين فيها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣/٢٣٧-٢٣٨.

طائفة من القرآن محدودة محجورة على حبالها كالبلد المسوَّر، أو لأنَّها محتوية على فنون من العلم، وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها؛ وإمَّا أن تسمَّى بالسورة التي هي الرتبة، لأنَّ السُّوَر بمنزلة المنازل والمراتب، يترقَّى منها المماري؛ أو لِرفعة شأنها، وجلالة محلّها في الدين؛ وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنَّها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة، وكالتي[1] هي البقية من الشيء من مثله، على صفته في البيان الغريب وعلوِّ شأنه.

﴿**وادعوا شهداءكم من دون الله**﴾ أي غير الله، أي ادعوا الذين اتَّخذتموهم آلهة من دون الله، وزعمتم أنَّهم يشهدون لكم يوم القيامة أنَّكم على الحقِّ، أو من يشهد لكم بأنَّه مثل القرآن، ﴿**إن كنتم صادقين(٢٣)**﴾ [٩] أنَّ ذلك مختلَق.

﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة**﴾ لمَّا أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرَّفون صدق النبيء عليه السلام قال لهم: فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم، ووجب تصديقه، فآمِنوا وخافوا العذاب المعدَّ لمن كذَّب؛ ومعنى قوله: ﴿وقودُها الناسُ والحجارةُ﴾، فإنَّها نارٌ ممتازةٌ عن غيرها من النيران، بأنَّها تتَّقد بالناس والحجارة، وهي حجارة الكبريت فهي أشدُّ توقُّداً[2]، وأبطأ خموداً، وأنتن رائحة، وألصق بالبدن؛ ﴿**أعدَّت للكافرين(٢٤)**﴾ هيِّئت لهم.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «والتي»، فتكون العبارة اللاحقة شرحا لمعنى «السؤرة» بالهمزة. انظر: المصدر نفسه.

٢ - في الأصل: «توقُّد»، وهو خطأ.

﴿**وبشِّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ لأنَّ الإيمان الحقيقيَّ يقتضي العمل بالصالحات دون المفسدات، والصالحاتُ كلُّ ما استقام من الأعمال بدليل العلم، قال معاذ: «العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والإخلاص»؛ ﴿**أَنَّ لهم جنَّاتٍ**﴾ تنكيرها أنَّ الجنَّة اسم لدار الثواب كلّها، وهي مشتملة على جِنانٍ كثيرة، مرتَّبة مراتب بحسب أعمال العاملين، لكلٍّ طبقة منهم جنَّات من تلك الجنان؛ والجنَّة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سمِّيت بها لاجتنانها وتستُّرها بالأشجار، ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾: الماء الجاري من النعمة العظمى، ولذا قَرَنَ الجنَّات بذكر الأنهار الجارية، وقدَّمه على سائر نعوتها، ﴿**كُلَّما رُزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا: هذا الذي رُزِقنا من قبلُ**﴾ من قبلُ في الدنيا؛ وقيل: الثمار في الجنَّة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رزِقوا ثمرةً بعد أخرى ظنُّوا أنَّها الأولى، فإذا طعموا منها وجدوها على غير صفة الأولى، كما قال: ﴿**وأُتُوا به متشابها**﴾ في اللون مختلفا في الطعم، وقيل: يشبه بعضها بعضاً في الجودة وكلُّها خيار لا رذالة فيها؛ وقيل: تشبه ثمرة الدنيا غير أنَّها أطيب؛ وقيل: متشابها في الاسم مختلفاً في الطعم؛ قال ابن عبَّاس: «ليس في الدنيا مِمَّا في الجَنَّة إلاَّ الأسامي»، ﴿وأوتوا به متشابها **ولهم فيها**[1] **أزواج مطهَّرة**﴾ من مساوئ الأخلاق وسائر الأقذار والأنجاس، ﴿**وهم فيها خالدون(٢٥)**﴾ الخلد: البقاء الدائم الذي لا ينقطع، ولذا قيل: يرسل الله إلى عباده في الجنَّة كتاباً فيه بشارة البقاء من الحيِّ الذي لا يموت إلى الحيِّ الذي لا يموت.

---

١ - في الأصل: + «فيها»، وهو خطأ.

﴿**إنَّ ا لله لا يستحيي أن يضرب مَثَلا ما بعوضة**﴾ أي لا يترك ضرب المَثَل بالبعوضة تركَ من يستحيي أن يتمثّل بها لحقارتها، وضربُ المَثَل صنعه، مِن ضربِ اللَّبْن وضربِ الخاتَم. ﴿**فما فوقها**﴾ فما تجاوزها، ﴿**فأمَّا الذين آمنوا فيعلمون أنَّه**﴾ المثل ﴿**الحقُّ**﴾، الحقُّ: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ولا بطلانه ولا ذهابه، وهو من الحقيقة التي هي ضدُّ الظاهر الوهميِّ، وضدُّه الباطل الذاهب الزاهق الممتحق، يقال: حقَّ الأمرُ إذا ثبت، ﴿**من ربِّهم. وأمَّا الذين كفروا فيقولون ماذا**﴾ أيُّ شيء؟ ﴿**أراد ا لله بهذا مثلا**﴾[1][١٠] إنكار[2] منهم لذلك. ﴿**يُضلُّ به**﴾ بالمثل ﴿**كثيرا**﴾ من الضالّين، أو إضلالا كثيرا، ﴿**ويهدي به كثيرا**﴾ بيان أنَّ المؤمنين الذين عادتُهم الإنصاف والنظر في الأمور بناظر العقل، إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنَّه الحقُّ، وأنَّ الكفّار الذين غلبَهم الجهل، والهوى على عقولهم، كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأنَّ ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الكافرين الفاسقين؛ والعجب منهم كيف أنكروا ذلك. وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأجناس الأرض، فقالوا: «أجمع من ذرَّة»، و«وأجرَء من الذباب»، و«أسمع من قراد»[3]، و«أضعف من فراشة»، و«آكل من السوس»، و«أضعف من بعوضة»، و«أعزُّ من مخِّ البعوض»[4]؛ ولكنَّ ديدن المحجوج والمبهوت[5] أن يرضى لفرط الحيرة

---

١ - في الحاشية السفلية من المخطوط عبارة بخطِّ الناسخ: «قالوا: دمعت فقلتُ». ولا محلَّ لها من النصِّ.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «إنكارًا»، لأنَّه حال.

٣ - قال في المنجد: «قيل: إنَّه يسمع أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرَّك». ص ٩٩٢.

٤ - قال في المنجد: «يضرب فيها لِما يندر وجوده أو لا يكون». ص ١٠٠٠.

بدفع الواضح، وإنكار اللائح. ﴿**وما يضلُّ به**﴾ (لَعَلَّهُ) قيل: الإضلال هو الصرف عن الحقِّ إلى الباطل، وقيل: هو الإهلاك. ﴿**إلاَّ الفاسقين(٢٦)**﴾ الفسق: الخروج عن القصد، وفي الشريعة الخروج عن الأمر بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين: منزلة المؤمن والمشرك.

﴿**الذين**﴾ صفة لهم ﴿**ينقُضون عهد الله**﴾ النقض: الفسخ، وفكُّ التركيب والكسر، والعهد الموثَّق ما ركز في عقولهم من الحجَّة على التوحيد، كأنَّه أمرٌ وصَّاهم به، ﴿**من بعدِ ميثاقه**﴾ أصله من الوثاقة، وهي إحكام الشيء، ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ أي قطع الوصل الذي به نظام العالَم وصلاحه، وقيل: الإيمان بمحمَّد ﷺ وبجميع الرسل، لأنَّهم قالوا: ﴿نؤمن ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ﴾[1]، وإذا قطع تولَّد منه الفساد. ﴿**ويفسدون في الأرض**﴾ بعد إصلاحها، أي خلقها الله صالحة، منتفَعا بها للتزوُّد للمعاد، ﴿**أولئك هم الخاسرون(٢٧)**﴾ أي خسروا ما خلق الله لهم من النعم، حيث كفروها فلم ينتفعوا بها، بل حاق بهم ضررها، لأنَّهم ازدادوا بها عذابا، وخسروا إهمال العقل عن النظر، واقتناص ما يفيدهم الحياة[2] الأبديَّة.

﴿**كيف تكفرون بالله**﴾ بعد نصب الدلائل، ووضوح البراهين، ثمَّ ذكر الدليل فقال: ﴿**وكنتم أمواتا**﴾ يقال لعادم الحياة أصلا ميِّتٌ، ﴿**فأحياكم ثمَّ**

=

٥ - في الأصل: «ولمبهوت»، وهو خطأ.

١ - سورة النساء: ١٥٠.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «للحياةِ».

يميتكم ثـم يُحيـيكم﴾ كمـا قـال: ﴿ربَّنـا أمتـَّنا اثـنتـين، وأحييتـنا اثـنيتن﴾[1]، فانظر بين الموتـتين والحياتين ولِما بينهما من التفاوت، **﴿ثمَّ إليه ترجعون(٢٨)﴾** إلى الجزاء على قدر الأعمال.

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ أي لأجلكم ولانتفـاعكم بـه في دنياكم ودينكم، أمَّا الأوَّل فظاهر، وأمَّا الثاني فـالنظر فيه، وما فيه من العجائب الدالـَّة على صانع قادر، حكيم عليم، وما فيه من التذكير بـالآخرة، لأنَّ ملاذَّها تذكِّر ثوابها، ومكارهها تذكِّر عقابها، فقـد خلـق الله لـه السـرَّاء والضرَّاء مطيَّتين، ليتوصَّل بهما إلى دار الثواب، وكلُّها في حقِّ المطيع الشـاكر نِعَمٌ، وكلُّها في حقِّ مَن كفرها نِـقـمٌ, **﴿ثُمَّ استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سماوات﴾** معنى [١١] تسويتهنَّ تعديلُ خلقهنَّ وتقويمه، وإخلاؤه من العـوج والفطور. **﴿وهو بِكُـلِّ شـيء عليـمٌ(٢٩)﴾** فمـن ثـمَّ خلقهـنَّ خلقـاً مستويا محكما، من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض، علـى حسـب حاجـات أهلهـا ومنافعهم، ولم يخلق شيئاً عبثاً لأنَّـه حكيم عليم، ولكنَّ عقولَ الخلق تقصر عن إدراك بعض معلوماته بالأشياء وما فيها، وما خلِقت له.

﴿وإذ قال ربُّك للملائكة: إنـِّي جاعل في الأرض خليفة﴾ وهـو مـن يخلف غيره، وقيل: سُمُّوا خليفة لأنـَّهم خليفـة الله في أرضـه لإقامـة أحكامـه وتنفيذ قضاياه. **﴿قالوا: أتجعل فيها من يفسـد فيهـا ويسفك الدمـاء﴾** بغـير حقٍّ، كما فعل بنـو الجانِّ، فقاسـوا بالشـاهد علـى الغـائب، وهـو تعجُّـب أو

---

١ - سورة غافر: ١١.

استكشاف لِما خفي عليهم من الحكمة. ﴿**ونحن نسبِّح**﴾ (لَعَلَّهُ) نعيذُك عمَّا لا يليق بك، ﴿**بحمدك**﴾ ملتبسين به، ﴿**ونقدِّس لك**﴾ نطهِّر نفوسنا عن المعاصي، لك: لأجلك، أو نقدِّسك، كأنَّهم علموا أطباع الخليقة أنَّها تؤول إلى المنازعة في الرُّبُوبِيَّة، وهو من الفساد في الأرض، ولعلَّه قد سبقهم خلقٌ فيها قبلهم، فعصوا وتعالوا عليه بارتكاب ما (لَعَلَّهُ) نهى وترك ما أمر، ولذلك قيل واستدلَّ بقوله: ﴿والجانَّ خلقناهُ من قبلُ﴾[1] أي من قبل آدم. ﴿**قال: إنِّي أعلم ما لا تعلمون(٣٠)**﴾ أي أعلم من الحِكم فيه ما هو خفيٌّ عليكم، يعني يكون فيهم الأنبياء والعلماء والأولياء، وما خلق الله لهم، وفيهم من الحِكم مِمَّا لم يخلق لكم.

﴿**وعلَّم آدم الأسماء كلَّها**﴾ يحتمل: علمه بأسمائها، وقيل: علَّمه صنعة كلِّ شيءٍ، ويحتمل علمه بمعانيها وما خُلقت له، لأنَّ المعاني (لَعَلَّهُ) وما تُراد له أخصُّ من الأسماء، (لَعَلَّهُ) مِمَّا يحتاج له من أمر دينه ودنياه؛ وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة؛ وقيل: علَّمه أحوالها وما يتعلَّق بها من المنافع الدِّينِيَّة والدُّنْيَوِيَّة، ويحتمل أن يكون علَّمه اسم ما ينفعه ويضرُّه عاجلاً وآجلاً، ليستعمل النافع ويجتنب الضارَّ، وهو لم يخلق إلاَّ لهذا لأنَّ ما عداه باطل. ﴿**ثمَّ عرضهم على الملائكة**﴾ أي سألهم وقد علِم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت، ﴿**فقال: أنبئوني**﴾ أخبروني ﴿**بأسماء هؤلاء**﴾ تبكيت لهم، وتنبيه على قصورهم، وليس لعلم الأسماء جدوى بغير معرفة

١ - سورة الحجر: ٢٧.

المعاني، بل لكلٍّ معنى اسمٌ، ﴿**إن كنتم صادقين(٣١)**﴾ في زعمكم أنّي أستخلف في الأرض مفسدين سافكين، وكنتم أعلم وأفضل منهم، وفيه ردٌّ عليهم وبيان أنَّ فيمن يستخلفه من الفوائد العِلْمِيَّة التي هي أصول الفوائد كلِّها ما يستأهلون لأجله أن يُستخلفوا ويُفضَّلوا.

﴿**قالوا: سبحانك**﴾ تنزيها لكَ أن يخفى عليكَ شيءٌ، أو عن الاعتراض عليكَ في تدبيرك، وأفادتنا الآية أنَّ العلم بالمعلومات وحقائقها، وما تراد له وخلقت لأجله، والحقِّ من الباطل، وما يستقيم به الدين ويقتضيه، فوق التحلّي بالعبادة، مع جهل هذا. ﴿**لا علم لنا إلا ما علَّمتنا**﴾ أي ليس لنا من العلم إلاَّ ما علَّمتنا إيَّاه، ﴿**إنَّكَ أنت العليم**﴾ غير معلَّم، ﴿**الحكيم(٣٢)**﴾ فيما [١٢] قضيتَ وقدَّرت، والحكيم المحكِم للأمر كيلا يطرق إليه الفساد والنقص فيبطل، وقيل: الحكيم المحكِم لمبتَدَعاته الذي لا يفعل إلاَّ ما فيه حكمة بالغة.

﴿**قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ أخبِرهم، فسمَّى آدمُ كلَّ شيءٍ باسمه، وذكر الحكمة التي لأجلها يُخلق[1]، ﴿**فلَمَّا أنبأهم بأسمائهم**﴾ (لَعَلَّهُ) فلمَّا ظهر فضل آدم سمَّى كلَّ شيءٍ باسمه، ويحتمل أنَّه علَّمهم كلَّ شيءٍ بمعناه، وما يراد به وله؛ وقيل: أخبر الملائكة بأسمائهم أي باسم كلِّ شيءٍ، ومنافعه ومضارِّه، وخواصِّه، وفي هذا أنَّ تعليمه...[2] الأسماء كلّها بما فيها من المعاني،

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «لأجلها خُلق».

٢ - كلمة غير واضحة، رسمها: «تعم»، ويبدو أنَّ حذفها لا يخلُّ بالمعنى.

ونتق[1] لسانه بذلك معجزة أقامها الله (لَعَلَّهُ) للملائكة دالَّة على نبوَّة وجلالة قدره وتفضيله عليهم. ﴿**قال: ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض**﴾ أي ما غاب فيهما عنكم، مِمَّا كان ومِمَّا يكون، وهو قوله لهم: ﴿إنّي أعلم ما لا تعلمونَ﴾، حين عاضوا في خلق الخليفة، وعلم الله من الخليفة ما يكون منها، وما تصلح له من العلوم العَقْلِيَّة والاكتسابيَّة، مِمَّا لم يجعل لهم. ﴿**وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون(٣٣)**﴾ ما تظهرون بألسنتكم، وتسرُّون بقلوبكم.

﴿**وإذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم**﴾ أي اخضعوا له، وأقرُّوا له بالفضل، والسجود الحقيقيُّ طاعة الله، ويحتمل ذلك بمعنى الائتمام به في الطاعة لـمَّا صار أعلمهم، وحقيق بالعالِم أن يؤتمَّ به؛ وقيل: على معنى الانحناء تعبُّداً من الله لهم بذلك؛ وقيل: إنَّ المأمور بِهِ وضع الوجه على الأرض؛ وفي الآية دلالة على فضل آدم على جميع الملائكة، لأنَّه (لَعَلَّهُ) قدَّمه عليهم إذ أمرهم بالسجود له، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، ولو لم يكن سجود الملائكة له على وجه التعظيم لشأنه وتقديمه عليهم، لم يكن لامتناع إبليس عن السجود له، وقوله: ﴿أرأيتَك هذا الذي كرَّمتَ عليَّ﴾[2]، وقوله: ﴿أنا خير منه﴾[3] وجهٌ. ﴿**فسجدوا إلاَّ إبليس أبى**﴾ امتنع مِمَّا أمر به، (لَعَلَّهُ)

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: «ونَطَقَ».

٢ - سورة الإسراء: ٦٢.

٣ - سورة الأعراف: ١٢.

وسمِّي إبليس لأنَّه إبليس[1] من رحمة الله، ﴿**واستكبر**﴾ تكبَّر عنه، ﴿**وكان من الكافرين(٣٤)**﴾ في علم الله (لَعَلَّهُ) أو صار كافراً بإيبائه واستكباره.

﴿**وقلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة وكلاَ منها رغَدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ اختلف في الشجرة ما هي؟ قيل: السنبلة، وقيل: شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: شجرة العلم[كَذَا]، وفيها من كلِّ شيءٍ؛ ﴿**فتكونا من الظالمين(٣٥)**﴾ من الذين ظلموا أنفسهم، بوضع أمر الله غير موضعه.

﴿**فأزلَّهما الشيطان عنها**﴾ عن الجنَّة، بمعنى أذهبهما عنها، وأبعدهما فأخرجهما، ﴿**فأخرجهما مِمَّا كانا فيه**﴾ من النعيم والكرامة، أو من نعمة الطاعة، ﴿**وقلنا: اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ**﴾ والضمير لآدم وزوجته، وإبليس فيما قيل، ﴿**ولكم في الأرض مستقرٌّ**﴾ استقرار ﴿**ومتاع**﴾ وتمتُّع بما أوتوا ﴿**إلى حين(٣٦)**﴾ إلى الموت: قال ابن أدهم (لعلَّه ابن آدم)[2]: «أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلاً»، قال غيره: «لا يُعبأ بالحزن الفاني إذا أعقبته السلامة».

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: «أبْلَسَ». قال في اللسان: «وأبْلَسَ من رحمة الله، أي يئس وندم، ومنه سمِّي إبليس، وكان اسمه: عزازيل، وفي التنزيل العزيز: ﴿يومئذ يبلس المجرمون﴾، وإبليس لعنه الله: مشتقٌّ منه لأنَّه أُبلِس من رحمة الله، أي أُويِسَ». ابن منظور: لسان العرب، ج١/٢٥٦.

٢ - هَذِهِ العبارة من إضافة الناسخ، كما هو واضح، إلاَّ أنَّه أخطأ في احتماله، بدليل ما سيأتي في قوله: «قال غيره»، أي قال غيرُ ابنِ أدهم من العارفين، أو الحكماء... وليس المقصود غيرُ ابنِ آدم.

﴿**فتلقّى**﴾ تلقّن، والتلقّي هو قبولٌ [١٣] عن فطنة وفهمٍ؛ وقيل: هو التعلُّم، ومعنى تلقّي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها، أي أخذها من ربّه على سبيل الطاعة. ﴿**آدم من ربّه كلماتٍ**﴾ وهنَّ قوله: ﴿ربَّنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفِر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾[١]، وهو دخوله في الجملة قولا وعملاً ونية، بعد أن خرج منها. ﴿**فتاب عليه**﴾ فرجع عليه بالرحمة، ﴿**إنَّهُ هو التوَّاب**﴾ لمن تاب إِليهِ ﴿**الرحيم(٣٧)**﴾ بعباده، من حيث تفضَّل عليهم بالتوبة والإمهال، و لم يؤاخذهم على ذنب تابوا منه.

﴿**قلنا: اهبطوا منها جميعا فإمَّا يأتينَّكم منّي هدى**﴾ بيان وحجَّة، ﴿**فمن تَبع هُدَايَ**﴾ بالقبول ﴿**فلا خوفٌ عليهم**﴾ من العقاب، ﴿**ولا هم يحزَنون(٣٨)**﴾ على فوت الثواب، أو لا يحزنون على ما يفوتهم من أمر الدنيا.

﴿**والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا**﴾ بحججنا إذا بلغتهم، ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ أي أهلها ومستحقُّوها، لأنَّهم خُلقوا لها، وخُلقت لهم، كما قال: ﴿ولقد ذرأنا لجهنَّم...﴾الآية[٢]، ﴿**هم فيها خالدون(٣٩)**﴾ لأنَّه لا مطمع في الخروج منها بعد الدخول فيها.

﴿**يا بني إسرائيل**﴾ قيل: هو يعقوب، وقيل: معنى إسرائيل: عبد الله، وقيل: هو صفوة الله، ﴿**اذكروا**﴾ أي احفظوا الذكر، ﴿**نعمتي التي أنعمتُ**

---

١ - سورة الأعراف: ٢٣.

٢ - الأعراف: ١٧٩. وتمام الآية: ﴿ولقد ذرأنا لجهنَّم كثيرا من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾.

عليكم﴾ ذكّرهم النعمة بأن يطيعوه بها ولا يكفروها، ولا يخلوا بها بشكرها، لكن عظّموها ولا تغفلوا عنها، وهي جميع النعم التي لله على عباده، **﴿وأوفوا بعهدي﴾** أدُّوه وافيا، بامتثال أمري **﴿أُوفِ بعهدكم﴾** بما عاهدتكم عليه من التوفيق على الطاعة، والجزاء عليها تخليداً أبديا، **﴿وإيّاي فارهبونِ(٤٠)﴾** فلا تنقضوا عهدي، ولا تتعرَّضوا الخذلاني لكم عن الطاعة في الدنيا، واستحقاق التخليد في الآخرة، ولا مَرهوبَ سواه في الحقيقة عند أولي النهى، والأمر لهم بالرهبة منه نهي منه لهم عن الرهبة من غيره، **﴿وآمنوا بما أنزلتُ﴾** يعني القرآن أو تأويله، **﴿مصدِّقا لِما معكم﴾** موافقا وشاهدا لِما معكم من التوراة، يعني في التوحيد والعبادة والنبوّات والأخبار، **﴿ولا تكونوا أوَّلَ كافر به﴾** أي أوَّل من كفر به، أو ولا يكن كلٌّ واحد منكم أوَّل كافر به، وهذا تعريض بأنَّه كان يجب أن يكونوا أوَّل من يؤمن به، لمعرفتهم به على سبيل المسارعة والمسابقة إلى الخيرات، **﴿ولا تشتروا بآياتي﴾** ولا تستبدلوا، بتغييرها وتحريفها وترك العمل بها، **﴿ثمنا قليلا﴾** هو عرض الأدنى، **﴿وإيّاي[1] فاتّقونِ(٤١)﴾** فخافوني وارهبوني، (لَعَلَّهُ) لا قوَّة الرئاسة.

﴿ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل﴾ لبس الحقِّ بالباطل خَلطُه، كأنَّ المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها، فيختلط الحقُّ المنزَّل بالباطل الذي كتبتم، حتّى لا يميَّز بين حقّها وباطلكم، أو ولا تجعلوا الحقَّ ملتبساً مشتبها بباطلكم

١ - في الأصل: «وياي»، وهو خطأ.

الذي تهوونه، أو لا تغطُّوا[1] الحقَّ بالباطل وتسترونه، ﴿**وتكتموا الحقَّ**﴾ أي ولا تجمعوا لبس الحقِّ بالباطل وكتمان الحقِّ، ﴿**وأنتم تعلمون(٤٢)**﴾ في حال علمكم أنَّكُم لا تسبُّون الحقَّ بالباطل، كاتمون الحقَّ، وهو أقبح لهم، لأنَّ ارتكاب النهي على العلم أقبح.

﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ المفروضتين، وهي مأخوذة من النماء، وقيل: من التطهير، [١٤] وكلاهما موجودان فيها التطهير والنماء للمال. ﴿**واركعوا مع الراكعين(٤٣)**﴾ جاز أن يراد بالركوع الصلاة، كما يعبَّر عنها بالسجود، وأن يكون أمر بالصلاة مع المصلِّين في الجماعة.

﴿**أتأمرون الناس**﴾ توبيخاً لهم وتعجُّبا من حالهم، ﴿**بالبرِّ**﴾ أي سعة الخير، ومنه البَرُّ لسعته ويتناول كلَّ خير، ﴿**وتنسون أنفسَكم**﴾ وتتركونها من البرِّ، ﴿**وأنتم تتلون الكتاب**﴾ وعيد لمخالفة القول العمل، ﴿**أفلا تعقلون(٤٤)**﴾ قُبحَ ما قدِمتهم عليه، حتَّى يصدَّكم استقباحه عن ارتكابه، وهو توبيخ عظيم؛ والعقل مأخوذ من عقال الدَّابـَّة، وهو ما يشدُّ به ركبة البعير فيمنعه عن الشرود، وكذلك العَقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

﴿**واستعينوا**﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿**بالصبر والصلاة**﴾ أي بالجمع بينهما، وأن تصلُّوا صابرين على تكاليف الصلاة، محتملين لمشاقِّها، وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوسواس[2] الشيطانيَّة، والهواجس النفسانيَّة، ومراعاة الأدب والخشوع،

---

١ - في الأصل: «لا تغطُّون»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «الوساوس».

واستحضار العلم بأنَّه انتصاب بين يدي جبَّار السماوات والأرض؛ أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها، والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها؛ وكان رسول الله ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة[1]. وقيل: الصبر الصوم، لأنَّه حبس على المفطرات؛ وقيل: الصلاة الدعاء، أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء، والابتهال إلى الله في دفعه، والتضرُّع، ولأنَّ الصوم يزهِّده في الدنيا، والصلاة ترغِّبه عَلَى الآخرة، **﴿وإنَّها لكبيرة﴾** لشاقَّة ثقيلة، **﴿إلاَّ على الخاشعين(٤٥)﴾** يعني المؤمنين المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله، لأنَّهم يتوقَّعون ما ادَّخر للصابرين على متاعبها، فتهون عليهم، ألا ترى إلى قوله: **﴿الذين يظنُّون أنَّهُم ملاقوا ربِّهم﴾** أي يتوقَّعون لقاء ثوابه، ونيل ما عنده إن امتثلوا، ويخافون عقابه إن خالفوا أمره، وأمَّا من لم يوقن بالجزاء ولم يرجُ الثواب كانت عليه مشقَّة، والخشوع الإخبات، وأمَّا الخضوع فاللين والانقياد. **﴿وأنَّهُمْ إليه راجعون(٤٦)﴾** مجازون على أعمالهم كيف كانت.

﴿يا بني إسرائيل﴾ (لَعَلَّهُ) وهم المتمسِّكون بدين قوم موسى على ما يدلُّ عليه معاني ما بعده، **﴿اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأنِّي فضَّلتكم على العالمين(٤٧)﴾** على الجمِّ الغفير من الناس، والمراد الكثرة، أو على عالَمي

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: «حزبه». فقد روى أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، رقم: ٢٢٢١٠، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ وَخَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالاَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا يَعْنِي ابْنَ زَائِدَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الدُّؤَلِيِّ قَالَ قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَخُو حُذَيْفَةَ قَالَ حُذَيْفَةُ: *كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى*. العالمية: موسوعة الحديث، موضوع البحث: «الصلاة تقوِّم سلوك الإنسان».

زمانهم، أو فضَّلهم على سائر الحيوانات كما قال: ﴿ولقد[1] كرَّمنا بني آدم وحملناهم... ﴾ تمام الآية[2].

﴿واتَّقوا يوما لا تجزي﴾ أي يوم القيامة **﴿نفس﴾** مؤمنة **﴿عن نفس﴾** كافرة **﴿شيئًا﴾** أي لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق التي لزمتها شيئا، **﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾** عن أن يطمع في الشفاعة مرتكب الكبائر، **﴿ولا يؤخذ منها عدلٌ﴾** أي فدية لأنَّها معادلة للمفدي؛ أو ولا يقبل منها عمل بطاعة لأنَّها غير مطيعة **﴿ولا هم ينصرون(٤٨)﴾** يعانون.

﴿وإذ نجَّيناكم [١٥] من آل فرعون﴾ أي نجَّينا أسلافكم وآباءكم الذين هم[3] سبب إيجادكم، **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** يكلِّفونكم ويذيقونكم سوء العذاب، أشدَّ العذاب وأسوءَه، بدليل قوله: **﴿يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾** يتركون بناتكم أحياء للخدمة، وقيل: إنَّما فعلوا لهم ذلك لأنَّ الكهنة أنذروا فرعون بأنَّه يُولَد مولود يَزول ملكُه بسببه، فلم يغن عنه اجتهاده، **﴿وفي ذلكم بلاء﴾** صنيعِهم، محنةٌ إن أشير بذلك إلى صنيع فرعون، ونعمةٌ إن أشير به إلى الإنجاء. **﴿من ربِّكم﴾** لأنَّه هو المقدِّر ذلك لهم، **﴿عظيم(٤٩)﴾**.

---

١ - في الأصل: «والقد»، وهو خطأ.

٢ - سورة الإسراء: ٧٠. وتمام الآية: ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر ورزقناهم من الطَّيِّبات وفضَّلناهم على كثير مِمَّن خلقنا تفضيلا﴾.

٣ - في الأصل: «الذينهم».

﴿**وإذ فَرَقنا**﴾ فصلنا بين بعضه بعض حتّى صارت مسالكَ لكـم، ﴿**بكـم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون**﴾ اِقتصر على ذكر الآل (لَعَلَّهُ) للعلم بـأنَّ فرعون أولى بالغرق، ﴿**وأنتم تنظرون(٥٠)**﴾ إلى ذلك وتشاهدونه.

﴿**وإذ واعدنا موسى**﴾ قيل: وعده الله الوحيَ، ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور، ﴿**أربعين ليلة**﴾ لأنَّ الشهور عددهـا[1] بالليـالي، ﴿**ثُـمَّ اتـَّخَذتم العجـل**﴾ إلهًا ﴿**من بعده**[2] **وأنتم ظالمون(٥١)**﴾ بوضعكم العبادة غير موضعها.

﴿**ثُمَّ عفونا عنكم**﴾ محونا عنكم ذنوبكم، ﴿**من بعـد ذلـك**﴾ (لَعَلَّـهُ) أي الاتـّخاذ[3]، ﴿**لَعَلَّكُمْ تشكرون(٥٢)**﴾ لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم.

﴿**وإذ آتينا موسى الكتـاب والفرقـان**﴾ الجـامع بـين كونـه كتابـا منـزَّلا وفرقانا يفرق بين الحقِّ والباطل وهو التوراة، ﴿**لَعَلَّكُـمْ تهتـدون(٥٣)**﴾ لكـي تهتدوا بالكتاب.

﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾: عباد العجل، ﴿**يا قوم إِنـَّكُمْ ظلمتم أنفسكم باتـّخاذكم العجل**﴾ معبودا، ﴿**فتوبوا إلى بارئكم**﴾ خالقكم الذي خلق الخلق أبرياء من التفاوت؛ وفيه تقريع لـمَا كان منهم مـن تـرك عبـادة العـالم الحكيـم الذي برأهــم أبريـاء مـن التفـاوت إلى عبـادة البقـر الـذي هـو مثـلٌ في الغبـاوة والبلادة، ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ فـرض عليهـم قتـل أنفسـهم إذ ظلمـوا أنفسـهم

١ - يمكن أن نقرأ في الأصل: «غررها»، ولا معنى له.

٢ - في الأصل: - «من بعده».

٣ - أحال الناسخ إلىَ الهامش وكتب: «الاتـّحاد»، والصواب ما أثبتناه.

باتِّخاذهم العجل، وكان ذلك توبة لهم، إذ قال: ﴿فتبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾، فلمَّا قتلوا أنفسهم كان ذلك توبة الله عليهم، وكانت تلك طاعة عليهم؛ يبتلي الله خلقه بما يشاء، ﴿**ذلكم خير لكم عند بارئكم**﴾[1]، ﴿**فتاب عليكم إِنَّهُ هو التوَّاب الرحيم(٥٤)**﴾ يغفر الذنوب وإن كثرت.

﴿**وإذ قلتم: يا موسى لن نؤمن لك حَتَّى نرى الله جهرة**﴾ عيانا، ﴿**فأخذَتْكُم الصاعقة**﴾ أي الموت؛ قيل: هي نار نزلت من السماء فأحرقتهم. روي أنَّ السبعين الذين اختارهم موسى، وكانوا معه عند الانطلاق إلى الجبل، فقالوا له: نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة، فقال موسى: سألته عن ذلك فأباه عليَّ، قالوا: إنَّك رأيت الله، فلن نؤمن لك حتَّى نرى الله جهرة، فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم.

﴿**وأنتم تنظرون(٥٥)**﴾ إليها حين نزلت، ﴿**ثُمَّ بعثناكم**﴾ أحييناكم، ﴿**من بعد موتكم لَعَلَّكُمْ تشكرون(٥٦)**﴾ فيما بقي من العمر، قيل: هو[2] الشكر، هو الطاعة بجميع الجوارح في السرِّ والعلانيَّة؛ وقيل: شكر كلِّ نعمة أن لا نعصي الله بعد تلك النعمة؛ وقيل: حقيقة الشكر: العجزُ عن الشكر.

﴿**وظلَّلنا عليكم الغمام**﴾ قيل: ذلك في التيه، سخَّر الله لهم السحاب يسير سيرهم [١٦] يظلُّهم[3] من حرِّ الشمس، وذلك أنَّه لم يكن لهم في التيه

---

١ - هذه الآية غير مفسَّرة في المتن.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: - «هو»، أي: «قيل: الشكر هو الطاعة».

٣ - في الأصل: «يضلُّهم»، وهو خطأ.

كِنٌّ[1] يسترهم فشكوا إلى موسى، فأرسل الله غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر فيما قيل. ﴿**وأنزلنا عليكم المنَّ**﴾ قيل: كان ينزل عليهم مثل الثلج؛ وقال الزجَّاج: «جملة المنِّ ما يمنُّ الله من غير تعب». ﴿**والسلوى**﴾ قيل: كان يبعث عليهم طيورا سُمَانَى[2]. ﴿**كلوا من طيِّبات**﴾ لذيذات، أو حلاوات، ﴿**ما رزقناكم وما ظلمونا**﴾ أي ما ضرَّه ظلمهم جلَّ وعزَّ وتعالى عن ذلك، ﴿**ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون(٥٧)**﴾ لأنَّ وبال ظلمهم راجع ضرره إليهم على أنفسهم.

﴿**وإذ قلنا**﴾: لهم بعدما خرجوا من التيه، ﴿**ادخلوا هذه القرية**﴾ الأرض المقدَّسة، ﴿**فكلوا منها حيث شئتم رغدا**﴾ واسعا، ﴿**وادخلوا الباب سجَّدا**﴾ قيل: أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا. ﴿**وقولوا حطَّة**﴾ أي حطُّوا التعالي على الله، وأسلموا له وقال عكرمة: «هو قول لا إله إلا الله» وهو صحيح. ﴿**نغفر لكم خطاياكم**﴾ جمع خطيئة وهي الذنب، ﴿**وسنزيد المحسنين(٥٨)**﴾ كما قال: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[3].

---

١ - قال في اللسان: «الكِنُّ والكنَّة، والكِنان، وقاء كُلِّ شَيْء وستره. والكِنُّ البيت أيْضًا، والجمع أكنان، وأكنَّة... وفي التنزيل العزيز: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾»، ثُمَّ قال: «الكِنُّ: ما يردُّ الحرَّ والبرد من الأبنية والمساكن». ابن منظور: لسان العرب: ج٥/٣٠٤-٣٠٥.

٢ - نوع من الطير، قال في اللسان: «السُّمَانَى: طائر، واحدته: سُماناةٌ، وقد يكون السُّمانَى واحدا. قال الجوهريُّ: ولا تقل: سُمَّانَى، بالتشديد». ج٣/٢٠٩.

٣ - سورة يونس: ٢٦.

﴿**فبدَّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**﴾ يعني مكان «حطَّةٌ» قولاً غيرَها وهو ضدُّها؛ ﴿**فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا**﴾ عذابا، ﴿**من السماء بما كانوا يفسقون(٥٩)**﴾ بسبب فسقهم.

﴿**وإذ استسقى موسى لقومه**﴾ (لَعَلَّهُ) أي اذكروا نعمتي في إجابتي دعاء نبيِّكم في شأنكم، ﴿**فقلنا: اضرب بعصاك الحجر**﴾ قيل: إنَّهُم عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا، فقيل له: اضرب بعصاك الحجر، ﴿**فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**﴾ قيل: على عدد الأسباط، ﴿**قد علم كلُّ أناس مشربهم**﴾ عينهم التي يشربون منها، ﴿**كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٦٠)**﴾ قيل: العثوُّ أشدُّ الفساد.

﴿**وإذ قلتم: يا موسى لن نصبر على طعام واحد**﴾ قيل: هو ما رُزقوه من المنِّ والسلوى؛ ﴿**فادع لنا ربَّك يخرج لنا مِمَّا تنبت الأرض من بقلها**﴾ هو ما أنبتته الأرض من أطايب البقول مِمَّا يأكله الناس، ﴿**وقثَّائها**﴾ قيل: الخيار، ﴿**وفومها**﴾ قيل: الحنطة أوالثوم، وقيل: الحبوب التي تؤكل كلُّها؛ ﴿**وعدسها وبصلها قال: أتستبدلون الذي هو أدنى**﴾ أقرب منزلة وأدون مقدارا، ﴿**بالذي هو خير**﴾ أرفع وأجلُّ، ﴿**اهبطوا مصرا**﴾ من الأمصار، ﴿**فإنَّ لكم ما سألتم**﴾ أي الذي سألتموه يكون في الأمصار لا في التيه، ويحتمل سؤالهم هذا لمباشرةِ الأسباب، وهم قد أمروا بالعبادة والانقطاع فيها، والله أعلم بتأويل كتابه؛ ويدلُّ على أنَّهم منقطعون عن الأمصار بدليل قوله: ﴿اهبِطوا مصرًا﴾. ﴿**وضربت عليهم الذلَّة**﴾ أي جعلت الذلَّة محيطة بهم،

مشتملة عليهم، فهم فيها يعمهون؛ ﴿**والمسكنة**﴾ أي الهوان والفقر، أو فقر القلب؛ سمِّي الفقير مسكينا لأنَّ[1] الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، وقيل: الذلَّة فقر القلب، ﴿**وباءوا بغضب من الله**﴾ أي صاروا [١٧] أحقَّاء بغضبه، ﴿**ذلك**﴾ إشارةً إلى ما تقدَّم من ضرب الذلَّة والمسكنة والغضب، ﴿**بأنَّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيِّين**﴾ أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء، وقتلُهم لهم يَخرج على معنيين: قتلهم بتفويت أرواحهم، وقتلهم بالتخطئة لدينهم كما جاء عن النبيء ﷺ أنَّه قال: «*خلع المؤمن كقتله، ومن خلع مؤمنا فقد قتله*»[2]، وهذ أعمُّ من الناس في بعضهم بعض. والنبيء بمعنى النبأ[3] لأنَّه يخبر عن الله تعالى، فعيل بمعنى مُفْعِل، أو بمعنى مُفْعَل؛ ومن نَبَأ: أي ارتفع، والنبوة: المكان المرتفع. ﴿**بغير الحقِّ**﴾ عندهم أيضًا فإنَّهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئًا يستحقُّون به القتل عندهم أي يقتلونهم مبطلين. ﴿**ذلك**﴾ الكفر والقتل، ﴿**بما عصوا وكانوا يعتدون(٦١)**﴾ بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي، واعتدائهم حدود الله في كلِّ شيء مع كفرهم بآيات الله.

﴿**إنَّ الذين آمنوا**﴾ قيل: بألسنتهم من غير مواطأة للقلوب، وهم المنافقون، ﴿**والذين هادوا**﴾ قيل: هاد إذا تاب، لقولهم: ﴿إنَّا هدنا إليك﴾[4].

---

١ - في الأصل: «الان».

٢ - لم نعثر عَلَيه في الكتب التسعة، وَإِنَّمَا الوارد في الحديث «...لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ». البخاري كتاب الأدب، حديث رقم: ٥٦٤٠.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «المنبئ».

٤ - سورة الأعراف: ٥٦.

﴿**والنصارى**﴾ سمُّوا نصارى لأنَّهم نصروا المسيح لقولهم: ﴿نحن أنصار اللهِ﴾[1]. ﴿**والصابئين**﴾ الخارجين من دين مشهور إلى غيره، مِن صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانيَّة وعبدوا الملائكة، وقيل: هم يقرأون الزبور. ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ من هؤلاء إيمانا خالصا، ﴿**وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٦٢)**﴾ قيل: لا خوف عليهم في الدنيا، ولا هم يحزنون في الآخرة.

﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور**﴾ قيل: إنَّ موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقَّة حتَّى كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور ورفعه فظلَّله فوقهم، وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلاَّ ألقي عليكم، حتَّى قبلوا، والله أعلم بتأويل كتابه، ﴿**خذوا ما آتيناكم بقوَّةٍ**﴾ بجدٍّ واجتهاد ومواضبة وعزيمة، فوصَّى الله عباده بذلك، لأَنَّ طبعهم التراخي والتثاقل عن طلب ما يجب عَلَيهم من طلب السؤال لِما يلزمهم في دين خالقهم، وَأَنَّهُمْ لا يبلغوه[2] بدون القوَّة.

﴿**واذكروا ما فيه**﴾ واحفظوا ما في الكتاب من معانيه وأسراره وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وعن التدبُّر والعمل بما فيه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تتَّقون(٦٣)**﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدينا، والعذاب في العقبى، لأن ليس

١ - سورة آل عمران: ٥٢.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «لا يبلغونه».

إلى التقوى سبيل إلاَّ بالعلم. ﴿ثُمَّ[1] تولَّيتم﴾ ثمَّ أعرضتم عن الميثاق والوفاء به؛ ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد القبول أ[و] من بعدِ الأمر بالقوَّة بأخذِ ما أوتوا، ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم، أو بتوفيقكم للتوبة، ﴿لكنتم من الخاسرين(٦٤)﴾ (لَعَلَّهُ) الرحمة وذهاب[كَذَا] الدنيا والآخرة المستوجبين عقوبة الدنيا والآخرة.

﴿ولقد علمتم﴾ حال ﴿الذين اعتدوا﴾ عن الحدِّ ﴿منكم[2] في السبت﴾ مصدر سبَتتِ اليهود إذَا عظَّمت يوم السبت، وقد اعتدوا فيه، أي جاوزوا [١٨] ما حدَّ لهم فيه من التجرُّد للعبادة وتعظيمه، واشتغلوا بالصيد، وذلك أنَّ الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت بما ابتلاهم، فما كان يبقى حوت في البحر إلاَّ أخرج خرطومه في السبت، فإذا مضى تفرَّقت، فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول، وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد وكانوا يسدُّون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض اعتداؤُهم فيه، والله أعلم بتأويل كتابه. ﴿فقلنا لهم: كونوا﴾ بتكويننا إيَّاكم، ﴿قردة خاسئين(٦٥)﴾ صغارًا مطرودين، والخساء: الإبعاد. ﴿فجعلناها﴾ يعني المسخة، ﴿نكالاً﴾ عبرةً لكلِّ من اعتبرها، تنكلُ أي تمنعه، والمسخ (لَعَلَّهُ) صوريٌّ ومعنويٌّ، ﴿لما بين يديها﴾ لِما قبلها، ﴿وما خلفها﴾ وما بعدها من الأمم والقرون، ﴿وموعظة لِلْمُتَّقِينَ(٦٦)﴾ الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم، أو لكلِّ متَّقٍ سمعها.

---

١ - في الأصل: «فإن تولَّيتم»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: - «منكم».

﴿وإذ قال موسى لقومه: إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة الأنثى من البقر، ويقال: هي مأخوذة مِنَ البَقْرِ وهو الشَّقُّ، سمِّيت به لأنَّها تشقُّ الأرض، أي تشقُّها للحراثة. قال بعض المفسِّرين: أوَّل القصَّة مؤخَّر في التلاوة، وهو قوله: ﴿وإذ قتلتم نفسا فادَّارأتم فيها﴾، وذلك أنَّ رجلا موسِرًا قتلوه بنو عمِّه ليرثوه وطرحوه على باب مدينةٍ، ثمَّ جاءوا يطلبون بديَّته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليُحيَى فيخبرهم بقاتله. ﴿قالوا: أتتَّخذنا هزوًا﴾ أتجعلنا مكان هزء، أي اتستهزئ بنا؟ نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة! وإنـمَّا قالوا ذلك لبُعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه. ﴿قال: أعوذ بالله﴾ أي أمتنع بالله، العياذ واللّياذ من حال واحد، ﴿أن أكون من الجاهلين(٦٧)﴾ لأنَّ الهزُؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه.

﴿قالوا: ادع لنا ربَّك يبيِّن لنا ما هي﴾ أي ما حالها وما صفتها، ﴿قال: إنَّهُ يقول إنَّهَا بقرة لا فارضٌ ولا بكر﴾ لا مُسنَّة ولا فتيَّة، ﴿عوان﴾ نصف، ﴿بين ذلك﴾ أي ما بين ذكر الفارض والبكر. ﴿فافعلوا ما تؤمرون(٦٨)﴾ أي يؤمرون به.

﴿قالوا: ادع لنا ربَّك يُبَيِّن لنا ما لونها، قال: إنَّهُ يقول إنَّهَا بقرة صفراء فاقع لونها﴾ الفقوع نصوع الصفرة، ولذلك يقال: أصفر فاقع. ﴿تسرُّ الناظرين(٦٩)﴾ أي تعجبهم.

﴿قالوا: ادع لنا ربَّك يُبَيِّن لنا ما هي إنَّ البقر تشابه علينا﴾ إنَّ البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا. ﴿وَإِنَّا إن شاء الله

لَمهتدون[1] **(٧٠)﴾** لمعرفتها.

﴿قال: إنَّهُ يقول إِنَّهَا بقرة لا ذلول تُثير الأرضَ﴾ أي لم تذلّل للكِراب[2] وإثارة الأرض. **﴿ولا تسقي الحرث﴾** ولا هي من النواضح، **﴿مسلّمة﴾** عن العيوب وآثار العمل، **﴿لا شية فيها﴾** لا لمعة في نُقْبَتِها[3] من لون آخر سوى [١٩] الصفرة. **﴿قالوا: الآن جئت بِالْحَقِّ﴾** أي بحقيقة وصف البقرة. **﴿فذبحوها﴾** أي فحصّلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلّها فذبحوها، **﴿وما كادوا يفعلون(٧١)﴾** لغلاء ثمنها، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل؛ وقيل: وما كانوا[4] (لَعَلَّهُ) يجدونها باجتماع وصفها؛ وقيل: وما كادوا يفعلون من شدَّة اضطرابهم واختلافهم.

﴿وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها﴾ فاختلفتم واختصمتم في شأنها. **﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون(٧٢)﴾** مظهر ما كتمتم من أمر القتل.

---

١ - في الأصل: «المهندون»، وهو خطأ.

٢ - قال في اللسان: «وكَربَ الأرضَ يكرُبُها كَرْبا وكِرابا: قلبها للحرث، وأثارها للزرع». ابن منظور: لسان العرب، ج٥/٢٣٧.

٣ - قال في اللسان: «والشِّيَةُ: سواد في بياض، أوْ بياض في سواد. الجوهريُّ وغيره: الشية كلُّ لون يخالف لون معظم لون الفرس وغيره، وأصله من الوشْيِ... والجمع شِيَات». ابن منظور: لسان العرب، ج٦/٩٣٤، مادَّة: "وشي".
والنُّقبة: اللون. المنجد، ص ٨٢٩.

٤ - كتب الناسخ: «وما كادوا»، فشطَّب عَلَيه وصحَّحه بـ«وما كانوا»، ويبدو أنَّ الصواب هو ما شطِّب عَلَيه.

﴿فقلنا: اضربوه ببعضها﴾ ببعض البقـرة، ﴿كذلـك يحيـي الله الموتـى﴾، روي أنَّـهم لـمَّا ضربوه قام بإذن الله وقال: «قتلني فلان وفلان» لابني عمِّه ثُـمَّ سقط ميِّـتًا فأُخذا وقُتلا. ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله علـى أنـَّه قـادر علـى كـلِّ شيء. ﴿لَعَلَّكُمْ تعقلون(٧٣)﴾ تعملون على قضيَّة عقولكم.

﴿ثُمَّ قست قلوبكم﴾ استبعاد القسو من بعد ما يوجـب لـين القلـوب ورقَّتهـا، وصِفَة القلوب بالقسوة مثـل لنبـوِّها عـن الاعتبـار والاتـِّعاظ؛ وقيـل: قسـت يبسـت وجفَّت وجفاف القلب خروج الرحمة واللِّين عنـه؛ وقيـل: غلظـت؛ وقيـل: اسـودَّت. [٢٠] ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما تقدَّم من الآيات المذكـورة. ﴿فهـي كالحجـارة﴾ فهي في قسوتها مثل الحجارة، ﴿أو أشدُّ قسوة﴾ منهـا، ﴿وإنَّ مـن الحجـارة﴾ بيـان لزيادة قسوة قلوبهـم عليهـا. ﴿لَمَـا يـتـفجـَّر منـه الأنهـار﴾ التفجُّـر التفتـُّح بـالكثرة. ﴿وإنَّ منها لما يشَّقَّق فيخرج منـه المـاء﴾ يعـني أنَّ مـن الحجـارة فيـه جـروف واسـعة يندفق منها الماء الكثير[1]، ومنها ما ينشقُّ انشقاقا بالطول والعرض فينبع منه الماء أيضًـا، وقلوبهم لا تندَى ولا يخرج منها ما يوجب القسوة وهي الأمراض[كَذَا]. ﴿وإنَّ منهـا لَمَا يهبط﴾ يتردَّى من أعلاه، ﴿من خشية الله﴾ قيل: هو مجاز عن انقيادها لأمـر الله، وأنـَّها لا تمتنع عمـَّا يريد فيها[2]، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به؛ وقيـل: المراد به ما أمرت به حقيقة الخشية، على معنى أنـَّه يخلق فيهـا الحيـاة والتمييز، وليـس شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم أن يكون على بنـية مخصوصـه (لَعَلّـهُ) عنـد أهـل

---

١ - في الأصل: «اكثير»، وَهُوَ خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «منها».

السنّة، وعلى هذا قوله: ﴿لو أنزلنا [٢١] هذا القرآن على جبل...﴾[1] الآية، بشيء[2]، وقلوبهم لا تخشى وهو هدٌّ ووعيد وتعليمٌ أنْ ليس ما يتولّد من القلوب القاسية إلاّ الباطل، فإن قيل: حجر جماد لا يفهم كيف يخشى؟ قيل: الله تعالى يُفهمها ويلهمها فتخشى بإلهامه؛ ومذهب أهل السنّة أنّ لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال: ﴿وإن مِن شيء إلاّ يسبّح بحمده﴾[3]، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله. **﴿وما الله بغافل عمَّا تعملون(٧٤)﴾** وهو هدٌّ ووعيد وتعليم أن ليس ما يتولّد من القلوب القاسية إلاّ الباطل[4].

﴿أفتطمعون﴾[5] الخطاب لرسول الله والمؤمنين، **﴿أن يؤمنوا لكم﴾** أن يؤمنوا لأجل دعوتكم. **﴿وقد كان فريق منهم﴾** طائفة مِمَّن سلف، **﴿يسمعون كلام الله﴾** وهي الكتب الخالية. **﴿ثُمَّ يحرِّفونه من بعد ما عقلوه﴾** من بعد ما فهموه. **﴿وهم يعلمون(٧٥)﴾** أنّهم كاذبون مفترون، والمعنى إن كَفَرَ هؤلاء وحرَّفوا فهم سابقه[6] في ذلك، وكأنَّ الحجَّة قامت على الجميع بقيامها على طائفة منهم؛ وإذا كان هذا حال علمائهم فما طمعكم بسَفَلَتِهم!.

---

١ - سورة الحشر: ٢١. وتمام الآية: ﴿...لَرَأَيتَهُ خاشعا متصدّعا من خشية الله﴾.

٢ - في الأصل هَذِهِ الكلمة غير واضحة، وأثبتناها حسب السياق.

٣ - سورة الإسراء: ٤٤.

٤ - كذا في الأصل، والعبارة مكرَّرة كما هو واضح.

٥ - في الأصل: «فتطمعون» وهو خطأ.

٦ - كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «كَسَابِقِيهم».

﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾ أي المنافقون لقوا المخلصين، ﴿**قالوا: آمنّا**﴾ بأنّكم على الحقِّ. ﴿**وإذا خلا بعضهم**﴾ الذين لم ينافقوا ﴿**إلى بعض**﴾ الذين نافقوا ﴿**قالوا**﴾: عاتبين عليهم، ﴿**أتحدِّثونهم**﴾ أتخبرون أصحاب محمَّدٍ، ﴿**بما فتح الله عليكم**﴾ مِمَّا بَيَّن لكم في التوراة من صفة محمَّد، ﴿**ليحاجُّوكم به عند ربِّكم**﴾ ليحتجُّوا عليكم بما أنزل ربُّكم في كتابه، ﴿**أفلا تعقلون(٧٦)**﴾ أنَّ هذه حجَّة عليكم حيث تعترفون به ثمَّ تتابعونه. ﴿**أولا يعلمون أنَّ الله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون(٧٧)**﴾ ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

﴿**ومنهم أمِّيُّون**﴾ لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحقَّق (لَعَلَّهُ: ويتحقَّقوا) ما فيها. جمع أمِّيٌّ منسوب إلى الأمِّ، كأنَّه يأتي على ما اتَّصل من الأمِّ لم يتعلَّم كتابة ولا قراءة. ﴿**لا يعلمون الكتاب**﴾ التوراة، ﴿**إلاَّ أماني**﴾ إلاَّ ما هم عليه من أمانيهم أنَّ الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسُّهم النار إِلاَّ أَيَّاما[1] معدودة، أو إِلاَّ أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد؛ ومنه قول عثمان: «ما تمنَّيت منذ أسلمت»؛ أو إلاَّ ما يقرؤون من قولهم: «تمنَّى كتاب الله أوَّل ليلة»، أي لا يعلمون [كَذَا] هؤلاء حقيقة للمنزَّل، وإنَّما يقرؤون أشياء أخذوها من أحبارهم. وقيل: الأماني جمع أمنيَّة، وهي في الأصل ما يقدِّره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر، ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يُتمنَّى؛ وقيل: لا يعلمون إِلاَّ

---

١ - في الأصل: «الا ياما»، وهو خطأ.

التلاوة المجرَّدة. ﴿**وإن هم إلاّ يظنُّون(٧٨)**﴾ [٢٢] أي يشكُّون، وهم متمكّنون من العلم بالحقِّ لا يدرون حقائقه.

﴿**فويلٌ**﴾ ويلٌ كلمة يقولها كلُّ واقع في هلكة؛ وقيل: هو دعاء الكفَّار عَلَى أنفسهم بالويل؛ وقيل: شدَّة العذاب. ﴿**للذين يكتبون الكتاب**﴾ المحرَّف، ﴿**بأيديهم**﴾ من تلقاء أنفسهم، من غير أن يكون حقًّا؛ والكتاب جامع للتنزيل والتأويل. ﴿**ثُمَّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا**﴾ عرضا فانيا، ﴿**فويل لهم مِمَّا كتبت أيديهم**﴾ من الكذب، ﴿**وويل لهم مِمَّا يكسبون(٧٩)**﴾ من الثمن القليل.

﴿**وقالوا: لن تمسَّنا النار إلاّ أيَّاما معدودة قل: أتَّخذتم عند الله عهدا**﴾ أي عهد إليكم أنَّه لا يعذبكم إلاّ ما قدَّرتموه، ولعلَّهم خيَّل لهم الشيطان أنَّه لا يعذِّبهم إلاّ قدر ما عصوا من تكذيبهم لرسول الله ﷺ ثمَّ يخرجون من النار إلى الجنَّة، ولعلَّهم أثبتوا الأعمال الصالحة التي عملوها مع كفرهم برسول الله ﷺ كما زعم من زعم من أهل القبلة وتأوَّلوا هذا التأويل. ﴿**فلن يُخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون(٨٠)**﴾.

﴿**بلى**﴾ إثبات لـمَا بعد النفي وهو لن تمسَّنا النار، أي تمسَّكم أبدا، بدليل قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾. ﴿**من كسب سيِّئة**﴾ كبيرة وهي ضدُّ الحسنة، ﴿**وأحاطت به خطيئته**﴾ أي استولت عليه واشتملت جملة أحواله حتَّى صارت كالمحيطة به مثل الحائط يستولي على ما فيه، ومتى أحاطت به خطيئة صار مخذولا مستدرجا محبوط الأعمال، فرائضها وفضائلها، مأخوذا بصغائر

الذنوب وكبائرها، لأنَّه عاص فلا تقوم منه طاعة أبدا إِلاَّ أن يتوب. **﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٨١)﴾**.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجَنَّة هم فيها خالدون(٨٢)﴾ أنبأ الله مآل الفريقين.

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ الميثاق: العهد المؤكَّد غاية التوكيد. **﴿لا تعبدون إِلاَّ الله﴾** ولا تشركون به شيئًا من طاعة الشيطان ولا غيره، **﴿وبالوالدين إحسانا﴾** أي وأحسِنوا بهما، **﴿وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا﴾** قيل: الحقَّ، وقيل: حسن الخلق، وقيل: قولوا للناس ما تحبُّون أن يقال لكم. **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم تولَّيتم﴾** عن الميثاق ورفضتموه، **﴿إِلاَّ قليلا منكم﴾** إِلاَّ الأقلَّ أقاموا بما عليهم، **﴿وأنتم معرضون(٨٣)﴾** عن الوفاء بما يجب عليكم.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض؛ وقيل: لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم. **﴿ثُمَّ أقررتم﴾** بالميثاق واعترفتم بلزومه، **﴿وأنتم تشهدون(٨٤)﴾** [٢٣] عليها، كما يقول فلان مقرٌّ[1] على نفسه بكذا شاهدا عليها.

﴿ثُمَّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مقرًّا».

غير مراقبين ميثاق الله. ﴿**تظاهرون**﴾ أي تتعاونون، ﴿**عليهم بالإثم والعدوان**﴾ بالمعصيَة والظلم، ﴿**وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرَّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب**﴾ بفداء الأسارى، ﴿**وتكفرون ببعض**﴾ بالقتل والإجلاء، قيل: أخذ الله عليهم أربعة عهود: ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير، فأعرضوا عن كلٍّ ما أمروا به إلاَّ الفداء. ﴿**فما جزاء من يفعل ذلك منكم**﴾ هو إشارة إلى الإيمان ببعضٍ والكفر ببعضٍ، ﴿**إلاَّ خزي**﴾ فضيحة وهوان لأنَّ الخزي والهوان والعذابَ في الدنيا حالٌّ بكلِّ مَن عَبَدَ الشيطان عند من تحقَّق أمرهم و لم تغره ظواهر الأمور، ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ ما دام حيًّا إلاَّ أن يتوب، ﴿**ويوم القيامة يردُّون إلى أشدِّ العذاب**﴾ وهو الذي لا رَوْح فيه ولا فرج، أو إلى أشدَّ من عذاب الدنيا، ﴿**وما الله بغافل عمَّا تعملون(٨٥)**﴾.

﴿**أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة**﴾ اختاروها عَلَى الآخرة اختيار المشتري، ﴿**فلا يخفَّف عنهم**﴾ يهوَّن ﴿**العذاب ولا هم ينصرون(٨٦)**﴾.

﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب**﴾ التوراة، ﴿**وقفَّينا**﴾ أتبعنا من القفا، ﴿**من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البَيِّنَات**﴾ المعجزات الواضحات، ﴿**وأيَّدناه بروح القدس**﴾ قيل: بجبريل، لأنَّه يأتي بما فيه حياة القلوب، ﴿**أفكلَّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم**﴾ تعظَّمتم عن قبوله، ﴿**ففريقا كذَّبتم وفريقا تقتلون(٨٧)**﴾.

﴿**وقالوا: قلوبنا غُلْفٌ**﴾ جمع أغلف، أي هي خلقة مغشَّاة بأغطية لا يتوصَّل إليها ما جاء به محمَّدٌ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف؛ وقيل: قلوبنا أوعية لكلِّ علم فلا نحتاج إلى علمك. قال الكلبيُّ: «معناه أوعية لكلِّ علم فلا تسمع حديثا إلاَّ وعته إلاَّ حديثك لا نعقله ولا نعيه، ولو كان فيه خير لوعته وفهمته». ﴿**بل لعنهم الله**﴾ (لَعَنَهُ) طردهم وأبعدهم عن خير الدارين، ﴿**بكفرهم**﴾ فردَّ الله عليهم أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك، لأنَّها خلقت على الفطرة والتمكُّن من قبول الحقِّ، بل إنَّمَا طردهم عن رؤية الحقِّ كفرهم وزيغهم فصار ذلك حجابا على قلوبهم كما قال: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[1]. ﴿**فقليلا**﴾ منهم، ﴿**ما يؤمنون(٨٨)**﴾ أو فإيمانا قليلا يؤمنون أي غير خالص، كما قال: ﴿ولا يذكرون الله إلاَّ قليلا﴾[2] أي غير خالص؛ وقيل: إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض؛ وقيل: «غُلْفٌ» تخفيف «غُلُفٌ» وقرئ به جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية [٢٤] للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره، أو أوعية للعلم فلو كان ما جئت به حقًّا لقبلنا.

﴿**ولـمَّا جاءهم كتاب من عند الله**﴾ أي القرآن، ﴿**مصدِّق**﴾ موافق، ﴿**لِما معهم**﴾ من كتابهم لا يخالفه. ﴿**وكانوا من قبل**﴾ يعني القرآن، ﴿**يستفتحون على الذين كفروا**﴾ يستنصرون على المشركين من غيرهم إذا قاتلوهم، قالوا: اللهمَّ انصرنا بالنبيِّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في

١ - سورة المطفِّفين: ١٤.

٢ - سورة النساء: ١٤٢.

التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أطلَّ زمان نبيٍّ يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. ﴿**فَلَمَّا جاءهم ما عرفوا كفروا به**﴾ بغيا وحسدا وحرصا على الرئاسة، ﴿**فلعنة الله على الكافرين(٨٩)**﴾.

﴿**بئسما اشتروا به أنفسهم**﴾ بئس ما باعوا به حظَّ أنفسهم أي اختاروا الكفرَ والنارَ على الإيمانِ والجنَّةِ. ﴿**أن يكفروا بما أنزل الله**﴾ القرآن، ﴿**بغيا**﴾ أي حسدا وطلبا لِما ليس لهم. ﴿**أن ينزِّل الله**﴾ بأن ينزِّل، أو على أن ينزِّل، أي حسدوه على أن ينزِّل الله. ﴿**من فضله**﴾ الذي هو الوحي، ﴿**على من يشاء من عباده**﴾ وهو محمَّد ﷺ، ﴿**فباءوا بغضب على غضب**﴾ فصاروا أحقَّاء بغضب مترادف، ﴿**وللكافرين عذاب مهين(٩٠)**﴾ مذلٌّ في الدنيا والآخرة.

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ لهؤلاء اليهود أو غيرهم، ﴿**آمنوا بما أنزل الله**﴾ يعني القرآن أو غيره، ﴿**قالوا: نؤمن بما أنزل علينا**﴾ أي التوراة، ﴿**ويكفرون بما وراءه**﴾ أي يكفرون بما وراء التوراة، ﴿**وهو الحقُّ مصدِّقا لِما معهم**﴾ غير مخالف له، ﴿**قل: فلم تقتلون أنبياء الله من قبلُ إن كنتم مؤمنين(٩١)**﴾ قيل: تولَّوْا قَتَلَةَ الأنبياء فسمُّوا قاتلين.

﴿**ولقد جاءكم موسى بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذتم العجل**﴾ إلها ﴿**من بعده**﴾ من بعد خروج موسى إلى الطور، ﴿**وأنتم ظالمون(٩٢)**﴾ أي وضعتم العبادة غير موضعها.

﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوَّة**﴾ قد سبق تفسيره، ﴿**واسمعوا**﴾ ما أمرتم به في التوراة، ﴿**قالوا: سمعنا**﴾ قولك،

﴿**وعصينا**﴾ أمرك؛ وطابق قولُه جوابَهم من حيث أنَّه قال لهم: اسمعوا سماع تقبُّل وطاعة، فقالوا: سمعنا ولكن لا سماع طاعة. قال أهل المعاني: إنَّهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لـمَّا سمعوا وتلقَّوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتِّساعا. ﴿**وأُشرِبوا في قلوبهم العجلَ**﴾ أي تداخَلَهم حبُّه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، معناه: دخل في قلوبهم حبُّ العجل وخالطها كإشراب اللّون لشدَّة الملازمة، فلأنَّ مشروب اللّون إذا اختلط بياضه بالحمرة. وقوله: ﴿في قلوبهم﴾ بيان بمكان. ﴿**بكفرهم**﴾ بسبب كفرهم، ﴿**قل: بئسما** [٢٥] **يأمركم به إيمانكم**﴾ بالتوراة، لأنَّه ليس في التوراة عبادة العجل. وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكُّم وتشكُّك في صحَّة (لَعَلَّهُ) إيمانهم، وقدحٌ في صحَّة دعواهم له، وكذا إضافة الإيمان إليهم. ﴿**إن كنتم مؤمنين(٩٣)**﴾ تشكيك في إيمانهم، وقدحٌ في صحَّة دعواهم، أي بئس إيمان يأمر بعبادة العجل.

﴿**قل: إن كانت لكم الدار الآخرة**﴾ أي الجنَّة، ﴿**عند الله**[1] **خالصة**﴾ لكم خاصَّة، ﴿**من دون الناس**﴾ أي ليس لأحد سواكم، كما قال: ﴿وقالوا لن يدخل الجنَّة... ﴾الآية[2]. ﴿**فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين(٩٤)**﴾ في ما تقولون، لأنَّ من أيقن أنَّه من أهل الجنَّة اشتاق إليها تخلُّصا من دار ذات

---

١ - في الأصل: - «عند الله».

٢ - سورة البقرة: ١١١، وتمامها: ﴿وقالوا لن يدخل الجنَّة إلاَّ من كان هودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

الشوائب، كما قيل: عن عمَّار بصفِّين: «الآن ألاقي الأحبَّة محمَّدًا ﷺ وأصحابه». وقال حذيفة حين احتضر: «مرحبا حبيبٌ جاء على فاقة لا أفلح من ندم»، أي على التمنِّي، سيما إذا علم أنَّها سلامة، وقال: «لا أبالي سقطتُ على الموت أو سقط الموت عليَّ».

﴿ولن يتمنَّوه أبدا﴾ لن يتمنّوه ما عاشوا، **﴿بما قدَّمت أيديهم﴾** من الكفر (لَعَلَّهُ) ولعلمهم أنَّهم في دعواهم كاذبون. **﴿والله عليم بالظالمين(٩٥)﴾** تهديد لهم.

﴿ولتجدنَّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا﴾ لأنَّهم لا يؤمنون بعاقبة، ولا يعرفون إلاَّ الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد، لأنَّها جنَّتهم، **﴿يودُّ أحدهم﴾** يريد ويتمنَّى، **﴿لو يعمَّر ألف سنة﴾** بيان لزيادة حرصهم، **﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر﴾** أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره، **﴿والله بصير بما يعملون(٩٦)﴾** لأنَّهم لم يستعملوا أنفسهم في حال التعمير في الطاعة، وإنَّما يزيدهم عذابا، وفيه توبيخ عظيم، لأنَّ حرص المشركين على الحياة غير مستبعد لأنَّها جنّتهم و لم يؤمنوا بعاقبة.

﴿قل: من كان عدوًّا لجبريل فَإِنَّهُ نزَّله على قلبك﴾ فإنَّ جبريل نزَّل القرآن على قلب محمَّد ﷺ؛ وخصَّ القلب لأنَّه محلُّ الحفظ، ولو أنصفوا لأحبُّوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم. **﴿بإذن الله مصدِّقا لِما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين(٩٧)﴾**.

﴿من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدوٌّ

للكافرين(٩٨)﴾ (لَعَلَّهُ) يعني من كان عدوًّا لأحد هؤلاء فإنّه عدوٌّ للكلّ، لأنَّ الكافر بالواحد كافر بالكلّ.

﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بَيِّنَات وما يكفر بها إلاَّ الفاسقون(٩٩)﴾ الخارجون عن الطاعة.

﴿أوَكلّما عاهدوا عهدا نبذه﴾ نقضه ورفضه، وقال: **﴿فريق منهم﴾** لأنَّ منهم من لم ينقض، **﴿بل أكثرهم لا يؤمنون(١٠٠)﴾** بالتوراة وليس من الدين في شيء، فلا يعدُّون نقص المواثيق دينا، ولا يبالون به. **﴿ولـمَّا جاءهم رسول من عند الله﴾** محمَّد ﷺ، **﴿مصدِّق لِما معهم نَبَذَ** [٢٦] **فريق من الذين أوتوا الكتاب﴾** أي التوراة، والذين أوتوا الكتاب اليهود، **﴿كتاب الله﴾** يعني التوراة، لأنَّهم بكفرهم برسول الله المصدِّق لِما معهم كافرون[1] به نابذون لها؛ أو كتاب الله: القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقّيه بالقبول. **﴿وراء ظهورهم﴾** مَثَلٌ لتركهم و إعراضهم عنه، مثل ما يرمَى به وراء الظهور استغناء عنه وقلّة التفات إليه. **﴿كأنَّهم لا يعلمون(١٠١)﴾** أنَّه كتاب الله. وقيل: كانوا يقرؤون التوراة ولايعملون[2] بها.

﴿واتّبعوا ما تتلو الشياطين﴾ أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر (لَعَلَّهُ) مِمَّا وسوست به الشياطين، **﴿على ملك سليمان وما كفر سليمان﴾** تكذيب للشياطين، ودفع لِما (لَعَلَّهُ) بَهَتت به سليمانَ من اعتقاد السحر والعمل

١ - في الأصل: «كافرين»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «يعملوا»، وهو خطأ.

به. ﴿ولكنَّ الشياطين كفروا﴾ هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه. ﴿يعلّمون الناس السحر﴾ قصدا لإغوائهم وإضلالهم. (لَعَلَّهُ) وقيل: معنى السحر العلم والحذقُ بالشيء؛ وقيل: السحر عبارة عن التمويه والتخييل؛ وقيل: إنَّه يؤثِّر في فلت الأعنان، فيجعل الآدميَّ على صورة الحمار والأصحُّ أنَّه تخيُّل؛ قال الله: ﴿يُخيَّل إليه من سحرهم[1]﴾[2] لكنَّه يؤثِّر في الأبدان، (لَعَلَّهُ) بالأمراض والموت، والحيوانِ، والكلامِ تأثيره النَّطَّاع، والنفوسِ؛ وقد يَسمع الإنسان ما يكره فيحمرُّ ويغضب فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثِّر في (لَعَلَّهُ) الأبدان. ﴿وما أُنزل على المَلَكين ببابل هاروت وماروت﴾ ومن جواب أبي سعيد: «وقلتُ: ما يقول في المَلَكين هاروت وماروت اللّذين يعلّمان الناس يُبرأ منهما أم كيف الوجه فيهما؟ أنَّهما كانا من الملائكة فالملائكة عليهم السلام في ولاية الله وطاعته، وقال الله فيهم: ﴿من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين﴾[3]. فمن عادى ملائكة الله فقد عادى الله عزَّ وجلَّ، وقد عرفنا من قول أبي الحسن رحمه الله قول الله تعالى: ﴿يعلّمون الناسَ السحرَ﴾ إنَّما أولئك الشياطين، ﴿وما أنزل على الملكين﴾ مَعَنَا أنَّه ما أنزل السحر على الملكين هاروت وماروت، ﴿وما يعلّمان من أحد﴾ أي ما يعلّمان هُمَا أحدا السحرَ، وإنَّما كانا يقولان: السحرُ كذا وكذا فلا تكفر، فلا تفعل كذا فتكفر».

---

1 - في الأصل: «سحره» وهو خطأ.

2 - سورة طه: ٦٦.

3 - سورة البقرة: ٩٨.

رجع: ﴿**وما يعلّمان من أحد حتّى يقولا**﴾ ينبّهاه وينصحاه ويقولاَ له: ﴿**إنّمَا نحن فتنة**﴾ ابتلاء واختبار، ﴿**فلا تكفر**﴾ بتعلُّمه والعمل به على وجه يكون كفرا، ﴿**فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه**﴾ أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين. ﴿**وما هم بضارّين به**﴾ بالسحر، ﴿**من أحد إلاّ بإذن الله**﴾ بقضاء به ومشيئته. ﴿**ويتعلّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم**﴾ في الآخرة، ﴿**ولقد**[1] [٢٧] **علموا**﴾ أي اليهود، ﴿**لَمَن اشتراه**﴾ أي استبدل ما يتلوا الشياطين على كتاب الله. ﴿**ما له في الآخرة من خلاق**﴾ نصيب بسبب حبوط أعماله بارتكاب ما نهى الله عنه، ﴿**ولبئس ما شرَوْا به أنفسَهم**﴾ باعوها، وإنّما نفى العلم منهم بقوله: ﴿**لو كانوا يعلمون(١٠٢)**﴾ مع إثباته لهم: ﴿ولقد علموا﴾ على سبيل التوكيد القَسَميّ[2] لأنّ معناه لو كانوا يعلمون[3] بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنّهم لا يعلمون.

﴿**ولو أنَّهُمْ آمنوا**﴾ برسول الله والقرآن، ﴿**واتّقوا**﴾ الله فتركوا ما هم عليه، ﴿**لَمَثوبة من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون(١٠٣)**﴾ أنّ ثواب الله خير مِمَّا هم فيه.

﴿**يا أَيُّهَا الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمَعوا**﴾ وأحسنوا سماع ما يكلّمكم به رسول الله ﷺ ويلقي إليكم من الحكمة بآذان وأذهان

---

١ - في الأصل: «والقد»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «لقسمى»، وهو خطأ.

٣ - كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «يعملون».

حاضرة، حتّى لا تحتاجوا إلى الاستعارة وطلب المراعاة. ﴿**وللكافرين عذاب أليم(١٠٤)**﴾

﴿**ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزَّل عليكم من خير من ربّكم والله يختصُّ برحمته من يشاء**﴾ يعني أنَّهم يرون أنفسهم أحقَّ بأن يوحى إليهم فيحسدونكم، وما يحبُّون أن ينزل عليكم شيء من الوحي، والله يختصُّ بالنبوَّة من يشاء، ﴿**والله ذو الفضل العظيم(١٠٥)**﴾ فيه إشعار بأنَّ إيتاء النبوَّة من الفضل العظيم.

﴿**ما ننسخْ من آية أو نُنسِها**﴾ قيل: يجوز نسخُ التلاوةِ، والحكمِ دون التلاوةِ، والتلاوةِ دون الحكمِ. ﴿**نأتِ بخيرٍ منها**﴾ نأت بآية خير منها للعباد، أي بآيةٍ العملُ بها أكثر للثواب. ﴿**أو مثلِها**﴾ وقيل: أو مثلها في المنفعة والثواب، وكلُّ ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وأسلم، وما نسخ في الأشقِّ فهو أخطر، وفي الثواب أكبر في ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض. ﴿**ألم تعلم أنَّ الله على كُلِّ شيء قدير(١٠٦)**﴾.

﴿**ألم تعلم أنَّ الله له ملك السماوات والأرض**﴾ فهو يملك أموركم ويدبِّرها، وهو أعلم بتعبُّدكم به من ناسخ ومنسوخ. ﴿**وما لكم من دون الله من وليّ**﴾ يلي أموركم، ﴿**ولا نصيرٍ(١٠٧)**﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿**أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدَّل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سواء السبيل(١٠٨)**﴾ قصده ووسَّطه.

﴿**ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفَّارا حسدا**﴾ أي لأجل الحسد، وهو الأسف على الخير عند الغير، ﴿**من عند أنفسهم**﴾ من قِبل شهواتهم لا من قِبل التديُّن والميلِ مع الحقِّ، ﴿**من بعد ما تبيَّنَ لهم الحق**﴾ أي بعد علمهم بأنَّكم على الحقِّ، ﴿**فاعفوا واصفحوا**﴾ فاسلكوا معهم عن المجاراة سبيل العفو والصفح عمَّا يكون منهم من العدواة، ﴿**حتَّى يأتي الله بأمره**﴾ بالقتال، أو بما يشاء، ﴿**إنَّ الله على كُلِّ شيء قدير(١٠٩)**﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

﴿**وأقيموا الصلاة** [٢٨] **وآتوا الزكاة وما تقدِّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إنَّ الله بما تعملون بصير(١١٠)**﴾ ترغيبا وتهييجا لفعل الخير.

﴿**وقالوا: لن يدخل الجَنَّة إلاَّ من كان هودا أو نصارى**﴾ قيل: قالت اليهود: لن يدخل الجَنَّة إلاَّ من كان هودا، و قالت النصارى: لن يدخل الجنَّة إلاَّ من كان نصارى، وذلك واجب على كُلِّ متديِّن أن يدين لله أنَّ كلَّ من خالفه في دينه فهو في النار.

﴿**تلك أمانيُّهم**﴾ أشير بها إلى الأمانيِّ المذكورة (لَعَلَّهُ) وهي شهواتهم الباطلة التي تمنَّوها عَلَى [الله] بغير الحقِّ. ﴿**قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين(١١١)**﴾ في دعواكم.

﴿**بلى**﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنَّة. ﴿**مَن أسلم وجهه لله**﴾ من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره، والمعنى: أي ليس كما قالوا بل الحكم الإسلام، وإنَّما يدخل الجنَّة من أسلم وجهه لله، أخلص دينه أو

أخلص عبادته لله، أو خضع وتواضع لله. وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع. وخصَّ الوجه لأنَّه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه. ﴿**وهو محسن**﴾ في عمله، ﴿**فله أجره عند ربِّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١١٢)**﴾.

﴿**وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء**﴾، عَلَى شَيْء يصحُّ ويُعتدُّ به من أمر دين أو دنيا، مبالغة عظيمة، كقولهم: «أقلُّ مِن لا شيء»، لأنَّ دنياهم في الحقيقة إذا كانوا على غير دين تزيدهم خسرانا، فصار ما عليه من أمر دنياهم أمورا وهميَّة مضمحلَّة لا ثبات لها، ولا تعدُّ سببا مع الباقي، عدمه كوجوده بل أشدُّ تحسرا؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿لستم على شيء حتَّى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربِّكم﴾[1]. ﴿**وهم يتلون الكتاب**﴾ أي وهم على خلاف ما وجدوا في كتابهم، وحقّ على من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما وآمن به أن لا يكفر بالباقي، لأنَّ كلَّ واحد من الكتابين مصدِّق للآخر. ﴿**كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم**﴾ أي الجهله الذين لا علم عندهم ولا كتاب، كعبدة الأصنام والمعطِّلة، قالوا لأهل كُلِّ دين ليسوا على شيء، وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم. ﴿**فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون(١١٣)**﴾ أي بين المختلفين.

﴿**ومَن أظلمُ مِمَّن مَنَع مساجد الله أن يُذكَر فيها اسمه وسَعَى في خرابِها**﴾

١ - سورة المائدة: ٦٨.

هذا تهدُّد[1] من الله لكلِّ من منع مسجدا من مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بلهو أو لغو، أو خوض في باطل، أو عمل من أعمال الدنيا يمنع الذاكرين الله بصلاة أو قراءة أو فكر، أو يشغلهم أو [٢٩] يؤذيهم بأكل طعام أو شراب أو إدخال صبيان أو مجانين أو من لا يعقل على غير ضرورة، أو يجعل فيها مدارس لتعليم الصبيان أو قربَها، وكان ذلك مِمَّا يمنع الذاكرين لله فيها أو يشغلهم؛ وكذلك حضور العوامِّ الذين ديدنهم الخوض لأكل فطور أو هجور، أو عزاء ميِّت، أو تفريق شيء من الفواكه، أو أكل نذر، فكلُّ هذا ومثله وما أشبهه من السعي في خرابها والمنع عن عمارتها، وإن كان قد سبق عمل الناس بما ذكرنا وما أشبهه بلا حجَّة من كتاب ولا سنَّة ولا إجماع ولا أثر صحيح ولا حجَّة عقل، وقد قال الله تعالى: ﴿في بُيوتٍ أذن الله أن تُرفع ويُذكرَ فيها اسمه يسبِّح له فيها بالغدوِّ والآصال﴾[2]، وقال: ﴿وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركَّع السجود﴾[3] فأين هذا وعمل الناس اليوم في مساجدهم؟ **﴿أولئك﴾** المانعون حقًّا الظالمون لها صدقا. **﴿ما كان لهم أن يدخلوها إلاَّ خائفين﴾** أي ما كان ينبغي لهم أنَّ يدخلوا مساجد الله، المعنى ما الحقُّ إلاَّ كذلك، لولا ظلم الكفر وعتوِّهم، **﴿لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم(١١٤)﴾**.

---

١ - قد يستعمل لفظ "التَّهَدُّد" بدل "التهديد"، قال في اللسان: «والتهدُّدُ والتهديد والتهداد: من الوعيد والتخوُّف». ابن منظور: لسان العرب، ج٦/٧٨١.

٢ - سورة النور: ٣٦.

٣ - سورة الحج: ٢٦. في الأصل: «والعاكفين»، وهو خطأ، وفي سورة البقرة: ١٢٥: ﴿أن طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركَّع السجود﴾.

﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولُّوا**﴾ يعني: تولية وجوهكم شطر القبلة، ﴿**فثمَّ وجه الله**﴾ أي الجهة التي أمر بها، والمعنى أنَّكم إذا مُنعتم أنَّ تصلُّوا في المسجد الحرام فقد جعلتُ لكم الأرض مسجدا فصلُّوا في أيٍّ بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها فإنَّ التولية ممكنة في كُلِّ مكان. ﴿**إنَّ الله واسع عليم(١١٥)**﴾ أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده، وهو عليم بمصالحهم.

﴿**وقالوا: اتَّخَذَ الله ولدا سبحانه**﴾ نزَّه وعظَّم نفسه، ﴿**بل له ما في السماوات والأرض**﴾ أي هو خالقه ومالكه، ﴿**كلٌّ له قانتون(١١٦)**﴾ منقادون مقرُّون له بالربوبيَّة، وقيل: مذلَّلون مسخَّرون لِمَا خلقوا له، لا يمتنع شيء عن تكوينه وتقديره.

﴿**بديع السماوات والأرض**﴾ أي مخترعهما ومبدعهما، لا على مثال سبق، وكلٌّ من فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدع، ولهذا قيل: لمن خالف السنَّة والجماعة: مبتدع، لأنَّه يأتي في دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون. ﴿**وإذا قضى أمرا**﴾ أي حَكَمَ أو قدَّر، ﴿**فإنَّمَا يقول له كن فيكون(١١٧)**﴾ معناه أنَّ ما قضاه من الأمور، وأراد كونه إنَّمَا يتكوَّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقُّف، كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه إيباء.

﴿**وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلِّمنا الله**﴾ هلاَّ يكلِّمنا، ﴿**أو تأتينا آية**﴾ استكبارا وعتوًّا، ﴿**كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم**﴾ في

العمى، فلمَّا تشابهت العقائد تشابهت الأقوال والأعمال لأنَّها نتائجها. ﴿**قد بيَّنَّا الآيات لقوم يوقنون(١١٨)**﴾ يطلبون اليقين [٣٠] من حجَّة عقل أو كتاب أو سنَّة أو إجماع أو قياس صحيح أو رأي، فما بان لهم فيه اليقين وانشرحت له صدورهم واطمأنَّت به نفوسهم فهو الحقُّ اتَّبعوه، وما بان لهم فيه الباطل رفضوه، وما اشتبه عليهم أنَّه حقٌّ أو باطل وفقوا عنه ولم يقطعوا فيه، وردُّوا علمه إلى الله؛ أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد.

﴿**إنَّا أرسلناك بِالْحَقِّ**﴾ ولم نرسلك عبثا ولا لعبا، وتفسيره ما بعده، ﴿**بشيرا**﴾ للمؤمنين بالثواب، ﴿**ونذيرا**﴾ للكافرين بالعقاب، ﴿**ولا تسأل عن أصحاب الجحيم(١١٩)**﴾ ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلَّغت، وبلَغت جهدك في دعوتهم؛ وقيل: و«تَسألْ» على النَّهْيِ، ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفَّار من العذاب؛ و«الجحيمُ» معظم النار.

﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حَتَّى تتَّبع ملَّتهم**﴾ أي لا يرضون عنك وإن أبلغت جهدك في رضاهم حتَّى تترك دينك وتتَّبع دينهم، وهذه سنَّة الله في المختلفين في الدين لا يرضى أهل ملَّة عن غيرها من الملل، ولا تقرُّ عينها، ولا ترضى عنها حتَّى تَتَّبع ملَّتها. ﴿**قل: إنَّ هدى الله**﴾ الذي رضي لعباده، ﴿**هو الهدَى**﴾ أي الإسلام، وهو الهدى كلُّه ليس وراءه هدى، ﴿**ولئن اتَّبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍّ ولا نصير(١٢٠)**﴾ فلا يمنعه من عذابه مانع.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هو العاملون بما علموا، **﴿يتلونه حقَّ تلاوته﴾** أي يقرؤونه حقَّ قراءته في الترتيب وأداء الحروف، والتدبُّر والتفكُّر، أو يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه. ويوجد عن عبد الله بن إباض في تفسير هذه الآية قال: «وحقُّ تلاوته الإيمان به ووضع الكتاب مواضعه حتَّى يحلَّ ما أحل الله، ويحرِّم ما حرَّم الله، ويحكم بحكم الكتاب، ويضع الأمور مواضعها في جميع ما جاء من الله على ما جاء من الله، فيما تخيره[كذا]، وجعل الكفر به تحريف الكلم عن مواضعه». **﴿أولئك يؤمنون به﴾** أي صفة الذين يتلونه حقَّ تلاوته هم الذين يؤمنون به، وإيمانهم به يقتضي التدبُّر لمعانيه، والتدبُّر لمعانيه يقتضي العمل بما فيه، والإخلاص لله تعالى، وأمَّا الذين لا يؤمنون به لا يتلونه، وإن تلوه لا يتدبَّرون لمعانيه[1]، وإن تدبَّروا لم يعملوا، وإن عملوا لم يخلصوا. **﴿ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون(١٢١)﴾** حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتِيَ التي أنعمت عليكم وأنِّي فضَّلتكم على العالَمين(١٢٢)﴾ على عالَمي زمانكم، وقيل: على عالَمي أجناس الحيوان، وهو تفضيل عظيم إنْ شَكَر النعمة التي فُضِّل بها وخُصَّ بها على غيره، وأفضلها العقل المركَّب فيه، لأنَّ به يستوجب غنى الدارين.

﴿واتَّقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾ أمر الله به ونهى عنه، ليست لأحد في شيء مِمَّا قضى الله به ورسوله. [٣١] **﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون(١٢٣)﴾**.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «معانيَه».

﴿**وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات**﴾ اختبره بأوامر ونواهٍ، ﴿**فأتمَّهنَّ**﴾ قام بهنَّ حقَّ القيام، وأدَّاهنَّ حقَّ التأدية من غير تفريط ولا تقصير ونحوه: ﴿وإبراهيمَ الذي وفَّى﴾[1]، خلاف الذين قال فيهم: ﴿فما رَعَوْهَا حقَّ رعايتها﴾[2]، وقال: ﴿وما[3] قدروا الله حقَّ قَدْرِه﴾[4]. ﴿**قال: إنِّي جاعلك للناس إماما**﴾ لأنَّ كلَّ من ابتلاه الله بشيء من دينه فأتمَّه وقام به حقَّ القيام ولم يضيِّعه، ولا ضيَّع شيئًا فرضه الله عليه فواجب أن يؤتَمَّ به، لأنَّه سالك طريقة الحقِّ، فواجب أن تُقتفى منه أقواله وأحواله ويكون إماما وحجَّة لمن اتَّبعه وحجَّة على من خالفه، وطوبى لمن كان إماما للمتَّقين، يسمو عليهم بالمسارعة والمسابقة إلى الخيرات كما قال: ﴿واجعلنا للمتَّقين إماما﴾[5]؛ وهذا هو الجاه الحقيقيُّ، إذ أمر الله تعالى كافَّة الخلق من الجنِّ والإنس أن يذعنوا وينقادوا إِلَى طاعته، ومن خالَفه ظاهَرَه الله وملائكته وأهل طاعته عَلَيه، وأين يكون الجاه الوهميُّ مع هَذَا!. ﴿**قال: ومن ذرِّيَّتي قال: لا ينال عهدي الظالمين(١٢٤)**﴾ أي لا يرتقي لهذه الدرجة الفاضلة من هو ظالم لنفسه، لأنَّ من كان ظالما لنفسه لكان لغيرها أظلم، وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إِنَّمَا هو لكشف الظلمة.

﴿**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس**﴾ مثابة: مرجعا يثاب إليه كلَّ عام، أي وقلنا له:

---

١ - سورة النجم: ٣٧.

٢ - سورة الحديد: ٢٧.

٣ - في الأصل: «فما»، وهو خطأ.

٤ - سورة الأنعام: ٩١.

٥ - سورة الفرقان: ٧٤.

اتَّخِذوا منه موضع صلاة يصلُّون فيه للناس مباءة ومرجعا للحجَّاج والعمَّار، (لَعَلَّهُ) والقائمين والعاكفين والركَّع السجود، يحصلون به الثواب. ﴿وأمنا﴾ أي ذا أمن، ﴿واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى﴾ للصلاة. عن النخعي: «الحرم كلُّه مقام إبراهيم». ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أمرناهما، ﴿أن طهِّرا بيتي﴾ قيل: طهِّراه من كلِّ ما يعبد من دون الله، للعابدين الله لأنَّه موضع للعبادة، ﴿للطائفين والعاكفين والركَّع السجود(١٢٥)﴾.

﴿وإذ قال إبراهيم: رَبِّ اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله﴾ (لَعَلَّهُ) المتَّقين، ﴿من الثمرات﴾ لأنَّه لم يكن لهم ثمرة، ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ (لَعَلَّهُ) دعا للمؤمنين خاصَّة، ﴿قال﴾: الله تعالى، ﴿ومن كفر فأمتِّعه قليلا﴾ (لَعَلَّهُ) أي سأرزق الكافرَ قليلا إلى منتهى أجله، وذلك أنَّ الله تعالى وعد الرزق للخلق (لَعَلَّهُ) كافَّة، مؤمنهم وكافرهم، وإنَّما (لَعَلَّهُ) قيل بالقلَّة لأنَّ متاع الدنيا قليل. ﴿ثمَّ أضطره﴾ (لَعَلَّهُ) ألجئه وأدفعه، ﴿إلى عذاب النار﴾ دفع المضطرِّ الذي لا يملك الامتناع إلى عذاب النار، ﴿وبئس المصير(١٢٦)﴾.

﴿وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّكَ أنت السميع العليم(١٢٧)﴾ (لَعَلَّهُ) دلالة على أنَّهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لأنَّهما التمسا القبول، ﴿ربَّنا واجعلنا مسلمين﴾ موحِّدين، ومعناه زدنا إخلاصا وإذعانا، ﴿لك ومن ذرِّيَّتنا أُمَّة مسلمة لك، وأرنا﴾ علِّمنا [٣٢] ﴿مناسكنا﴾ شرائع ديننا وأعلام حجِّنا؛ وقيل: متعبَّداتنا، ﴿وتب علينا﴾ قالا هذه الكلمةَ انقطاعا إلى الله، ﴿إنَّكَ أنت التَّوَّاب الرحيم(١٢٨)﴾.

﴿ربَّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك﴾ (لَعَلَّهُ) لأنَّه[كَذَا] من القرآن كلام متَّصل، ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ الحكمة: ما تكمل بها نفوسهم الروحانيَّة، وتمحو بها نفوسهم الجسمانيَّة، وهي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيما حتَّى يجمعهما. ﴿ويزكِّيهم﴾ ويطهِّرهم من جليٍّ الشرك وخفيِّه، (لَعَلَّهُ) ومن صفات أنفسهم، ﴿إنَّكَ أنت العزيز﴾ (لَعَلَّهُ) الغالب، ﴿الحكيم(١٢٩)﴾ تضع الأمور مواضعها.

﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم﴾ أي يترك دينه وشريعته، ﴿إلاَّ من سَفِه نفسه﴾ استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن الملَّة الواضحة الغرَّاء، إلاَّ من جهل نفسه الذي لم يفكِّر في عاقبته، ومَن عبد غيرَ الله فقد جهل نفسه، ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ أي بعمل الصافي الخالص من الأعمال، ﴿وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين(١٣٠)﴾ حجَّة وبيان لذلك، فإنَّ من كان صفوة الله في العباد مشهود له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتِّباع لا يرغب عنه إلاَّ سفيه متسفِّه، أذلَّ نفسه بالجهل والإعراض عن النظر.

﴿إذ قال له ربُّه: أسلم﴾ أذعن وأطع، وأخلص دينك لله، ﴿قال: أسلمتُ لربِّ العالمين(١٣١)﴾ كأنَّه قال: اذكر ذلك الوقت ليعلم أنَّه المصطفى الصالح المستحقُّ للإمامة والتقدُّم، وأنَّه نال بالمبادرة إلى الإذعان، وإخلاص[1] السرِّ حين دعاه ربُّه، أو خطر بباله دلائله المؤدِّية إلى الإسلام.

١ - في الهامش: «يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلاَّ الله»، ويبدو أنَّها من إضافة الناسخ.

﴿ووصَّى بها إبراهيم بَنِيه ويعقوب يا بَنِي إنَّ الله اصطفى لكم﴾ أي: اختار لكم؛ وقيل: أعطاكم الدينَ الذي هو صفوة الأديان، ﴿الدين﴾ أي: فرض عليكم دين الإسلام، وهو أنَّ توحِّدوه وتعبدوه وتطيعوه، ولا تعصوه ولا تتعالوا عليه في شيء، ولا تشركوا به شيئًا من هوى نفس وطاعة شيطان، وغرور دنيا. ﴿فلا تَموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون(١٣٢)﴾ فلا يكن موتكم إِلاَّ عَلَى حال كونكم ثابتين عَلَى الإسلام، فإنَّ الأمور بالخواتم، والنهي في ظاهر الكلام وقع عَلَى الموت، وإنَّما هو في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه داوِموا عَلَى الإسلام حَتَّى لا يصادفكم الموت إِلاَّ وأنتم مسلمون.

﴿أم كنتم شهداءَ إذْ حضرَ يعقوبَ الموتُ﴾ والخطاب للمؤمنين، يعني ما شهدتم ذلك، وإنَّما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. ﴿إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا﴾ نفيٌ واعتقادٌ عن أن يعبدوا غيره من آلهة، ﴿ونحن له مسلمون(١٣٣)﴾.

﴿تلك أُمَّة قد خلت لها ما [٣٣] كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمَّا كانوا يعملون(١٣٤)﴾ (لَعَلَّهُ) يعني يُسأل كلٌّ عن عمله لا عن عمل غيره.

﴿وقالوا: كونوا هودا أو نصارى تَهتدوا قل: بل ملَّة إبراهيم حنيفا﴾ الحنيف المائل عن كلِّ دين باطل إلى دين الحقِّ، معناه بل نتَّبع ملَّة ابراهيم حنيفا. قال مجاهد: «الحنيفيَّة اتِّباع ملَّة إبرهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس. ﴿وما كان من المشركين(١٣٥)﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنَّ

كلاًّ منهم يدَّعي اتِّباع إبراهيم وهو على شرك جليٍّ أو خفيٍّ.

ثمَّ علَّم المؤمنين طريق الإيمان، فقال جلَّ ذكره: **﴿قولوا آمنَّا بالله﴾** يحمل الخطاب للكافرين وغيرهم، **﴿وما أنزل إلينا[1] وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق[2] ويعقوب والأسباط﴾** الأسباطُ: قيل: أولاد يعقوب. **﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيُّون من ربِّهم لا نفرِّق بين أحد منهم﴾** أي نؤمن بالكلِّ، لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، **﴿ونحن له مسلمون(١٣٦)﴾** لله مخلصون.

﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولَّوا﴾ عمَّا تدعونهم إليه، **﴿فَإِنَّمَا هم في شِقاق﴾** فما هم إلاَّ في شقاق الحقِّ وهو المناوأة والمخالفة، فإنَّ كلَّ واحد من المتخالفين في شقٍّ غير شقِّ الآخر. قال ابن عبَّاس: «في خلاف»، قال: «شاقَّ إذا خالف كلُّ واحد أحدًا في شقٍّ غير شقِّ صاحبه». **﴿فسيكفِيكَهُمُ الله﴾** ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم، وهذا عامٌّ لِكُلِّ من دعا إلى الإسلام فلم يقبل المدعَى منه ويحاول في معاداته فسيكفيه الله شرَّه، **﴿وهو السميع العليم(١٣٧)﴾**.

﴿صبغة الله﴾ أي أصبغَنا اللهُ صبغتَه، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنَّه حلية الإنسَان المؤمن، كما أنَّ الصبغة حلية المصبوغ، (لَعَلَّهُ) لأنَّه يَظهر أثر

---

١ - في الأصل: - «وما أنزل إلينا».

٢ - في الأصل: + «وإسحاق».

الدين على المتديِّن كما يَظهر أثر الصبغ على الثوب. ﴿**ومن أحسن من الله صبغة**﴾ أي لا صبغة أحسن من صبغته، ولا تطهير أحسن من تطهيره، كما قال: ﴿بل الله يزكّي من يشاء﴾[1]. ﴿**ونحن له عابدون(١٣٨)**﴾.

﴿**قل**﴾: يا محمَّد، ﴿**أتحاجُّوننا في الله**﴾ في توحيده وربوبيَّته، ﴿**وهو ربُّنا وربُّكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون(١٣٩)**﴾ أي موحِّدون. قيل الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله، فلا يشرك به في دينه أن (لَعَلَّهُ) يعمله من أجل الناس.

﴿**أم تقولون: إنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل**﴾: يا محمَّد، ﴿**أأنتم أعلم أم الله**﴾ يعنى أنَّ الله شهد لهم بملّة الإسلام، ﴿**ومن أظلم مِمَّن كتم شهادةً عنده من الله**﴾ أي كتم شهادة الله التي عنده أنَّهُ شهد بها، وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفيَّة. ﴿**وما الله بغافل عما تعملون(١٤٠)**﴾.

﴿**تلك أمَّة قد [٣٤] خلت لها ما كسبت**﴾ (لَعَلَّهُ) لم يبق لها إلاَّ كسبها، ﴿**ولكم ما**[2] **كسبتم ولا تسألون عَمَّا كانوا يعملون(١٤١)**﴾ بل نسألكم عن أعمالكم.

---

١ - سورة النساء: ٤٩.

٢ - في الأصل: - «ما»، وهو خطأ.

﴿**سيقول السُّفهاء من النَّاس**﴾ السُّفهاء من النّاس، كلُّ من خالف دين الله في شيء منه، ولو بحرف واحد، فهو سفيه في دينه، وإن كان غير سفيه في أمور أخرى، وعلى هذا فالنَّاس كلُّهم سفهاء إلاَّ المخلصون. ﴿**ما ولاَّهم**﴾ ما صرفهم، ﴿**عن قبلتهم التي كانوا عليها**﴾ يعنون بيت المقدس، والقِبلة "فِعْلَة" من المقابلة؛ ﴿**قل لله المشرق والمغرب**﴾ والأَرْض كلُّها له، ﴿**يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(١٤٢)**﴾ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة، من التوجُّه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى.

﴿**وكذلك جعلناكم أُمَّة وسطا**﴾ خيارا، وقيل للخيار وسط، لأَنَّ الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محميَّة؛ قال أبو سعيد: «كذلك قوله: ﴿أوسطهم﴾[1] أفضلهم، وكذلك قوله: ﴿أُمَّةً وسطا﴾، قال: خيارًا فيما قيل»؛ ﴿**لتكونوا شهداء على النَّاس**﴾ أي تشهدون أعمالهم من برٍّ وفجور، فتضعون كلاًّ منزلته، وتوفونه حقَّه، ﴿**ويكونَ الرَّسُول عليكم شهيدا**﴾ كما كنتم شهداء على النَّاس، ﴿**وما**[2] **جعلنا القبلة التي كنت عليها إلاَّ لنعلم من يتَّبع الرَّسُول مِمَّن ينقلب على عقبيه**﴾ إلاَّ امتحانا وابتلاء، لنعلم الثَّابتَ على الإسلام الصَّادقَ فيه، مِمَّن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه؛ وكذلك جعل كلَّ فتنة حلَّت على أحد من خلقه امتحانا وابتلاء، ليعلم الثَّابت من خلقه على دينه، ليزداد بذلك إيمانا، ويعذِّب من ينقلب على عقبيه، كأنَّه

١ - يقصد قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبِّحون﴾. سورة القلم: ٢٨.

٢ - في الأصل: - «ما»، وهو خطأ.

سبق في علمه تحويل القبلة سببا لهداية قوم وضلالة آخرين، لأنَّ تبديل العـادات وترك المألوفات ثقيل علـى النفـوس، إلاّ عبـاد ا لله المخلصين، وقليـل مـا هـم؛ **﴿وإن كانت لكبيرة﴾** وإن كانت التّحويلـة لكبـيرة ثقيلـة شاقـّة، **﴿إلاّ علـى الذِيـنَ هـدى ا لله﴾** إلاّ علـى الثّابتـين الصّـادقين في اتـّباع الرَّسُـول، وجميـع الطاعة كبيرة شاقـّة، (لَعَلَّهُ) ولا سيما الانقلاب من المنسوخ إلى النّاسـخ، إلاّ على المهتدين؛ **﴿وما كان ا لله ليُضيع﴾** (لَعَلَّـهُ) وذلـك قيـل: إنَّ أنـاسا قـالوا للمسلمين: «أخبرونا عن صلاتكم نحـو بيـت المقـدس إن كـانت هـدى، فقـد تحوَّلتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دِنتم لله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة!، فقال المسلمون: إنَّ الهدى مـا أمـر ا لله بـه، والضلالـة مـا نهـى عنـه، **﴿إيمانـَكم إنَّ ا لله بالنّـاس لـرءوفٌ رحيـم(١٤٣)﴾** لا يضيـع أجورهم؛ والرأفة أشدُّ من الرحمة.

﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء﴾ يتوقَّع من ربـِّه نزول الوحي عليـه والتحولة إلى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود؛ **﴿فَلَـنُـوَلِّـيَـنـَّكَ﴾** (لَعَلَّـهُ) فلنعطينـّك، **﴿قبلة ترضاهـا﴾** تحبُّهـا وتميـل إليهـا لأغراضـك الصحيحـة، الـتي أضمرتهـا لا الهوائيـّة الجسمانيـّة الشيطانيـّة، ولذلـك وافقـت مشـيئة ا لله وحكمته، (لَعَلَّهُ) ويرجَـى لـه الثـواب علـى مـا طلـب مـن ذلـك؛ و[1] **﴿فـولِّ وجهك شطر [٣٥] المسجد الحرام﴾** أي نحوه، **﴿وحيـث مـا كنتـم﴾** مـن الأَرْض وأردتم الصلاة؛ **﴿فولـُّوا وجوهكم شطره، وإنَّ الذِينَ أوتـوا الكتـاب**

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: - «و».

ليعلمون أَنَّهُ الحقُّ﴾ أنَّ التحويل، تحويل التوجُّه إلى الكعبة هو الحقُّ المنزَّل، **﴿من ربِّهم وما ا لله بغافل عَمَّا يعملون(١٤٤)﴾** فالأوَّل: وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإيباء، والثاني: وعد للمؤمنين بالثواب.

﴿ولئن أتيت الذِينَ أوتوا الكتاب﴾ أراد ذوي العناد منهم، **﴿ بِكُلِّ آية﴾** برهان قاطع، والمعنى لو أتاهم بِكُلِّ آيَة من آيات ا لله، ليس آيَة دون آية. **﴿ما تَّبعوا قبلتك﴾** لأنَّ تركهم اتِّباعك ليس على شبهة تزيلها بإيراد الحجَّة، إِنَّمَا هو من مكابرة وعناد مع علمهم لِما في كتبهم من نعتك أنَّك على الحقِّ، وهكذا عادة كلٍّ من كان دَيدَنه الحمق والعناد، **﴿وما أنت بتابعِ قبلتَهم﴾** حسمٌ لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنَّا نرجوا أن يكون صاحبَنا الذي ننتظره، **﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾** يعني أنَّهم مع اتِّفاقهم على مخالفتك، مختلفون بأنفسهم في شأن القبلة، لا يرجى اتِّفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس؛ **﴿ولئن اتَّبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾** أي من بعد وضوح البرهان، **﴿إِنَّكَ إذا لَمِن الظالمين(١٤٥)﴾** لَمِن المرتكبين الظلم الفاحش، وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحقِّ، وتحذير لمن يترك الدَّليل بعد إنارته، ويتَّبع الهوى؛ والخطاب متوجِّه لجميع المتعبِّدين، وكلُّ ما لم يقم الدليل بجوازه فهو اتِّباع الهوى.

﴿الذِينَ آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي الرَّسُول أو القرآن، **﴿كما يعرفون أبناءهم﴾** مبالغة لارتفاع الشكِّ من قلوبهم، ومعرفة الأبناء من غيرهم

مع آبائهم ليس فيها للشكِّ مجال. ﴿**وإنَّ فريقا منهم**﴾ من الذِينَ لم يسلموا، ﴿**ليكتمون الحقَّ**﴾ حسدا وعنادا، ﴿**وهم يعلمون(١٤٦)**﴾ ذلك لأَنَّ ا لله بيَّنه في كتابهم، ﴿**الحقُّ من ربِّك**﴾ كلُّ ما ثبت من عند ا لله فهو الحقُّ، وما لم يثبت من عنده فهو الباطل الذي لا ثبات له ولا أصل؛ ﴿**فلا تكونَنَّ من الممترين(١٤٧)**﴾ الشاكِّين.

﴿**ولكلٍّ**﴾ من أهل الشرائع والأديان أو الأهواء، ﴿**وجهة**﴾ قبلة وطريقة متوجِّهون إليها، ﴿**هو مولِّيها**﴾، هو مولِّيها وجهَه؛ ﴿**فاستبقوا**﴾ أنتم أيُّها المؤمنون، أي: تسابَقوا إلى ﴿**الخيرات**﴾ لِكُلٍّ من المخلوقين وجهة هو مستقبلُها وساعٍ إليها من أمر الدارين، من خير وشرٍّ؛ وأمر ا لله المؤمنين أن يتوجَّهوا نحو الخيرات ويتسابقوا إليها، ومن كان أسبق كان أفضل، ﴿**أين ما تكونوا**﴾ أنتم وأعداؤكم، ﴿**يأتِ بكم ا لله جميعا**﴾ [٣٦] أي يجمعكم يوم القيامة فيفصل بين المحقِّ والمبطل، وفيه وعد للمحقِّ ووعيد للمشاقق المبطل، ﴿**إنَّ ا لله على كُلِّ شيء قدير(١٤٨)**﴾.

﴿**ومن حيث خرجتَ فولِّ وجهَك شطرَ المسجد الحرام وإنَّه لَلحقُّ من ربِّك وما ا لله بغافل عَمَّا تعملون(١٤٩)**﴾[1].

﴿**ومن حيث خرجتَ فوَلِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرام، وحيث ما كنتم فولُّوا وجوهكم شطرَه، لئلاَّ يكونَ للناس عليكم حجَّة**﴾ أي لا تكون

١ - هَذِهِ الآيـَة غير واردة في التفسير.

حجَّة لمبطل على محقٍّ في شيء، بل الحُجَّة التامَّة له على جميع من خالفه؛ ﴿إلاَّ الذِينَ ظلموا منهم﴾ قيل: والذِينَ ظلموا من النَّاس فلا يكونون عليكم حجَّة، و"إلاَّ" ههنا بمعنى الواو؛ وقيل: ﴿إلاَّ الذِينَ ظلموا منهم﴾ فهم مشركو مكَّة أنَّهم قالوا لـمَّا صرف قبلتهم إلى الكعبة: إنَّ محمَّدًا قد تحيَّر في دينه فلا تتَّبعوه، وا لله أعلم بتأويل كتابه؛ ﴿فلا تخشوهم﴾ ويحتمل: ﴿والذِينَ ظلموا منهم فلا تخشوهم﴾ فلا تخافوا مطاعنَتهم في دينكم فإنَّهم لا يضرُّونكم، ﴿واخشوني﴾ فلا تخالفوا أمري، ﴿ولأُتمَّ نعمتي عليكم﴾ بهدايتي إيَّاكم حتَّى أزحزحكم عن النار وأدخلكم الجنَّة التي هي دار القرار، وهو تمام النعمة، ﴿ولَعَلَّكُم تهتدون(١٥٠)﴾ ولكي تهتدوا إلى الحقِّ.

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم﴾ من مثلكم في الخلق، ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ أي آيات القرآن، ﴿ويزكِّيكم﴾ ويطهِّركم من خبائث الشيطان، ﴿ويعلِّمكم الكتاب﴾ أي: تنزيله وتأويله، ﴿والحكمة﴾ أي: العمل على مقتضى العلم، ﴿ويعلِّمكم ما لم تكونوا تعلمون(١٥١)﴾ بالفكر والنظر والاستدلال والاستنباط، ﴿فاذكروني﴾ أي: وحِّدوني واعبدوني ولاتشركوا بي شيئًا، ﴿أذكُرْكم﴾ بالتوفيق على الطاعة والثواب عليها، ﴿واشكروا لي﴾ أطيعوني في جميع ما أنعمت به عليكم، ﴿ولا تكفرونِ(١٥٢)﴾ ولا تجحدوا نعمائي.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا استعينوا بالصبر﴾ على الأمر والنهي، ﴿والصلاة﴾ التي هي أمُّ العبادات، ومعراج المؤمنين، وقوام الدين ومناجاة رَبِّ العالمين، ﴿إنَّ ا لله مع الصابرين(١٥٣)﴾ بالنصر والمعونة.

﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ﴾ لمن قتل على طاعته، وسبيلُه طاعتُه كما قال: ﴿قيل: ادخلِ الجنّة، قال: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين﴾[1]، وإن كان قيل: إنَّ الآية نزلت فيمن قتل في المعركة مجاهدا في سبيل الله، فأفضل منه من قتِل أو مات في طلب العلم والذبِّ عن الشريعة، وأفضل منهم الأنبياء والرسل عليهم السلام، ﴿بل أحياء ولكن لا تشعرون(١٥٤)﴾ لا تعلمون ذلك قبلَ أن يخبركم الله به، لأنَّ حياة الشهيد لا تعلم حِسًّا.

﴿ولنبلونـّكم﴾ ولنصيبنـّكم بذلك إصابة، تشبه فعل المختبِر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا، ﴿بشيءٍ﴾ بقليل من كلٍّ واحدة من هذه [٣٧] البلايا وطرفٍ منه[2]، وقُلّل ليؤذن أنَّ كلَّ بلاء أصاب الإنسان ـ وإن جلَّ ـ ففوقه من[3] يقل إليه[كذا]، ويريهم أنَّ رحمته معهم في كلِّ حال؛ وأعلمهم بوقوع البلوى قبل وقوعها ليوطّنوا أنفسهم عليها، ﴿من الخوف﴾ من خوف العدوِّ، أو الله، ﴿والجوع﴾ أي القحط، أو صوم رمضان، ﴿ونقصٍ من الأموال﴾ بذهابها بشيء من الآفات أو بالزكاة، ﴿والأنفس﴾ بالقتل والموت، أو بالمرض والشيب، ﴿والثمرات﴾ وإهلاك ثمرات الحرث، أو موت الأولاد الذِينَ هم ثمرات الأكباد، ﴿وبشِّر الصابرين(١٥٥)﴾ على هذه البلايا، والمسترجعين عند البلايا، لأنَّ

---

١ - سورة يس: ٢٧.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «منها»، أي من البلايا.

٣ - يمكن أن نقرأ: «ما».

الاسترجاع الحقيقيّ بتسليم وصبر وإذعان، في الحديث: «*من استرجع عند المصيبة، جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه*»[1]. وطُفئ سراج رسول الله ﷺ فقال: «*إنّا لله وإنّا إليه راجعون*»، فقيل: أمصيبة هي؟ قال: «*نعم كلُّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة*»[2].

﴿**الذِينَ إذَا أصابتهم مصيبة**﴾ مكروه، ﴿**قالوا إنّا لله**﴾ إقرار له بالملك، ولا يسخط عليه ما يفعله في ملكه، ﴿**وإنّا إليه راجعون(١٥٦)**﴾ إقرار على أنفسنا وما خوّلناه بالفناء، وأنَّ الأمور كلّها راجعة إليه، وليس الصبر بالاسترجاع باللّسان، بل بالقلب بتصوّر ما خلق لأجله، وأنّه راجع إلى ربّه، وبذكر نعم الله عليه، فيرى أنَّ ما بقي عليه أضعاف ما استردَّه منه، فيهون على نفسه ويستسلم له.

﴿**أولَئِكَ عليهم صلوات من ربّهم**﴾ الصلاة: الرحمة، فوضعت موضع الرأفة، وجمع بينها وبين الرحمة، كقوله: ﴿رأفةً ورحمةً﴾[3]، ﴿رؤوف

---

١ - لم نعثر عَلَيه في الكتب التسعة. وَأمَّا الأحاديث الواردة في الاسترجاع عند المصيبة وأنَّ الله يخلف للمؤمن ما هو خير له، فهي كثيرة، منها ما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا...». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، رقم: ١٥٢٥. العالمية: موسوعة الحديث.

٢ - لم نعثر عَلَيه في الكتب التسعة.

٣ - سورة الحديد: ٢٧. وتمامها: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانية ـ

رحيم﴾[1] والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة، ﴿**ورحمة**﴾ بعد رحمة، ﴿**وأولَئِكَ هـم المهتـدون(١٥٧)**﴾ لطريـق الصـواب حيـث اسـترجعوا، وأذعنـوا لأمـــر ا لله، وردُّوا الملك إلى مالكه، والأمانة إلى أهلها.

﴿**إنَّ الصفا والمروةَ**﴾ هما علَمان لمن تطـوَّف بهمـا، ﴿**من شـعائر الله**﴾ من أعلام دينه ومناسكه ومتعبَّداته، ﴿**فمن حجَّ البيت**﴾ قصد، ﴿**أو اعتمر**﴾ زار الكعبة، فالحجُّ: القصد، والاعتمـار: الزيـارة، ثُـمَّ غلبـا علـى قصـد البيـت وزيارتـه للنُّسُكَيـْنِ، وهمـا في المعـاني كـالنجم والبيـت في الأعيـان؛ ﴿**فـلا جُناح عليه**﴾ فلا إثم، وأصله من جنح، أي: مـال عـن القصـد، ﴿**أن يطَّـوَّف بهما**﴾ أي يتطوَّف، وأصل الطواف: المشيُ حول الشيء، والمـراد هنـا السـعي بينهما؛ ﴿**ومن تطوَّع خيرا**﴾ أي فعـل غـير المفرض عليه مـن زكـاة وصـلاة وطواف وغيره من أعمال الطاعات، ﴿**فإنَّ الله شـاكر عليـم(١٥٨)**﴾ مُجـازٍ على القليل كثيرا، والشكر من ا لله أن يعطِي فوق ما يستحقُّ من شكر اليسير، ويعطي الكثير.

﴿**إنَّ الذِينَ يكتمون ما أنزلنا من البَيِّنَات**﴾ من الآيات الشـاهدة بـالحقِّ و[2]عليه، والكتمان يحتمل كفرانهم للآيات، لأنَّ الكفر هو التغطيـَّة، ويحتمـل [٣٨] كتمانهم لغيرهم ما يجـب إظهـاره لغـيرهم، ﴿**والهـدى**﴾ أي الإسـلام،

ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاَّ ابتغاء رضوان ا لله فما رعوها حقَّ رعايتها﴾.

١ - في مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تاب عَلَيهم إنَّهُ بهم رؤوف رحيم﴾. التوبة: ١١٧.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «و»

﴿من بعد ما بيّنّاه﴾ وضّحناه، لأنَّ الحقَّ واضح جليٌّ سهلٌ يسير على من طلبه، وكلُّه خفيٌّ على من تعامى عنه، ﴿للناس[1] في الكتاب﴾ المنزَّل لم يَدَع فيه موضع إشكال، فعمدوا إلى ذلك المبيَّن فكتموه أو حرَّفوه؛ ﴿أُولَئِكَ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون(١٥٩)﴾ الذِينَ يتأتَّى منهم اللّعن، أي يسألون الله أن يلعنهم؛ وقيل: جميع ما خلق الله يلعنه غضبا لله، كما أنَّ المطيع كلُّ شيء يستغفر له رضًى لله.

﴿إلاَّ الذِينَ تابوا﴾ عن الكتمان وترك الإيمان، ﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا من أمورهم، لأَنَّ ترك الإيمان والكتمان من الفساد في الدين، ﴿وبيَّنوا﴾ وأظهروا ما كتموا، وفسَّروا بأصحِّ تفسير، أو عملوا بمقتضاه، فإنَّ ذلك من البيان، وضدُّه الكفر؛ ﴿فأُولَئِكَ أتوب عليهم﴾ أقبل توبتهم، ﴿وأنا التوَّاب﴾ الرجَّاع لقلوب عبادي المنصرفة (لَعَلَّهُ) عنِّي إليَّ، ﴿الرحيم(١٦٠)﴾ الرحيم بهم بعد إقبالهم عليَّ.

﴿إنَّ الذِينَ كفروا وماتوا وهم كُفَّار﴾ الذِينَ ماتوا على إصرارهم على الكفر ﴿أُولَئِكَ عليهم لعنةُ الله والملائكة والنَّاس أجمعين(١٦١)﴾ المراد بالنَّاس: المؤمنون والكافرون، إذ يلعن بعضهم بعضا، لم يبق لهم خليل قطُّ.

﴿خالدين فيها﴾ في اللَّعنة أو في النار، إلاَّ أنَّها أُضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا، ﴿لا يخفَّف عنهم العذاب[2]، ولا هم يُنظرون(١٦٢)﴾ أي: لا

١ - في الأصل: - «للناسِ»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: - «العذابِ»، وهو خطأ.

يُمهلون أو لا يُنتظَرون ليعتذِروا، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة.

﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ أي: إلهُ مَن عَبدَهُ ومَن عَبَدَ غيرَه، واحد لا ثاني له، ﴿**لا إله إلاّ هو**﴾ تقرير بالوحدانيَّة بنفي غيره وإثباته، ﴿**الرحمن الرحيم(١٦٣)**﴾ أي المُولِي لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فما سواه إمَّا نعمةٌ وإمَّا منعَم عليه.

﴿**إنَّ في خلق السَّمَاوَات والأَرْض واختلاف الليل والنهار**﴾ في اللَّون والطول والقصر، أو تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ﴿**والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النَّاس وما أنزل الله من السَّماء من ماء فأحيَى به الأَرْض بعد موتها**﴾ يُبسها، ﴿**وبثَّ**﴾ فرَّق ﴿**فيها من كُلِّ دَابَّة، وتصريف الرياح**﴾ قَبولا ودَبورا، وجنوبا وشمالا، وفي أحوالها حارَّة وباردة، وعاصفة وليِّنة، وعقيما، ولواقح، وتارة بالرحمة، وطورا بالعذاب، ﴿**والسحاب المسخَّر**﴾ المذلَّلِ المنقادِ لمشيئة الله فيمطر حيث شاء ﴿**بين السَّماء والأَرْض لآيات لقوم يعقلون(١٦٤)**﴾ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون، ويستدلُّون بهذه الأشياء على قدرة موجدها، وحكمة مبدعها ووحدانيَّة منشئها (لَعَلَّهُ) ولو لم يسبق معرفة الخلق لهذه الآيات وأمثالها لأبهرت عقولهم عند رؤيتها في أوَّل مرَّة؛ في الحديث: «*ويل لمن قرأ* [٣٩] *هذه الآية فمجَّ بها*»[1]، أي لم يتفكَّر فيها و لم يعتبرها.

---

١ - لم نعثر عَلَيه في الكتب التسعة.

﴿**ومن النَّاس من يتَّخذُ من دون الله أندادا**﴾ أي مع هذا البرهان النيِّر مِن النَّاس [مَن] يتَّخذ أندادا، أمثالا من الأصنام، أو الأهوية الضالَّة، لقوله: ﴿أفرأيت من اتَّخذ إلهه هواه﴾[1] أو الشيطان، كقوله: ﴿لا تعبدِ الشيطانَ﴾[2]؛ ﴿**يُحبُّونهم**﴾ يعظِّمونهم ويخضعون لهم، تعظيم المحبوب ﴿**كحبِّ الله**﴾ كتعظيم الله والخضوع له، أي: يحبُّون الأصنام كما يحبُّون الله يعني يسوُّون بينهم وبينه في محبَّتهم، لأنَّهم كانوا يقرُّون بالله ويعبدونه في أحوال، ويعبدون وينقادون لآلهتهم في أحوال؛ وقيل: يحبُّونهم كحبُّ المؤمنين الله؛ ﴿**والذِينَ آمَنُوا أشدُّ حبًّا لله**﴾ لأنَّه لا تنقطع محبَّتهم لله في شدَّة ولا رخاء، ومحبَّة الكافرين الأنداد فإنَّها لأغراض فاسدة موهومة، تزول بأدنى سبب، كما قال: ﴿وإذا مسَّكم الضرُّ في البحر ضلَّ من تدعون إلاَّ إيَّاه﴾[3]، فهذا في الدنيا، وفي الآخرة قال: ﴿وتركتُم ما خوَّلناكم وراءَ ظهوركم، وما نرى معكم شفعاءكم الذِينَ زعَمتم أنَّهم فيكم شركاءُ، لقد تقطَّع بينكم وضلَّ عنكم ما كنتم تزعمون﴾[4].

﴿**ولو يرى**﴾ ذلك لرأيت أمرا عظيما[5]، ﴿**الذِينَ ظلموا**﴾ إشارة إلى

---

١ - سورة الجاثية: ٢٣.

٢ - سورة مريم: ٤٤.

٣ - سورة الإسراء: ٦٧.

٤ - سورة الأنعام: ٩٤.

٥ - نلاحظ أنَّ المصنِّف فسَّر هَـٰذِهِ الآيَـة عَلَى رواية ورش: ﴿ولو تـرى...﴾ بأسلوب الخطاب، وهي عَلَى رواية حفص بأسلوب الغائب.

متّخذي الأنداد، ﴿إذ يرون العذاب﴾ عند الموت أو في الآخرة ﴿أنَّ القوَّة لله جميعا﴾ لم تبق لذي قوَّة قوَّته إلاَّ الله، ﴿وأنَّ الله شديد العذاب(١٦٥)﴾ أي ولو يعلم هؤلاء الذِينَ ارتكبوا الظلم العظيم باتِّخاذهم الأنداد، أنَّ القدرة كلَّها لله على كلِّ شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم، ويعلمون شدَّة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة.

﴿إذ تبرَّأ الذِينَ اتُّبعوا﴾ وهم الأنداد المتبوعون، ﴿من الذِينَ اتَّبعوا﴾ من الأتباع العابدين[1] غير الله، ﴿ورأوا العذاب﴾ أي بِتَراءٍ، وفي حال رؤيتهم العذابَ، ﴿وتقطَّعت بهم الأسباب(١٦٦)﴾ الوصلات التي كانوا يتواصلون بها، والأرحام التي كانوا يتعاطفون بها، والمعنى: زال عنهم كلُّ سبب يمكن أن يتوصَّل به من مودَّة أو عهد أو قرابة، التي كانت من الاتِّفاق على دين واحد، والأغراضِ الداعية[2] الباطلة الزاهقة عند بيان الحقائق وانكشافها، لأنَّ الظواهر تنمحق والبواطن تتحقَّق.

﴿وقال الذِينَ اتَّبعوا﴾ أي الأتباع، ﴿لو أنَّ لنا كرَّة﴾ رجعة إلى الدنيا، ﴿فنتبرَّأ منهم﴾ على سبيل المجاراة لأنَّهم يتعذَّبون ببراءتهم من بعضهم

---

١ - في الأصل: «لعابدين»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولم يظهر معنى هَذِهِ الكلمة في هَذَا السياق، ولَعَلَّ صوابها: «المتداعية»، مِن «تداعى البناءُ والحائط للخراب، إذا تكسَّر وآذن بانهدام». أي أنَّ الأغراض الباطلة تتداعى وتتحطَّم أمام الحقِّ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٩٨٨/٢، مادَّة «دعا».

بعضٍ، ﴿**كما تبرَّءوا منـَّا**﴾ أي بترك طاعتهم وعبادتهم والانقياد إليهـم، كمـا تركونا ووحَّدونا، لأَنَّا علمنا أنـَّهم لا ينفعونـا إن عبدنـاهم، ولا يضرُّونـا إن تركناهم، وفي هذا يدخل جميعُ ما يشغل عن طاعة ا لله من جميـع معـاصي ا لله الـتي تعـود عليهـم حسـرات [٤٠] كمـا قـال: ﴿**كذلـك يُريهـم الله أعمـالهم حسراتٍ عليهم**﴾ أي: أنَّ أعمالهم التي يحسبونها شيـئًا، و لم يجدوهـا[1] كمـا حسبوها تنقلب حسرات عَلَيهم، فلا يرون إلاَّ حسراتٍ مكان أعمالهم؛ ﴿**وما هم بخارجين من النار(١٦٧)**﴾ بل هم فيها دائمون، باقون ببقاء ا لله.

﴿**يا أَيـُّهَا النَّاس كلوا مِمَّا في الأَرْض حلالا طيـِّبًا**﴾ أي كلـوا مِمَّـا أحـل ا لله لكم منها، والحلالُ جميع المباح لأَنَّ أصله كـان حـلالا، إلاَّ مـا حرَّمـه ا لله عليهـم بالاستثـنـاء، ولـه أن يركـب الحـلال مباحـا لـه مـن المـأكولات والمشروبات والمركوبات والمنكوحات، (لَعَلَّهُ): وَهُوَ مراده فيهـم ذلـك. ﴿**ولا تتـَّبعوا خطوات الشيطان**﴾ طرُقه التي يدعوكم إليهـا إلى ارتكـاب مـا نهـاكم ا لله عنه؛ والخطوة في الأصل ما بين قدمـي الخـاطي، يقـال: اتـَّبع خطواتـه إذا اقتدى به واستنَّ بسنَّته. ﴿**إنـَّهُ لكم عدوٌّ مبين(١٦٨)**﴾ ظاهر العدواة غـرور، (لَعَلَّهُ) ولا تـناقض هذه الآيـَةُ قولَه: ﴿والذِينَ كفروا أوليـاؤهم الطـاغوتُ﴾[2] أي الشيطان، إنـَّه عدوٌّ للناس حقيقة، ووليـُّهم فإنـَّه يريهـم في الظـاهر المـوالاة ويزيـِّن لهم أعمالهم، ويريد بذلك هلاكهم.

---

١ - في الأصل: «يجدوها»، وهو خطأ.

٢ - سورة البقرة: ٢٥٧.

﴿إِنَّمَا يأمركم﴾ بيان لوجوب الانتهاء عن اتِّباعه، وظهور عداوته، أي لا يأمركم بخير قطُّ، إِنَّمَا يأمركم **﴿بالسوء﴾** بالقبح، لأنَّها تسوء فاعلها، **﴿والفحشاء﴾** وما يتجاوز الحدَّ في القبح من العظائم؛ وقيل السوء ما لا حدَّ فيه، والفحشاء ما فيه حدٌّ. **﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون(١٦٩)﴾** هو جميع الكذب، ويدخل فيه استعمال الجوارح لِما لم تخلق له، وكلُّ ما يضاف إلى الله مِمَّا لا يجوز عليه.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للنَّاس، **﴿اتَّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتَّبع ما ألفينا﴾** وجدنا **﴿عليه آباءنا﴾** فإنَّهم كانوا خيرا منَّا وأعلم، فردَّ الله عليهم بقوله: **﴿أولو كان آباؤهم﴾** معناه التعجُّب: أيتَّبعونهم ولو كان آباؤهم!... **﴿لا يعقلون شيئا﴾** قطعا من أمر دينهم ودنياهم لأنَّهم لا يعقلون عاقبة شيء ولما خُلق له ذلك الشيء من جميع المخلوقات، وإنَّما هو كالبهائم التي لا تسمع **﴿إلاَّ دعاء ونداء، صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾** «شيئًا»: من الأشياء نفى عنهم عن[1] أن يعقلوا شيئًا، لأنَّهم وإن عقلوا ما عقلوه من غير الدين لم ينتفعوا به في دينهم إذ لم يعقلوا جميع اللَّوازم، لأنَّ الدين لا يتجزَّأ، ولذلك[2] في قوله تعالى: **﴿لا يعلمون شيئًا﴾**[3]. **﴿ولا يهتدون(١٧٠)﴾** (لَعَلَّهُ) لشيء من الصواب.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «عن».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ومثل ذلك».

٣ - في قوله تعالى: ﴿أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون﴾. سورة المائدة: ١٠٤.

﴿ومَثَلُ الذِينَ كفروا﴾ أي: وَمَثل داعي الذِينَ كفروا، ﴿كمثل الذي ينعق﴾ يصيح، ﴿بما لا يسمع إلاَّ دعاء ونداء﴾ والمعنى أنـَّهم لا يسمعون من الدعاء إلاَّ جرس النغمة ودويِّ الصوت، من غير إصغاء أذهان ولا استبصار، كالبهائم التي لا تسمع إلاَّ نداء الناعق ونداء الذي هو تصويت [٤١] لها وزجر لها، ولا تفقه شيئًا آخر كما يفهم العقلاء؛ والنعيق: التصويت، يقال: نعق المؤذِّن ونعق الراعي بالضَّأن؛ والنداء: ما يُسمع، والدعاء قد يُسمع وقد لا يُسمع. ﴿صمٌّ بكمٌ عُميٌ﴾ عن الحقِّ، ﴿فهم لا يعقلون(١٧١)﴾ الموعظة.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كلوا من طيِّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إِيَّاهُ تعبدون(١٧٢)﴾ أمر الله المؤمنين أن يتحرَّوا طيِّبات ما رُزقوا ويقوموا بحقوقها، فقال: ﴿واشكروا لله﴾ على ما رزقكم وأحل لكم، ﴿إن كنتم إيَّاه تعبدون﴾، فإنَّ عبادته لا تتمُّ إلاَّ بالشكر لإتمامه، وهو عدم عند انعدامه. وعن النبيِّ ﷺ: *«يقول الله إنِّي والإنس والجنّ في نبإٍ عظيم أخلقُ ويُعبَد غيري، وأرزق ويُشكر غيري»*[1].

﴿إنـَّمَا حرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلَّ به لغير الله﴾ أي: ذبح للأصنام، فذكر عليه غير اسم الله؛ ﴿فمن اضطرَّ غير باغ﴾ للذَّة وشهوة، ﴿ولا عادٍ﴾ متعدٍّ غير الحاجة، وأصل البغي قصدُ الفساد، وأصل العدوان الظلمُ ومجاوزة الحدِّ، ﴿فلا إثم عليه إنَّ الله غفور رحيم(١٧٣)﴾.

---

١ - لم نعثر عَلَيه في الكتب التسعة.

﴿**إنَّ الذِينَ يكتمون ما أنـزل الله مـن الكتـاب ويشـترون بـه ثمنـا قليـلا أُولَئِكَ ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار**﴾ لأنَّه إذا أكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه، فكأنَّه أكل النار، ﴿**ولا يكلِّمهم الله يوم القيامة**﴾ كلام رضًـى، وبما يسرُّهم، إنَّمَا يتوعَّدهم بالنـار، وَهُـوَ (لَعَلَّـهُ) مـا يجدونـه في كتـابهم مـن ديوان سَيِّئَاتهم، ﴿**ولا يزكِّيهم**﴾ ولا يطهِّرهم من رجس ذنوبهم من حيث لم يطهِّروا أنفسهم منها، ﴿**ولهم عذاب أليم(١٧٤)**﴾.

﴿**أُولَئِكَ الذِينَ اشتروا الضلالة بالهدَى**﴾ (لَعَلَّـهُ) لـمَّا لم ينتـفع بعملـه فصـار وجـوده أشـدَّ عليـه مـن عدمـه، ﴿**والعـذابَ بـالمغفرة**﴾ لكتمـان الحـقِّ للأغراض الدنيويَّة؛ ﴿**فما أصبرهم على النار(١٧٥)**﴾؟ فـأيُّ شـيء صبَّرهم واضطرَّهم على عمل يؤدِّي إلى النار، وهذا استفهام معناه التوبيـخ، فقـد سمَّـى الله الضلالة نارا، فقد باعوا نِعَم الدارين بعذاب الداريـن؛ قيـل: فمـا أصـبرهم عَلَى عمل أهل النار، أي: ما أدوهم[1] عليـه؛ ﴿**ذلـك بِـأَنَّ الله نـزَّل الكتـاب بِالْحَـقِّ**﴾ (لَعَلَّهُ) يعني: ذلك العـذاب بـأَنَّ الله نـزَّل الكتـاب بـالحقِّ، فـأنكروه وكفروا به؛ ﴿**وإنَّ الذِينَ اختلفوا في الكتاب**﴾ أي بالدِّين، فقـالوا في بعضهـا حقٌّ، وفي بعضها باطل، ﴿**لفي شقاق**﴾ خلافٍ ﴿**بعيد(١٧٦)**﴾ عن الحقِّ.

﴿**ليس البرَّ أن تولُّوا**﴾ أي: ليس البرَّ توليتُكم ﴿**وجوهكم قِبَل المشـرق والمغرب**﴾ (لَعَلَّهُ) أي: أن يقوم المصلِّي يصلِّي على غير تقـوى، ﴿**ولكـنَّ البرَّ**

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ما أدومهم».

مَن[1] **آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيِّين، وآتى المال على حبِّه﴾** قيل: إنَّ الهاء راجعة إلى المال، الذي أعطى المال في حال صحَّته وحجيَّته المالَ؛ وقال ابن مسعود: «أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر». وقيل: هي عائدة إلى الله، أي على حبِّ الله [٤٢]، **﴿ذوي القربى واليتامى﴾** المراد الفقراء من ذوي القربى، واليتامى المحتاجين، **﴿والمساكين وابن السبيل﴾** المسافر المنقطع عن ماله، (لَعَلَّهُ) وفي خ[2] ابن السبيل المسافر الذي انقطع عنه ما يكفيه في سفره، وسمِّي ابن السبيل لملازمته له، و(لَعَلَّهُ)الضيف، صرَّح بِهِ السلف؛ **﴿والسائلين وفي الرقاب﴾** في معاونة المكاتبين إذا كانوا أهلا لذلك، وأنت أهل للبذل، **﴿وأقام الصلاة﴾** المكتوبة، **﴿وآتى**[3] **الزكاة﴾** المفروضة، قيل: هو توكيد للأوَّل، وقيل: المراد بالأوَّل نوافل الصدقات والمبارُّ، **﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾** الله والنَّاس، **﴿والصابرين في البأساء﴾** الشدائد، **﴿والضرَّاء﴾** المرض والزمانة[4]، **﴿وحين البأس﴾** وقت القتال؛ **﴿أولَئِكَ الذِينَ صدقوا﴾** (لَعَلَّهُ) إيمانهم اللَّفظيَّ باتِّباع

---

١ - في الأصل: - «مَن»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّه يقصد بالحرف "خ" «نسخة».

٣ - في الأصل: «وإيتاء»، وهو خطأ.

٤ - الزمانة: الآفة، قال في اللسان: «والزمانة آفة في الحيوانات، ورجل زمِنٌ أي مبتلى بيِّن الزمانة. والزمانة: العاهة. زمِنَ يزمَن زمَنا وزُمْنةً وزَمانة فهو زَمِنٌ، والجمع: زَمِنون؛ وزمِينٌ والجمع: زَمْنَى، لأنَّه جنس للبلايا التي يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون...». ابن منظور: لسان العرب، ٤٩/٣

الحقِّ وطلب البرِّ وترك الشهوات، ﴿**وأُولَئِكَ هم المتَّقون(١٧٧)**﴾ عن الكفر وسائر الرذائل؛ والآيَة كما ترى جامعة للكمالات الإنسانيَّة بأسرها، دالَّة عليها صريحا وضمنا، فإنَّها بكثرتها وتشعُّبها منحصرة في ثلاثة أشياء: صحَّة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتب عليكم القصاص**﴾ عبارة عن المساواة، ﴿**في القتلى**﴾ المعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى، ﴿**الحرُّ بالحرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فمن عُفي له من أخيه شيء**﴾ أي تُرك له وصُفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص، وهذه توصيَّة للعافي والمعفوِّ عنه جميعا؛ ﴿**فاتِّباعٌ بالمعروف، وأداءٌ إليه بإحسان**﴾ يعني: أن الوليَّ إذا أعطي له شيء من مال أخيه، يعني القاتل بطريق الصلح، فليأخذه بمعروف من غير تعنيف، وليؤدِّه القاتل إليه بلا تسويف، ﴿**ذلك**﴾[1] الحكم المذكور من العفو وأخذ الديَّة؛ ﴿**تخفيف من ربِّكم ورحمة**﴾ فإنَّه قيل: كان في التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفوُ (لَعَلَّهُ) بِغيرِ بَدَلٍ لا غير؛ وأبيحَ لنا[2] القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا؛ ﴿**فمن اعتدى بعد ذلك**﴾ التخفيف، فيجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل، أو القتل بعد أخذ الديَّة، ﴿**فله عذاب أليم(١٧٨)**﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ لكلام فصيح [كَذَا] لما فيه من الغرابة، إذ

---

١ - في الأصل: «ذلكم»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «النا»، وهو خطأ.

القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جُعل طِراقا للحياة، (لَعَلَّهُ) لأنَّ بالمجازاة يكفُّ الخلق بعضهم عن بعض الاعتداءَ، لأنَّ أكثرهم لا يردعهم خوف الله تعالى، لأنَّه إذا همَّ بالقتل فعلم أنَّه يقتصُّ منه، فارتدع سلِم صاحبه من القتل، وسلم هو من القوَد، [٤٣] فكان القصاص سبب حياة نفسين؛ وقيل: كانوا في الجاهليَّة يقتلون بالمقتول غير قاتله، فتثور الفتنة ويقع بينهم التناصر؛ وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بيِّنة، لأنَّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص، حياة عظيمة، ﴿**يا أولي الألباب لَعَلَّكُم تتَّقون(١٧٩)**﴾ تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به، وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمَّة ومن يقوم مقامهم بذلك.

﴿**كُتب عليكم إذا حضر أحدَكم الموتُ**﴾ أي: إذا دنا منه وظهرت أماراته، ﴿**إن تَركَ خيرا**﴾ مالا كثيرا، وسمِّي خيرا لأنَّه يُعين على الوصول إلى دار الخير وهي الجنَّة، كما سمِّيت نعمة الدنيا نعمة لأنَّها توصل إلى النعمة الأبديَّة. ﴿**الوصيَّة للوالدين والأقربين بالمعروف**﴾ (لَعَلَّهُ) أي: الشيء الذي يعرف العقلاء أنَّه لا جور فيه ولا حيف، ﴿**حقًّا على المتَّقِينَ(١٨٠)**﴾ أي: حقٌّ ذلك على أهل التقوى.

﴿**فمن بدَّله بعدما سمعه فَإِنَّمَا إثمه على الذِينَ يبدِّلونه**﴾ قيل: إنَّه الورثة والوصيُّ، أو أحدهما، ﴿**إنَّ الله سميع عليم(١٨١)**﴾.

﴿**فمن خاف من موصٍ جنفا**﴾ ميلا عن الحقِّ بالخطإ في الوصيَّة، ﴿**أو إثما**﴾ تعمُّد للحيف، ﴿**فأصلح بينهم فلا إثم عليه إنَّ الله غفور رحيم(١٨٢)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتب**﴾ أي فُرض ﴿**عليكم الصيام كما كُتب على الذِينَ من قبلكم لَعَلَّكُم تتَّقون(١٨٣)**﴾ المعاصي بالصيام، فالصائم أَمنَعُ لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء؛ ﴿**أيَّاما معدودات فمن كان منكم مريضا**﴾ لا يقدر أن يصوم، أو يخاف من الصوم زيادةَ المرض، ﴿**أو على سفر فعدَّة من أيَّام أُخَر**﴾ قال أبو سعيد: «ولا يخرج في معنى الاعتبار في الإفطار، إلاَّ بمعنى صرف المشقَّات، وكذلك القصر في الصلاة». ﴿**وعلى الذِينَ يُطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ قيل: الإطعام منسوخ، وليس على العبد إلاَّ الصيام إن قدر، وإن لم يقدر فلا إطعام عليه؛ وقيل: إذا عجز عنه صيم عنه وأُطعم عنه؛ ﴿**فمن تطوَّع خيرا**﴾ فزاد على مقدار الفدية، ﴿**فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون(١٨٤)**﴾.

﴿**شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبَيِّنَات من الهدى والفرقان**﴾ أي أُنزل هداية للناس إلى الحقِّ، وهو آيات واضحات مكشوفات مِمَّا يهدي إلى الحقِّ، ويفرِّق بين الحقِّ والباطل؛ ذَكَر أَوَّلاً أنَّه هدي، ثُمَّ ذكر أنَّه من جملة ما هدى به الله، وفرق به بين الحقِّ والباطل من وحيه وكتبه السماويَّة الفارقة بين الهدى والضلال؛ ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدَّة من[1] أيَّام أخر يريد الله بكم اليسر**﴾ فيما تعبَّدكم به، لأنَّ دينه كلَّه يسرٌ لأوليائه، وكلَّه مشقَّة على أعدائه، ﴿**ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدَّة** [٤٤] **ولتكبِّروا الله على ما هداكم**﴾

١ - في الأصل: - «مِن»، وهو خطأ.

ولتعظّموا الله عَلَى ما هداكم من أمر دينه، ﴿**ولَعَلَّكُم تشكرون(١٨٥)**﴾ كي تشكروا.

﴿**وإذا سألك عبادي عنّي فَإِنّي قريب**﴾ عِلما وإجابة، لتعاليه عن القرب مكانا وهو قريب لمن سأل؛ ﴿**أجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي**﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أنّي أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم، ﴿**وليؤمنوا بي لَعَلَّهُمْ يرشدون(١٨٦)**﴾ كأنَّ إجابة الدعوة مستجابة لمن استجاب لله تعالى فيما أوجبه عليه، لأنَّه قال: ﴿وإذا سألك عبادي﴾ كأنَّه الذِينَ يعبدونه ولا يشركون به شيئًا، ثُمَّ قال: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ فصحَّ ذلك للمؤمنين المستجيبين لله تعالى، وقال في آيَة أخرى: ﴿وما دعاء الكافرين إِلاَّ في ضلال﴾[1].

﴿**أُحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَث**﴾ الجماع ﴿**إلى نسائكم**﴾ زوجاتكم وإمائكم، ﴿**هنَّ لباس لكم وأنتم لباس هنَّ**﴾ قيل: لباس أي ستر عن الحرام، ﴿**علم الله أَنَّكُمْ كنتم تختانون أنفسكم**﴾ تظلمونها بالجماع وتنقصون حظَّها من الخير، والاختيان: مِن الخيانة، كالاكتساب: من الكسب، ﴿**فتاب عليكم**﴾ حين تبتم، ﴿**وعفا عنكم**﴾ ما فعلتم قبل الرخصة، ﴿**فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حَتَّى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثُمَّ أتمُّوا الصيام إلى الليل ولا تباشروهنَّ وأنتم عاكفون في المساجد**﴾ العكوف: هو الإقامة على الشيء،

١ - سورة الرعد: ١٤.

والاعتكاف في الشرع: هو الإقامة في المسجد على عبادة الله؛ ﴿**تلك حدود الله**﴾ حدود الله ما منع الله عنها من مخالفتها، ﴿**فلا تقربوها**﴾ نهى أن نقرب الحدَّ الحاجز بين الحقِّ والباطل لئلاَّ يُدانَى الباطل فضلا أن يُتخطَّاه، كما قال النبيﷺ: «*إنَّ لِكُلِّ ملك حمى وحمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه*»[1]، وهو أبلغ من قوله: «فلا تعتدوها»، ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه؛ ﴿**كذلك يُبيِّن الله آياته**﴾ شرائعه، ﴿**للناس لَعَلَّهُمْ يتَّقون(١٨٧)**﴾.

﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم**﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض، ﴿**بالباطل**﴾ أصل الباطل الشيء الذاهب بالوجه الذي لم يحبَّه الله ولم يشرِّعه، ﴿**وتدلوا بها إلى الحكَّام**﴾ ولا تلقوا أمرها إلى الحكَّام، ﴿**لتأكلوا**﴾ بالتحاكم، ﴿**فريقا**﴾ طائفة ﴿**من أموال النَّاس بالإثم وأنتم تعلمون(١٨٨)**﴾ أنَّكم على الباطل، وارتكابُ المعصية مع العلم بقبحها أقبحُ، وصاحبه بالتوبيخ أحقُّ.

﴿**يسألونك عن الأهلَّة قل هي مواقيت للناس والحجِّ**﴾ أي معالم يؤقَّت

---

١ - رواية البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ». ورواه البخاري، في كتاب الإيمان، حديث رقم ٥٠، وفي كتاب البيوع؛ ورواه مسلم في كتاب المساقاة؛ والترمذيُّ في كتاب البيوع، وغيرهم.&

بها النّاس مزارعهم [٤٥] ومتاجرهم ومحالَّ ديونهم وصومهم وفطرهم وزكاتهم، وعِدَد نسائهم وحيضهنَّ، ومُدد حملهنَّ وغير ذلك؛ ومعالم الحجِّ يعرف بها وقته، ﴿**وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنَّ البِرَّ من اتَّقَى وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ أي باشروا الأمور من وجوهها التي تحب أن تباشر منها، أيَّ الأمور كان، ولا تعكس انعكاسا على أمِّ الرأس، كقوله: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه﴾[1]. ﴿**واتَّقوا الله**﴾ فيما تعبَّدكم به ﴿**لَعَلَّكُم تفلحون(١٨٩)**﴾ لتفوزوا بالنعيم السرمديِّ.

﴿**وقاتلوا في سبيل الله**﴾ لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، ﴿**الذِينَ يقاتلونكم**﴾ الكفرةَ كلَّهم، بعد الدعوة إلى أن يرجعوا إلى ما خالفوا فيه الحقَّ، حتَّى يكون الدين كلُّه لله لا شريك له فيه، ويدخل في هذا الخطاب مقاتلة الأعداء[2] الباطن إبليس وأعوانه، حتَّى لا يتابَعوا فيما يوسوسون فيه، ﴿**ولا تعتدوا**﴾ بترك ما أمرتم به وفعل ما نهيتم عنه؛ وقيل: ولا تعتدوا بقتال من نُهيتم عن قتاله، أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة، ﴿**إنَّ الله لا يحِبُّ المعتدين(١٩٠)**﴾ ما حدَّه وفرضه.

﴿**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**﴾ وجدتموهم، والثقف: وجود على وجه الأخذ والغلبة، ﴿**وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**﴾ من مكَّة وغيرها، ﴿**والفتنة أشدُّ من القتل**﴾ والفتنة هاهنا: فعل معصية الله ظاهرًا بين ظهراني

---

١ - سورة الملك: ٢٢.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أعداءِ»، بالتنكير عَلَى أنَّهُ مضاف.

الإسلام، مع القدرة على تغييرها وإنكارها، وهي أشدُّ من قتال فاعليها، لأَنَّ ذلك يرجى انكشافها[1]، ويطاع الله ولايعصى إلاَّ سريرة، فإنَّ ذلك لايضرُّ إلاَّ فاعلها. ﴿**ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حَتَّى يقاتلوكم فيه**﴾ أي ولا تبدأوا بقتالهم في الحرم حَتَّى يبتدئوا. ﴿**فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين(١٩١)**﴾.

﴿**فإن انتهوا**﴾ عن معاصي الله، ﴿**فإنَّ الله غفور**﴾ لِمَا سلف من ذنوبهم ﴿**رحيم(١٩٢)**﴾ بقبول توبتهم.

﴿**وقاتلوهم حَتَّى لا تكون فتنة**﴾ معصية يجب إنكارها، ﴿**ويكون الدين لله**﴾ خالصا، ليس للشيطان نصيب، أي لا يعبد دونه شيءٌ ظاهرا: هوى ولا شيطان ولا نفس ولا دنيا، ﴿**فإن انتهوا فلا عدوان إلاَّ على الظالمين(١٩٣)**﴾ أنفسهم بحبِّ الأدنى.

﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام**﴾ أي: وهذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه، يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم، ﴿**والحرمات قصاص**﴾ أي: كلّ حرمة يُجزِي يُجزِي[2] فيها القصاص، مَن هَتَك حرمة ــ أيَّ حرمة كانت ــ اقتُصَّ منه بِأَن تهتك له حُرْمَةٌ[3]، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم [٤٦] نحو ذلك؛ وأكّد ذلك بقوله: ﴿**فمن**

---

١ - في الأصل: «انكشفافهاها».

٢ - كذا في الأصل: والصواب - «يجزي».

٣ - يمكن أن نقرأ: «حُرَمَةُ».

اعتدى عليكم فاعتدوا عليــه بمثـل مـا اعتـدى عليكـم﴾ أي: بعقوبـة مماثلـة لعداواتهم. **﴿واتّـقوا الله﴾** في ما حدَّه وفرضه وبيَّـنه، **﴿واعلموا أنَّ الله مـع المُـتَّقِينَ(١٩٤)﴾** بالنصر والتوفيق.

﴿وأنفقـوا في سـبيل الله﴾ في رضـى ا لله، **﴿ولا تلقـوا بـــأيديكم إلى التهلكة﴾** التهلكة كُلُّ مـا عاقبتـه إلى الهـلاك، معنـاه أنَّ ذلـك العبـد إذا واقـع المعصية أو السيِّئة، ثُمَّ تعرض له معصية أخرى فيركبها من أجل فعلـه المعصيـة السابقة منه، ثُمَّ يمضي قدمـا بـترك الطاعـات للمعصيـة الماضيـة منـه، ويركـب المعاصي للمعصية التي سبقت منه، فذلك هو إلقاؤه بيده إلى التهلكة. وحثّه مع ذلك وأَمَره فقال: **﴿وأحسنوا﴾** أي وتوبوا من المعصية كلِّها الأولى والآخـرة، ولا تتركوا شيئًا من الطاعة لمعصيــة، ولا تركبـوا شيـئًا مـن المعصيـة لمعصيـة، **﴿إنَّ الله يحِبُّ المحسنين(١٩٥)﴾** لأنفسهم بالطاعة.

﴿وأتمُّوا الحجَّ والعمرة لله﴾ أدُّوهما تامَّين بشرائطهما لوجـه ا لله بـلا تـوان، **﴿فإن أحصرتم﴾** يقال: أحصر فلان إذا منعه أمر، من خوف أو مـرض أو عجـز، وحُصر إذا حبسه عدوٌّ عن المضيِّ، وعندنا الإحصار يثبت لِكُلِّ منع كـان، لظـاهر النصِّ. **﴿فما استيسر من الهدْيِ﴾** يعـني فـإن مُنعتـم مـن المضـيِّ إلى البيـت وأنتـم محرِمون لحجٍّ أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلُّل ما استيسر من الهـدي، مـن بعير أو بقرة أو شاة، **﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتَّى يبلـغ الهـدي محلَّه﴾** أي لا تحلقـوا[1] الرأس حتَّى تعلموا أنَّ الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محلَّه. **﴿فمن كـان منكـم**

١ - في الأصل: «تحلق تحلق».

مريضا﴾ فمن كان به مرض يحوِّجه إلى الحلق، **﴿أو به أذى من رأسه﴾** وهو القمَّل أو الجراحة، **﴿ففدية من صيام﴾** ثلاثة أيَّام **﴿أو صدقة﴾** ستَّة مساكين، **﴿أو نسك﴾** شاة؛ **﴿فإذا أمنتم﴾** الإحصار، **﴿فمن تمتَّع﴾** استمتع **﴿بالعمرة إلى الحجِّ﴾** استمتاعه باستباحة ما كان محرَّما عَلَيه إِلىَ أَنْ يحرِم بالحجِّ، **﴿فما استيسر من الهدي﴾** هدي المتعة، **﴿فمن لم يجد﴾** المتعة، **﴿فصيام ثلاثة أيَّام في الحجِّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن[1] أهله حاضري المسجد الحرام واتَّقوا الله﴾** فيما تعبَّدكم به، **﴿واعلموا أنَّ الله شديد العقاب(١٩٦)﴾** لمن لم يتَّقه.

﴿الحجُّ أشهر معلومات﴾[٤٧][2]، معروفات عند النَّاس لا يشكلن عليهم، ولا يحتجن إلى تخصيص بتفسير. **﴿فمن فرض فِيهِنَّ الحجَّ[3]﴾** ألزم نفسه بالإحرام فِيهِنَّ، **﴿فلا رفث﴾** وهو الجماع وما تولَّد من أسبابه، **﴿ولا فسوق﴾** هو المعاصي، **﴿ولا جدال في الحجِّ﴾** ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكَّارين ولا غيرهم، وإنَّما أمر باجتناب ذلك ـ وهو واجب الاجتناب في كلِّ حال ـ لأنَّه مع الحجِّ أسمج، أي: أقبح، كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن، ثُمَّ حثَّ على فعل الخير عُقَيب النهي عن الشرِّ،

---

١ - في الأصل: - «يكن»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل إعادة لفقرة سابقة من ١٦ سطرا، وتبدأ بـ: «التهلكة كلُّ ما عاقبته إلى الهلاك...»، وتنتهي بقوله: «... لمن لم يتَّقه. ﴿الحجُّ أشهر معلومات﴾».

٣ - في الأصل: - «الحج»، وهو خطأ.

وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسَن، ومكان الفسوق البرَّ والتقوى، ومكان الجدال الوفاق وحسن الأخلاق، فقال: ﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾ واعلموا بأنَّه عالم به يجازيكم عليه. وقيل: كان أهل اليمن لا يتزوَّدون ويقولون: نحن متوكِّلون، فيكونون كَلاًّ على النَّاس فنزل فيهم: ﴿**وتزوَّدوا**﴾ أي: وتزوَّدوا واتَّقوا الاستطعام وإبرام النَّاس والتثقيل عليهم. ﴿**فإنَّ خير الزاد التقوى**﴾ أي الاتِّقاء عن الإبرام والتثقيل، وتزوَّدوا للمعاد باتِّقاء المحظورات[1] فإنَّ خير الزاد اتِّقاؤها، ﴿**واتَّقون**﴾[2] وخافوا عقابي ﴿**يا أولي الألباب(١٩٧)**﴾ فإن قضيَّة اللُّبِّ تقوى الله، ثُمَّ أمرهم بِأَنَّ المقصود منها هو الله فتبرَّأوا عن كلِّ شيء سواه، وهو مقتضى العقل المعرَّى عن شوائب الهوى، فلذلك خصَّ أولي الألباب بهذا الخطاب.

﴿**ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا**﴾ في موسم الحجِّ، ﴿**فضلا من ربِّكم**﴾ عطاء منه وتفضُّلا [٤٨] وهو النفع والربح في التجارة والكراء. ﴿**فإذا أفضتم**﴾ دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبُّه، ﴿**من عرفات فاذكروا الله**﴾ بالتلبية والتهليل والتكبير أو بصلاة المغرب، ﴿**عند المشعر الحرام**﴾ والمشعر: العَلَم، لأنَّه معلم للعبادة، ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾ أي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة، واذكروه كما علَّمكم، ﴿**وإن كنتم من قَبلِه**﴾ من قبل الهدَى ﴿**لمن الضالين(١٩٨)**﴾ الجاهلين، لا تعرفون كيف تذكرونه.

---

١ - في الأصل: «المحصورات»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «وتقون»، وهو خطأ.

﴿ثُمَّ أفيضوا من حيث أفاض النَّاس واستغفروا الله﴾ لذنوبكم، أو من التقصير في أعمال الحجِّ، ﴿إنَّ الله غفور رحيم(١٩٩)﴾ بكم.

﴿فإذا قَضيتم مناسِكَكم﴾ عباداتكم التي أمرتم بها في الحجِّ، ﴿فاذكروا اللهَ كَذِكْرِكُم آباءَكم﴾ أي فاذكروا الله ذكرا، مثل ذكركم آباءكم، والمعنى: فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه، كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيَّامهم. ﴿أو أشدَّ ذكرا﴾ أي: أكثر من ذكر الآباء والدنيا كلِّها، لأنَّه إذا أحبَّ شيئًا أكثر ذكرَه بلسانه وبقلبه، وإذا أُمِروا أن يذكروا الله كذكرهم آباءهم بعد فراغهم من مناسكهم فكيف ما داموا في حالها!. ﴿فمن النَّاس من يقول﴾ فمن الذِينَ يشهدون الحجَّ من يسأل الله حظوظ الدنيا للتمتُّع بها لا غير، ولا يسأله لأمر آخرته. ﴿رَبَّنَا آتنا في الدنيا﴾ أي اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصَّة يعني: الجاه والغنى للتمتُّع لا للتزوُّد، ولم يسألوه حسنة كما سأله المؤمنون، لأنَّهم لا يريدون بسؤالهم الآخرة، ولأنَّ الحسنة من الطاعة، وهؤلاء مقتصرون على الحظوظ العاجلة، ويحتمل هذا السؤال منهم بلسان المقال، ويحتمل بلسان الحال. ﴿وما له في الآخرة من خَلاَق(٢٠٠)﴾ من نصيب.

﴿ومنهم من يقول رَبَّنَا آتنا في الدنيا حسنة﴾ عافية ومالا وعلما وعبادة وتوفيقا عليهما، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ عفوا ومغفرة وجنَّة، ﴿وقِنا عذابَ النار(٢٠١)﴾ اِحفظنا من عذاب جهنَّم، لأنَّهم كانوا وجلون منها، ﴿أولئك﴾ الداعون بالحسنتين، ﴿لهم نصيب مِمَّا كسبوا﴾ من أعمالهم ، الحسنة، أو إنَّ لِكُلٍّ فريق نصيبا من جنس ما كسبوا. ﴿والله سريع

الحساب(٢٠٢)﴾ يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد، فبادروا [إلى] إكثار الذكر وطلب الآخرة؛ ووصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدلَّ على كمال قدرته، ووجوب الحذر من نقمته.

﴿واذكروا الله في أيَّام معدودات﴾ أيَّام التشريق، وقيل: المعلومات هنَّ العشر، والمعدودات هنَّ أيَّام التشريق، وقيل: المعلومات والمعدودات هنَّ أيَّام العشر والتشريق. **﴿فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخَّر فلا إثم عليه لمن اتَّقى﴾** الصيدَ والرفثَ والفسوق، أي مخيَّر في التعجُّل والتأخُّر، وإن كان التأخُّر أفضل، فقد يقع التخيير بين الفاضل والأفضل، كما خُيِّر المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل. **﴿واتَّقوا الله﴾** في جميع الأمور، **﴿واعلموا أنَّكُمْ إليه تحشرون(٢٠٣)﴾** لأنَّ من علم بذلك علما لا شكَّ أخلص العمل لله.

﴿ومن النَّاس من يعجبك﴾ يروقك ويعظم في قلبك، ومنه "الشيء العجيب" الذي يعظم في النفس، **﴿قوله في الحياة الدنيا﴾** بلسان مقاله، أو بلسان حاله، والآية في المنافقين. **﴿ويُشهِد الله على ما في قلبه﴾** يحلف ويقول: الله شاهد على ما في قلبي من محبَّتك ومن الإسلام، أو يشهد الله بِعَمَله الذي هو خلاف قوله أو اعتقاده بقلبه، **﴿وهو ألدُّ الخصام(٢٠٤)﴾** شديد الجدال والعداوة [٤٩] للمسلمين. والخصام: المخاصمة، ويشهد عليه بذلك لسان حاله؛ ويشهد عليه بذلك قوله: **﴿وإذا تولَّى﴾** عنك وذهب بعد إلاَنَة القول، **﴿سعى في الأَرْض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾** الزرع

والحيوان، أو إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاّة السوء، من الفساد في الأَرْض بإهلاك الحرث والنسل؛ وقيل يظهر الظلم حتّى يمنع الله بشؤمِ ظلمِه القطرَ فيهلك الحرث والنسل. ﴿**والله لا يحِبُّ الفساد(٢٠٥)**﴾.

﴿**وإذا قيل له اتَّقِ الله**﴾ في الإفساد والهلاك، ﴿**أخذته العِزَّة بالإثم**﴾ حملته النخوة وحميَّة الجاهليَّة على الإثم الذي ينهى عنه، وألزمته ارتكابه، وأخذته العزَّة من أجل الإثم الذي في قلبه. ﴿**فحسبه جهَنَّم**﴾ أي كافيه، ﴿**ولبئس المهاد(٢٠٦)**﴾ الفراش.

﴿**ومن النَّاس من يشري نفسه**﴾ يبيعها، ﴿**ابتغاء مرضاة الله**﴾ لم يكن منه سعي إلاَّ ابتغاء مرضاته، كالعبد المملوك الذي لا يملك شيئًا، ماله ونفسه لمولاه ليس لنفسه ولا لهواه منه شيء إلاَّ ما كان من الحقِّ. ﴿**والله رءوف بالعباد(٢٠٧)**﴾ الذِينَ شروا أنفسهم لله.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم**﴾ وهو الاستسلام والطاعة لله، ﴿**كافَّة**﴾ لا يخرج أحد منكم بُدَّه عن طاعته، أو يدخلوا في الطاعات كلِّها. ﴿**ولا تتَّبعوا خطوات الشيطان**﴾ وساوسه، ﴿**إنَّهُ لكم عدوٌّ مبين(٢٠٨)**﴾ ظاهر العداوة.

﴿**فإن زللتم**﴾ مِلتم عن الدخول في السِّلم، ﴿**من بعد ما جاءتكم البَيِّنَات**﴾ أي الحجج الواضحة، ﴿**فاعلموا أنَّ الله عزيز**﴾ غالب لا يمنعه شيء من عذابكم، ﴿**حكيم(٢٠٩)**﴾ لا يعذِّب إلاَّ بحقٍّ. وروي أنَّ قارئا * قرأها: «غفور رحيم» فسمعه أعرابيٌّ لم يقرأ القرآن فأنكره، وقال: ليس هذا

كلام ا لله إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان. *

﴿**هل ينظرون**﴾ ما ينتظرون، ﴿**إلاَّ أن يأتيهم الله**﴾ أي أمره وبأسه، أي لا يقلعون من الزلل إلى أن يأتيهم أمر ا لله، ﴿**في ظُلل**﴾ جمع ظلّة وهو ما أظلّك، ﴿**من الغمام**﴾ يحتمل هذا أن يكون مجازا، والغمام في الحقيقة سكرات الموت، ﴿**والملائكة**﴾ بقبض أرواحهم، ويحتمل ﴿في ظُلل من الغمام﴾ في حال جهلهم وعصيانهم وسكراتهم بسبب شهواتهم، أو يأتيهم أمر ا لله في غير حال تخوف، وا لله أعلم بتأويل كتابه. ﴿**وقضي الأمر**﴾ بقضاء آجالهم، وتمَّ أمر هلاكهم، وهو فرع منه. ﴿**وإلى الله ترجع الأمور(٢١٠)**﴾ أي أنَّه ملّك العباد بعض الأمور ملكا وهميًّا لا ثباتَ له ولا حقيقة، والحقيقة بِأنَّ مرجع الأمور إليه يوم النشور.

﴿**سل بني إسرائيل**﴾ سؤال تقريع كما يُسأل الكفرة يوم القيامة. ﴿**كم آتيناهم من آية بيِّنة**﴾ واضحة، ﴿**ومن يبدِّل نعمة الله**﴾ هي آياته هي العلم، وهو أجلُّ نعمة من ا لله، لأنَّه أسباب الهدى من الضلالة والنجاة من الهلاك والغنى من الفقر والسلامة من العذاب في الحياتين، وتبديلهم إيَّاها أنَّ ا لله أتاهم بها ليكون أسباب هداهم، فجعلوها أسباب ضلالتهم وكفرهم، كقوله: ﴿فزادتهم رجسا إِلَى رجسهم...﴾ الآيَة[1]. ﴿**من بعد ما جاءته**﴾ من بعد ما عَرَفها وتمكّن

---

١ - سورة التوبة: ١٢٥. وتمامها: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأمَّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأمَّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾.

من معرفتها وصحَّت عند، لأنَّه إذا لم يعرفها ويعرف المُرَاد بها فكأنَّها غائبة عنه. ﴿**فإنَّ الله شديد العقاب(٢١١)**﴾ له في الدارين.

﴿**زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا**﴾ حسنت في أعينهم، وسرت محبَّتها في قلوبهم حتَّى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها، والمزيِّن في الحقيقة هو الله إذ ما من شيء إلاَّ وهو فاعله؛ وقيل: المزيِّن هو الشيطان زيَّنها لهم وحسَّنها في أعينهم بوساوسه، وحبَّبها إليهم فلا يريدون غيرها غيرها[1]. ﴿**ويسخرون من الذِينَ آمنوا**﴾ يريد فقراء المؤمنين، أي يسترذلونهم ويستهزؤون بهم ويسفِّهونهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى، ﴿**والذِينَ اتَّقَوْا فوقَهم يوم القيامة**﴾ لأنَّهم في علّيِّين وهم في [٥٠] أسفل سافلين، ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب(٢١٢)**﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿**كان النَّاس أُمَّة واحدة**﴾ قال أبو سعيد: «فجاء في التأويل أنَّهم كانوا أمَّة واحدة في معرفته تبارك وتعالى، يعبدونه بمعرفته ولم يكن لهم غير ذلك قبل أن يبعث الله الرسل، ولم يكن لهم في مخالفة ذلك ولا الشكُّ فيه ولا في شيء منه إلاَّ بالاعتراف له بآياته وشواهد فضله وعدله وقدرته وحكمته وما أظهر من آياته، ولم يكونوا قبل ذلك ليبلغوا إلى ما لم يأتهم به الرسل من الأمر والنهي الذي يتعبَّدهم الله به، ولا بالكتب التي ينزِّلها الله عليهم، ولا بالرسل التي يرسلها الله إليهم، وإنَّما كانت العبادة له قبل الرسل له تبارك وتعالى، بصحَّة المعرفة له وإخلاص الطاعة له، والعبادة بالاستسلام له والإيمان به

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: - «غيرها».

وبآياته. قال ا لله تبارك تعالى: ﴿كان النّاس أمّة واحدة﴾ على هذا فاختلفوا في عبادته قبل أن يرسل إليهم الرسل، منهم الشاكُّ ومنهم الجاحد ومنهم المعطّل ومنهم العابد معه غيرَه. قال: ﴿فبعث ا لله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بِالْحَقِّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه﴾ فجاءت الرسل والكتب عن ا لله مبشِّرة لمن أطاعه وعبده، وشاهدة له بالصواب والثواب؛ ومنذرة لمن عصاه وشاهدة عليه بباطله ومخالفته، وبالعقاب على ذلك. **﴿فبعث الله النبيّين مبشّرين﴾** المؤمنين بالثواب، **﴿ومنذرين﴾** الكافرين بالعقاب، **﴿وأنزل معهم الكتاب﴾** مع كلِّ واحد كتابه، **﴿بِالْحَقِّ ليحكم﴾** ا لله أو الكتاب أوالنبيء المنزَّل عليهم. **﴿بين النّاس فيما اختلفوا فيه﴾** في دين الإسلام، **﴿وما اختلف فيه إِلاَّ الذِينَ أوتوه﴾** أي الكتاب المنزَّل لإزالة الاختلاف، أي [ما] ازدادوا إِلاَّ اختلافا لـمَّا أنزل عليهم الكتاب. **﴿من بعد ما جاءتهم البَيِّنَات﴾** الواضحات على صدقه، **﴿بغيا بينهم﴾** حسدا بينهم وظلما، لحرصهم على الدنيا وقِلّة الإنصاف منهم. قال الغزالي: "فأنزل ا لله العلم ليجمعهم ويؤلّف بينهم على طاعته فأمرهم أن يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا وتخالفوا إذا[1] أراد كلُّ واحد أن يتفرَّد بالرئاسة وقبول القول فردَّ بعضهم على بعض". **﴿فهدى الله الذِينَ آمَنُوا لِما اختلفوا فيه﴾** أي فهدي ا لله الذِينَ آمَنُوا بالحقِّ الذي اختلف فيه من اختلف، **﴿من الحقِّ بإذنه﴾** بإرادته من أهل طاعته، **﴿والله يهدي من يشاء﴾** فلا هداية إِلاَّ لمن هداه ا لله إلى

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «إِذْ».

الهدى، ولا هدى من ا لله أبدا إلاّ لمن آمن به، ولا يكون مؤمنا إلاّ حتَّى يوافق سبيل الإيمان» هذا من قول أبي سعيد. انتهى. ﴿إلى صراط مستقيم(٢١٣)﴾ أي إلى الحقّ.

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجَنَّة ولمَّا يأتكم﴾ أي: إنَّ إتيان ذلك متوقّع منتظر، ﴿مثل الذِينَ خلوا﴾ مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدَّة؛ ﴿من قبلكم﴾ أي: أخبارهم وما حلَّ بهم من البلوى، ﴿مسَّتهم﴾ بيان للمثل ﴿البأساء﴾ أي: البؤس، ﴿والضرَّاء﴾ المرض والجوع، ﴿وزُلزلوا﴾ وحرِّكوا بأنواع البلايا، وأزعجوا إزعاجًا شديدا شبيها بالزلازلة[1]. ﴿حَتَّى يقول الرَّسُول والذِينَ آمَنُوا معه﴾ إلى الغاية التي قال الرَّسُول ومن معه من المؤمنين: ﴿متى نصر الله﴾ أي: بلغ بهم الضجر و لم يبق لهم صبر، ومعناه: طلب النصر وتميتنه[2] واستطالة زمان الشدَّة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدّة وتماديه في العِظم، لأنَّ الرَّسُول ومن معه مع علوِّ شأنهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حَتَّى ضجروا وضجُّوا، كان ذلك الغاية في الشدَّة التي لا مطمع وراءها، فقيل لهم: ﴿ألا إنَّ نصر الله قريب(٢١٤)﴾ وفيه إشارة إِلَى أنَّ الوصل إلى ا لله والفوز بالكرامة عنده برفض [٥١] الهوى واللّذات ومكابدة الشدائد والرياضات، كما قال عليه السلام:

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بالزلازل»، أو «بالزلزلة».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وتمنّيه».

«حُفَّت الجنَّة بالمكاره، والنار بالشهوات»[1].

﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنَّ الله به عليم(٢١٥)﴾.

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ جميع ما كلَّفه الله العباد تأباه نفوسهم ومكروه في طباعهم وهو مناط صلاحهم، وسبب فلاحهم. **﴿وعسى أن تحبُّوا شيئا وهو شرٌّ لكم﴾** وهو جميع ما نهوا عنه، فالنفس تحبُّه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنَّما قال: «عسى» لأنَّ النفس إذا ارتاضت تنعكس لأمر عليها[كَذَا]، **﴿والله يعلم﴾** ما فيه صلاحكم **﴿وأنتم لا تعلمون(٢١٦)﴾** ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شقَّ عليكم.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله﴾ أي: منع المشركين [له] وأصحابه عن البيت، **﴿وكُفرٌ به﴾** أي بالله، **﴿والمسجد الحرام﴾** عطف على سبيل الله، **﴿وإخراج أهله﴾** أي أهل المسجد الحرام، **﴿منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتَّى يردُّوكم عن دينكم﴾** إخبار عن دوام معاداة المشركين

---

١ - رواه مسلم في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٥٠٤٩. والترمذيُّ في صفة الجنَّة، رقم ٢٤٨٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ مِنْ هَـذَا الْوَجْهِ. وأحمد في باقي مسند المكثرين، والدارميُّ في كتاب الرقاق. وكلُّهم عن أنس بن مالك.

للمسلمين، وأنَّهم لا ينفكُّون عنها حتَّى يردُّوهم عن دينهم. **﴿إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأُولَئِكَ حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأُولَئِكَ أصحاب النار هم فيها خالدون(٢١٧)﴾** سمُّوا أصحابها لأنَّها خلقت لهم وخلقوا لها.

﴿إن الذِينَ آمَنُوا والذِينَ هاجروا﴾ جميع حظوظ النفس، **﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾** جهاد الظاهر والباطن، **﴿أُولَئِكَ يرجون رحمة الله﴾** معناه أُولَئِكَ يستحقُّون أن يرجوا[1] رحمة الله، لأنَّ من رجا طلب، ومن خاف هرب. **﴿والله غفور رحيم(٢١٨)﴾**.

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ بسبب المخالفة لدينه، **﴿ومنافع للناس﴾** بالتجارة في الخمر ونيل المطامع بلا كدٍّ في الميسر، وقيل: ذلك قبل التحريم، **﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** لأنَّ إثمها يخلِّد صاحبه في النار، **﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾** أي: الفضل، أي: أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدُّق بالفضل في أوَّل الإسلام، فنسخ بآيةِ الزكاة، وقيل: العفو القبض [و]الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه من الجهد واستفراغ الوسع، **﴿كذلك يُبَيِّن الله لكم الآيات لَعَلَّكُم تتفكَّرون(٢١٩) في الدنيا والآخرة﴾** فتأخذون بالأصلح والأنفع منهما وتجتنبون ما يضرُّكم فعله ولا ينفعكم عمله، وتتفكَّرون بالحقائق والبواطن لا الأمور الوهميَّة.

---

١ - في الأصل: «أن يرجون»، وَهُوَ خطأ.

﴿**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير**﴾ أي مداخلتهم على وجه الصلاح لهم ولأموالهم خير من محمايتهم[1] وتركهم ضياعا، ﴿**وإن تخالطوهم فإخوانكم**﴾ في الدين لأنَّهم فطروا على الإسلام، ﴿**والله يعلم المفسد**﴾ لأموالهم وأحوالهم، ﴿**من المصلح**﴾ لها، فتجاريه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحرَّوا غير الصلاح ولا تعلموا فيهم إلاَّ به، ﴿**ولو شاء الله لأعنتكم**﴾ لحملكم على العنت وهو المشقَّة، ﴿**إنَّ الله عزيز**﴾ غالب، ﴿**حكيم(٢٢٠)**﴾ لا يكلِّف إلاَّ وسعهم.

﴿**ولا تَنكحوا المشركات حَتَّى يؤمنَّ ولأَمَة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حَتَّى يؤمنوا ولَعبدٌ مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**﴾ ثُمَّ بيَّن علَّة ذلك فقال: ﴿**أُولَئِكَ يدعون إلى النار**﴾ أي يدعون إلى ما يؤدِّي إليها، ﴿**والله يدعو إلى الجَنَّة والمغفرة بإذنه وَيُبَيِّن آياته للناس لَعَلَّهُمْ يتذكَّرون(٢٢١)**﴾ فيتَّعظون.

﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى [٥٢] فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهنَّ حَتَّى يطهرن فإذا تطهَّرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحِبُّ التوَّابين**﴾ التوَّاب كلَّما أذنَب تاب، ﴿**ويحبُّ المتطهِّرين(٢٢٢) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم وقدِّموا لأنفسكم واتَّقوا الله واعلموا أنَّكم ملاقوه وبشِّر المؤمنين(٢٢٣)**﴾.

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بمجانبتهم».

﴿**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم**﴾ ولا تجعلوه حاجزا لِمَا حلفتم عليه، أي ولا تجعلوا الحلف با لله مانعا لكم من البرِّ والتقوى، ﴿**أن تبرُّوا وتتَّقوا وتصلحوا بين النَّاس**﴾ بقولٍ يدخل بين النَّاس بالصلح ويبرُّ قسمه، ولا يقبل باليمين فلا يصلح بين النَّاس ولكن يصلح ويكفِّر يمينه[1]، ﴿**والله سميع عليم(٢٢٤) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم**﴾ قيل: هو أن يحلف على شيء يظنُّه على ما حلف عليه والأمرُ بخلافه، ﴿**ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ كسبُ القلب العقد والنيَّة. ﴿**والله غفور حليم(٢٢٥)**﴾.

﴿**للذين يؤلون مِن نسائهم تربُّص أربعة أشهر فإن فاءوا فإنَّ الله غفور رحيم(٢٢٦) وإن عزموا الطَّلاَق فإنَّ الله سميع عليم(٢٢٧)**﴾.

﴿**والمطلَّقات يتربَّصن بأنفسهنَّ ثلاثة قروء ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنَّ**﴾ قيل: كان الرجل إذا طلَّق زوجته ثلاثا في أوَّل الإسلام كان أحقَّ بردِّها ما كانت في العدَّة، ثُمَّ نسخت هذه الآيَة بقوله: ﴿الطَّلاَق مرَّتان﴾. ﴿**إن كنَّ يُؤمنَّ بالله واليوم الآخر وبعولتهنَّ أحقُّ بردِّهنَّ**﴾ فيما جعل ا لله عليهنَّ من العدَّة للأزواج في الطَّلاَق، فيما لا يبلغ إلى علمه إِلاَّ بعولتهنَّ من انقضاء[2] عدَّتهنَّ وغير انقضائها، فلا يحلُّ لها أن تقول: إنَّ عدَّتها قد انقضت بحيض أو بولادة، فيما يمكن صدقُ قولها في ذلك، وهي

---

١ - كذا في الأصل، والعبارة غير واضحة المعنى.

٢ - في الأصل: «النقصاء»، ولا معنى له.

لم تنقـض عدَّتهـا فتكـون... (١)؛ **﴿في ذلـك إن أرادوا إصلاحًـا﴾** وَهُـوَ المعشارة[2] بالمعروف، **﴿ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ﴾** ويجب لهنَّ من الحقِّ على الرجال و[3]المهر والنفقة، وحسن العشرة وترك المضارَّة، مثل الـذي يجب لهم عليهنَّ، من الأمر والنهي؛ **﴿بالمعروف﴾** بالوجه الـذي لا يُـنكر في الشرع وعاداتِ النَّاس، فلا يكلِّف أحد الزوجين صاحبَه ما ليس له؛ والمُرَاد بالمماثلة: الواجبُ في كونه حسنةً لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له، أن يفعل نحو ذلك، ولكن تقابله بما يليق بالرجال[4].

﴿وللرجال عليهنَّ درجة﴾ زيادة في الحقِّ، وفضيلة بالقيام بأمرها، وإن اشتركا في اللذَّة والاستمتاع، أو بالإنفاق وملك النكاح، وقيل: بالعقل، وقيل: بالطَّلاَق، وقيل: بالرجعة، وقيل غير ذلك، **﴿والله عزيزٌ﴾** لا يُتعرَّض عليه في أموره، **﴿حكيم(٢٢٨)﴾** لا يأمر إلاَّ بما هو صواب وحسن.

﴿الطَّلاَق مرَّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مِمَّا آتيتموهن شيئا إلاَّ أن يخافا ألاَّ يقيما حدود الله﴾ إلاَّ أن يعلم الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من واجب الزوجيَّة، لِمَا يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها، **﴿فإن خفتم ألاَّ يقيما حدود الله فلا جُناح**

---

١ - في العبارة سقط واضح.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «المعاشرة».

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «و».

٤ - لَعَلَّ الأصوب: «ولكن يقابلها بما يليق بالنساء».

عليهما فيما افتدت بـه﴾ قيـل: إنَّ ذلـك في الخلـع علـى سـبيل مـا يرجـو أنَّ الطاعة في ذلك، والخروج من المعصية، فلا جناح عليـه أن يقبـل فِديتَهـا مـا لم تردَّ عليه أكثر بما نقدها مِمَّا تَدَعُ له مِمَّا عليه لها؛ **﴿تلك حُـدود الله﴾** أي مـا حدَّ من النكاح واليمين والإيلاء والطَّلاَق والخلع وغير ذلك، **﴿فلا تعتدوها﴾** فـلا تجاوزوهـا بالمخالفـة، **﴿ومَـن يتعـدَّ حـدود الله فـأُولَئِكَ هـم الظالمون(٢٢٩)﴾** الضارُّون أنفسهم.

﴿فإن طلَّقها فلا تَحِلُّ له مِن بعدُ حَتَّى تَنكح زوجا غيره فإن طلَّقها فـلا جُنـاح عليهمـا أن يتراجعا إن ظنـَّا أن يُقيمـا حـدود الله﴾ كـان في ظنِّهمـا أنـَّهما يقيمان حدود الله، ولكن للظنِّ علامات وأمارات، فـإذا كـان الغـالب على ظنِّهمـا أنـَّهما يقيمـان حـدود الله فيمـا يجب لهمـا وعليهمـا، في حـال معاشـرتهما بعضهمـا لبعـض، **﴿وتلـك [٥٣] حـدود الله يُـبيـِّنها لقـوم يعلمون(٢٣٠)﴾** يفهمون ما بيّن لهم.

﴿وإذا طلَّقتم النساء فبلغن أجلهنَّ فأمسـكوهنَّ بمعـروف أو سـرِّحوهنَّ بمعروف ولا تُمسكوهنَّ ضرارا لتعتدوا ومَن يفعل ذلك فقـد ظلـم نفسـه﴾ بتعريضها لعقاب الله؛ **﴿ولا تتَّخذوا آيات الله هزوًا﴾** أي جـدُّوا في التعليـم لها والفهم لِمَا فيها، والأخذ بها والعمل بما فيها، وراعوها حـقَّ رعايتهـا، وإلاَّ فقد اتَّخذتموها هزؤًا، ويقال لمن لم يَجدَّ في الأمر، إنـَّمَا أنـت لاعـب وهـازئ، وقيل: لا تستخفُّوا بأوامره ونواهيه.

﴿**واذكروا نعمةَ الله عليكم**﴾ كالعقل والإسلام، ونتائجَها؛ ﴿**وما أنـزل عليكم مِن الكتاب والحكمة**﴾ من القرآن والسنّة، وذكرُها مقابلتُها بالشكر، والقيام بحقّها؛ ﴿**يعظكم به**[1]﴾ بما أنزل عليكم، ﴿**واتّقوا الله**﴾ فيما امتحنكم به، ﴿**واعلموا أنَّ الله بِكُلِّ شيء عليم(٢٣١)**﴾ من الذكر والاتّقاء والاتّعاظ وغير ذلك، وهو أبلغ، وعد ووعيد.

﴿**وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنَّ فلا تعضُلوهنَّ أن ينكحن أزواجهنَّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف**﴾ بما يحسن في الدين والمروءة، ﴿**ذلك يُوعظ به مَن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ فالموعظة فالمواعظ[2] إنّمَا تنجع فيهم؛ ﴿**ذلكم أزكى لكم وأطهرُ**﴾ من أدناس الآثام، وذلك أنّه إذا كان في نفس كلِّ واحد منهما علاقة حبٍّ، لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحلَّ الله لهما؛ ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون(٢٣٢)**﴾.

﴿**والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حَولين كاملين لِمَن أراد أن يتمَّ الرَّضاعة وعلى المولود له رزقهنَّ وكِسوتهنَّ بالمعروف لا تُكلَّف نفس إلاَّ وسعها لا تُضارَّ والدة بولدها ولا مولودٌ له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور**﴾ والمشاورة: استخراج الرأي، والمشاورة في الأمر غير الاستبداد؛ ﴿**فلا جُناح عليهما. وإن أردتم أن تَسترضعوا أولادكم فلا جُناح عليكم إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف واتّقوا الله واعلموا أنَّ الله بما تعملون بصير(٢٣٣)**﴾.

---

١ - في الأصل: - «به»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب حذف إحدى الكلمتين.

﴿**والذِينَ يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجا يتربَّصن بأنفسهنَّ**﴾ بعد موت أزوجهنَّ، ﴿**أربعة أشهر وعشرا، فإذا بَلغن أجلَهنَّ فلا جُناح عليكم**﴾ أيـُّها الأيـمَّة والحكَّام، ﴿**فيما فعلن في أنفسهنَّ**﴾ مِن التعريض للخطَّاب، ﴿**بالمعروف**﴾ بالوجه الذي لا يُنكره الشرع، ﴿**والله بما تعملون خبير(٢٣٤)**﴾.

﴿**و[1]لا جناح عليكم فيما عَرَّضتم به من خِطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم**﴾ أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم، لا معرِّضين ولا مصرِّحين. ﴿**عَلِم الله أنَّكُمْ ستذكرُونهنَّ**﴾ لا تصبرون عن[2] السكوت عنهنَّ، وعن الرغبة فِيهِنَّ؛ ﴿**ولكن لا تُواعِدوهنَّ سِرًّا**﴾ جماعا، لأنَّه مِمَّا يسرُّ، أي لا تقولوا في العدَّة: إنِّي قادر على هذا العمل، ﴿**إلاَّ أن تقولوا قولا معروفا**﴾ وهو أن تعرضوا ولا تصرِّحوا؛ ﴿**ولا تَعزموا عُقدةَ النكاح حتَّى يبلغ الكتابُ أجلَه**﴾ حتَّى تنقضي عدَّتها وسمِّيت العدَّة كتابا لأنَّه لِكُلِّ أجل كتاب، ﴿**واعلموا أنَّ الله يعلم ما في أنفسكم[3]**﴾ من العزم على ما لا يجوز وما يجوز؛ ﴿**فاحذروه واعلموا أنَّ الله غفور حليم(٢٣٥)**﴾ لا يعاجلكم[4] بالعقوبة.

---

١ - في الأصل: - «و»، وهو خطأ.

٢ - كتب فوق «عن» حرف: «على».

٣ - في الأصل: «نفوسكم» وهو خطأ.

٤ - في الأصل: «يعاجالكم». وَهُوَ خطأ.

﴿لا جُناح عليكم إن طلّقتم النساء ما لم تمسُّوهنَّ أو تفرضوا لهنَّ فريضة، ومتِّعوهنَّ على الموسع قدرُه وعلى المقتر قَدره، متاعا بالمعروف حقًّا على المحسنين(٢٣٦)﴾.

﴿وإن طلّقتموهنَّ مِن قبل أن تمسُّوهنَّ وقد فرضتم لهنَّ فريضة، فنصف ما فرضتم، إِلاَّ أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدةُ النكاح، وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ أي عفوا[1] الزوج بإعطاء كلِّ المهر خير له، وعفوا[2] المرأة بإسقاط الْمَهر كلِّه خير لها، **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** أي: ولا تنسوا أن يتفضَّل بعضكم على بعض، فإنَّكم مجازون عليه، أو الفضل المتقدِّم الساري من بعضكم لبعض، واشكروه وكافئوه عليه، وكذلك ينبغي للعبد، ومنه أن لا ينسى فضلا عن شكر ما أُسدِي إليه من الله، أو على يد أحد من خلقه أو بسبب [٥٤] من الأسباب، أن لا ينسى ذلك المسبِّب ويراعيه حقّه، ولا يغيِّره ولا يحوِّله إِلاَّ لشيء أفضل منه، فإنَّه إن فعل ذلك رُجِي له من الله تمام تلك النعمة، كما[3] قال النبيء ﷺ : «*إذا تنازلتم*[4]... [5]»؛ **﴿إنَّ الله بما تعملون بصير(٢٣٧)﴾** فيجازيكم على تفضُّلكم.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عفوُ الزوجِ».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عفوُ المرأةِ».

٣ - في الأصل: «كمال»، وهو خطأ، إذ لا معنى له في هَذَا السياق.

٤ - يمكن أن نقرأ في «تباريتم».

٥ - بياض في الأصل قدر كلمتين.

﴿**حافظوا على الصَّلوات**﴾ داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها، ﴿**والصلاة الوسطى**﴾ هي مخصوصة[1] مِن بين الصَّلوات لفضلها وشرفها؛ ﴿**وقوموا لله قانتين(٢٣٨)**﴾ مطيعين خاشعين، لأنَّ الصلاة طاعة، فلا يستقيم أن يأتي بالطَّاعة على غير طاعة الله، في جميع أمره، لأنَّ القَبول إنَّمَا يُرجى عند كمال الطاعة.

﴿**فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله**﴾ صلُّوا صلاة الأمن ﴿**كما علَّمكم**﴾، مثل ما علَّمكم ﴿**ما لم تكونوا تعلمون(٢٣٩)**﴾ من صلاة الأمن.

﴿**والذِينَ يُتوفون منكم ويَذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج، فإن خَرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن مِن معروف والله عزيز حكيم(٢٤٠)**﴾ قيل: إنَّ هذه [الآية] منسوخة، ومعناه[2]: أن حقَّ الذِينَ يتوفَّون منكم عن أزواجهم، أن يُوصوا قبل أن يحتضروا بِأن يتمتَّع أزواجهم بعدهم حولا كاملا، أي: يُنفق عليهنَّ من تركته، ولا يَخرجن من مساكنهنَّ، وكان ذلك مشروعا في أوَّل الإسلام.

﴿**وللمطلَّقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتَّقين(٢٤١)**﴾ لأنَّهم هم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومن سواهم لا يتأتَّى منهم ذلك، وإلاَّ

---

١ - في الأصل: «مخصواصة»، وَهُوَ خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ومعناها».

فجميع الواجبات واجبة على المتعبِّدين، [و] كلُّ ما تخصُّه من اللَّوازم، ﴿**كذلك يُبَيِّنُ الله لكم آياته لَعَلَّكُم تعقلون(٢٤٢)**﴾.

﴿**أَلَم تَرَ إلى الذِينَ خرجوا مِن ديارهم وهم ألوف حذر المَوت، فقال لهم الله: موتوا**﴾ أي: فأماتهم مِيتةَ رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك مِيتة خارجة عن العادة، وفيه تشجيعٌ للمسلمين على الجهاد، وأنَّ الموت إذا لم يكن منه بدٌّ و لم ينفع منه مَفرٌّ، فأولى أن يكون في سبيل الله؛ ﴿**ثُمَّ أحيَاهم**﴾ ليعتبروا أنَّه لا مفرَّ من حكم الله وقضائه؛ ﴿**إنَّ الله لذو فضل على النَّاس**﴾ حيث يبصِّرهم ما يعتبرون به كما بصَّر أولئك، وكما بصَّركم باقتصاص خبرهم، أو لذو فضل على النَّاس، من حيث أحيَى أُولَئِكَ ليعتبروا فيفوزوا، ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور.

﴿**ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يشكرون(٢٤٣)**﴾ فضل الله، لأنَّهم لا يعرفون النعم إلاَّ بعد فقدانها، والدليل على أنَّه ساقَ هذه القصَّة بعثا على الجهاد، أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله، وهو قوله: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله**﴾ فحضَّ على الجهاد بعد الإعلام، لأنَّ الفرار من الموت لا يغني، وهذا الخطاب لأمَّة محمَّد ﷺ ، أو لمن أحياهم، ﴿**واعلموا أنَّ الله سميع عليم(٢٤٤)**﴾.

﴿**مَن ذا الذي يُقرض الله قرضا حسنا**﴾ ابتغاء رضاه، ويخرج هذا في بذل المال والنفس وجميع الطاعة لله تعالى، وإن كانت الآيَة مراد بها إخراج المال، لقول بعض أهل العلم: «أقرضوا الله من أنفسكم ساعات، يردُّها عليكم في الجِنان خالدات»؛ ﴿**فَيضاعفه له أضعافا كثيرة**﴾ لا يعلم كُنهها إلاَّ

الله، ﴿**والله يَقبض ويبسط**﴾ يقتِّر الرزق على عباده، ويقبض وُسعه عليهم، فلا تبخلوا عليه بما وسَّع عليكم، لا يبذلكم الضيقة، ولا بتركه السعة، ﴿**وإليه تُرجعون(٢٤٥)**﴾ فيجازيكم على ما قدَّمتم.

﴿**أَلَم تَرَ إلى الملإ**﴾ الأشراف، لأنـَّهم يملؤون القلوب جلالة، والعيون مهابة، ﴿**مِن بني إسرائيل مِن بعد موسى، إذ قالوا لنبي لهم: ابعث لنا مَلِكا**﴾ أنهض للقتال معنا أميرا، نصدر في تدبير الحرب عن رأيه، وننتهي إلى أمره، لأنَّ الأمور لا تتأتَّى بأميرين؛ ﴿**نُقاتل في سبيل الله؛ قال: هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاَّ تُقاتلوا**﴾ المعنى: ما أتوقَّعه أنـَّكم لا تقاتلون وتجبنون، وإنـَّه كما توقَّع فيهم، وإنـَّه صائب في توقُّعه؛ وقيل: عن النبيء ﷺ إنـَّه قال: «*اتـَّقوا فِراسة المؤمن فإنـَّه يَنظر بنور الله*»[1].

﴿**قالوا: وما لنا ألاَّ نُقاتل في سبيل الله**﴾ وأيُّ داع لنا إلى ترك القتال؟ وأيُّ غرض لنا فيه!. ﴿**وقد أُخرجنا مِن ديارنا وأبنائنا فلمَّا كُتب عليهم القتال**﴾ أي: أجيبوا إلى ملتمسهم؛ ﴿**تولَّوا إلاَّ قليلا مِنهم**﴾ وهم أهل خشية الله، ﴿**والله عليم بالظالمين(٢٤٦)**﴾ وعيدٌ لهم على ظلمهم بترك الجهاد.

---

١ - رَوَاهُ الترمذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قَالَ لِلْمُتَفَرِّسِينَ. كتاب تفسير القرآن، رقم: ٣٠٥٢.

﴿**وقال لهم نبيُّهم: إنَّ الله قد بعث** [٥٥] **لكم طالوت ملكا؛ قالوا: أنَّى يكون له الملكُ علينا**﴾ حسدا منهم له، ﴿**ونحن أحقُّ بالملك مِنه**﴾ طلبا للتَّريُّس، ﴿**ولم يُؤتَ سَعةً مِن المال**﴾ استحقارا له، وتعاليا عليه؛ ﴿**قال: إنَّ الله اصطفاه عليكم**﴾ أي: اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم، ولا اعتراض على حكمه؛ ثُمَّ ذكر مصلحتين أنفع مِمَّا ذكروا مِن النسب والمال، وهو العلم المبسوط والجسامة، فقال: ﴿**وزاده بسطة في العلم والجسم**﴾ قيل: كان أعلم بني إسرائيل بالحربِ والدياناتِ في وقته، وأطول من كلٍّ إنسان برأسه ومنكبه، والبسطة: السعة والامتداد، والملك لا بدَّ أن[1] يكون من أهل العلم، فإنَّ الجاهل مُزدرًى غير منتفَع بِهِ، ويُفسد أكثر مِمَّا يصلح من أمر الدِّين والدُّنيا، وَأَن يكون جسيما شجاعا، لأنَّه أعظم في النفوس، وأهيب في القلوب؛ ﴿**والله يُؤتي مُلكه من يشاء**﴾ أي: الملك له غير منازَع فيه، فهو يُؤتيه مَن يشاء وليس ذلك بالوراثة، ﴿**والله واسع عليم(٢٤٧)**[2]﴾ واسع الفضل والعطاء.

ثمَّ طلبوا من نبيئهم آيَة على اصطفاء الله طالوت: ﴿**و**[3]**قالَ لَهم نبيُّهم إنَّ آية مُلكِه أن يأتيكم التَّابوتُ**﴾ صندوق التوراة، قيل: وكان موسى إذا قاتل قدمه[4]، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرُّون، ﴿**فيه سكينةٌ من**

---

١ - في الأصل: «الابدان»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: - «عليم» وهو خطأ.

٣ - في الأصل: - «و» وهو خطأ.

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «إذا قاتل جعله قُدَّامه».

ربِّكم﴾ سكون واطمئنانيَّة، **﴿وبقيَّةٌ﴾** قيل: هي زضاص[1] الألواح، وعصا موسى وثيابه، وشيء من التَّوراة، ونَعلا موسى، وعمامة هارون، **﴿مِمَّا ترك آلُ موسى وآلُ هارون﴾** أي: مِمَّا تركه موسى وهارون، والآل مقحم لتقحيم شأنهما قبل ذلك؛ **﴿تحمله الملائكة﴾** يعني: التابوت، قيل: كان رفعه الله بعد موسى، فنزلت به الملائكة تحمله، وهم ينظرون إليه؛ **﴿إنَّ في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين(٢٤٨)﴾** إنَّ في رجوع التَّابوت إليكم علامة أن الله قد ملَّك طالوت عليكم إن كنتم مصدِّقين.

﴿فلمَّا فصلَ طالوتُ بالجنودِ﴾ قيل: سألوا أن يُجري لهم نهرا، **﴿قال: إنَّ الله مُبتلِيكُم بنَهر﴾** مُختبركم بنهر، أي: يعاملكم معاملة المختبر له، ليتميَّز المحقِّقُ في الجهاد مِن الـمُعذِّر؛ **﴿فمن شَرِب مِنه﴾** كَرعًا[2]، **﴿فليس منِّي﴾** فليس من أتباعي وأشياعي وأهل ديني، **﴿ومَن لَم يَطعمه﴾** لم يذُقه، مِن طَعم الشيء إذا ذاقه، **﴿فإنَّه منِّي إلاَّ مَن اغترف غُرفةً بيده﴾** معناه: الرُّخصة في اغتراف الغُرفة باليد دون الكرع، والدَّليل عليه: **﴿فشربوا منه﴾** أي: فكَرَعوا **﴿إلاَّ قليلا مِنهم﴾**، روي: أنَّ مَن اقتصر على الغُرفة كفَته كشَربة وأروته، ومَن لم يقتصر عليه عطشه، واسودَّ شفته[3]، ولم يقدر أن يمضي، وهكذا الدنيا

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «رصاص».

٢ - كَرَعَ في الماء، يكرَع، كُروعًا وكَرْعًا: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء؛ وفي الحديث: «إن كان عندك ماء بات في شنِّه، وَإِلاَّ كَرَعنَا». ابن منظور: لسان العرب، ٥/٢٤٥.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ومن لم يقتصر عَلَيها عطَّشته، واسودَّت شفتُه».

لما صد الأجرة[1]. ﴿فلمَّا جاوزه هو والذِينَ آمَنُوا معه قالوا: لا طاقةَ لَنَا اليومَ بجالوت﴾ هو جبَّار، ﴿وجنودِه، قال الذِينَ يظنُّون أنَّهم مُلاقوا الله﴾ يوقنون بثواب الشَّهادة، ﴿كَم مِن فئة قليلة غَلَبت فئة كثيرة بإذنِ الله والله مع الصابرين(٢٤٩)﴾ إيقانا بوعد الله إيَّاهم.

﴿وَلَمَّا برزوا لجالوتَ وجُنوده قَالوا: ربَّنا﴾ أي: قال الذِينَ يظنُّون أنَّهم مُلاقوا الله ﴿أفرِغ علينا صَبرا وثبِّت أقدَامَنا﴾ لتقوية قلوبنا، وإلقاء الرُّعب في صُدور عدوِّنا، ﴿وانصرنَا علَى القَوم الكَافرين(٢٥٠)﴾ وذلك قالوا ببراء[2] منهم مِن الحول والقوَّة.

﴿فهزموهُم بإذن الله وقَتَل دَاوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمةَ﴾ النبوَّة وفصل الخطاب، ﴿وعلَّمَه مِمَّا يشَاء﴾ لمَا يكون له آلة وعاملا به؛ ﴿ولَولا دفعُ الله النَّاس بعضهم ببعض لفسدَت الأَرْض﴾ ولولا أنَّ الله يدفع فساد بعض النَّاس ببعض، ويكفُّ بهم فسادَهم لَغَلب المفسدون وفسدت الأَرْض، وبَطلت منافعها والحرث والنسل، أو ولولا أنَّ الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأَرْض، بغلبة الكفَّار، وقتل الأبرار، وتخريب البلاد، وتعذيب العباد، أو ولولا العلماء الذِينَ يصلح بهم الأَرْض لفسدت بالجهل، لأنَّه لا يتأتَّى الصلاحُ إلاَّ بالعلم، والفساد لا يكون إلاَّ من نتيجة الجهل؛ وفي الحقيقة ما عُمل بالجهل فهو فاسد، ومعناه: أنَّ الله لا يترك النَّاس يفسدون الأَرْض بدون دفع من بعضهم، ما

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «لمَّا تصدُّ عن الآخرة».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «بِتَرائي الحول والقوَّة منهم».

لم ينقَضِ أجل الدنيا، لأَنَّ ذلك خرقٌ [٥٦] للحكمة الإلهيَّة، لأَنَّ ذلك مِمَّا يـؤُول إلى فساد الدنيا والدين، فكيـف وأنَّ الدِّيـن متيسِّر لمـن طلبـه؛ ﴿و[1]**لكـنَّ الله ذو فضل على العالمين(٢٥١)**﴾ بإزالة الفساد عنهم.

﴿**تلك آيات الله**﴾ يعني القصـص الـتي اقتصَّهـا، والأخبـار الـتي أوردهـا، ﴿**نتلوهـا عليـك بـالحقِّ**﴾ بـاليقين الـذي لا شـكَّ فيـه، ﴿**وإنَّـك لَمِـن المرسلين(٢٥٢)**﴾ حيث يخبر عنها.

﴿**تلك الرُّسل**﴾ إشارة إلى جماعة الرُّسـل الـتي ذُكـرت قَصصهـا في هـذه السورة، مِن آدم إلى داود، أو التي ثبت علمها عند رسـول الله ﷺ؛ ﴿**فضَّلنـا بعضهـم علـى بعـض**﴾ بالخصـائص وراء الرسـالة لاستوائهم فيهـا، كمـا أنَّ المؤمنين مستوُون في صفة الإيمان، ويتفاوتون في الطاعات بعـد الإيمـان، وكمـا أن العلماء يتفاوتون في القرائح؛ ثُمَّ بَيَّن ذلك بقولـه: ﴿**مِنهُـم مَـن كلَّـم الله**﴾ أي: كلَّمه الله، يعني: مِن فضله بـأن كلَّمـه بمـا يشـاء وكيـف شـاء، ﴿**ورَفَـع بعضهم دَرجات**﴾ يعني: ومنهم مَن رفعـه علـى سـائر الأنبيـاء، وكـان بعدهـا تفاوتهم في الفضل، أفضل [كَذَا] منهم بدرجـات كبـيرة، وهـو مـأجور علـى عمل مـا أوتـي، فلذلـك فضّـل بـه علـى سـائره؛ ﴿**وآتينـا عيسـى ابـنَ مريـم البيِّنـاتِ**﴾ كإحيـاء الموتـى، وإبــراء الأكمــه والأبــرص، بخصــائص خصُّــوا بها[كَذَا]، ﴿**وأيَّدنَاه بروحِ القُدس**﴾ قوَّيناه بجبريل، أو بـالإنجيل، ﴿**ولـو شَـاء الله مَا اقـتَتَل**﴾ أي: اختلف، لأنَّـه سببٌ لتقاتُل ﴿**الذينَ مِن بعدهم**﴾ من بعد

---

١ - في الأصل: - «و» وهو خطأ.

الرُّسل، ﴿**مِن بعد ما جَاءتهم البيِّنات**﴾ المعجزات الظَّاهرات، ﴿**ولكن اختلفوا**﴾ بمشيئتي. ثُمَّ بيَّن الاختلاف فقال: ﴿**فمنهم مَن آمَن ومِنهم مَن كفر**﴾ بمشيئتي، يقول: أجريت أمور رُسلي على هذا، أي: لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع من أرسله الله إليهم في حياته وبعد وفاته، بل اختلفوا عليهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ لم يقع بينهم اختلاف فيقتتلوا، ﴿**ولكنَّ الله يفعل ما يريد(٢٥٣)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أنفقوا مِمَّا رزقناكم مِن قبل أن يَأتي يوم لا بيع فيه**﴾ يُشترى منه للحياة الأبديَّة، ﴿**ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون(٢٥٤)**﴾ أنفسهم، بتركهم التقديم ليوم حاجتهم.

﴿**الله لا إله إلاَّ هو**﴾ أي: لا مستحقَّ للعبادة إلاَّ هو، لأَنَّ الإله هو المستحقُّ أن يعبد؛ ﴿**الحيُّ**﴾ الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء؛ ﴿**القيُّوم**﴾ الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه، وقيل: «القيُّوم» القائم في خلقه بما فيه صلاحهم ونفعهم ورشدهم، ﴿**لا تأخذه سِنَةٌ**﴾ نعاس، وَهُوَ ما يتقدَّم النَّوم، والفتور، ﴿**ولا نَومٌ**﴾ عن المضلِّ، السِّنة: ثقل في الرأس، والنعاس: في العين، والنوم: في القلب، فهو تأكيد للقيُّوم، لأَنَّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيُّوما؛ ﴿**له ما في السَّمَاوَات وما في الأَرْض**﴾ مَلكًا ومُلكًا؛ ﴿**مَن ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه**﴾ هو بيان لِمُلكه ومَلكوته؛ ﴿**يَعلم ما بين أيديهم وما خلفَهم**﴾ ما كانَ قبلهم وما يكون بعدهم، أو عَلَى العكس؛ ﴿**ولا يحيطون بِشيء مِن علمه**﴾ ومعلوماته، والإحاطة بالشيء عِلما، أن يُعلم كما هو على الحقيقة؛ ﴿**إلاَّ بما شاء**﴾ إلاَّ بما علم.

﴿وسِع كُرسيُّه السَّماوَات والأَرْض﴾ أي: علمه، ومِنه الكُرَّاسَة لتضمُّنها العلم، والكراسي: العلماء، وسمِّي العِلم كرسيًّا تسمية بمكانه الذي هو كرسيُّ العالم، وَهُوَ كقوله: ﴿رَبَّنَا وسعت كلَّ شَيْءٍ رحمةً وعلمًا﴾[1] أو عرشه أو قدرته؛ **﴿ولا يَئُودُه﴾** ولا يثقله ولا يشقُّ عليه **﴿حِفظُهُما﴾** حفظ السَّمَاوَات والأَرْض، ومِن حِفظ السَّمَاوَات والأَرْض حفْظُ مَن فيها مِن الخلائق وغيرها؛ **﴿وهوَ العليُّ﴾** في ملكه وسلطانه، **﴿العظيم(٢٥٥)﴾** في عزِّه وجلاله وامتنانه، والعليُّ: المتعالي عن الصفات التي لا تليق به، [و]العظيم: المتَّصف بالصِّفات التي تليق به، فَهُما جامعان لكمال التوحيد؛ وإنَّما ترتَّبت الجمل في أنَّه الكرسيُّ بلا حرف عطف، لأنَّها ورَدت عَلَى سبيلِ البيان، فالأُولى: بيان القِيامة بتدبير الخلق، وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية: لكونه مالكا لِما يدبِّره، والثالثة: لكبرياء شأنه، والرابعة: لإحاطته بأحوال [٥٧] الخلق، والخامسة: لسعة علمه وتعلُّقه بالمعلومات، (لَعَلَّهُ) وتعلُّق المعلومات به كلِّها، أو لجلالة وعظم قدره، وهذه الآية مشتملة على أمَّهات المسائل الآلهيَّة، فإنَّها دالَّة على أَنَّهُ تعالى موجود، واحد في الإلهيَّة، متَّصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجودٌ لغيره، إذ القيُّوم: هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، منزَّه عن التَّحيُّز والجور، مُبرَّأً عن التَّغيُّر والفتور، ولا يناسب الأشباح، ولا يعتري به ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلاَّ مَن أذن له،

---

١ - سورة غافر: ٧.

العالم وحده بالأشياء كلّها جليِّها وخفيِّها، كلّها وجزئها، واسع الملك والقدرة كلّما يصحُّ أن يملك ويقدر عليه، لايؤوده شاقٌّ، ولا يشغله شأن، متعال عن أن ندركه، وهو عظيم لا يحيط به فهمٌ، ولذلك قال عليه السلام: *«إنَّ أعظمَ آيَة في القرآن آيَة الكرسيِّ»*[1].

﴿**لا إكراه في الدين**﴾ أي: لا إجبار على الدين يعني أمور الدين جارية على...[2] والأخبار ونحوه، ﴿ولو شاء ربُّك لآمن مَن في الأَرْض...﴾ الآيَة[3]، قيل: لو شاء لأجبرهم. ﴿**قد تَبيَّن الرُّشد مِنَ الغيِّ**﴾ قد تميَّز الإيمان مِن الكفر بالدليل؛ ﴿**فمَن يكفر بالطَّاغوت**﴾ بالشَّيطان، وقيل: كلُّ ما عُبد من دون الله، وقيل: كلُّ ما يُطغي الإنسان، "فاعول" من الطغيان، ﴿**ويؤمِن بالله فقد استمسك بالعُروة الوُثقى**﴾ أي: تمسَّك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوُثقى تأنيث للأوثق، هي الأشدُّ من الحبل الوثيق المحكم المأمون، ﴿**لا انفصام لها**﴾ لا انقطاع للعروة، وهذا تمثيل للمعلوم بالنَّظر، والاستدلال بالشاهد المحسوس، حتّى يتصوَّره السامع كأنَّه ينظر إليه بعينيه، فيُحكم اعتقاده؛ والمعنى: فقد عقَدَ لنفسه مِن الدِّين عقدا وثيقا لا تحلُّه شبهة، ﴿**والله سميعٌ**﴾ لإقراره، ﴿**عليمٌ(٢٥٦)**﴾ لاعتقاده.

---

١ - لم نجده بهذا اللفظ، وإنَّما جاء في حديث طويل أنَّ أبا ذرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَيُّمَا نَزَلَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آيَةُ الْكُرْسِيِّ. مسند الإمام أحمد رقم: ٢١٢٥٧. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «الكرسي».

٢ - بياض في الأصل قدر ثلاث كلمات.

٣ - سورة يونس: ٩٩؛ وتمامها: ﴿ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كلُّهم جميعا أفأنت تُكرِه النَّاس حتَّى يكونوا مومنين﴾.

﴿**الله وليُّ الذِينَ آمنوا**﴾ أي: ناصرُهم ومتولِّي أمورهم، ﴿**يُخرجهم من الظُّلمات**﴾ بحفظهم بولايته لهم وبتوفيقه إيَّاهم، من ظلمات الكفر والضَّلالة ﴿**إلى النُّور**﴾ إلى الإيمان والهداية، كما قال: ﴿والذِينَ اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[1] وكأنَّ هذه الآية تقتضي[2] بقوم كانوا كفارا فآمنوا؛ ﴿**والذِينَ كفروا**﴾ أي: الذِينَ ارتدُّوا من الإسلام إلى الكفر، ﴿**أولياؤهم الطَّاغوت يُخرجونهم من النُّور إلى الظُّلمات**﴾ الله وليُّ المؤمنين يُخرجهم مِن الشُّبهة في الدِّين إن وقعت لهم، بما يهديهم، ويوفِّقهم بتوفيقه لحلِّها، حتَّى يخرجوا منها إلى نور اليقين، والذِينَ كفروا أولياؤُهم الشَّياطين، يُخرجونهم من نور البَيِّنَات الذي يظهر لهم، إلى ظلمات الشَّكِّ والشُّبهات، لأنَّ المعصية على الإصرار عليها تنتج معاصي، والطَّاعة على التَّوبة تُنتج طاعات، وذلك لأنَّ المؤمن يتَّبع الملهِم الذي يُلهمه الحقَّ، ويرفض الوساوس الطاغوتيَّة، والذي في قلبه مرض، على العكس من هَذَا يتبع هواه بغير بيان، ويترك الحقَّ وإن نازله، والأوَّل يرفض ما يهواه، وقد أسَّس بنيانه على التقوى؛ ﴿**أولَئِكَ أصحابُ النَّار هم فيها خالدون(٢٥٧)**﴾ حكم من الله لهم بالتخليد.

﴿**أَلَم تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه**﴾ في معارضة ربوبيَّة ربِّه، ﴿**أن آتاه الله الملكَ**﴾ الوهميَّ، يعني: أنَّ إيتاءَ الملك أبطره وأورثه الكبر، فحاجَّ لذلك؛ ﴿**إذ قال إبراهيم: ربِّي الذي يُحيي ويُميت**﴾ كأنَّه قال له: مَن

---

١ - سورة محمَّد: ١٧.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تختصُّ».

ربُّك؟ قال: ربِّي الذي يُحيي ويُميت، ﴿**قال**﴾ الذي حاجَّ، نمرود أو غيره مِن المردَة ﴿**أنا أُحيي وأُميت**﴾ يريد أعفي عن القتل وأقتل، فانقطع اللعين [٥٨] بهذا عند الخاصَّة، فزاد إبراهيم ما لا يتأتَّى فيه التَّلبيس على الضُّعفاء؛ ﴿**قال إبراهيم: فإنَّ الله يأتي بالشَّمس مِن المشرق، فأت بها من المغرب**﴾ إن كنت تقول[1] إلها، ﴿**فبُهت الذي كفر**﴾ تحيَّر ودهش؛ ﴿**والله لا يهدي القوم الظَّالمين(٢٥٨)**﴾ أي: لا يوفِّقهم للحجَّة، لأنَّ الظَّالم لا يلقي حجَّة، فإن احتجَّ بحجَّة الباطل، غلبته حجَّةُ الحقِّ، لقوله: ﴿بل نقذف بالحقِّ على الباطل فيدمَغه فإذا هو زاهق﴾[2].

﴿**أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاويةٌ على عُروشها**﴾ ساقطة مع سقوفها، وكلُّ مرتفع يسمَّى عرشا؛ ﴿**قال: أنَّى يُحيي**﴾ كيف يحيي، ﴿**هذه الله بعد موتِها؟ فأماته الله مائة عام، ثُمَّ بعثه**﴾ أي: أحياه، ﴿**قال**﴾ له قائل: ﴿**كم لبثت؟ قال: لبثتُ يوما أو بعض يَوم**﴾ بناء على الظنِّ، وفيه دليل على جواز الاجتهاد. رُوى أنَّه مات ضُحًى، وبُعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس، فقال: قبل النظر إلى الشمس يوما، ثُمَّ التفت فرأى بقيَّة من الشمس، فقال: «أو بعض يوم». ﴿**قال: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه**﴾ لم يتغيَّر، معناه: لم تغيِّره السِّنون، ﴿**وانظر إلى حمارك**﴾ كيف تفرَّقت عظامه ونخرت، وكان له حمار قد ربطه، فمات وبقيت عظامه؛

١ - في العبارة سقط واضح، وَلَعَلَّ صوابها: «إن كنتَ تقول: إنَّكَ إلهٌ».

٢ - سورة الأنبياء: ١٨.

﴿ولنجعلك آية للنّاس﴾ ليعتبروا بك مَن رآك منهم بعين اليقين، ومن رآك منهم بعلم اليقين؛ **﴿وانظر إلى العظام﴾** عظام الحمار أو عظام الموتى، **﴿كيف نُنشِزها﴾** نحرِّكها، ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب؛ **﴿ثمَّ نكسوها لحما﴾** نَجعل اللَّحم مجازا كاللِّباس؛ **﴿فلمَّا تبيَّن له قال: أعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قدير(٢٥٩)﴾**.

﴿وإذ قال إبراهيم: ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن لِيطمئنَّ قَلبي﴾ لـمَّا أن أراد أن يتعرَّف باليقين قدرة الله، لم يذمَّه الله، **﴿قال: فخذ أربعة من الطَّير﴾** قيل: طاوسا وديكا وغرابا وحمامة، **﴿فصُرهن إليك﴾** أي: اضممهنَّ إليك؛ **﴿ثمَّ اجعل على كلِّ جبل منهنَّ جُزءا﴾** جزِّئهنَّ، وفرِّق أجزاءهنَّ على الجبال التي بحضرتك؛ **﴿ثمَّ ادعهنَّ يأتينَك سعيًا﴾** ساعيات مسرعات، **﴿واعلم أنَّ الله عزيز حكيم(٢٦٠)﴾** لا يعجزه ولا يغلبه شيء.

﴿مَثلُ الذِينَ يُنفقون أموالهم﴾ فيه إضمار، تقديره: «مَثل صدقات الذِينَ ينفقون أموالهم»، **﴿في سبيل الله﴾** أراد سبيل الله الجهاد، وجميع أبواب الخير الخيِّرة؛ **﴿كمَثل حبَّة أنبتت سبع سنابل، في كلِّ سنبلة مائة حبَّة والله يُضاعف لمن يشاء﴾** أي: يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء، لا لِكُلِّ منفق لتَفاوُت أحوالهم، أو يزيد على سبع مائة لمن يشاء؛ قال أبو المؤثر: «وقد قيل: إنَّ الأضعاف ألفُ ألف»، **﴿والله واسعٌ﴾** لا حدَّ لوسعه، **﴿عليمٌ(٢٦١)﴾** عليم بمن يستحقُّ الأضعاف.

﴿الذِينَ يُنفقون أَموالهم في سَبيل اللهِ ثُمَّ لا يُتبعون ما أنفقوا منًّا﴾ هو أن تعتدَّ[1] على مَن أحسن[2] إليه بإحسانه ويريه أنَّه اصطنعه، وواجب عليه حقًّا له، وكانوا يقولون: إذا صنعتم صنيعة فانسَوها، **﴿ولا أذًى﴾** هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه، **﴿لهم أجرهم عندَ ربِّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢٦٢)﴾** لا خوف من العذاب، ولا حزن بفوات الثواب.

﴿قولٌ معروفٌ﴾ ردٌّ جميلٌ، **﴿ومغفرةٌ﴾** ونيلُ مغفرةٍ مِن الله بسبب ردٍّ الجميل، **﴿خيرٌ مِن صدقة يتبعُها أذًى﴾** منه، **﴿والله غنيٌّ حليم(٢٦٣)﴾**.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُبطلوا صَدقاتِكم بالمنِّ والأذى، [٥٩] **كالذي يُنفق مالَه رئاء النَّاس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾** يريد أَنَّ الرِّياء يُبطل الصَّدقة ولا تكون النَّفقة مع النَّفقة مِن فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين، لأَنَّ الكافر معلنٌ كفره غير مراء؛ **﴿فَمثله كمثلِ صَفوان عليه تُراب﴾** أي: حجر أملس عليه تراب، **﴿فأصابَه وابلٌ﴾** مطر عظيم، **﴿فتركَه صلدًا﴾** أجردَ وأملسَ نقيًّا مِن التُّراب، والصَّلد: الحجر الصلب الأملس، الذي لا شيء عليه، فهذا مثلٌ ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي، والممنُّ الذي يَمنُّ بصدقته ويؤذي، **﴿لا يَقدرُون علَى شيء﴾** أي: لا يُفدَون على ثواب شيء **﴿مِمَّا كَسبوا﴾** لا يجدون ثواب شيء مِمَّا أنفقوا وعملوا، **﴿والله لا يهدي القومَ الكافرين(٢٦٤)﴾** ما داموا مختارين الكفر.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يَعتَدَّ»، بضمير الغائب.

٢ - كتب فوق الكلمة: «حسن».

﴿وَمَثَل الذِينَ يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾ أي: وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم، لأنَّه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله، عُلم أنَّ تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه، ومن إخلاص قلبه. وفي خ[1] ﴿وتثبيتًا مِن أنفسِهم﴾ معناه: وليثبتوا[2] من أنفسهم ببذل المال الذي هو أخ الروح، وبذله أشقُّ على النَّفس من أكثر العبادات الشَّاقة، ويجوز أن يُراد وتصديقا للإسلام، وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم، لأنَّه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله عُلم أن تصديقه بالثواب من أصل نفسه وإخلاص قلبه؛ **﴿كَمَثل جنَّة﴾** بستان، **﴿بربوَة﴾** مكان مرتفع، وخصَّها لأنَّ الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا، **﴿أصابها وابلٌ فَآتت أُكلها﴾** ثمرها **﴿ضعفين﴾** ضعفي ما كانت تُثمر، قيل: بسبب الوابل؛ **﴿فإن لم يصبها وابل فطلٌّ﴾** مطرٌ صغير القطر يكفيها، لكرم منبتها؛ أو مَثل حالهم عند الله بالجنَّة على الربوة، ونفقتهم الكبيرة[3] والقليلة بالوابل والطلِّ، وكما أنَّ كلَّ واحد من المطرين يضعِّف أُكل الجنَّة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضى الله، زاكية عند الله، زائدة في زُلفاهم وحسن حالهم عند الله. **﴿والله بما تعملون بصير(٢٦٥)﴾**.

---

١ - لَعَلَّهُ يقصد بالخاء: نسخة ما.

٢ - يمكن أن نقرأ: «وليميتوا».

٣ - كذا في الأصل، والأصوب: «الكثيرة»، لأنَّهَا تقابل: «القليلة»؛ وَإلاَّ فإنَّ «الكبيرة» تقابل «الصغيرة».

﴿**أيودُّ أحدُكم أن تكونَ له جنَّـة مِن نخيـل وأعنـاب، تجـري مِـن تحتهـا الأنهار، له فيها مِن كلِّ الثَّمرات**﴾ يريد بالثَّمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها، ولأنَّ النخيل والأعناب لَمَّا كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصَّها بالذكر، وجعل الجنَّة منها، وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما، ﴿**وأصابَه الكِبَر ولـه ذرِّيـة ضُعفـاء**﴾ أولاد صغار؛ ﴿**فأصابها إعصارٌ**﴾ ريح تستدير في الأَرْض ثُمَّ تستطع[1] نحو السَّمَاء كالعمود، ﴿**فيه نار فاحترقت**﴾ هذا مَثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء، فإذا كان يوم القيامة وجدها مُحبطة، فيتحسَّر عند ذلك حسرةَ من كانت [له] جنَّة جامعة للثمار فبلغ الكبر، وله[2] أولاد ضعاف والجنَّة معاشهم، فهلكت بالصاعقة؛ قال الحسن: «هذا مَثل قلَّ وا للهِ مَن يعقله من النَّاس، إلاَّ شيخ كبير ضعُف جسمه وكثر صبيانه، أفقر ما يكون إلى جنَّته، وأن أحدكم وا لله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا»، ﴿**كذلك يُبَيِّنُ الله لكم الآيات**﴾ بالأمثال[3] في التوحيد والدين، ﴿**لعَلَّكُم تتفكَّرون(٢٦٦)**﴾ فتعلمون أن مقدار حاجة الإنسان إلى عمله، عند فوات رحمة ا لله عنه.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أنفقوا من طَيِّبات ما كسبتم**﴾ من خيار مكسوباتكم، ﴿**ومِمَّا أخرجنا لكم مِن الأَرْض ولا تيمَّموا الخبيث**﴾ ولا

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تصعد»، أو «تسطع».

٢ - في الأصل: «واله»، وَهُوَ خطأ.

٣ - في الأصل: «با الأمثال»، وهو خطأ.

تقصدوا المال الرديء ﴿**منه تُنفقون**﴾ تخصُّونه بالإنفاق، ﴿**ولستم بآخذيه**﴾ أي: «لا تنفقوا في فرض ربِّك خَبَثا، فإنَّك لو أردت شراءه لم تأخذه حتَّى تحطَّ من ثمنه» من القاموس نقلا، لا تأخذونه في حقوقكم، ﴿**إلاَّ أن تُغمضوا فيه**﴾ إلاَّ أن تتسامحوا في أخذه، وتترخَّصوا فيه، مِن قولك: أغمَض [٦٠] فلان عن بعض حقِّه، إذا غضَّ بصره؛ قيل: كانوا يتصدَّقون بِحشَف التَّمر، وشراره فنهوا عنه، ﴿**واعلموا أنَّ الله غنيٌّ**﴾ عن صدقاتكم، ﴿**حميدٌ(٢٦٧)**﴾ مستحقٌّ للحمد.

﴿**الشَّيطان يَعِدكم**﴾ في الإنفاق ﴿**الفقرَ**﴾ ويقول لكم: إنَّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، والوعدُ يُستعمل في الخير والشرِّ، ﴿**ويأمركم بالفحشاء**﴾ يغرُكم على البخل ومنع الصَّدقات، إغراء الآمر للمأمور، ﴿**والله يَعدُكم**﴾ في الإنفاق ﴿**مغفرة مِنه**﴾ لذنوبكم، وكفارة لها، ﴿**وفضلاً**﴾ وأن يخلف عليكم أفضل ما أنفقتم، ﴿**والله واسع**﴾ يوسِّع على من يشاء، ﴿**عليم(٢٦٨)**﴾ بأفعالكم ونياتكم.

﴿**يُؤتي الحكمةَ مَن يشاء**﴾ عِلم القرآن والسنَّة، أو العلم النافع الموصل إلى رضى الله والعمل به، والحكيم عند الله العالم العامل؛ قال قائل: الإصابة في القول والفعل، وهو موافق للأوَّل؛ وقال ابن عبَّاس: «هو عِلم القرآن»؛ قال الحسن: «من أُعطي القرآن فكأنَّما أُدرجت النُّبوَّة بين جنبيه، إلاَّ أنَّه لم يوح إليه»؛ ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذَّكَّر إلاَّ أُولو الألباب(٢٦٩)**﴾ وما يتَّعظ بمواعظ[1] الله إلاَّ ذوو العقول السليمة.

---

١ - في الأصل: «بِمواعض»، وهو خطأ.

﴿**وما أنفقتم مِن نَفَقَةٍ**﴾ يعمُّ جميع ما أنفق حتّى الـذي ينفقـه على نفسـه وأهله، ﴿**أو نـذرتم مِن نـذرٍ**﴾ في سبيل الله، أو سبيل الشيطان، ﴿**فإنَّ الله يَعلمُه**﴾ لا يخفى عليه، فيجازيكم عليه؛ ﴿**وما للظّالمين مِن أنصار(٢٧٠)**﴾ مِمَّن ينصرهم من الله، ويمنعهم من عقابه.

﴿**إن تُبدوا الصَّدقات فنِعِمَّا هي**﴾ فنِعم شيئًا إبداؤها، ﴿**وإن تُخفوها وتُؤتوها الفقراء، فهو خير لكم**﴾ فالإخفاء خير لكم في حال، فالإبداء[1] أفضل في حالٍ، والإخفاء أفضل في حالٍ، ﴿**ويُكفِّر عنكم مِن سيِّئاتكم والله بما تعملون خبير(٢٧١)**﴾.

﴿**ليس عليك هُداهم**﴾ قيل: نزل هذا في الفقراء، وذلك على قول مَن يجيز تسليم الزكاة إلى غير الأولياء؛ قال محمَّد بن روح: قد يقال نزلت فيمن يُتصدَّق عليه، ﴿**ولكنَّ الله يهدي من يشاء وما تُنفقوا مِن خير فلأنفسكم**﴾ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تَمنُّوا به على النَّاس ولا تعجبوا به؛ ﴿**وما تُنفقون إلاَّ ابتغاء وجه الله**﴾ وليست نفقتكم إلاَّ ابتغاء وجه الله، فما بالكم تَمنُّون بها وتنفقون الخبيث؟!، وقيل معناه: النهي، أي: ولا تنفقوا إلاَّ لابتغاء وجه الله، ﴿**وما تُنفقوا من خير يوفَّ إليكم**﴾ ثوابه أضعافا، فما بالكم تبخلون!؛ ﴿**وأنتم لا تُظلَمون(٢٧٢)**﴾ لا تنقصون أجره.

﴿**للفقراء الذِينَ أُحصروا في سبيل الله**﴾ هم الذِينَ أحصرهم الجهاد، أو طلب العلم، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أوخوف التَّباعة من

---

١ - في الأصل: «وفا الإبداء»، وَهُوَ خطأ.

الضَّرب في الأَرْض عن طلب الرزق، كأنـَّهم ليسوا بأهل مال ولا احتيال، **﴿لا يستطيعون ضربًا في الأرْض﴾** للكسب؛ **﴿يحسبهم الجاهل﴾** بحالهم، **﴿أغنياء من التَّعفُّف﴾** مستغنين من أجل تعفُّفهم عن المسألة، **﴿تعرفهم بسِيماهم﴾** بعلاماتهم، **﴿لا يسألون النَّاس إلحافًا﴾** إلحاحا، والإلحاح[1]: هو اللُّزوم، وأَن لا يفارق إلاَّ بشيء يُعطاه، وفي الحديث: «*أنَّ الله يحِبُّ الحيِيَّ الحليم المتعفِّف، ويبغض البذيء السَّائل الملحف*»[2]، وقيل معناه: إنـَّهم إن سألوا بتلطُّف ولم يُلحُّوا، **﴿وما تنفقوا من خير فإنَّ الله به عليم(٢٧٣)﴾**.

﴿الذِينَ ينفقون أموالهم بالَّيل والنَّهار سرًّا وعلانيـَّة﴾ يعني: يعمُّون الأوقات والأحوال بالصدقة، لحرصهم على الخير، وكلَّما نزلت بهم حاجة محتاج عجَّلوا قضاءها[3] ولم يُؤخِّروه، ولم يتعلَّقوا بوقت ولا حال؛ **﴿فلهم أجرهم عند ربِّهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢٧٤)﴾**.

﴿الذِينَ يأكلون الرِّبَا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبـَّطه﴾ أي: يصرعه **﴿الشيطان﴾**، أي: المصروع، لأنـَّه يَخبط في المعاملة، فجوزي على المقابلة، والخبط: الضَّرب على غير استواء كخبط العشواء **﴿مِنَ المسِّ﴾** من

---

١ - في الأصل: «والاحاج»، وَهُوَ خطأ.

٢ - لم نجده بهذا اللفظ، وَفِي رواية عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ». رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، ٤١١١. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «المتعفِّف».

٣ - في الأصل: «قضاهاء»، وهو خطأ.

الجنون، يقال: مُسَّ الرجل، فهو ممسوس [٦١] إذا كان مجنونا؛ ﴿**ذلك بأنَّهم قالوا إنَّمَا البيعُ مثلُ الرِّبَا وأحلَّ الله البيع وحرَّم الرِّبَا**﴾ فيه دليل على أنَّ القياس يهدمه النصُّ مع خلافه له؛ ﴿**فمن جاءَه موعظةٌ مِن ربِّه**﴾ بذكر وتخويف، ﴿**فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأُولَئِكَ أصحاب النَّار هم فيها خالدون(٢٧٥)**﴾.

﴿**يَمحَقُ الله الرِّبَا**﴾ ينقصه ويهلكه بـ[ـإذهاب]ـبركته[1]، ويهلك المال الذي يدخل فيه. ﴿**ويُربي الصَّدقات**﴾ وينمِّيها ويزيدها، أي: يزيد المال الذي أُخرجت منه الصَّدقة ويبارك فيه، ﴿**والله لا يحبُّ كُلَّ كفَّار أثيم(٢٧٦)**﴾.

﴿**إنَّ الذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالحات وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربِّهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢٧٧)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقوا الله وذروا ما بقي مِن الرِّبَا**﴾ أخذوا ما شرطوا على النَّاس من الرِّبَا وبقيت لهم بقايا، فأُمروا أن يتركوها ولا يُطالبوا بها، ﴿**إن كنتم مؤمنين(٢٧٨)**﴾ كاملي الإيمان، فإنَّ دليل كماله امتثال المأمور به.

﴿**فإن لم تفعلوا فأذَنوا بحرب مِن الله ورسوله**﴾ فاعلموا بها، مِن أذَان[2] بالشَّيء إذا عَلِم؛ قال بعض أهل المعاني: حربُ الله لأهل[3] العصاةِ: الخذلان

١ - في الأصل: «ويهلكه ببركته» وفيه سقط واضح.

٢ - في الأصل: «ذان»، وهو خطأ، وفي اللسان: أذان بالشيء إذنا وأذَنا وأذانة: عَلِم. ابن منظور: لسان، ٣٩/١.

٣ - في الأصل: «الأهل»، وهو خطأ.

لهم في الدنيا، والنار لهم في العقبى؛ وحرب رسول الله ﷺ لهم: السيف والبراءة منهم؛ ﴿**وإن تبتم فلكم رءوس أموالِكم لا تَظلمون**﴾ المديونين بطلب الزيادة عليها، ﴿**ولا تُظلمون(٢٧٩)**﴾ بالنقصان منها.

﴿**وإن كانَ ذو عُسرة فنَظِرة إلى مَيسُرة، وأنْ تصَّدقوا**﴾ بالإبراء، وقيل: بالانتظار، لقوله ﷺ: *«لا يَحُلُّ دَين امرء مسلم فيؤخّره، إلاّ كان [له] بِكُلّ يوم صدقة»*[1]، ﴿**خير لكم**﴾ يوم القيامة ﴿**إن كنتم تعلمون(٢٨٠)**﴾.

﴿**واتّقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله، ثُمَّ توفّى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون(٢٨١)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إذا تداينتم بدَين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه**﴾ وهذا الخطاب وارد للمؤمنين وفيهم، إذا وقعت المعاملة بينهم، وإن وقعت فيمن سواهم، فالأحرى إثبات الأشهاد حذرا عن[2] إتلاف المال، ﴿**وليكتب بينكم كاتب بالعدل**﴾ أي: كاتب مأمون على ما يكتب، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولاينقص، وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشَّرط حتّى يجيء مكتوبهم معدَّلا بالشرع، وهو أمر للمتداينين[3] بتخيُّر الكاتب، ولا يستكتبوا إلاّ فقيها ديِّنا؛

---

١ - رواه ابن ماجه في كتاب الأحكام، رقم ٢٤٠٩، عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ بلفظ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ». وروى نحوه أحمد في مسند البصريِّين، عن عمران بن حصين، وَفِي باقي مسند الأنصار عن بريدة أَيْضًا.

٢ - في الأصل: «على عن»، وَلَعَلَّ الأصوب: «مِن».

٣ - في الأصل: «اللمتدينين»، وهو خطأ.

﴿**ولا يَأبَ كاتب**﴾ ولا يمتنع واحد من الكتَّاب ﴿**أن يكتب كما علَّمه الله**﴾ كتابة الوثائق، لا يبدِّل ولا يغيِّر؛ ﴿**فليكتب**﴾ تلك الكتابة لا يَعدِل عنها، ﴿**وليُملِل الذي عليه الحقُّ**﴾ ولا يكن المملُّ إلاَّ من وجب[1] عليه الحقُّ، لأنَّه هو المشهود على ثباته في ذمَّته وإقراره، فيكون ذلك إقرارا على نفسه بلسانه، والإملال والإملاء لُغتان، ﴿**وليتَّق الله ربَّه**﴾ فلا يمتنع عن الإملاء، فيكون جحودا لكلِّ حقِّه، ﴿**ولا يبخس منه شيئا**﴾ ولا ينقص شيئًا منه.

﴿**فإن كان الذي عليه الحقُّ سفيها**﴾ مجنونا لأنَّ السَّفه خفَّة في العقل، أو محجورا عليه لتبذيره وجهله في التصرُّف، ﴿**أو ضعيفا**﴾ صبيًّا، ﴿**أو لا يستطيع أن يُملَّ هو**﴾ بعيٍّ أو لخرسٍ، ﴿**فليُملِل وليُّه**﴾ الذي يلي أمره، ويقوم به ﴿**بالعدل**﴾ بالصِّدق والحقِّ؛ ﴿**واستشهدوا شهيدين**﴾ واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدَّين ﴿**مِن رجالكم**﴾ من رجال المؤمنين، و[من أهل] الحرِّية والبلوغ؛ ﴿**فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان مِمَّن ترضون من الشُّهداء**﴾ مِمَّن تعرفون عدالتهم، فإنَّ مَن يكذب على الله أولى أن يكون مردود الشهادة، ﴿**أن تضلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى**﴾ لأجل أن تنسى إحداهما الشَّهادة فتذكِّرها الأخرى، ومعنى «تضلَّ» أي: تنسى، يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها تُذكِّرها الأخرى.

---

١ - في الأصل: «حب»، وهو خطأ.

﴿ولا يأب الشُّهداء إذا ما دُعوا﴾ لأداء الشَّهادة أو للتَّحمل، لئلاَّ تـتوي[1] حقوقُهم، وقد توجد، عن أبي سعيد فيما [٦٢] أرجو أنَّه قال: إذا أدَّاها وحملها.

﴿ولا تسأموا﴾ ولا تَملُّوا ﴿أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله، ذلكم أقسَط عند الله﴾ أي: أعدل لأنَّه أمر به، واتِّباع أمره أعدل مِن تركه، ﴿وأقومُ للشَّهادة﴾ وأعون، ﴿وأدنى ألاَّ ترتابوا﴾ أحرى أو أقرب من انتفاء الرَّيب للشَّهادة والحاكمِ وصاحب الحقِّ، فإنَّه قد يقع الشَّكُّ في المقدار والصفات، وإذا رجعوا إلَى المكتوب يُزال ذلك؛ وألف «أدنى» منقلبة من واو، لأنَّه من الدُّنوِّ؛ ﴿إلاَّ أن تكون تجارة حاضرة﴾ إلاَّ أن تكون التِّجارة تجارة حاضرة، أو إلاَّ أن تكون المعاملة تجارة حاضرة ﴿تُديرونَها بينكم﴾ أي: تتعاطَونها يدا بيد، ﴿فليس عليكم جُناح ألاَّ تكتُبوها﴾ معنى: إلاَّ أن تتبايعوا يدا بيد، فلا بأس ألاَّ تكتبوا، لأنَّه لا يُتوهَّم في التَّداين.

﴿وأشهِدوا إذا تبايعتم﴾ هذا التَّبايع، يعني: التجارة الحاضرة على أنَّ الإشهاد كافٍ فيه دون الكتابة، والأمر[2] للندب. ﴿ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد﴾ نَهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التَّحريف والزِّيادة والنُّقصان والنَّهي عن الضَّرر بهما، بِأن تعجَّلا عن مهمٍّ، ويلزأ[3] أو يعطي الكاتب حقَّه من الجعل، أو يحمل الشَّهيد مُؤنة مجيئه من بلد، ﴿وإن تفعلوا﴾ وإن تضارُّوا،

---

١ - تَوَى يتوي تَوًى والتَّوَى: الهلاك، وفي الصحاح: هلاك المال. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ١/٣٣٩.

٢ - في الأصل: «للأمر»، وهو خطأ.

٣ - لَزَأَ يَلزَأُ لَزْأً الإناء: ملأه. ـ وللماشية: أشبعها، ولزأ فلانا: أعطاه. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ٧١٩.

﴿**فإنّه فُسوق بكم واتّقوا الله**﴾ في مخالفة أوامره، ﴿**ويعلّمكم الله**﴾ شرائع دينه وإصلاح دنياكم، ﴿**والله بِكُلِّ شيءٍ عليم(٢٨٢)**﴾ لا يلحقه سهو ولا قصور.

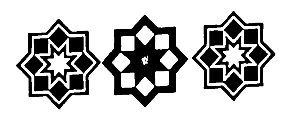
﴿**وإن كنتم على سفر ولم تَجدوا كاتبا فرهانٌ مقبوضة، فإن أمِنَ بعضكم بعضا**﴾ فإن أمِن بعض الدّائنين بعض المديونين بحسن ظنّه فيه، فلم يتوثّق بالكتابة والشُّهود والرَّهن، ﴿**فليؤدِّ الذي اؤتُمِن أمانته**﴾ دَينه، ﴿**وليتّق الله ربَّه**﴾ في إنكار حقّه؛ وكأنَّ في هذه الآية دلالة على أَنَّ الأمر بالإشهاد والكتابة للحقوق، وقَبض الرَّهن للنّدب لا للوُجوب؛ ﴿**ولا تكتموا الشَّهادة ومن يكتمها فإنَّه آثم قلبُه**﴾ أي: فاجر قلبه، قيل: ما وعد الله على شيء كإيعاده على كِتمان الشَّهادة، قال: فإنَّه أثِم قلبه، وأراد به منه مسخ القلب، ونعوذ بالله منه، ووصف القلب بالإثم لأنَّه رئيس الأعضاء، والمضغَة التي إن صلحت صلح الجسد كلُّه، وإن فسدت فسد الجسد كلُّه، فكأنَّه قد تمكّن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان منه، ﴿**والله بما تعملون عليم(٢٨٣)**﴾.

﴿**لله ما في السَّمَاوَات وما في الأَرْض، وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبْكم به الله، فيغفرْ لمن يشاء ويُعذب مَن يشاء**﴾ قيل: لـمَّا نزلت هذه الآية اشتدَّ ذلك على المسلمين، لأَنَّ ذلك مِن أشدِّ البلوى، إذا كان يؤخذ بما توسوس به النَّفس، إلى أن نزلت: ﴿لا يكلّف الله نفسا إلاّ وُسعها، لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت﴾، ﴿**والله على كلِّ شيءٍ قدير(٢٨٤)**﴾.

﴿**آمَن الرَّسُول بما أُنزل إليه مِن ربِّه**﴾ أي: لم يؤمن ببعض، ويكفر ببعض، ﴿**والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرِّق بين أحد**

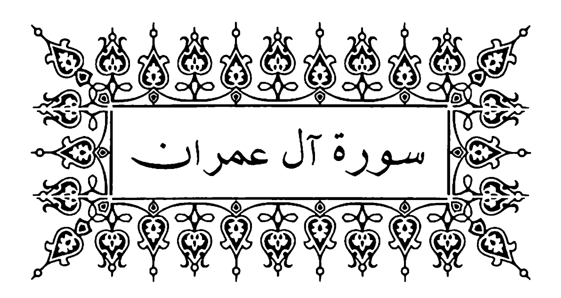
مِن رسله﴾ أي: لا نفرِّق بين أحد منهم، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ **﴿وقالوا سمعنا﴾** قولَك، **﴿وأطعنا﴾** أمرَك، **﴿غُفرانَك﴾** أي: اغفر لنا غفرانك **﴿ربَّنَا وإليك المصير(٢٨٥)﴾** المرجع، وفيه إقرار بالبعث والجزاء.

﴿لا يكلِّف الله نفسا إلاَّ وُسعها﴾ ووسعها طاقتها، وطاقتها ما تَقدِر عليه، وقيل: الوُسع ما وسع[1] الإنسان ولا يضيق عليه؛ **﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسَبَت﴾** ينفعها ما كسبت من خير، ويضرُّها ما اكتسبت من شرٍّ، وخصَّ الخير بالكسب والشرَّ بالاكتساب، لأنَّ "الافتعال" للانكماش، والنفسُ تنكمش في الشرِّ وتتكلَّف للخير؛ **﴿ربَّنَا لا تُؤاخذنا إن نسينا﴾** تركنا أمرا مِن أوامرك سهوا، **﴿أو أخطأنا﴾** على غير تعمُّد؛ **﴿ربَّنَا ولا تحمل علينا إصرا﴾** عباءً يأصر[2] حامله، أي: يحبسه مكانه لثقله، استعير لتكليف الشَّاق، من نحو قَتلِ الأنفس وغير ذلك، **﴿كمَا حَملته على الذِينَ مِن قبلنا﴾** كاليهود؛ **﴿ربَّنَا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به﴾** مِن العقوبات النَّازلة بمن قبلنا، وقيل معناه: لا تفعل بنا فعلا يحول بيننا وبين طاعتك، لقوله: **﴿واعف عنَّا﴾** اُمحُ سَيِّئَاتِنا، **﴿واغفر لنا﴾** واستر ذنوبنا، **﴿وارحمنا أنت مولانا﴾** متوليٍّ أمورنا، **﴿فانصرنا على القوم الكافرين(٢٨٦)﴾** فمن حقِّ المولىَ أن ينصر عبيده.



١ - في الأصل: «سع»، وهو خطأ.

٢ - أَصَرَ يأصِر أَصْرًا: عطفه وكسره، أو ثقل عليه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٧٦/١.



سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم(١) ا لله لا إله إِلاَّ هو﴾ تقديره لا إله في الوجود لأهل العبادة إِلاَّ هو ﴿الحيُّ القيُّوم(٢)﴾ القائم على كلِّ الموجودات، ﴿نزَّل عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق مصدقا لِمَا بين يديه﴾ لما قبله، ﴿وأنزل التوراة والإنجيل(٣) من قبلُ﴾ قبل القرآن، ﴿هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ المفرِّق بين الحقِّ والباطل، ﴿إنَّ الذِينَ كفروا بآيات ا لله لهم عذاب شديد وا لله عزيز ذو انتقام(٤)﴾ ذو عقوبة شديدة، ﴿إنَّ ا لله لا يخفَى عليه شيء في الأرض ولا في السماء(٥)﴾.

﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ أي: صوَّركم لنفسه وعبادته[كَذَا]، ﴿لا إله إِلاَّ هو العزيز الحكيم(٦)﴾ في تدبيره.

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحْكَمَات﴾ ظاهرة عبارتها لا تحتمل معاني، وإِنَّمَا تحتمل معنىً واحدًا، ﴿هنَّ أمُّ الكتاب﴾ مبيَّنات مفصَّلات، وسمِّيت محكمات من الإحكام، كأنَّه أحكمها، فمنع الخلق من التصرُّف فيها، لظهورها ووضوح معناها، وهنَّ أصل الكتاب لتُحمَل[1] المتشابهات عليها وتردَّ إليها؛ ﴿وأُخر﴾ وآيات أُخر ﴿متشابهات﴾ مشتبهات

---

١ - في الأصل: «التحمُّل»، وهو خطأ.

محتملات لمعاني، ومثال ذلك: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] فالاستواء يكون بمعنى: الجلوس، وبمعنى: القدرة والاستيلاء، ولا يجوز الأوّل على الله بدليل المحكم وهو قوله: ﴿ليس كَمِثْلِه شيءٌ﴾[2] وإنّما لم يكن كلُّ القرآن مُحكما لِمَا في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحقِّ والمتزلزل، وبين المجتهد في الطلب والمقصِّر، ولِما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردِّه إلى المحكم من الفوائد الجليّة والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات عند الله تعالى.

﴿**فأمَّا الذِينَ في قلوبهم زيغ**﴾ أي: ميل عن الحقِّ وَهَذَا لاتبّاع الباطل؛ ﴿**فيتّبعون ما تشابه منه**﴾ فيتعلّمون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع بتأويل الضلال، ولا يطابقه في حكم ﴿**ابتغاء الفتنة**﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلُّوهم؛ قيل عن مجاهد إنّه قال: ابتغاء الشبهات واللّبس. ﴿**وابتغاء تأويله**﴾ وطلب أن يُؤوِّلوه التأويل الذي يَشتهونه، وكأنّهُم يريدون أن يكونوا متمسِّكين بالكتاب، وتابعين لهوى الأنفس، وكلُّ من عصى الله بتأويل ضلال لحقته هذه الصفة.

﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله**﴾ أي: لا يهتدي إِلىَ تأويله الحقِّ الذي يجب أن يحمل عليه إِلاّ الله؛ ﴿**والراسخون في العلم**﴾ والذِينَ رسخوا، أي: ثبتوا فيه

---

١ - سورة طه: ٥.

٢ - سورة الشورى: ١١.

وتمكّنوا وعضُّوا فيه[1] بضرس قاطع. قال الواسطيُّ: «هم الذِينَ رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب، وفي سرِّ السرِّ، بعرفهم ما عرَّفهم، وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة، فانكشف لهم ـ من مذخور الخزائن والمخزون ـ تحت كُلِّ حرف وآية من الفهم والعجائب [بـ]النظر، فاستخرجوا الدُّرر والجواهر، ونطقوا بالحكمة».

﴿يقولون آمنَّا به﴾ وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم، واعتقاد الحقِّيَّة بلا تكييف ﴿يقولون آمنَّا به﴾، أي: بالمتشابه والمحكم، ﴿كلٌّ﴾ من متشابهه ومحكمه ﴿من عند رَبنَا﴾ وقولهم [٦٤] هذا وإيمانهم به يدلُّ على علمهم بتأويله، وكلُّ من كان سالماً في دينه ولم ينقض إيمانه بشيء من الظلم، فهو[2] من الراسخين في العلم، وإن كان فوق كلِّ ذي علم عليم. ﴿وما يذَّكر إلاَّ أولو الألباب(٧)﴾ أصحاب العقول، وهو مدح للراسخين بإلقاء[3] الذهن وحسن التَّأمُّل.

﴿رَبَّنَا لا تُزِغ قلوبنا﴾ لا تُمِلها عن الحقِّ، بخلق الميل في القلوب ﴿بعد إذ هديتنا﴾ للإيمان، ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ رحمةً بعد رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت، ﴿إنَّكَ أنت الوهَّاب(٨)﴾ تعطي بلا استحقاق، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جامعُ

١ - كذا في الأصل، والأصحُّ: «عليه».

٢ - في الأصل: «فهوا» بزيادة الألف، وهو خطأ.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّهُ يقصد إلقاء الذهن في ملكوت الله، والغوص والتعمُّق في العلوم الشَّرْعِيَّة لاستنباط الأَدِلَّة من مكامنها. ويمكن أن نقرأ: «بـإنقاء» بمعنى: تنقيته وتنظيفه من الأدران.

الناس ليوم﴾ أي: تجمعهم لحساب يوم الجزاء، **﴿لا ريب فيه﴾** لا شكَّ فِي إتيانه، **﴿إنَّ ا لله**[1] **لا يُخلف الميعاد(٩)﴾** لأنَّ الإلهيَّة[2] تنافي خلف الميعاد.

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُواْ لن تُغنيَ عَنْهُمْ أموالهم وَلاَ أولادهم مِنَ ا لله﴾ من عذابه **﴿شَيْئًا﴾** لأَنَّهُمْ لم يريدوا بها وجه ا لله تعالى مثل المُؤْمِنين، وإنَّما أَرَادوا بها زينة وتكاثرا فِي الأموال والأولاد؛ **﴿وأولئك هم وقود النار(١٠)﴾** حطبها.

﴿كَدَأْبِ آل فرعون وَالذِينَ من قبلهم﴾ الدَّأبُ:[3] مصدر، دَأَب فِي العمل إِذَا أكدح [كَذَا] فِيهِ، فوضع موضع مَا عليه الإنسان من شأنه وحاله، تقديره: دأبَ هؤلاء الكفرة فِي تكذيب الحق، كدأب من قبلهم مِن آل فرعون وغيرهم، والمعنى: لن تغني عَنْهُمْ مثل مَا لم تغن عَنْ آل فرعون، **﴿كذَّبوا بِآيَاتِنا﴾** تفسير لدأبهم مِمَّا فعلوا، أو فُعل بهم، كأنَّه جواب لمن يسأل عَنْ حالهم؛ **﴿فأَخَذهم ا لله بذنوبهم﴾** بسبب ذنوبهم، وأَخْذُه إيَّاهم هلاكهم بغضب وعقوبة. **﴿وا لله شديد العقاب(١١)﴾** فِي الدارين لمن عصاه.

﴿قل للذين كَفَرُواْ ستُغلبون وتُحشرون إِلَىَ جهنَّم﴾ مِنَ الجِهِنَّام: وهي بئر عميقة العقر[4]. **﴿وبِئسَ المهاد(١٢)﴾** المستقرُّ جهنَّم.

---

١ - فِي الأصل: «إنَّك»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصل: «لان لالهية».

٣ - فِي الأصل: «الدب»، وهو خطأ.

٤ - كذا فِي الأصل والصواب: «القعر».

﴿**قد كَانَ لكم آية**﴾ أي: بيان، ﴿**فِي فئتين التَقَتَا، فئة تُقاتل فِي سبيل اللّه**﴾ وَهُم المُؤْمِنون، ﴿**وأُخْرَى كافرة يرونهم مِثلَيهم**﴾ يرى المشركون المُسْلِمِينَ مثلي المشركين ألفا، ومثلي عدد المُسْلِمِينَ ستمائة ونيفا وعشرين، أراهم الله إيَّاهم مَعَ قِلَّتهم أضعافهم، ليهابوهم ويجبنوا عَنْ قتالهم، وكَأنَّ ذَلِكَ مددٌ[1] مِنَ الله لَهُمْ، كما أمدَّهم بالمَلاَئِكَة، ﴿**رأي العين**﴾ يعني: رؤية ظاهره مكشوفة، وذلك من قدرة الله سبحانه أن يريهم القليل كثيرا، مثل رأي العين، ليقضيَ الله [أمره] وينفذ فِيهِم مشيئته. ﴿**والله يؤيد بنصره من يَشَاء**﴾ كما أيَّد المُسْلِمِينَ بتكثيرهم فِي عين العدو؛ ﴿**إنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ فِي تكثير القليل، وتعظيم الحقير وبالعكس، ﴿**لَعبرةً**﴾ لَعِظَةً ﴿**لأولي الأبصار(١٣)**﴾ لذوي البصائر.

﴿**زُين للنَّاس حبُّ الشهوات**﴾ الشهوة: تَوَقَان النفس إِلَى الشيء، والشهوة: مسترذلة عند الحكماء، مذموم من اتَّبعها، شاهد عَلَى نفسه بالبهيميَّة، وأُزيد عليها بقوله: ﴿**مِن النساء والبنين، والقناطير المقنطرة مِنَ الذهب والفضة، والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث، ذَلِكَ متاع الحياة الدُّنْيَا وَالله عنده حسن المآب(١٤)**﴾ المرجع، فِيهِ تزهيد فِي الدُّنْيَا وترغيب فِي الآخِرَة؛ ثُمَّ زهَّدهم فِي الدُّنْيَا وقال: ﴿**قُل أَؤنبئكم بخير من ذلكم**﴾ مِنَ الذِي تقدَّم، معناه: أُخبركم بعمل خير مِنَ السعي لِمَا تقدَّم. ﴿**للذين اتَّقَوا**﴾ الله بترك مَا زُين للنَّاس مِمَّا حرَّمه الله عليهم. ﴿**عند ربهم جَنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا، وأزواج مطهَّرَة**

١ - لَعَلَّ الأصوب أن تكون العبارة هكذا: «وكان ذلك مددًا من الله».

ورضوان مِنَ ا لله، وَا للهُ بصير بالعباد(١٥)﴾؛ ﴿الذِينَ يقولون﴾ بلسان مقالهم وحالهم: ﴿رَبَّنَا إنَّنا آمنَّا فاغفر لَنَا ذنوبنا وقنا عذاب النار(١٦)﴾.

﴿الصابرين﴾ عَلَى المصائب والطاعات، ﴿والصادقين﴾ قولا بإخبار الحق، وفعلا بإحكام [٦٥] العمل، ونيَّةً بإمضاء العزم، ﴿والقانتين﴾ المطيعين، ﴿والمنفقين والمستغفرين بالأسحار(١٧)﴾.

﴿شَهِد ا للهُ﴾ أي: علم ﴿أنَّه لاَ إله إلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَة وأولو العلم﴾ علموا أنَّه: ﴿قائما بالقسط﴾، قيما بالعدل فيما قسم وقضى، وقدَّر مِنَ الأرزاق والآجال، والأمر والنهي، والثواب والعقاب؛ ﴿لاَ إله إلاَّ هُوَ العزيز الحكيم(١٨)﴾ فوافق علمهم علمه فِي ذَلِكَ.

﴿إنَّ الدين عند ا لله الإسلام﴾ أي: الاستسلام والانقياد والطاعة لَهُ من عبيده، وعليهم؛ ﴿وَمَا اختلف الذِينَ أوتوا الكتاب﴾ أي: أهل الكتاب مِنَ اليَهُود والنصارى، واختلافهم إنَّمَا تركوا الإسلام وَهُوَ التوحيد؛ ﴿إلاَّ من بعد مَا جاءهم العلم بغيا بَيْنَهُمْ﴾ أي: مَا كَانَ ذَلِكَ الاختلاف إلاَّ حسدا بَيْنَهُمْ، وطلبا للرئاسة وحظوظ الدُّنْيَا، واستتباع كل فريق أناسا. ﴿ومن يكفر بِآيَاتِ ا لله﴾ بحججه ودلائله، ﴿فإنَّ[1] ا لله سريع الحساب(١٩)﴾ سريع المجازاة بالخذلان فِي الدُّنْيَا، وبالنار فِي العقبى.

﴿فإن حاجُّوك﴾ جادلوك فِي أنَّ دين ا لله الإسلام؛ ﴿فقل: أسلمت

---

١ - في الأصل: «إنَّ»، وهو خطأ.

وجهي لله﴾ أي: أخلصت نفسي وجملتي لله وحده، لم أجعل فِيهَا لغيره شِركا، بأن أعبده وأدعوه وَلاَ أدعوا إلها معه، يعني: أَنَّ ديني دين التوحيد، وَهُوَ الدين القيم الذِي ثبت عندكم صحَّته كما ثبت عندي، وَمَا جئت بشيء بديع حتَّى تجادلوني فِيهِ؛ **﴿ومن اتَّبعني﴾** أي: أسلمت أنا ومَن اتَّبعني. **﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾**: وَالذِينَ لاَ كِتَاب لَهُمْ، وقيل: إِنَّهُم العرب، **﴿أأسلمتم؟ فإن أسلموا﴾** فإن انقادوا وأذعنوا، (لَعَلَّهُ) واستسلموا لأمر ا لله عَلَى مَا يوافق طبع النفوس، أو يخالفها؛ **﴿فقد اهتدوا﴾** فقد أصابوا الرشد، حيث خرجوا مِنَ الضلال إِلَى الهدى. **﴿وإن تولَّوا فَإِنَّمَا عليك البلاغ﴾** أي: ليس عليك هداهم، وإنَّما عليك إبلاغهم، **﴿وا لله بصير بالعباد(٢٠)﴾** فيجازيهم عَلَى كفرهم.

﴿إنَّ الذِينَ يكفرون بِآيَاتِ ا لله ويقتلون النبيين بغير حقٍّ، ويقتلون الذِينَ يَأْمُرُون بالقسط مِنَ الناس﴾ والقتل: هُوَ معروف، ويخرج من معناه التبرُّؤ مِنَ الذِينَ يَأْمُرُونهم بالقسط ومعاداتهم، كما قيل: البراءة مِنَ المُؤْمِن كقتله؛ **﴿فبشرهم بعذاب أليم(٢١)﴾**.

﴿أُوْلَئِكَ الذِينَ حبطت أعمالهم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾ إحباطها فِي الدُّنْيَا عدم التوفيق للخير، وفي الآخِرَة بعدم الثواب؛ **﴿وَمَا لَهُمْ من ناصرِينَ(٢٢)﴾** يمنعونهم من عذابه.

﴿ألم تر إِلَى الذِينَ أوتوا نصيبا مِنَ الكتاب﴾ بقيام حجَّة تقوم عَلَيْهِم من كِتَاب من كتب ا لله؛ **﴿يُدعون إِلَى كِتَاب ا لله ليحكم بَيْنَهُمْ؛ ثُمَّ**

يتولىّ فريق مِنْهُمْ وَهُم معرضُونَ(٢٣)﴾.

﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ قَالُوا لن تمسَّنا النار إلاَّ أيَّاما معدودات﴾ أي: ذَلِكَ التولِّي بسبب تسهيلهم عَلَى أنفسهم مِنَ العقاب، وطمعهم فِي الخروج مِنَ النار بعد أيَّام قلائل، **﴿وغرَّهم فِي دينهم مَا كَانُوا يفترُونَ(٢٤)﴾** قد غرَّ الشيطان لعَنهُ الله أكثر الخلق، بافترائهم الكذب بألسنتهم و قلوبهم، بِمَا خُيل إلَيْهِم مِنَ الأماني الكاذبة، واعتقدوا أَنـَّهُمْ ينجون من عذاب الله وينعمون بالثواب من قبل استحقاقهم ذَلِكَ من قبل مَا عملوه مِنَ الأعمال، وأنفقوا من أموال، وأتعبوا فِيهِ الأبدان، مَعَ تعديهم لأكثر الحدود، ولَعَلَّهُم أصغوا إلَى المتشابه مِنَ الكتاب و لم ينوا[1] دينهم عَلَى أم الكتاب وأصول الدين، تساهلا لموافقة الشهوات وارتكاب الشبهات. **﴿فكيف إذَا جمعناهم ليومٍ لاَ ريب فِيهِ ووفِّيَت كُلُّ نفس مَا كسبت﴾** جزاء مَا [٦٦] كسبت، وفِي ذَلِكَ وعد لمن أطاع، ووعيد لمن عصى؛ **﴿وَهُمْ لاَ يُظلمُونَ(٢٥)﴾** بزيادة فِي سيئاتهم، ونقصان من حسناتهم.

﴿قل اللَّهُمَّ مالكَ المُلكِ﴾ أصل ملك الدارين: القلوب السليمة فمن رُزِقها فقد أوتي الملك الحقيقيَّ، ومن حرمها بسوء كسبه فقد أذلَّه، و لم يعزَّه بانتزاعها منه وإن كَانَ لَهُ مِنَ الملك الوهمي نصيب، بدليل قوله فِي الآية: **﴿بيدك الخير﴾**، **﴿تُؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك مِمَّن تشاء، وتُعِزُّ من تشاء﴾** قَالَ بأن يكون لك بك ومعك بين يديك؛ **﴿وتذلُّ من تشاء بيدك الخير إنَّكَ عَلَى كُل شيء قدير(٢٦)﴾.**

١ - في الأصل كلمة غير واضحة ولعلَّ الصواب: ما أثبتناه.

﴿تُولج الليل فِي النهار، وتولج النهار فِي الليل، وتُخرج الحيَّ مِنَ المَيت، وتُخرِج المَيت مِنَ الحي، وترزق من تشاء بغير حساب(٢٧)﴾ لاَ يعرف الخلقُ عدده ومقداره، وإن كَانَ معلوما عند ا لله.

﴿لاَ يتَّخذ المُؤْمِنون الْكَافِرِينَ أولياء﴾ نُهوا أن يُوالوا الْكَافِرِينَ، لقربة بَيْنَهُمْ **﴿مِن دون المُؤْمِنين﴾** يعنِي: أنَّ لكم فِي موالاة المُؤْمِنين مندوحة، أَي: سعة عَنْ موالات الْكَافِرِينَ، فلا تؤثروهم عليهم، **﴿ومن يفعل ذَلِكَ فليس مِنَ ا لله فِي شيء﴾** ومن يوالي الكفرة، فليس من ولاية ا لله فِي شيء، يعني: أنَّه منسلخ عَنْ ولاية ا لله رأسا، لأنَّ موالاة الولي، وموالاة عدوه متنافيان، فلا تستحقُّ مِنَ ا لله شَيْئًا فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَة، إلاَّ الاستدراج فِي الدُّنْيَا، وعذاب النار فِي الآخِرَة؛ وقيل: ليس من دين ا لله فِي شيء. **﴿إلاَّ أن تتَّقوا مِنهُمْ تُقاة﴾** إلاَّ أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه، وهذه رخصة فِي موالاتهم عند الخوف، والمراد بهذه الموالاة: المخالفة الظاهرة، والقلبُ مطمئنٌ بالعداوة. **﴿ويحذِّرُكم ا لله نفسه﴾** أَي: ذاته، فلا تتعرَّضوا لسخطه بالمخالفة، وهذا وعدٌ شديد. **﴿وإلى ا لله المصير(٢٨)﴾** أَي: مصيركم إِلَيْهِ، والعذاب مُعَدٌّ لديه لمن خالف.

﴿قل: إن تُخفوا مَا فِي صدوركم أو تُبدوه يعلمه ا لله، ويعلم مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض وَا للهُ عَلَى كُل شيءٍ قدير(٢٩)﴾.

﴿يوم تجد كُلُّ نفس مَا عملت من خير محضرا، وَمَا عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ أَي: والذي عمِلَته من سوء، تودُّ لو تباعد

مَا بينها وبينه، ﴿ويحذِّركم ا لله نفسه﴾ لتكونوا عَلَى بال منه، لاَ تغفلون عنه، وعن مَا تعبَّدكم بِهِ طرفة عين. ﴿وا لله رءوف بالعباد(٣٠)﴾.

﴿قل: إن كُنتُمْ تحبُّون ا لله فاتَّبعوني يحببكم ا لله﴾ المحبَّة: ميل النفس إِلَى الشيء لكمال إدراك فِيهِ، بحيث يحملها عَلَى مَا تقربه إِلَيْهِ، والعبد إِذَا علم أنَّ الكمال الحقيقيَّ ليس إِلاَّ لله، وَأَنَّ كلَّ مَا يراه كمالا من نفسه أو غيره، فهو مِنَ ا لله وبا لله وإلى ا لله، لم يكن حبُّه إِلاَّ لله وفي ا لله، وذلك تقصي إِرَادَة طاعته والرغبة فيما يقرُّ بِهِ، فلذلك فُسرت المحبَّة: بـإِرَادَة الطاعة، وجعلت ملتزمة لاتباع الرسول فِي عبادته، والحرص عَلَى مطاوعته، ﴿يحببكم ا لله﴾ ومعنى حب ا لله لعباده: هوكشف الحجاب عَنْ قلوبهم، حتَّى يروا صفاته وأفعاله بقلوبهم، وإلى تمكينه إيَّاه[1] مِنَ القرب منه، ﴿ويَغْفِر لكم ذنوبكم﴾ وعد غفران الذنوب باتباع الرسول، ﴿وا لله غَفُور رحيم(٣١)﴾.

﴿قل: أطيعوا ا لله والرسول﴾ هِيَ علامة المحبَّة؛ ﴿فإن تولَّوا﴾ أعرضوا[2] عَنْ قبول الطاعة، ﴿فإنَّ ا لله لاَ يحبُّ الْكَافِرِينَ(٣٢)﴾ لاَ يحبُّهم وَهُمْ فِي غضبه وبغضه وعذابه وسخطه وعداوته، لاَ يزالون عَلَى[3] ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَلاَ[4] فِي الآخِرَة إِلاَّ من تاب.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «إيَّاهم».

٢ - في الأصل: «عرضوا»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: مكتوب فوق «على» حرف «عن».

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «لاَ».

﴿إنَّ ا الله اصطفى﴾ اختار، "افتعل" مِنَ الصفوة: وهي الخالص من كل شيء؛ ﴿آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)﴾ عَلَى عالمي زمانهم [٦٧]. ﴿ذُريـَّة بعضها من بعض وَا للهُ سميع عليم(٣٤)﴾.

﴿إذ قالت امرأة عمران: رَبِّ إِني نذرت لك﴾، أوجبت ﴿مَا فِي بطني محرَّرا﴾ أي: معتقا أومخلَصا لله، مفرَّغا للعبادة، وكلَّما أخلص فهو محرَّر، يقال: حرَّرت العبد، إِذَا عتقته وخلَّصته عَن الرق؛ ﴿فتقبَّل مني﴾ والتقبُّل أخذ الشيء عَلَى الرضى بِهِ، ﴿إنَّكَ أنت السميع العليم(٣٥)﴾.

﴿فَلَمَّا وضعتها، قالت: رَب إِني وضعتُها أنثى، وَا للهُ أعلم بِمَا وضعت﴾ تعظيما لموضوعها، وَا للهُ أعلم بالشيء الذِي وضعت، وَمَا علق بِهِ من عظائم الأمور. ﴿وليس الذكر كالأنثى[1] وإِنِّي سمَّيتُها مَرْيَم، وإِني أُعيذها بك﴾ أجيرها، ﴿وذريَّتها مِنَ الشيطان الرجيم(٣٦)﴾.

﴿فتقبَّلها ربُّها﴾ قبل ا الله مَرْيَم، ورضِيَ بها فِي النذر، ﴿بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾ مجاز عَن التربية الحسنة. قَالَ ابن عطاء: «مَا كَانَتْ ثمرته مثل عيسى؛ فذلك أحسن النبات»، ويحتمل ﴿أنبتها نباتا حسنا﴾ أي: حسَّن خلقَها، وهذا هُوَ النبات الحقيقيُّ؛ ﴿وكفلها﴾ ضمِن القيام بأمرها، وقيل: كفَلها ا الله، ﴿زكريا﴾ أي: جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها، ليتوفَّر لَهُ الثواب بكفالتها وتربيتها. ﴿كلَّما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها

١ - فِي الأصل: «كأنثى»، وهو خطأ.

رزقا﴾ يحتمل ها هنا الرزق أن يكون مِنَ المأكول، ويحتمل أن يكون علما وحكمة من غير تعليم معلّم. **﴿قَالَ: يا مَرْيَم أَنَّى لك هَذَا﴾**؟ من أين لك هَذَا الرزق؟ **﴿قالت: هُوَ من عند ا لله﴾** وإن كَانَ أتاها ذَلِكَ الرزق بسبب، فليس للأسباب مَعَ أهل التحقيق معنىً؛ فلذلك قالت: «هُوَ من عند ا لله» **﴿إنَّ ا لله يرزق من يَشَاء بغير حساب(٣٧)﴾** بغير تقدير.

﴿هنالِك﴾ فِي ذَلِكَ المكان، لمَّا رأى حال مَرْيَم فِي كرامتها عَلَى ا لله، ومنزِلها رغِب أن يكون لَهُ ذُريّة طيبة، **﴿دعا زكريا ربَّه، قَالَ: رَب هب لي من لدنك ذُريّة طيبة﴾** الطيب مِنَ الناس مَا طاب عمله، **﴿إنَّكَ سميع الدعاء(٣٨)﴾**.

﴿فنادته المَلاَئِكَة، وَهُوَ قائم يصلّي فِي المحراب﴾ قَالَ ابن عطاء: «مَا فتح ا لله عَلَى عبده حالة سَنيّة إِلاَّ باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات، ولزوم المحاريب». **﴿أنَّ ا لله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة﴾** بآيَةٍ **﴿من ا لله وسيدا﴾** هُوَ الذِي يسود قومه، أي: يفوقهم فِي الشرف والعلم والعبادة، وقيل: السيد إِذَا جاد بالمكوَّنين عوضا بالمكون؛ **﴿وحصورا﴾** مبالغة فِي حبس النفس عَنِ الشهوات والملاهي، وقيل: إِنَّهُ مَرَّ بصبيان يلعبون فدعوه إِلَى اللّعب فقال: «مَا للّعب خُلقت» وقيل: هُوَ الذِي لاَ يقرب النساء مَعَ القدرة حصرا لنفسه، ومنعا لها مِنَ الشهوات. **﴿ونبيًّا مِنَ الصالحِينَ(٣٩)﴾**.

﴿قَالَ رَب أَنَّى يكون لي غلام﴾ استعظام للقدرة لاَ تشكُّك، **﴿وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؛ قَالَ: كذلك ا لله يفعل مَا يَشَاء(٤٠)﴾** مِنَ الأفعال الخارقة للعادة.

﴿**قَالَ: رَب اجعل لِي آية؛ قَالَ: آيتك أَلاَّ تُكلِّم النَّاس**﴾ أن لاَ تَقدر عَلَى كلام الناس، ﴿**ثلاثة أيَّام إلاَّ رمزا**﴾ الإشارةُ بعضو، أو إنَّمَا خصَّ تكليمُ الناس، ليعلمه أنَّه يحبس لسانه عَنِ القدرة عَلَى تكليمهم، خاصةً مَعَ إبقاء قدرته عَلَى التكلُّم بذكر الله ولذا قَالَ: ﴿**واذكر رَبَّكَ كثيرا، وسبح بالعشي والإبكار(٤١)**﴾ يعني: بالتسبيح، صلاة الفرائض، أو دُمْ فِي كل وقتك.

﴿**وإذ قالت المَلاَئِكَة: يا مَرْيَم إنَّ الله اصطفاك**﴾ اختارك بشارة لها، ﴿**وطهَّرك**﴾ مِمَّا يستقذر مِنْهُ الأفعال والأقوال والنيَّات [٦٨]؛ ﴿**واصطفاك عَلَى نساء الْعَالَمِينَ(٤٢)**﴾.

﴿**يا مَرْيَم اقنتي لربك**﴾ أدمي[1] الطاعة، ﴿**واسجدي واركعي مَعَ الراكعِينَ(٤٣)**﴾ أي: ولتكن صلاتك مَعَ المصلين فِي الجماعة، وأنظمي نفسك فِي جملة المصلِّين، وكوني فِي عدادهم.

﴿**ذَلِكَ من أنباء الغيب نوحيه إليك**﴾ يعني: أنَّ ذَلِكَ مِنَ الغيوب التِي لم تعرفها إِلاَّ بالوحي، ﴿**وَمَا كنتَ لديهم**﴾ معناه: محاضرا[2] معهم، ﴿**إذ يُلقون أقلامهم**﴾ أزلامهم، وهي قدحهم التِي طرحوها فِي النهر مقترعين، وهي الأقلام التِي كَانُوا يكتبون التوارة بها، اختاروها للقُرعة تبرُّكا بها، ﴿**أيُّهم يكفل مَرْيَم**﴾ مِن عَدَمِ الكافل لها. ﴿**وَمَا كنت لديهم إذ يختصمُونَ(٤٤)**﴾ فِي شأنها، تنافسا فِي التكفُّل بها.

---

١ - فِي الأصل: «ادمي»، وَهُوَ خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «حاضرا».

وَ﴿إذ قالت المَلاَئِكَة: يا مَرْيَم إِنَّ ا لله يبشـرك بكلمـة﴾ بـآيـَةٍ ﴿منـه، اسمه المسيح عيسى ابن مَرْيَـم، وجيها﴾ ذا جاه وقدْر، لأَنـَّهُ إمام[1] المُـتَّـقِينَ ﴿فِي الدُّنْـيَا والآخِـرَة﴾ لأنَّ كـلَّ مـن أطـاع ا لله، فهـو وجيـه فِي الدُّنْـيَا والآخِرَة؛ لكن للعاملين درجات عَلَى قدر الأعمال، ﴿ومن المقرَّبِينَ(٤٥)﴾.

﴿ويكلِّم الناس فِي المهد وكهلا ومن الصـالِحِينَ(٤٦) قـالت: رَب أَنـَّى يكون لِي ولد ولم يمسسني بشر؛ قَالَ: كذلك ا لله يخلق مَـا يَشَـاء إِذَا قضـى أمرا؛ فَإِنـَّمَا يقول لَهُ كن فيكُونَ(٤٧)﴾.

﴿ويعلِّمـه الكتـاب﴾ تـلاوة وتـأويلا، ﴿والحكمـة والتـَّوْرَاة والإِنْجِيل(٤٨) ورسولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنـي قد جئتكم بـآيـَةٍ من ربـكم، أنـي أخلق لكم مِنَ الطين كهيئة الطير﴾ أي: أُقَـدِّر لكـم شَيْـئًا مثـل صـورة الطير، ﴿فأنفخ فِيـهِ؛ فيكـون طـيرا بـإذن ا لله، وأُبـرِئ الأكمـه﴾ الـذِي وُلـد أعمى، ﴿والأبرص، وأُحيـي الموتـى بـإذن ا لله، وأنبـئكم بِمَـا تـأكلون وَمَـا تدَّخرون فِي بيوتكم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لكم إِن كُنتـُمْ مُؤْمِنِـينَ(٤٩) ومصدقـا لِمَا بين يديَّ مِنَ التَّوْرَاة، ولأُحِلَّ لكم بعضَ الذِي حُـرم عليكـم، وجئتكـم بِـآيَةٍ من رَبـكُم فاتـَّقُوا ا لله وأطيعون(٥٠)﴾.

﴿إِنَّ ا لله رَبـي ورَبـُّكُم فاعبدوه﴾ إِقْرَار بالعبوديـَّة، ونفـي للربوبيـَّة عَـن نفسه. ﴿هَذَا صِرَاط مُسْتَقِـيم(٥١)﴾ يؤدِّي صاحبه إِلَى النعيم المقيم.

---

١ - في الأصل: «الإمام»، وَهُوَ خطأ.

﴿**فَلَـمَّا أحسَّ عيسى مِنْـهُم الكفر**﴾ علم مِنْـهُمْ كفرا لاَ شبهة فِيهِ، كعلم مَـا يدرك بالحواس؛ ﴿**قَالَ: مـن أنصـاريَ إِلىَ ا للهِ**﴾؟ مـن ينصرنـي إِلىَ إظهـار دينـه؟ ﴿**قَالَ الحواريُّون**﴾ حواريُّ الرجـل: صفوتـه وخالصتـه، قيـل: سمُّـوا بذلـك لنقـاء قلوبهم، ويقال للنساء الحضر: الحواريَّات، لنظافتـهنَّ وخلوص ألوانهـنَّ؛ ﴿**نَحْنُ أنصار ا للهِ**﴾ أعوان دينه، ﴿**آمَنَّا با لله، واشهد بأنَّا مُسْلِمُونَ(٥٢)**﴾.

﴿**ربَّنَا آمنَّا بِمَا أنزلت واتَّبعنا الرسول؛ فاكتـبنا مَـعَ الشـاهدِينَ(٥٣)**﴾ مَعَ الذِينَ يشهدون لـك بالوحدانيـَّة، أو يشـهدون للنـَّاس وعليهـم عَلَـى حسـب أعمالهم، وبتلك النيات والأقوال والأعمال صاروا حواريِّين.

﴿**ومكروا**﴾ أي: كفَّار بَنِي إِسْرَائِيلَ، الذِينَ أحسَّ مِنْهُم الكفـر. ﴿**ومكـر ا للهُ**﴾ أي: جازاهم عَلَى مكرهم، وَلاَ يجوز إضافة المكر إِلىَ ا لله إلاَّ عَلَى معنى الجزاء، لأنـَّهُ مذموم عند الخلق، وعلى هَذَا الخداع والاستهزاء أقوى؛ ﴿**وا لله خير الماكرِينَ(٥٤)**﴾ أقوى المجازين، وأقدرهم عَلَى العقاب من حيث لاَ يشعر المعاقَب.

﴿**إذ قَالَ ا لله يا عيسى: إِنـي متوفِّيـك**﴾ أي: مسـتوفي أجلـك؛ ومعنـاه: إِنـِّي عاصمك من أن يقتلك الكفَّار، ومُمَـيـِّتك حتف أنفك، لاَ قتلا بـأيديهم، ﴿**ورافعك إليَّ**﴾ رافعك لطاعتي، إِلىَ درجة الكرامـة، ﴿**ومطهـرك مِـنَ الذِيـنَ كَفَرُوا**﴾ أي: من عملهم، ﴿**وجاعل الذِينَ اتَّبعوك [٦٩] فوق الذِينَ كَفَـرُوا إِلىَ يوم القيامة**﴾ بالحُـجَّةِ البالغة؛ وعد مِنَ ا لله (لَعَلَّـهُ) لِكُـلِّ مُؤْمِـن. ﴿**ثـمَّ إليَّ مرجعكم؛ فأحكم بينكم فيما كُنتُمْ فِيهِ تختلفُونَ(٥٥)**﴾.

﴿فأمَّا الذِينَ كَفَرُوا؛ فأعذِّبهم عذابا شديدا فِي الدُّنْيَا﴾ بِكُلِّ مَا يسوؤهم ويسرُّهم فِيهَا، لأَنَّهُ لاَ ثواب لَهُمْ فِيهِ، خلاف سعي المُؤْمِنين. ﴿والآخِرَة﴾ بعذاب النار، ﴿وَمَا لَهُمْ من ناصرِينَ(٥٦)﴾ يدفع عَنْهُمْ ذَلِكَ.

﴿وأمَّا الذِينَ آمنوا وعملوا الصَّالِحَات فيوفيهم أجورهم﴾ عَلَى كسبهم ومتاعبهم؛ فَيُنسيهم الجزاء تعبَهم، خلاف الكَافِرِينَ، ﴿وا لله لاَ يحبُّ الظالمِينَ(٥٧)﴾.

﴿ذَلِكَ نتلوه عليك مِنَ الآيات والذكر الحكيم(٥٨)﴾ القرآن، لأَنَّهُ لاَ ينطق إِلاَّ بالحكمة. ﴿إنَّ مَثل عيسى عند ا لله كمثل آدم خلقه من تراب؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كن فيكُونُ(٥٩)؛ الحقُّ من ربك؛ فلا تكن مِنَ الممترِينَ(٦٠)﴾ الشاكِّين.

﴿فمن حاجَّك فِيهِ من بعد مَا جاءك مِنَ العلم؛ فقل: تعالو﴾ بجمع ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم؛ ثُمَّ نبتهل﴾ قيل: نتضرَّع فِي الدعاء؛ وقيل: ثُمَّ نبتهل، أَي: نتباهل بِأن نقول: بهلة[1] ا لله عَلَى الكاذب مِنَّا ومنكم؛ والبهلة بالضم والفتح: اللَّعنة، بهله ا لله: لعَنْهُ وأبعده من رحمته، وقولك: أبهله إِذَا أهمله؛ ﴿فنجعل لعنة ا لله عَلَى الكاذبِينَ(٦١)﴾.

﴿إنَّ هَذَا لهو القصص الحقُّ، وَمَا مِن إله إِلاَّ ا لله، وإنَّ ا لله لهو العزيز الحكيم(٦٢)؛ فإن تولَّوا فإنَّ ا لله عليم بالمفسدِينَ(٦٣)﴾ الذِينَ يعبدون غير ا لله، ويدعون الناس إِلَى غير عبادة ا لله.

١ - في الأصل: «بلهه»، وهو خطأ.

﴿**قل يا أهل الكتاب: تعالوا إِلَى كلمة سواء**﴾ أي: مستوية مُسْتَقِيمة، ﴿**بيننا وبينكم أَلاَّ نعبد إِلاَّ ا للهَ**﴾ وَمَا يراد مِنَ العباد إِلاَّ هَذِهِ الكلمة، قولا وعملا ونيَّة، ﴿**وَلاَ نشرك بِهِ شَيْئًا، وَلاَ يتَّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون ا للهِ**﴾ أي: لاَ يطيع بعضنا بعضا عَلَى غير طاعة ا للهِ؛ ﴿**فإن تولَّوا فقولوا: اشهدوا بأنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤)**﴾ أي: لزمتكم الحجَّة، فوجب عَلَيْكُم أن تعترفوا وتسلِّموا: بِأَنَّا مُسْلِمُونَ دونكم.

﴿**يا أهل الكتاب لم تحاجُّون فِي إبراهيم؟ وَمَا أُنزلت التَّوْرَاة والإِنْجِيل إِلاَّ من بعده**﴾ قيل: زعم كلُّ فريق مِنَ اليَهُود والنصارى أنَّه كَانَ مِنْهُمْ، وجادلوا رسول ا للهِ والمُؤْمِنين فِيهِ؛ فقيل لَهُمْ: إِنَّ اليَهُوديَّة إِنَّمَا حدثت بعد نزول التَّوْرَاة، والنصرانيَّة بعد نزول الإِنجيل؛ فكيف يكون إبراهيم لم يحدث إِلاَّ من بعده بأزمنة ﴿**أفلا تعقلُونَ(٦٥)**﴾.

﴿**ها أَنتُمْ هؤلاء حاججتم فيما لكم بِهِ علم**﴾ مِمَّا نطق بِهِ التَّوْرَاة والإِنْجيل؛ ﴿**فلِمَ تُحاجُّون فيما ليس لكم بِهِ علم**﴾ لم يذكر فِي كتابكم من دين إبراهيم، ﴿**وا للهُ يعلم وأنتم لاَ تَعْلَمُونَ(٦٦)**﴾.

﴿**مَا كَانَ إبراهيم يهوديًّا وَلاَ نصرانيًّا**﴾ أي: مَا كَانَ عَلَى دين أحد المِلَّتين، ﴿**ولكن كَانَ حنيفا**﴾ مَائلا عَنِ الأديان كلِّها إِلَى الدين المُسْتَقِيم، ﴿**مسلما وَمَا كَانَ مِنَ المشركِينَ(٦٧)**﴾.

﴿إنَّ أولى الناس بإبراهيم﴾ إنَّ أخصَّهم بهِ وأقربهم مِنــهُ ﴿لَلَّذيـن اتـَّبعوه﴾ فِي زمانه وبعده؛ ﴿وهذا النبيُّ﴾ خصوصا، خُصَّ بالذكر لخصوصيـَّته[1] بـالفضل، ﴿وَالذِينَ آمنوا﴾ من أمَّته مدحا لَهُـمْ وإلحاقا بِـهِ، وإن كَـانُوا دونـه فِي الدرجـة. ﴿وا لله وليُّ المُؤْمِنِينَ(٦٨)﴾ متولِّي أمورهم وناصرهم.

﴿ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلُّونكم، وَمَا يُضلُّون إلاَّ أنفسهم﴾ وَمَا يعود وبَالُ الإضلال إلاَّ عليهم، لأنَّ العذاب يضـاعَف عَـلَيْـهِـم بضلاهـم وإضلالهم، ﴿وَمَا يشعرُونَ(٦٩)﴾ أنـَّهُمْ يُضلُّون [٧٠] أنفسهم.

﴿يـا أهـل الكتـاب لم تكفـرون بِـآيـَاتِ ا لله﴾؟ بالتـَّوْرَاة والإنـْجِيل، وكفرهم بها لأَنـَّهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ بمَا نطقت بهِ، من صِحَّة نبـوَّة رسـول ا لله ﷺ وغيرها. ﴿وأنتم تشهدُونَ(٧٠)﴾ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحـقَّ بالبـاطل﴾؟ تخلطـون الإيمـان بـالكفر، أي: تسترونه بِهِ، مِـن لبـس الشـيء: إِذَا استتر بِـهِ، ومَـن لبـس الحـقَّ بالبـاطل جوزي بإلبـاس البـاطل بِالْحـَقِّ لقولـه: ﴿ولَلَبسنا عَـلَيْـهِـم مَـا يلبسـون﴾[2] فلذلك لاَ يَعْلَمُونَ ضلاهم. ﴿وتكتمـون الحـقَّ﴾ أي: لايظهرونـه بـالقول وَلاَ بالعمل؛ ﴿وأنتم تَعْلَمُونَ(٧١)﴾ أنـَّه حقٌّ.

١ – فِي الأصل: «لخصواصيته»، وهو خطأ.

٢ – سورة الأنعام: ٩. وتمامها: ﴿ولو جعلناه مَلَكا لجعلناه رجلا ولَـلَبسنا عليهم ما يَلبِسون﴾.

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾ فيما بَيْنَهُمْ: ﴿آمنوا بالذي أُنزل عَلَى الذِينَ آمنوا﴾ أي: القرآن، عَلَى من آمن، ﴿وجهَ النهار﴾ أي: أوَّله، ﴿واكْفُرُوا[1] آخره لَعَلَّهُمْ يرجعُونَ(٧٢)﴾ لعلَّ المُسْلِمِينَ يقولون: مَا رجعوا وَهُمْ أهل كِتَاب وعلم، إِلاَّ لأمر تبيَّن لَهُم؛ فيرجعون برجوعكم.

﴿وَلاَ تُؤمنوا إِلاَّ لمن تبع دينكم﴾ وهذا لسان كلِّ أمَّة إن نطقت بمقالها أو بحالها. ﴿قل: إِنَّ الهدى هدى ا لله، أن يؤتى أحدٌ مثل مَا أوتيتم﴾ أي: وَلاَ تظهروا إيمانكم، بِأن يُؤتى أحد مثل مَا أوتيتم، إِلاَّ لأهل دينكم دون غيره؛ أَرَادَ أَسِرُّوا تصديقكم بِأَنَّ المُسْلِمِينَ قد أوتوا من كتب ا لله، مثل مَا أوتيتم، وَلاَ تفشوه إِلاَّ إِلَى أشياعكم وحدهم دون المُسْلِمِينَ، لئلاَّ يزيدهم ثباتا، ودون المشركين لئلاَّ يدعوهم إِلَى الإسلام، ﴿أو يُحاجُّوكم عند ربكم﴾ وَلاَ يؤمنوا لغير أتباعكم؛ إِنَّ المُسْلِمِينَ يحاجُّوكم[2] يوم القيامة بِالْحَقِّ، ويغالبونكم عند ا لله بِالحُجَّةِ. ﴿قل: إِنَّ الفضل بيد ا لله يؤتيه من يَشَاء، وَا للهُ واسع عليم(٧٣)﴾.

﴿يَختصُّ برحمته﴾ بالإسلام ﴿من يَشَاء﴾ من يعلم أنَّه من أهليَّته، ﴿وا لله ذو الفضل العظيم(٧٤)﴾ يؤتي كلَّ ذي فضل فضله. ﴿ومن أهل الكتاب مَن إن تأمنْهُ بقنطار يُؤده إليك﴾ من خوفه عَلَى نفسه من تباعته، ﴿ومنهم من إن تأمنْهُ بدينار لاَ يؤده إليك﴾ من استخفافه بأمر ا لله فِيهِ؛ ﴿إِلاَّ مَا دُمتَ عليه قائما﴾ إِلاَّ مدَّة دوامك عليه قائما عَلَى

---

١ - في الأصل: «وكفروا» وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يحاجُّونكم».

رأسه ملازما لَهُ؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: ليس علينا فِي الأميين سبيل﴾ أي: تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم: ﴿ليس علينا فِي الأُمِّيِّينَ سبيل﴾ أي: لاَ يتطرَّق إثم وَلاَ ذمٌّ فِي شأن الأمِّيِّين، يعنون الذِينَ ليسوا من أهل كتابهم؛ فكأنَّهُمْ صاروا فِي حقِّهم لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، لَمَّا عدموا المعرفة بكتابهم. ﴿ويقولون عَلَى ا لله الكذب﴾ بادِّعائهم إنَّ ذَلِكَ فِي كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٥)﴾ أي: أنَّهُمْ كاذبون.

﴿بلى من أوفى بعهده واتَّقى﴾ نفيا لقولهم وردًّا لما نفوه؛ ﴿فإنَّ ا لله يحبُّ المُتَّقِينَ(٧٦)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهد ا لله﴾ بمَا عاهدوه عليه مِنَ الإيمان. ﴿وأَيْمَانهم ثمنا قليلا﴾ متاع الدُّنْيَا، ﴿أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَة﴾ أي: لاَ نصيب، ﴿وَلاَ يكلِّمهم ا لله﴾ أي: لاَ يلهمهم الخير، بإعراضهم عمَّا يدلُّهم الملهم، أو لاَ يعطيهم كتابهم بيمينهم، ﴿وَلاَ ينظر إِلَيْهِم يوم القيامة﴾ نظر رحمة، ﴿وَلاَ يزكِّيهم﴾ وَلاَ يطهِّرهم من أدناس مَا تدنَّسوا بِهِ من أقذار الذنوب؛ والمعنى: لاَ يَغْفِر لَهُمْ، ﴿ولهم عذاب أليم(٧٧)﴾ فِي الدارينَ[1].

﴿وإنَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَفريقا يلوُون ألسنتهم بالكتاب﴾ يقبلونها[2] بقراءته عَنِ الصحيح إِلَى المحرَّف، والمراد: تحريفهم ﴿لتحسبوه مِنَ

١ - في الأصل: «الدرين»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يقلبونها».

الكتاب﴾ أي: مِنَ التَّوْرَاة، **﴿وَمَا هُوَ مِنَ الكتاب﴾** وليس هُوَ منه. **﴿ويقولون: هُوَ من عند الله﴾** أي: هُوَ حقٌّ، **﴿وَمَا هُوَ من عند الله﴾** [٧١]، لأَنَّهُ أمر هوى. **﴿ويقولون عَلَى الله: الكذب، وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٨)﴾**.

﴿مَا كَانَ لبشر أن يؤتيه الله الكتابَ والحكم والنبوَّة؛ ثُمَّ يقول للناس: كونوا عبادا لي من دون الله﴾ مَا يصحُّ مِنْهُ ذَلِكَ، ولكن يصحُّ مِنْهُ أن يقول: **﴿ولكن كونوا ربَّانيين﴾** أي: ولكن يقول: كونوا علماء حكماء، والربَّانيِّين معلِّمين عاملين، **﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الكتاب وبما كُنتُمْ تدرسُونَ(٧٩)﴾** بسبب كونهم عالمين، وبسبب كونهم دارسين للعلم، كَانَت الربَّانيَّة التِي هِيَ قوَّة التمسُّك بطاعة الله، مسبَّبة عَنِ العلم والدراسة؛ وكفى بِهِ دليلا عَلَى خيبة سعي من جهد نفسه فِي جمع العلم ثُمَّ لم يجعله ذريعة إِلَى العمل؛ فكَانَ كمن غرس شجرة حسناء، تؤنِّقه بمنظرها، وَلاَ تنفعه بثمرتها؛ وقيل معنى يدرسون: يَدرسونه عَلَى الناس، كقوله: ﴿لتقرأه عَلَى الناس﴾[1].

﴿وَلاَ يَأْمُرُكم﴾ معناه: مَا كَانَ لبشر أن يستنبئه الله، ونصَّبه[2] للدعاء إِلَى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد، ثُمَّ يَأْمُرُ الناس أن يكونوا عبادا لَهُ؛ ويَأْمُرُكم **﴿أن تتَّخذوا المَلاَئِكَة والنبيين أربابا، أَيَأْمُرُكم بالكفر بعد إذ أَنتم مُسْلِمُونَ(٨٠)﴾**؟

---

١ - سورة الإسراء: ١٠٦. وتمامها: ﴿وقرآنا فَرَقناه لِتقرأه على الناس على مُكثٍ ونزَّلناه تنزيلا﴾.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وينصبه».

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ قيل: هُوَ عَلَى ظاهره من أخذ الميثاق عَلَى النبيِّين، وقيل: أولاد النبيِّين. ﴿لَمَا آتيتكم من كِتَاب وحكمة؛ ثُمَّ جاءكم رسول مصدق لِمَا معكم﴾ للكتاب الذِي معكم، ﴿لتؤمنُنَّ بِهِ ولتنصرُنَّه﴾ أي: الرسول، وقيل: هُوَ محمَّد ﷺ. ﴿قَالَ: أأقررتم وأَخَذتم عَلَى ذلكم إصري﴾ قبلتم عهدي؟ وسمِّي إصرًا لأَنَّهُ مِمَّا يُؤصر، أي: يشدُّ ويعقل، والإصر: العهد الثقيل. ﴿قَالُوا: أَقرَرنا؛ قَالَ: فاشهدوا﴾ فليشهد بعضكم عَلَى بعض بالإِقْرَار، ﴿وأنا معكم مِنَ الشاهدِينَ(٨١)﴾ وأنا عَلَى ذلكم من إِقرَاركم وتشاهدكم مِنَ الشاهدين، وهذا توكيد عَلَيْهِم وتحذير مِنَ الرجوع، إِذَا علموا بشاهدة الله عليهم.

﴿فمن تولَّى بعد ذَلِكَ﴾ الميثاق والتوكيد، ونقض العهد بعد قبوله، والإعراض عَنِ الإيمان بالنبيِّ الجائي؛ ﴿فأولئك هم الفاسقُونَ(٨٢)﴾ المتمرِّدون الخارجون مِنَ الإيمان إِلَى الكفر.

﴿أفَغَير دين الله يبغون؟ وَلَهُ أسلم﴾ خضع وانقاد ﴿من فِي السَّمَاوَات والأَرْض طوعا وكرها، وَإِلَيْهِ يرجعُونَ(٨٣)﴾ أفتعرفون[1] عَنِ الجمِّ الغفير، وكلُّهم أسلموا لَهُ، وأنتم كلُّكم خلقة. ﴿قل: آمنَّا بالله وَمَا أنزل علينا، وَمَا أنزل عَلَى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وَمَا أوتي موسى وعيسى والنبيُّون من ربهم، لاَ نفرق بين أحد مِنْهُم﴾ فِي الإيمان بهم

---

١ - الكلمة غير واضحة في الأصل، وهي غامضة في هَذَا السياق، ويمكن أن نقرأ: «أفتفرقون».

كلِّهم، كما فعلت اليَهُود والنصارى. ﴿**ونحن لَهُ مُسْلِمُونَ(٨٤)**﴾ موحِّدون مخلصون أنفسنا لَهُ، لاَ نجعل لَهُ شريكا فِي عبادتنا.

﴿**ومن يبتغ غير الإسلامِ دينا**﴾ يعني: التوحيد، وإسلام الوجه لله؛ ﴿**فلن يُقبل منه**﴾ أي: كلُّ مَا يفعل لغير الله فهو مردود عَلَى فاعله، ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخاسرِينَ(٨٥)**﴾ مِنَ الذِينَ خسروا الدارين.

﴿**كيف يهدي الله قوما كَفَرُوا بعد إيمانهم، وشهدوا أَنَّ الرسول حقٌّ، وجاءهم البَينَات**﴾ بقيام الحجج أي: لاَ يصحُّ أن يهديهم بعد ما تولّوا عَنِ البَيِّنَات، مَا داموا متولِّين. ﴿**والله لاَ يهدي القوم الظالِمِينَ(٨٦)**﴾ مَا داموا مختارين الكفر.

﴿**أُوْلَئِكَ [٧٢] جَزاؤهم**﴾ أي: عقوبتهم، ﴿**أَنَّ عَلَيْهِم لعنة الله والمَلاَئِكَة والناس أجمَعِينَ(٨٧)**﴾ المطيعين والعاصين، ﴿**خالدين فِيهَا**﴾ فِي اللّعنة، ﴿**لاَ يُخفَّف عَنْهُم العذاب وَلاَ هم ينظرُونَ(٨٨)**﴾ أي: جزاؤهم الإبعاد مِنَ الله والمَلاَئِكَة والناس أجمعين، أي: ليس لَهُمْ فِي الحقيقة ناصر من دون الله إِلَى شيء ينفعهم، وإنّما أمورهم التِي هم عليها أمور وهميَّة.

﴿**إلاّ الذِينَ تابوا من بعد ذَلِكَ**﴾ الكفر، ﴿**وأصلحوا**﴾ مَا أفسدوا، ﴿**فإِنَّ الله غَفُور رحيم(٨٩)**﴾ لَهُمْ لاَ لمن سواهم، بدليل قوله:

﴿**إنَّ الذِينَ كَفَرُوا بعد إيمانهم؛ ثُمَّ ازدادوا كفرا، لن تُقبل توبتهم**﴾ عند البأس؛ ﴿**وأولئك هم الضالُونَ(٩٠)**﴾ طريقَ الهدى، ﴿**إنَّ الذِينَ كَفَرُوا**

وماتوا وَهُمْ كُفَّار؛ فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأَرْض ذهبا، ولو افتدى بـهِ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عذاب أليم وَمَا لَهُمْ من ناصرِينَ(٩١)﴾.

﴿لن تَنالوا البرَّ﴾ لم تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبرارا، أو لن تنالوا بـرَّ ا لله وَهُوَ ثوابه ورضاه؛ **﴿حَتَّى تُنفقوا مِمَّا**[1] **تحبون﴾** حتَّى تكون نفقتكم مـن أموالكم ومحابـكم التِـي تحبُّونها وتؤثرونها. قَالَ الواسطيُّ: «الوصـول إِلىَ الـبر بإنفاق بعض المحاب، وإلى الرب بالتخلِّي عَنِ الكونين، والحاصل أنَّـه لاَ وصول إِلىَ المطلوب إِلاَّ بـإخراج المحبـوب». **﴿وَمَـا تُنفقـوا مـن شـيء فـإنَّ ا لله بِــهِ عليم(٩٢)﴾** وذلك عامٌّ فِيهَا تبسطه اليد من خير وشرّ.

﴿كلُّ الطعام كَانَ حلاً لبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: كلُّ أنواع الطعام، والمعنـى: المطاعم كلُّها لم تزل حلالا لبَنِي إِسْرَائِيلَ من قبل إنزال التَّـوْرَاة وتحريم مَا حرّم عَـلَيْـهِـم منها لظلمهم وبغيهم. **﴿إلاَّ مَا حرَّم إسرائيل عَلَى نفسه من قبل أن تنزَّل التَّـوْرَاة﴾** قيل: لحوم الإبل وألبانها، وكَانَ أحبَّ الطعـام إِلَـيْــهِ. **﴿قـل: فأتوا بالتَّـوْرَاة فاتلوها إن كُنتُـمْ صادقِينَ(٩٣)﴾** أمر بِأن يحـاجّهم ويسـكتهم بِمَا هُوَ ناطق بِهِ، وَمَا هم مقرُّون بِهِ، من أنَّ تحريم مَـا حـرم عَـلَيْـهِـم حـادث بسبب ظلمهم وبغيهم، لاَ تحريم قديم كما يدَّعونه.

﴿فمن افترى عَلَى ا لله الكذب من بعد ذَلِكَ فأولئك هم الظـالمونَ(٩٤)﴾ المكابرون الذِينَ لاَ ينصفون من أنفسهم، وَلاَ يلتفتون إِلىَ البَـيـنَات.

---

١ - في الأصل: «ما»، وهو خطأ.

﴿**قل: صدق ا لله فاتّبِعوا ملّة إبراهيم**﴾ وهي ملّـة الإسلام التِـي عليهـا محمَّد ومن آمن معه، حتّى تتخلّصـوا مِـنَ اليَهُوديـّة التِـي ورّطتكـم فِي فسـاد دينكم ودنياكم، حيث اضطرّتكم إلِىَ تحريف كِتَـاب ا لله لتسـوية أغراضكـم، وتحريم الطيبات التِـي أحلّها لإبراهيم ومن اتّبعه؛ وإنّما دعاهم إلِىَ اتـباع ملّـة إبراهيم لأَنَّ فِي اتـباع ملّة إبراهيم اتّباعُه. ﴿**حنيفا**﴾ مائلا عَنِ الأديـان الباطلـة. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ المشركِينَ(٩٥)**﴾ برّأه ا لله من كُل الشرك جليًّا كَانَ أو خفيًّا.

﴿**إنَّ أوَّل بيت وُضع للنّـاس**﴾ جعـل متعبـّدا لَهُـمْ، سبق جميـع البيـوت الموضوعة للتّعبُّد لله. ﴿**لَلذي بِبَكّة مباركا**﴾ كثير الخـير، لـما يحصـل للحـاج والمعتمر مِنَ الثواب. ﴿**وهدى للعالَمِينَ(٩٦)**﴾ لأنـّه قبلتهم ومتعبّدهـم.

﴿**فِيهِ آيات بيّنات**﴾ علامات واضحات، كانحراف الطيـور عَـن مـواراة البيت عَلَى مدى الأعصار[كَذَا]. ﴿**مقام إبراهيم، ومن دخله كَـانَ آمنـا و لله عَلَى الناس حجُّ البيت من استطاع إِلَيْـهِ سبيلا، ومن كفر فإنَّ ا لله غنيٌّ عَنِ العَالَمِينَ(٩٧)**﴾.

﴿**قـل يـا أهـل الكتـاب لم تكفـرون بِـآيَـاتِ ا لله وَا للهُ شـهيد عَلَـى مَـا تَعْمَلُونَ(٩٨) قل يا أهل الكتاب لم تصدُّون**﴾ الصدُّ: المنع، وقيـل: لِـمَ تصرفـون [٧٣] عَن دين ا لله. ﴿**عَنْ سبيل ا لله مَنَ آمن**﴾ عَنْ دين حقٍّ، علم أنـّه سبيل ا لله التِـي أمر بسلوكها؛ ﴿**تبغونها عوجا**﴾ اعوجاجا وميـلا عَـنِ القصـد والاستقامة، ﴿**وأنتم شُهداء**﴾ أنـّها سبيل ا لله التِـي لاَ يصدُّ عنها، إلاَّ ضالٌّ مضلٌّ. ﴿**وَمَـا ا لله بغافلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ(٩٩)**﴾ وعيد لِكُل صادٍّ عَنْ دين ا لله.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إن تطيعوا فريقا مِنَ الذِينَ أوتوا الكتاب**﴾ فرقة مِنْهُمْ، كأنَّهُمْ فرق متعادُون كلُّها فِي النار، بدليل قوله: ﴿**يردُّوكم بعد إيمانكم كَافِرِينَ(١٠٠)**﴾.

﴿**وكيف تكفرون وأنتم تُتلى عَلَيْكُم آيات ا لله وفيكم رسولُه**﴾ ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم. ﴿**ومن يعتصم با لله**﴾ ومن يتمسَّك بدينه ويمتنع بِهِ، أو يلتجيء إِلَيْهِ فِي مجامع أموره؛ ﴿**فقد هُدي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم(١٠١)**﴾ موصل إِلَى النعمة الأبديَّة.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اتَّقُوا ا لله حقَّ تقاته**﴾ هُوَ القيام بالواجب، والاجتناب عَنِ المحارم، وقيل: هُوَ أن يطاع فلا يُعصَى، ويشكر فلا يكفر، ويُذكر وَلاَ يُنسى، ونحوه قوله: ﴿فاتَّقُوا ا لله مَا استطعتم﴾[1] أي: بالغوا فِي التقوى، حتَّى لاَ تتركوا مِنَ المستطاع شَيْئًا. ﴿**وَلاَ تموتنَّ إلاَّ وأنتم مُسْلِمُونَ(١٠٢)**﴾ أمر بالثبات عَلَى الطاعة، حتَّى يدركهم الموت وَهُمْ عَلَى حال الإسلام.

﴿**واعتصموا بحبل ا لله**﴾ تمسَّكوا بالقرآن، لقوله عليه السلام: «*حبل ا لله المتين لاَ تنقضي عجائبه، وَلاَ يخلق عَنْ كثرة الردِّ، من قَالَ بِهِ صدق، ومن عمل بِهِ رشد، ومن اعتصم بِهِ فقد هُدِيَ إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم*»[2]. ﴿**جميعا وَلاَ**

---

١ - سورة التغابن: ١٦.

٢ - رواه الترمذيُّ، رقم ٢٨٣١، والدارميُّ رقم ٣١٩٧، وكلاهما في كتاب فضائل القرآن وعن عليٍّ. العالمية: موسوعة الحديث.

تفرَّقوا﴾ أَي: لاَ تفعلوا مَا يكون عليه التفرُّق، ويزول بسببه الاجتماع، وَهُوَ أمر بالتعاون عَلَى البر والتقوى، ومن فرَّق عَنِ الاجتماع بهوى، أو بعمى فلن يحظَّ إِلاَّ حظَّه، ولن يضرَّ إِلاَّ نفسه؛ ثُمَّ ذكَّرهم بنعمة الاجتماع فقال:

﴿واذكروا نعمة الله عَلَيْكُم إذ كُنتُمْ أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ كَانُوا فِي الجاهليَّة بَيْنَهُم العداوة والحروب، وَهُوَ مِنَ العذاب الأدنى، وَهُوَ سرُّ الافتراق، فألَّف الله بين قلوبهم بالإسلام، وقذف فِي قلوبهم المحبَّة؛ فتحابُّوا وصاروا إخوانا متعاونين عَلَى الشيطان وحزبه، وذلك سرُّ الاجتماع. **﴿وكنتم عَلَى شفا حفرة مِنَ النار﴾** وكنتم مشفين عَلَى أَن تقعوا فِي نار جهنَّم لما كُنتُمْ عليه مِنَ الكفر لأَنَّ كُلَّ من عمل معصيَّة، فهو عَلَى شفا حفرة مِنَ النار، لأَنَّهُ ليس بينها وبينه إِلاَّ الموت، وَلاَ يدري متى وصوله، وإذا مات وقع فِيهَا؛ **﴿فأنقذكم منها﴾** بالإسلام فنقلكم من حال الخوف والهلاك، إِلَى حال الأمن والسلامة. **﴿كذلك يبيِّن الله لكم آياته لَعَلَّكُمْ تهتدُونَ(١٠٣)﴾** بها.

﴿ولتكن منكم أمَّة يدعون إِلَى الخير ويَأْمُرُون بالمعروف﴾ بِمَا استحسنه الشرع والعقل، وعدٌ مِنَ الله، إذ لاَ تخلو الأَرْض من قائم بحجَّة الله، **﴿وينهون عَنِ المنكر﴾** عمَّا استقبحه الشرع والعقل. **﴿وأولئك هم المفلحُونَ(١٠٤)﴾** هم الأخصَّاء بالفلاح الكامل؛ قَالَ ‏عليه السلام: *«من أمر بالمعروف ونهى عَنِ المنكر؛ فهو خليفة الله فِي أرضه، وخليفة* [٧٤] *رسوله،*

وخليفة أوليائه، وخليفة كتابه»[1]. ﴿**وَلاَ تكونوا كالذِينَ تفرَّقوا**﴾ بالعداوة كأهل الكتاب وغيرهم، ﴿**واختلفوا**﴾ فِي الديانة، ﴿**من بعد مَا جاءهم البَيِّنَات**﴾ الموجبة للاتِّفاق عَلَى كلمة وَاحِدَة، وهي كلمة الحق؛ فلم يتمسَّكوا بها. ﴿**وأولئك لَهُمْ عذاب عظيم(١٠٥)**﴾ فِي الدُّنْيَا بتعاديهم، وسائر عذاب الله لَهُمْ، وفِي الآخِرَة بجهنَّم.

﴿**يوم تبيضُّ وجوه، وتسودُّ وجوه؛ فأمَّا الذِينَ اسودَّت وجوههم**﴾ يقال لَهُمْ: ﴿**أكفرتم بعد إيمانكم؟ فذوقوا العذاب بِمَا كُنتُمْ تكفرُونَ(١٠٦)**﴾.

﴿**وأَمَّا الذِينَ ابيضَّت وجوههم ففي رحمة الله هم فِيهَا خالدُونَ(١٠٧)**﴾.

﴿**تلك آيات الله نتلوها عليك بِالْحَقِّ وَمَا الله يريد ظلما**﴾ فيأخذ أحدا بغير جرم، أو يزيد فِي عقاب مجرم، أو ينقص من ثواب محسن، وقال: ﴿**للعالَمِينَ(١٠٨)**﴾ عَلَى معنى: مَا يريد شَيْئًا مِنَ الظلم لأحد من خلقه، وَلاَ يتصوَّر مِنْهُ الظلم للعالم، لأَنَّهُ كلُّه خلقه وملكه للعالمين، أَي: لاَ يعاملهم معاملة من يريد ظلمهم. ﴿**ولله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض وإلى الله تُرجع الأمور(١٠٩)**﴾ فيجازي كلاًّ عَلَى جنس عمله وقدره.

﴿**كُنتُمْ خير أمَّة**﴾ كأنَّه قيل: وجدتم خير أمَّة، أو كُنتُمْ فِي علم الله أو فِي اللَّوح خير أمَّة، ﴿**أُخرجت**﴾ أظهرت ﴿**للناس تأمرون بالمعروف وتنهون**

---

١ - لم نعثر عَلَيه عند الربيع ولا في الكتب التسعة.

عَنِ المنكر، وتؤمنون با لله، ولو آمن أهل الكتاب لكَانَ خيرا لَهُمْ﴾ لكَانَ الإيمان خيرا لَهُمْ مِمَّا هم عليه، لأَنَّهُمْ إنّما آثروا دينهم عَنْ دين الإسلام حبًّا للرئاسة، واستتباع العوام، ولو آمنوا لكَانَ لَهُم مِنَ الرئاسة والأتباع وحظوظ الدُّنْيَا مَعَ الفوز بِمَا وُعدوه عَلَى الإيمان بِهِ من إيتاء الأجر مرّتين. ﴿مِنْهُم المُؤْمِنون﴾ وَهُم الأقلّون، ﴿وأكثرهم الفاسقُونَ(١١٠)﴾.

﴿لن يضرُّوكم إلاّ أذى﴾ إلاّ ضررا مقتصرا عَلَى أذى، بمعنى: طعن فِي الدين، أو تهديد ونحو[1] ذَلِكَ. ﴿وإن يقاتلوكم يولُّوكم الأدبار﴾ بثبات عزائمكم، وعدم ثبات عزائمهم؛ ﴿ثمَّ لاَ يُنصَرُونَ(١١١)﴾.

﴿ضُربت عَلَيْهِم الذلّة أين مَا ثُقفوا﴾ وُجدوا، ﴿إلاّ بحبل مِنَ ا لله﴾ إلاّ معتصمين بحبل مِنَ ا لله، وَهُوَ رحمته الواسعة يجمع الخلق؛ ﴿وحبل مِنَ الناس﴾ والحبل العهد والذمّة، والمعنى: ضربت عَلَيْهِم الذلّة فِي كل حال، إلاّ فِي حال اعتصامهم بحبل ا لله وحبل الناس، يعني: ذمّة ا لله وذمّة المُسْلِمِينَ، أن[2] لاَ عزَّ لَهُمْ قطُّ، إلاّ هَذِهِ الوَاحِدَة، وهي التجاؤهم إِلَى الذمّة، لما قبلوه مِنَ الحريَّة. ﴿وباءوا بغضب مِنَ ا لله﴾ استوجبوه، ﴿وضُربت عليهم﴾ محيطة بهم إحاطة البيت المضروب عَلَى أهله، ﴿المسكنة﴾ الفقر، أو خوفه، لأَنَّ الفقر مَعَ اليسار هُوَ الفقر بعينه. ﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كَانُوا يكفرون بِآيَاتِ ا لله، ويقتلون الأنبياء بغير حقّ﴾ أي: ذَلِكَ كائن عَلَيْهِم بسبب كفرهم.

---

١ - فِي الأصل: «نحوا»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلّ الصواب: «أي»، أو «إذ».

﴿ذَلِكَ بِمَا عصوا وكَانُوا يعتدُونَ(١١٢)﴾ لأَنَّ المعصية تفضي إِلَى معـاصي، مَا لم ينزع العاصي منها.

﴿ليسوا سواء﴾ ليس أهـل الكتـاب مستوين، ﴿مـن أهـل الكتـاب أمَّـة قائمة﴾ جماعة مُسْتَقِـيمة عادلـة، ﴿يتـلُون آيـات ا الله﴾ للتـفَهُّم والتدبُّـر والتفكُّـر، ﴿آنـاء الليـل﴾ سـاعاته، ﴿وَهُـمْ يسـجدُونَ(١١٣)﴾ ينقـادون ويذعنون لـما تقتضيه الآيات المتلوَّة.

﴿يُؤمِنُونَ با الله واليوم الآخر، ويَـأْمُرُون بالمعروف، وينهون عَـنِ المنكـر [٧٥] ويسارعون فِي الخيرات﴾ تفسير لما أثمرت لَهُم التلاوة، لأَنَّ العلـم أوَّلاً والعمـل ثانيـا. ﴿وأولئك مِنَ الصـالحِينَ(١١٤)﴾ الذِيـنَ صلحـت أحوالهـم حكمـا مِـنَ ا الله لَهُـمْ بالثنـاء والصـلاح. ﴿وَمَـا يفعلـوا مـن خـير﴾ وإن قـلَّ ﴿فلن[1] يكفروه﴾ فلـن تحرمـوا جزاءه، ﴿وا الله عليـم بالمتَّـقِـينَ(١١٥)﴾ بشارة للمتَّقين بجزيل الثواب؛ ثُمَّ أخَذ فِي صفة ضدهم فقال:

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا لن تُغني عَـنْـهُمْ أموالهم وَلاَ أولادهــم مِـنَ ا الله﴾ مـن عذابه ﴿شَيْـئًا، وأولئك أصحاب النار هم فِيهَا خالدُونَ(١١٦)﴾.

﴿مثل مَا ينفقون فِي هَذِهِ الحياة الدُّنْـيَا﴾ فِي المفاخر والمكـارم، وكسـب الثناء وحسن الذكر بين الناس، وَمَا يتقرَّبون بِهِ إِلَى ا الله مَعَ كفرهــم؛ ﴿كمثـل ريح فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد ﴿أصابت حرث قوم ظلمـوا أنفسـهم فأهلكتـه﴾

١ - في الأصل: - «فلن»، وَهُوَ خطأ.

بعدما أتعبوا فِي تأسيسه أنفسهم، وأنفقوا فِي عمارتـه أموالهـم. ﴿**وَمَا ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمُونَ(١١٧)**﴾ ظلموها حيث لم يأتوا بها عَلَى الوجه الذِي يُستحقُّ بِهِ الثواب.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تتَّخذوا بطانة**﴾ بطانة الرجل: خصيصته وصفيه، شبه ببطانة الثوب، كما يقال: فلان شعاري، وفي الحديث: «*الأنصار شعار، والناس دثار*»[1]. ﴿**مِن دونِكم**﴾ من دون أبناء جنسكم وَهُم المُؤْمِنون؛ وكلُّ من اتَّخذ من دونه[2] بطانة فسوف تنكشف لَهُ عداوته منه، إِذَا خالفه فيما لاَ يهواه، ولو بعد حين، تصديقا لكتاب الله، ﴿**لاَ يَألونكم خبالا**﴾ لاَ يُقصرون فِي فساد دينكم، والخبال: الفساد. ﴿**ودُّوا مَا عنتُّم**﴾ أي: تمنَّوا أن يضرُّوكم فِي دينكم ودنياكم أشدَّ الضرر وأبلغه. ﴿**قد بدَت البغضاء**﴾ أي: ظهرت أمارة العداوة ﴿**من أفواههم**﴾، لأنَّهُمْ لا

---

١ - رواه الشيخان وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، ومناسبة الحديث أَنَّهُ لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي...» إِلىَ أن يقول بعد حديث طويل: «الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ». والشعار الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار الثوب الذي فوق غيره من الثياب. البخاري: كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٥؛ ومسلم: كتاب الزكاة رقم ١٧٨٥؛ وابن ماجه: كتاب المقدِّمة، رقم ١٦٠؛ وأحمد: مسند المدنيِّين، رقم ١٥٨٧٤. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «دثار».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «من دونهم»، أي من دون المؤمنين.

يتمالكون مَعَ ضبطهم أنفسهم، أن ينفلت من أنفسهم مَا يُعلم بِهِ بغضهم للمُسْلِمِينَ، مَعَ التفرُّس لما يقتضيه مضمون كلامهم، تصريحا وتلويحا لأَنَّ "كلّ إناء بِمَا فِيهِ يرشح"، والنفس مجبولة عَلَى النطق بِمَا فِي ضميرها. ﴿**وَمَا تُخفي صدورهم**﴾ مِنَ البغض لكم ﴿**أكبر**﴾ مِمَّا بدا. ﴿**قد بيَّنَّا لكم الآيات**﴾ الدالَّة عَلَى وجوب الإخلاص فِي الدين، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، والدلالة عَلَى صفة أعدائكم. ﴿**إن كُنتُمْ تعقلُونَ(١١٨)**﴾ مَا بيّن لكم بالتفكُّر والتدبُّر.

﴿**ها أَنتُمْ**﴾ ها أَنتُم "ها" تنبيه، و"أَنتُم" كناية للمخاطبين، ﴿**أُولاَءِ**﴾ يريد أَنتُم أيُّها المُؤْمِنون. ﴿**تحبُّونهم وَلاَ يحبُّونكم**﴾ بيان لخطئهم فِي محبَّتهم لمن يبغضهم. ﴿**وتؤمنون بالكتاب كلِّه**﴾ أي: كتابهم، أو كتابكم، ﴿**وإذا لَقوكم قَالُوا: آمنَّا**﴾ نفاقا، ﴿**وإذا خَلَوا عضُّوا عَلَيْكُم الأنامل مِنَ الغيظ**﴾ من أجله تأسُّفا وتحسُّرا، حيث لم يجدوا إِلَى التشفّي سبيلا، وعضُّ الأنامل عبارة من[1] شدَّة الغيظ، وهذا من مجاري الأمثال، وإن لم يكن عضٌّ. ﴿**قل: موتوا بغيظكم**﴾ دعاء عَلَيْهِم بدوام الغيظ عليهم، وزيادته إِلَى الموت، فيضاعف قوَّة الإسلام وأهله، حتَّى يهلكوا بِهِ. ﴿**إنَّ الله عليم بذات الصدور(١١٩)**﴾ ذاتها، أي: حقيقتها، أو النيَّة التِي تخفى عَلَى الحفظة (لَعَلَّهُ) الكاتبين.

﴿**إن تَمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تُصبكم سيِّئة يفرحوا بها**﴾ بيان لتناهي عداوتهم إِلَى حد الحسد، مِمَّا نالهم من خير ومنفعة، وشمتوا بِمَا أصابهم من

---

١ - كذا في الأصل ولعلَّ الصواب: «عن»

ضرٌّ وشدَّة، وذلك طمع كل عدوٍّ [٧٦] والمسُّ مستعار للإصابة؛ ﴿وإن تصبروا﴾ عَلَى عداوتهم أو عَلَى مساوئ التكليف، ﴿وتتـَّقوا﴾ موالاتهم[1]، أو مَا حرم ا لله عليكم. ﴿لاَ يضرُّكم كيدهم شَيْئًا﴾ بحفظ ا لله وفضله. ﴿إنَّ ا لله بِمَا يَعْمَلُونَ محيط(١٢٠)﴾ لاَ ينسى مِنْهُ شَيْئًا، وَلاَ ينفلت عليه مِنْهُ شيء لإحاطته بِهِ. ﴿وإذ غَدَوتَ مِن أهلك تبوِّئ المـُؤْمِنين﴾ تنزلهم ﴿مقاعد﴾ أي: مراصد ﴿للقتال، وَا للهُ سميع عليم(١٢١)﴾ فلم تكتف بالمـُؤْمِنين من دون سياسيته وحده.

﴿إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ (لَعَلَّها) هِمَّة طبع لا هِمَّة فعل، كما قَالَ: ﴿وَهمَّ بها﴾[2] حين همَّت بِهِ، لأنـَّها لو كَانَت عزيمة لَما ثبتت معها (لَعَلَّهُ) الولاية، لأَنـَّهُ قَالَ: ﴿وا لله وليُّهما﴾ فلم يخرجهما من ولايته، ولو كانا اعتقدا الإفشَال لـمَا ثبتا عَلَى ولاية[3] ا لله. ﴿وعلى ا لله فليتوكَّل المـُؤْمِنونَ(١٢٢)﴾ أمرهم سبحانه بِأن لاَ يتوكَّلوا إلاَّ عليه، وَلاَ يفوضوا أمرهم إلاَّ إِلَيْهِ.

﴿وَلَقَدْ نصركم ا لله بِبَدرٍ﴾ بِمَا أمدَّكم بِهِ مِنَ المَلاَئِكَة، وبتقوية قلوبكم، وإلقاء الرعب فِي قلوب أعدائكم، وذلك تذكير ببعض مَا أفادهم التوكُّل. ﴿وأنتم أذلَّة﴾ أقلاَّء؛ ﴿فاتَّقُوا ا لله﴾ فِي الثبات، ﴿لَعَلَّكُمْ تشكرُونَ(١٢٣)﴾ مَا أنعم عَلَيْكُم بتقواكم ونصره.

---

١ - فِي الأصل: «مولاتهم»، وهو خطأ.

٢ - سورة يوسف: ٢٤؛ وتمامها: ﴿ولقد همَّت به وهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربِّه﴾.

٣ - فِي الأصل: «والايه»، وَهُوَ خطأ.

﴿إذ تقول للمُؤْمِنِين ألن يَكفيَكم أن يُمدَّكم رَبُّكُم بثلاثة آلاف مِنَ المَلاَئِكَة منزلِينَ(١٢٤)﴾ إنكارا أن لايكفيهم ذَلِكَ. ﴿بلى إن تصبروا وتتَّقوا ويأتوكم من فورهم هَذَا﴾ من ساعتهم هَذِهِ، ﴿يمددكم رَبُّكُم بخمسة آلاف مِنَ المَلاَئِكَة مسوَّمِينَ(١٢٥)﴾ معلّمين، ﴿وَمَا جعله ا للهُ﴾ وَمَا جعل إمدادكم بالمَلاَئِكَة، ﴿إلا بُشرى لكم﴾ إلاَّ بشارة لكم بالنصر، يحتمل أَنَّهُم يرونهم بدليل هَذِهِ الآية، ويحتمل أَنَّهُم لاَ يرونهم بدليل قوله: ﴿بجنود لم تروها﴾[1] وهذه البشارة قول الرسول عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَهُمْ، ﴿ولتطمئنَّ قلوبكم بِهِ﴾ ولتسكن إِلَيْهِ مِنَ الخوف. ﴿وَمَا النصر إلاَّ من عند ا للهِ﴾، لاَ مِنَ العُدَّة والعدد، يعني: لاَ تخيلوا [كَذَا] بالنصر عَلَى المَلاَئِكَة والجند، وَهُوَ تنبيه عَلَى أنَّه لاَ حاجة فِي نصرهم إِلَى مدد، وإِنَّمَا أمدَّهم ووعد لَهُم بشارة لَهُم، وربطا عَلَى قلوبهم، كقول إبراهيم: ﴿قَالَ: بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾[2]. ﴿العزيز﴾ الذِي لاَ يغالب فِي أقضيته، ﴿الحكيم(١٢٦)﴾ الذِي ينصر ويخذل، بوسط وبغير وسط[3]، عَلَى مقتضى الحكمة والمصلحة.

﴿ليقطع طَرَفا مِنَ الذِينَ كَفَرُوا﴾ ليقبض مِنْهُمْ بقتل بعض وأسر آخرين، وقيل: ليهدم ركنا من أركَانَ الشرك بالقتل والأسر. ﴿أو يكبتهم﴾ أو يخزِّبهم، والكبت: الهلاك وردُّ العدوِّ بغيظه. ﴿فينقلبوا خائبِينَ(١٢٧)﴾ خاسرين، لم ينالوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يرجون.

---

١ - سورة التوبة: ٤٠.

٢ - سورة البقرة: ٢٦٠.

٣ - كذا في الأصل، ولعلّه يقصد: «بواسطة وبغير واسطة».

﴿ليس لك مِنَ الأمر شيء﴾ اعترض[1]، ﴿أو يتوب عليهم، أو يعذّبهم﴾ المعنى: إنَّ ا لله مالك أمرهم إمَّا أن يهلكهم أو يكبتهم، أو يتوب عَلَيْهِم إن أسلموا، أو يعذّبهم إن أصرُّوا، وإنَّما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم. ﴿فإنَّهُمْ ظالِمُونَ(١٢٨)﴾ قد استحقُّوا التعذيب بظلمهم، ﴿و لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ خلقا وملكا. ﴿يَغْفِر لمن يَشَاء﴾ لمن تاب، ﴿ويعذّب من يَشَاء﴾ لمن أصرَّ. ﴿وا لله غَفُور رحيم(١٢٩)﴾ لمن تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتَّقُوا [٧٧] ا لله لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ(١٣٠)﴾ راجين الفلاح، ﴿واتَّقُوا﴾ مَا يقود صاحبه مِنَ الفعل للمناهي، والترك للأوامر، إِلَى ﴿النار﴾ بامتثال الأمر، ﴿التِي أعدَّت للكَافِرِينَ(١٣١)﴾ بالتحرُّر عَن متابعتهم، وتعاطي أفعالهم.

﴿وأطيعوا ا لله والرسول لَعَلَّكُم﴾ لكي، ﴿تُرحَمُونَ(١٣٢)﴾.

﴿وسارعوا إِلَى مغفرة من ربكم﴾ ومعنى المسارعة إِلَى المغفرة و الجنَّة: الإقبال عَلَى مَا يستحقُّ بِهِ المغفرة، كالإسلام والتوبة والإخلاص. ﴿وجنَّة عرضها السَّمَاوَات والأَرْض﴾ أي: عرضها كعرضهما، وذكر العرض للمبالغة فِي وصفها بالسعة، عَلَى طريقة التمثيل، لأَنَّهُ دون الطول. وعن ابن عبَّاس: «كسبع سماوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض». ﴿أعدَّت للمتَّقِينَ(١٣٣)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «اعتراض».

﴿الذِينَ ينفقون فِي السرَّاء والضرَّاء﴾ فِي الأحوال كلّها؛ ﴿والكاظمين الغيظَ﴾ الممسكين الغيظ عَنِ الإمضاء فِي وقت وجوبه، يقال: كَظَم القِربة: إِذَا ملأها وشدَّ فاها، ومِنْهُ كظم الغيظ: وَهُوَ أن يمسك عَلَى مَا فِي نفسه مِنْهُ بالصبر، وَلاَ يظهر لَهُ أثرا، والغيظ يوقد حرارة القلب مِنَ الغضب، ﴿والعافين عَنِ الناس﴾ أي: إِذَا جنى عَلَيْهِم أحد لم يؤاخِذوه، ﴿وا لله يُحبُّ المحسنِينَ(١٣٤)﴾. عَنِ الثوري: «الإحسان: أن يحسن إِلَى المسيء؛ فإِنَّ الإحسان إِلَى المحسن متاجرة».

﴿وَالذِينَ إِذَا فعلوا فاحشة﴾ أي: ركبوا كبيرة، ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب صغيرة، ﴿ذكروا ا لله﴾ تذكَّروا وعيده أوحكمه أو حقّه العظيم. وقال محبوب: «إِنَّهُ سمع مشايخه المسْلِمِينَ يقولون فِي هَذِهِ الآية: ﴿ذكروا ا لله﴾ يقولون: عظُم ا لله عندهم، وجلّ فِي نفوسهم أن يُقيموا عَلَى حرام طَرفَة عين، ﴿و لم يُصرُّوا عَلَى مَا فعلوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»؛ ﴿فاستَغفَروا لذُنُوبهم﴾ فتابوا عنها لقبحها نادمين، ﴿ومن يَغْفِرُ[1] الذنوب إلاَّ ا لله﴾ فِيهِ تطيُّب لنفوس العباد، وتنشيط بالتّوبة وبعث عليها، وردع عَنِ اليأس والقنوط، وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته مِنَ التائب، وإشعار بِأَنَّ الذنوبَ ـ وإن جلّت ـ فإِنَّ عفوه أجلُّ. ﴿ولم يصرُّوا عَلَى مَا فعلوا﴾ و لم يقيموا عَلَى قبح أفعالهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥)﴾ مَعَ قيام الحجَّة عَلَيْهِم بذلك، ولن يهلك عَلَى

---

١ - فِي الأصل: «يغفروا»، وهو خطأ.

ا لله فِي دينه معنا إِلاَّ مصرٌّ عَلَى ذنبه، قادر[1] عَلَى الخروج مِنْهُ بعينه، فلم يخرج منه، لأَنَّ التوبة فِي الجملة مِمَّا لاَ يقدر عَلَى الوصول إِلىَ علمه، كالتوبة مِنَ الشيء لعينه، والتوبة[2] مِنَ الذنب كمن لاَ ذنب لَهُ، والعاجز عَنِ الشيء معذور عنه.

﴿أُوْلَئِكَ جزاؤُهم مغفرة من ربهم، وجنَّات تجري مِن تَحتها الأنهار خالدين فِيهَا، ونِعمَ أجر العامِلِينَ(١٣٦)﴾.

﴿قد خلت من قبلكم سُنَنٌ﴾ مَا سنَّه فِي أمم المكذِّبين من وقائعه، ﴿فسيروا فِي الأَرْض، فانظروا كيف كَانَ عاقبة المكذِّبِينَ(١٣٧)﴾ فتعتبروا بها. ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بيان للنَّاس وهدى﴾ أي: إرشاد إِلىَ التوحيد، ﴿وموعظة﴾ ترغيب وترهيب ﴿للمتَّقِينَ(١٣٨)﴾ عَنِ الشرك.

﴿وَلاَ تَهِنوا﴾ وَلاَ تضعفوا عَنِ الجهاد والمجاهدة، ﴿وَلاَ تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ وحالكم أَنَّكُمْ أعلى مِنْهُم، ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ(١٣٩)﴾ أي: وَلاَ تهِنوا إن صحَّ إيمانكم، يعني: أنَّ صِحَّة الإيمان توجب قوَّة القلب، والثقة بوعد ا لله، وقِلَّة المبالات بأعدائه، وإن أديل عليه، بدليل [٧٨] قوله:

﴿إن يَمسسكم قرحٌ﴾ أي: جراحة؛ ﴿فقد مسَّ القوم قرحٌ مثله﴾ أي: إن نالوا منكم؛ فقد نلتم مِنْهُم قبله؛ ثُمَّ لم يُضعف ذَلِكَ قلوبَهم، و لم يمنعهم

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «ولن يهلك ا لله فِي دينه إِلاَّ مصرًّا عَلَى ذنبه، قادرًا على الخروج منه...».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «والتائب» ليكون التشبيه سائغا، كما وردت العبارة فِي الأثر.

عَن معــاودتكم إِلىَ القتــال؛ فــأنتم أولى أن لاَ تَضعفــوا، ﴿فإنـــّهُمْ يــألمون كمــا تألمون، وترجون مِنَ ا الله مَا لاَ يرجون﴾[1]، ﴿وتلك الأيـّام نداولها﴾ نصرفهـا ﴿بين الناس﴾ أي: نصرِّف مَا فِيهَـا مِـنَ النعـم والنقـم. ﴿وليعلـم ا الله الذيـنَ آمنوا﴾ أي: نداولها بضروب مِنَ التدبير، وليعلم ا الله المُؤْمِنين، مميـّزين بالصـبر والإيمان من غيرهم، كما علِمهم قبل الوجود، ﴿ويتّخذ منكم شهداء﴾ ليتّخذ منكم مـن يصلح للشـهادة عَلَى النـاس، كمـا قَـالَ: ﴿لتكونـوا شـهداء عَلَـى الناس﴾[2]، والشاهد لا يكون إلاّ مُحقًّا، أو للقتل فِي سبيله، ﴿وا الله لاَ يحبُّ الظـالِمِينَ(١٤٠)﴾ وَا اللهُ لاَ يحِـبُّ مـن ليـس مـن هـؤلاء الثـابتين عَلَـى الإيمـان المجاهدين فِي سبيله، وَهُم المنافقون والْكَافِرُونَ.

﴿وليمحص ا الله الذِينَ آمنوا﴾ التمحيص: التطهير والتصفية من خبــائث الكفر، ﴿ويَمحق الْكَافِرِينَ(١٤١)﴾ ويهلكهم؛ يعني: إن كَانَت الدولة عَلَـى المُؤْمِنين، فلِلاستشهاد والتمحيص والتمييز وغير ذَلِكَ، مِمَّا هُـوَ صـلاح لَهُـم، وإن كَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ، فلِمحقِهم ومَحو آثارهم.

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة﴾ أي: لاَ تحسبوا، ﴿ولَـمَّا يعلم ا الله﴾ أي: و لم يعلم ا الله ﴿الذِينَ جاهدوا منكم﴾ أي: وَلَـمَّا يجاهدوا؛ وفيـه ضـرب مِـنَ التوقّع، ﴿ويعلم الصابرِينَ(١٤٢)﴾ أي: قبل مجاهدتكم وصبركم.

---

١ - سورة النساء: ١٠٤.

٢ - سورة البقرة: ١٤٣؛ وتمامها: ﴿وكذلك جعلنـاكم أمـّة وسـطا لتكونـوا شـهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا...﴾.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تمنّون الموت من قبل أن تلقوه﴾ أي: تتمنّون ملاقاة العدوّ للجهاد؛ يعني: كُنتُمْ تتمنّون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته؛ **﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرُونَ(١٤٣)﴾** أي: رأيتموه معاينين، مشاهدين لَهُ، حين قتل إخوانكم بين أيديكم، وشارفتم أن تُقتلوا، وهذا توبيخ لَهُم تمنّيهم الموت، وعلى مَا تسبّبوا لَهُ من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه؛ ثُمَّ انهزامهم عنه.

﴿وَمَا محمَّد إِلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ فَسَيَخلوا كما خلوا، وكما أنَّ أتباعهم بقوا متمسّكين بدينهم بعد خلوّهم؛ فعليكم أن تتمسّكوا بدينه بعد خلوّه، لأَنَّ المقصود من بعث الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجّة لاَ وجوده بين أظهر قومه؛ **﴿أفإن[1] مات أو قُتِل انقلبتم عَلَى أعقابكم، ومن ينقلب عَلَى عقبيه؛ فلن يضرَّ الله شَيْئًا وسيجزي الله الشاكرِينَ(١٤٤)﴾** الذِينَ لم ينقلبوا، وسمَّاهم شاكرين لأَنَّهُمْ شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

﴿وَمَا كَانَ لنفس أن تموت إِلاَّ بإذن الله﴾ أي: بعلمه، أو بِأن يأذن لملك الموت فِي قبض روحه؛ والمعنى: أَنَّ موت الأنفس محال أن يكون إِلاَّ بمشية الله؛ وفيه تحريض عَلَى الجهاد وتشجيع عَلَى لقاء العدوّ؛ وإعلام بِأَنَّ الحذر لاَ ينفع، وَأَنَّ أحدا لاَ يموت قبل بلوغ أجله، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك، **﴿كِتَابًا مؤَجَّلا﴾** لاَ ينسخه إِلاَّ وصول أجله، **﴿ومن يُرِدْ ثوابَ الدُّنْيَا نؤتِه منها﴾** ميسَّر لمن يريده؛ **﴿ومن يرد ثواب الآخِرَة نؤته منها﴾** ميسَّر لمن يريده، ويحتمل **﴿نؤته منها﴾** أي: مِنَ الدُّنْيَا مَا قدَّرناه لَهُ، وَلاَ ينقص ذَلِكَ،

---

١ - فِي الأصل: «فإن» وهو خطأ.

إِرَادَتُه وعملُه وسعيُه كَانَ للدنيا أو للآخرة؛ بَلْ يجزي كما قَالَ: ﴿وسنجزي الشاكرِينَ(١٤٥)﴾.

﴿وكأين من نبيٍّ قاتل معه رِبيون كثير﴾ أي: ربَّانيون [٧٩]، ﴿فما وَهَنوا﴾ فما فتروا عند قتل نبيِّهم، أو قتل بعضهم ﴿لِما أصابهم﴾ مِنَ الشدائد ﴿فِي سبيل ا لله، وَمَا ضعفوا﴾ بسبب مَا أصيبوا عَنِ الجهاد، ﴿وَمَا استكانوا﴾ وَمَا خضعوا لعدوِّهم، ﴿وا لله يحبُّ الصابرِينَ(١٤٦)﴾ عَلَى جهاد الْكَافِرِينَ، أو عَلَى مشاقِّ التكليف.

﴿وَمَا كَانَ قولهم إِلاَّ أن قَالُوا رَبَّنَا اغفر لَنَا ذنوبنا﴾ وَمَا كَانَ قولهم مَعَ ثباتهم وقوَّتهم، فِي الدين وكونهم ربَّانيِّين، إِلاَّ هَذَا القول، وَهُوَ إضافة الذنوب والإسراف عَلَى أنفسهم هضما لها، وإضافة مَا أصابهم إِلَى سوء أعمالهم والاستغناء عنها؛ ثُمَّ طلب التثبُّت فِي مواطن الحرب، والنصر عَلَى العدوِّ، ﴿وإسرافنا فِي أمرنا﴾ تجاوزنا حدَّ العبوديَّة، ﴿وثبت أقدامنا﴾ عَلَى دينك، ﴿وانصرنا عَلَى القوم الْكَافِرِينَ(١٤٧)﴾ من جنٍّ وإنس.

﴿فآتاهم ا لله ثوابَ الدُّنْيَا﴾ تيسير أسبابها للطاعة، ﴿وحسن ثواب الآخِرَة﴾ المغفرة والجنَّة؛ فخصَّ بالحسن دلالة عَلَى فضله وتقدُّمه، وأنَّه هُوَ المعتدُّ عنده. ﴿وا لله يحِبُّ المحسنِينَ(١٤٨)﴾ لاَ غيرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إن تطيعوا الذِينَ كَفَرُوا يردُّوكم عَلَى أعقابكم﴾ يرجعوكم إِلَى الكفر، ﴿فتنقلبوا خاسرِينَ(١٤٩)﴾ الدُّنْيَا والآخِرَة؛ ﴿بَلْ ا لله مولاكم﴾ متولِّيَ أموركم وناصركم؛ فاستغنوا عَنْ نصرة غيره، ﴿وَهُوَ خير الناصرِينَ(١٥٠)﴾.

﴿سنلقي فِي قلوب الذِينَ كَفَرُوا الرعبَ﴾ الخوف، والشيطان يلقي فِي قلوب المُؤْمِنين الخوف، لقوله تعالى: ﴿الذِينَ قَالَ لَهُم الناس: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم...﴾[1] إِلىَ تمامها. ﴿بمَا أشركوا بـا لله﴾ بسبب إشراكهم، أيِّ شرك كَانَ؛ ﴿مَا لم ينزل بِهِ سلطانا﴾ حجَّة، وَهُوَ اتِّباع الشيطان ونظرهم إِلىَ الأسباب؛ فإنَّ من لاَ ينظر إِلىَ الأسباب يجعل ا لله فِي قلبه الثبات. ﴿ومأواهم﴾ ومرجعهم ﴿النار وبِئسَ مثوى الظالِمِينَ(١٥١)﴾.

﴿وَلَقَدْ صدقكم ا لله وعده إذ تحسُّونهم﴾ تقتلونهم، وقيل: حسَّه: أبطل حسَّه بالقتل، ﴿بإذنه﴾ بأمره وعلمه؛ ﴿حَتَّى إِذَا فشلتم وتنازعتم فِي الأمر﴾ أي: اختلفتم، ﴿وعصيتم﴾ أمر نبيِّكم، بترككم المركز، أو اشتغالكم بالغنيمة ﴿من بعد مَا أراكم مَا تحبُّون﴾ مِنَ الظفر وقهر الكفَّار. ﴿منكم من يريد الدُّنْيَا﴾ وَهُم الذِينَ تركوا المركز لطلب الغنيمة، ﴿ومنكم من يريد الآخِرَة﴾ وَهُم الثابتون عَلَى الطاعة؛ ﴿ثم صرفكم عَنْهُمْ﴾ أي: كفَّ معونته عنكم فغلبوكم؛ ﴿ليبتليكم﴾ ليمحِّص صبركم عَلَى المصائب، وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر، لأَنَّهُ يجازي عَلَى مَا يعمله العبد، لاَ عَلَى مَا يعلمه منه؛ ﴿وَلَقَدْ عفا عنكم﴾ حيث ندمتم عَلَى مَا فرَط منكم، ﴿وا لله ذو فضل عَلَى المُؤْمِنِينَ(١٥٢)﴾ بالعفو عَنْهُمْ وقبول توبتهم، أو هُوَ متفضِّل عَلَيْهِم فِي جميع الأحوال، سواء أديل بهم، أو أديل عليهم، لأَنَّ الابتلاء رحمة، كما أنَّ النصرة رحمة.

---

١ - سورة آل عمران: ١٧٣؛ وتمامها: ﴿...فزادهم إيمانا وقالوا: حسبنا ا لله ونعم الوكيل﴾.

﴿إذ تُصعدون﴾ تبالغون فِي الذهاب، صعيد الأَرْض، والإصعاد: الذهاب فِي الأَرْض؛ ﴿وَلاَ تلوون عَلَى أحد﴾ وَلاَ تلتفتون، وَهُوَ عبارة عَنْ غاية انهزامهم، وخوف عدوِّهم؛ ﴿والرسول يدعوكم﴾ يقول: إليَّ عباد الله.. إليَّ عباد الله.. أنا رسول الله، من يكرُّ فله الجنَّة. ﴿فِي أخراكم﴾ ساقتكم[1] وجماعتكم الآخرى، وهي المتأخِّرة؛ ﴿فأثابكم﴾ فجازاكم الله [٨٠] ﴿غمًّا﴾ حين صرفكم عَنْهُمْ، وابتلاكم ﴿بغمٍّ﴾، بسبب غمٍّ أذقتموه رسول الله بعصيانكم أمره، أو غمًّا بعد غمٍّ، وغمًّا متَّصلا بغمٍّ، مِنَ الاغتمام بِمَا أرجف بِهِ من قتل رسول الله، والجروح والقتل، وظفر المشركين، وفَوتِ الغنيمة والنصر، ﴿لكيلا تحزنوا عَلَى مَا فاتكم﴾ لتعتادوا عَلَى تجرُّع الغموم؛ فلا تحزنوا فيما بعد عَلَى فائت مِنَ المنافع، ﴿وَلاَ مَا أصابكم﴾، وَلاَ عَلَى مصيب مِنَ المضارِّ، ﴿والله خبير بِمَا تَعْمَلُونَ(١٥٣)﴾ عالم بعملكم لاَ يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهذا ترغيب فِي الطاعة وترهيب عَنِ المعصيَّة.

﴿ثُمَّ أنزل عَلَيْكُم من بعد الغم أَمَنَةً نعاسا﴾ ثُمَّ أنزل الله الأمن عَلَى المُؤْمِنِين، وأزال عَنْهُم الخوف الذِي كَانَ بهم، حتَّى يُغْشُوا[2] وغلبهم النوم؛ والأصل: «أنزل عَلَيْكُم نعاسا ذا أمنة»، إذ النعاس ليس هُوَ الأمن. ﴿يَغشَى

---

١ - الساقة: الموكب، مؤخر الجيش؛ يقال: فلان في ساقة الجيش: أي في مؤخره وهي نقيض المقدِّمة. المنجد في اللغة الأعلام، ٣٦٥.

٢ - كذا في الأصل مع الشكل، ولعلَّ الصواب: «نَعَسُوا»، حسب السياق في تفسير قوله تعالى: ﴿أمنة نعاسا﴾.

طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين، ﴿**وطائفة**﴾ هم المنافقون ﴿**قد أهمَّتهم أنفسهم**﴾، مَا بهم إِلاَّ همُّ أنفسهم، وخلاصها الجسد[ي]...[1] البهيميَّة لاَ الروحانيَّة، لأَنَّهُ مَا خُلق إِلاَّ للاهتمام للنفس (لَعَلَّهُ) الروحانيَّة، كما قَالَ: ﴿قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دسَّاها﴾[2]، وقد قَالَ أَيْضًا ذمًّا لَهُمْ: ﴿فأنساهم أنفسهم أُوْلَئِكَ هم الفاسقون﴾[3]؛ لاَ همّ الدين، وَلاَ همّ رسول الله والمُسْلِمِينَ. ﴿**يظنُّون بالله غير الحق**﴾ غير الظنِّ الحقِّ، الذِي يجب أن يظنَّ بِهِ، وَهُوَ أن لاَ ينصر محمَّدا ﴿**ظنَّ الجاهلية**﴾، الظنَّ المختصَّ بالملَّة الجاهليَّة، وكلُّ من حقَّق ظنًّا عَلَى غير صِحَّة فهو من ظنِّ الجاهليَّة المنهيِّ عنه؛ أو ظنَّ أهل الجاهليَّة، أَي: لاَ يظنُّ مثل ذَلِكَ الظنِّ إِلاَّ أهل الشرك الجاهلون بالله.

﴿**يقولون: هل لَنَا مِنَ الأمر من شيء**﴾ هل لَنَا معاشر المُسْلِمِينَ من أمر الله نصيب قطُّ، يعنون: النصر والغلبة عَلَى العدوِّ. ﴿**قل: إِنَّ الأمر كُلَّه لله**﴾ أَي: الغلبة الحقيقيَّة لله وأوليائه، ﴿فإنَّ حزب الله هم الغالبون﴾[4]. ﴿**يخفون فِي أنفسهم، مَا لاَ يبدون لك**﴾ خوفا مِنَ السيف، ﴿**يقولون**﴾: فِي أنفسهم، أو بعضُهم لبعضٍ منكِرين لقولك لَهُمْ: ﴿إِنَّ الأمر كلَّه لله﴾. ﴿**لو**

---

١ - فِي الأصل كلمة غير مفهومة، رسمها: «اوانه».

٢ - سورة الشمس: ٩-١٠.

٣ - سورة الحشر: ١٩.

٤ - سورة المائدة: ٥٦؛ وتمامها: ﴿ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنَّ حزب الله هم الغالبون﴾.

كَانَ لَنَا مِنَ الأمر﴾ من ﴿**شيء مَا قُتِلنا ها هنا﴾** أي: لو كَانَ كما قَالَ محمَّد: إنَّ الأمر كلّه لله ولأوليائه وإنَّهُم الغالبون، لما غُلبنا قطٌّ.

﴿**قل: لو كُنتُمْ فِي بيوتكم﴾** أي: من عَلم الله مِنْهُ أنَّه يقتل فِي هَذِهِ المعركة، وكتب ذَلِكَ فِي اللّوح، لم يكن بدٌّ من وجوده، ولو قعدتم فِي بيوتكم ﴿**لَبرز﴾** من بينكم ﴿**الذِينَ كُتب عَلَيْهِم القتل، إِلَى مضاجعهم﴾** إِلَى مصارعهم، ليكون مَا اته[1] يكون، والمعنى: أنَّ الله كتب فِي اللّوح قتل من يقتل مِنَ المُؤْمِنين، وكتب مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُم الغالبون؛ لعلمه أنَّ العاقبة فِي الغلبة لَهُمْ؛ وإنَّ دين الإسلام يظهر عَلَى الدين كلّه، وَأَنَّ مَا ينكبون بِهِ فِي بعض الأوقات تمحيص لَهُمْ، كما قَالَ: ﴿**وليبتليَ الله مَا فِي صدوركم وليُمحِّص مَا فِي قلوبكم﴾** وليمتحن مَا فِي صدور المُؤْمِنين مِنَ الإخلاص، ويمحص مَا فِي قلوبهم، ويظهر سرائرها مِنَ الإخلاص أو النفاق. ﴿**والله عليم بذات الصدور(١٥٤)﴾** قبل إظهارها، وفيه وعد ووعيد، وتنبيه عَلَى أنَّه غنيٌّ عَنِ الابتلاء، وإنَّما فعل ذَلِكَ لتمرين المُؤْمِنين وإظهار حال المنافقين.

﴿**إنَّ الذِينَ تولَّوا منكم يوم الْتَقَى الجمعان﴾** جمعُ المُسْلِمِينَ والْكَافِرِينَ، ﴿**إنَّما استزلَّهم الشيطان﴾** دعاهم إِلَى الذلّة[2]، [٨١] وحملهم عليها ببعض مَا كسبوا، ﴿استزلّهم الشيطان﴾: طلب زلّتهم ودعاهم إِلَى الزلَل، ﴿**ببعض مَا كسبوا﴾** من ذنوبهم، والمَعَنَى: أنَّ الذِينَ آمنوا يوم أُحد كَانَ السبب فِي

---

١ - كذا في الأصل، وَلَعَلَّ الصواب: «ما كتب انّه سيكون».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «الزلّة».

انهزامهم، أَنَّهُم كَانُوا أطاعوا الشيطان؛ فاقترفوا ذنوبا، فلذلك منعتهم التأييد والتوفيق فِي تقوية القلوب حتّى تولّوا، وقال الحسن: «استزلّهم بقبول مَا زُيِّن لَهُم مِنَ الهزيمة»، وقوله: ﴿ببعض مَا اكتسبوا﴾ مثل قوله: ﴿ويعفو عَنْ كثير﴾[1]. ﴿وَلَقَدْ عفا ا لله عَنْهُمْ﴾ غفر لَهُمْ بعدما استغفروا. ﴿إِنَّ ا لله غَفُور حليم(١٥٥)﴾ لاَ يعاجل بالعقوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تكونوا كالذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإخوانهم﴾ فِي النسب، أوالنفاق، ﴿إِذَا ضربوا فِي الأَرْض﴾ سافروا فِيهَا للتجارة أو غيرها، ﴿أو[2] كَانُوا غُزًّى﴾: جمع غاز، وأصابهم موت أو قتل، ﴿لو كَانُوا عندنا مَا ماتوا وَمَا قُتلوا، ليجعل ا لله ذَلِكَ حسرة فِي قلوبهم﴾ أي: لاَ يكونوا كهؤلاء فِي النطق بذلك القول واعتقاده، ﴿ليجعل ا لله ذَلِكَ حسرة فِي قلوبهم﴾ خاصّة، ويصون منها قلوبكم، والحسرة: الندامة عَلَى فوت محبوب. ﴿وا لله يُحيي ويُميت﴾ ردٌّ لقولهم: إنَّ الأسباب تقطع الآجال. ﴿وا لله بِمَا تَعْمَلُونَ بصير(١٥٦)﴾ فيجازيكم عَلَى حسب أعمالكم.

﴿ولئن قُتلتم فِي سبيل ا لله أو متُّم لَمغفرةٌ مِنَ ا لله ورحمةٌ، خير مِمَّا يجمعُونَ(١٥٧)﴾ المجموع الفائت، لأَنَّهُ لم يكن جمعه لله. ﴿ولئن متُّم أو قُتلتم لإلى[3] ا لله تُحشَرُونَ(١٥٨)﴾، لإلى معبودكم الذِي توجَّهتم إِلَيْهِ وبذلتم مهجتكم لوجهه.

---

١ - سورة الشورى: ٣٠.

٢ - فِي الأصل: «لو» وهو خطأ.

٣ - فِي الأصل: «لا الى»، وهو خطأ.

﴿فبما رحمة مِنَ ا لله لِنتَ لَهُمْ﴾ «مَا» مزيدة للتوكيدِ والدلالةِ عَلَى أنَّ اللينة[1] لَهُم مَا كَانَ إِلاَّ برحمة مِنَ ا لله، ومعنى الرحمة ربطه عَلَى جأشه وتوفيقه للرفق والتلطُّف بهم. ﴿ولو كنت فظًّا﴾ جافيا، ﴿غليظ القلب﴾ قاسيه، ﴿لانفضُّوا من حولك﴾ لتفرَّقوا عنك، حتَّى لاَ يبقى حولك أحد مِنْهُمْ؛ ﴿فاعف عَنْهُمْ﴾ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِمَّا يختصُّ بك، ﴿واستغفر لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحق ا لله إِذَا تابوا، إتماما للشفقة عليهم، ﴿وشاورهم فِي الأمر﴾ فِي أمر الحرب ونحوه، مِمَّا لم ينزل عليك فِيهِ وحي، تطيُّبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لأقدارهم، وكشفا للآراء الصائبة، وهضما للنفس عَلَى الاستبداد، وطلبا لعلم مَا لم يعلِّمه ا لله، [و]فِي الحديث: «*مَا تَشاوَر قوم قطُّ، إِلَّا هدوا لأرشد أمرهم*»[2]. وعن أبي هريرة: «مَا رأيت أحدا أكثر مشاورة مِنَ الصحابة»؛ ومعنى شاورت فلانا: أظهرت مَا عندي وَمَا عنده مِنَ الرأي، وفيه دلالة عَلَى جواز الاجتهاد، وبيان أنَّ القياس حجَّة، وعلى أنَّ الإحاطة بالعلم مُحال، وكلُّ وَاحِد مِنَ الخلق يخصُّه بعلم لم يخصَّ بِهِ الآخر، وإن كَانَ أفضل مِنْهُ وأعلم مِنْهُ بغيره. ﴿فإذا عزمت﴾ فإذا قطعت الرأي عَلَى شيء بعد الشورى، ﴿فتوكَّل عَلَى ا لله﴾ فِي إمضاء أمرك عَلَى الأرشد، لاَ عَلَى المشورة. ﴿إِنَّ ا لله يحبُّ المتوكِّلِينَ(١٥٩)﴾ عليه، والتوكُّل: الاعتماد عَلَى ا لله، وتفويض الأمر إِلَيْهِ. وقال ذو النون: «خَلعُ الأرباب، وقَطعُ الأسباب».

---

١ - فِي الأصل: «النيه».

٢ - لم نعثر عَلَيه عند الربيع ولا فِي الكتب التسعة.

﴿**إن ينصركم ا لله فلا غالب لكم**﴾ إِنَّمَا يدرك نصر ا لله، من تبرّأ من حوله وقوّته، واعتصم بربه وقدرته، ﴿**وإن يخذلكم فمن ذا الذِي ينصركم من بعده**﴾ من بعد خذلانه إِيَّاكُم؛ هَذَا تنبيه عَلَى أن الأمر كلّه لله، وعلى وجوب التوكّل عليه، ﴿**وعلى ا لله فليتوكّل المُؤْمِنونَ(١٦٠)**﴾ ولْيخُصّ المُؤْمِنون ربّهم بالتوكُّل عليه، [٨٢] والتفويض إِلَيْهِ لعلمهم أنّه لاَ ناصر سواه، وَلاَ رزق إِلاَّ من لدنه. وقيل: حقيقة التوكُّل: أن لاَ تعصي ا لله من أجل رزقك، وَلاَ تطلب لنفسك ناصرا غيره، وَلاَ لعملك شاهدا غيره؛ ولأنَّ إيمانه يقتضي ذَلِكَ.

﴿**وَمَا كَانَ لنبيٍّ أن يغلّ**﴾ يعني أن النبوّة تنافي الغلول، روي أنَّ قطيفة حمراء فُقدت يوم بدر مِمَّا أُصيب مِنَ المشركين، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله أخَذها؛ فنزلت: ﴿**ومن يغلل يأتِ بمَا غلَّ يوم القيامة**﴾ أي: يأت بالشيء الذِي غلّه، أو بمثله حاملا عَلَى ظهره، أو يأت بِمَا احتمل من وباله. ﴿**ثمَّ توفَّى كلُّ نفس مَا كسبت**﴾ يعطى جزاؤها وافيا. ﴿**وَهُمْ لاَ يُظلمُونَ(١٦١)**﴾ جزاء كلٍّ عَلَى قدر كسبه.

﴿**أفمن اتّبع رضوان ا لله**﴾ أي: رضاء ا لله ﴿**كمن باء بسخط مِنَ ا لله ومأواه جهنّم وبِيسَ المصير(١٦٢)**﴾.

﴿**هم درجات عند ا لله**﴾ هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات، أو ذو درجات، والمَعنَى: تفاوت منازل المثابين مِنْهُم، ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب، ﴿**وا لله بصير بِمَا يَعْمَلُونَ(١٦٣)**﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها، فيجازيهم على حسبها.

﴿لَقَدْ منَّ ا لله عَلَى المــُؤْمِنين﴾ عَلَى من آمن مَعَ رسـول ا لله مـن قومـه، وخصَّ المُؤْمِنين مِنْهُمْ لأنــَّهُمْ هـم المنتفعـون بمبعثـه لاَ غـير؛ ﴿إذ بعـث فِيهِـمْ رسولا من أنفسهم﴾ من جنسهم، عربيًّا مثلهم، والمنَّة فِي ذَلِكَ مـن حيـث أنَّه إِذَا كَانَ مِنْهُمْ كَانَ اللِّسان واحدا؛ فيسهل أخذ مَا يجب عَلَيْهِـم أخـذه عنه. وكَانُوا واقـفين عَلَى أحواله فِي الصدق والأمانة؛ فكَانَ ذَلِكَ أقـرب لَهُـم الَى تصديقـه. ﴿يتلـو عَـلَيْهِـم آياتـه ويزكّيهـم﴾ مـن دنـس الطبـاع وسـوء العقـائد، ﴿ويعلّمهـم الكتـاب والحكمـة، وإن كَـانُوا مـن قبـل﴾ مبعثـة[1] الرسول، ﴿لفـي ضـلال﴾ عمـى وجهالـة، ﴿مُبِـين(١٦٤)﴾ ظـاهر لاَ شـبهة [فيه]، ولكن لاَ يـبينُ ظهور الضلالة إلاَّ بعد التعليم.

﴿أوَلَـمَّا أصابتكم مصيبـة﴾ يريـد مَـا أصـابهم يـوم أُحـد، ﴿قـد أصبتـم مثلَيْها﴾ يوم بدر، ﴿قلتم: أنَّى هَذَا﴾؟ مـن أيـن هَـذَا؟ ﴿قـل: هُـوَ مـن عنـد أنفسـكم﴾، مـن قِبَـل اختيـاركم وكسـبكم، ﴿إنَّ ا لله عَلَـى كـلِّ شـيء قدير(١٦٥)﴾.

﴿وَمَا أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ جمعكـم وجمـع المشـركين، ﴿فبـإذن ا لله﴾ بعلمه وقضائه، ﴿وليعلم المـُؤْمِنينَ(١٦٦)﴾.

﴿وليعلم الذِينَ نافقوا﴾ وَهُوَ كائن ليميز الـمُؤْمِنين مِنَ المنافقين، وليظهـر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء، ﴿وقيل لَهُمْ﴾ للمنافقين: ﴿تعالوا قـاتلوا فِي سـبيل

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مبعث»، أو «بعثة».

ا لله﴾ أي: جاهدوا للآخرة كما يجاهد المـُؤْمِنون، ﴿أو ادفعوا﴾ أي: قـاتلوا دفعا عَنْ انفسكم وأهليكم وأموالكم، إن لم تقاتلوا للآخرة، ﴿قَالُوا: لو نعلـم قتالا لاتـَّبعناكم﴾ أي: لو نعلم مَا يصحُّ أن يسمَّى قتالا لاتـَّبعناكم؛ يعنـون أنَّ مَا أَنتُمْ فِيهِ لخطإ رأيكم ليـس لشـيء، وَلاَ يقـال لمثلـه: قتـال، إنـَّما هُـوَ إلقـاء النفس فِي التهلكة. ﴿هم للكفر يومئذ[1] أقرب مِنـْهُمْ للإيمـان﴾ يعـني: أنـَّهُم كَانُوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذَلِكَ، وَمَا ظهرت مِنـْهُمْ أمارة تـؤذن بكفرهـم؛ فَلَـمَّا انخذلوا عَنْ عسكر المـُؤْمِنِين وَقَالُوا مَـا قَـالُوا بـَان تباعدُهم بذلـك عَـنِ الإيمان المظنون بهم، واقتربوا مِنَ الكفر؛ أو هم لأهل الكفر أقرب نصرة مِنـْهُمْ لأهل [٨٣] الإيمان، ﴿يقولون: بأفواههم مَـا ليـس فِي قلوبهـم﴾ وَأَنَّ إيمـانهم موجود فِي أفواههم، معدوم مـن قلوبهـم باشـتغالها بضـده. ﴿وا لله أعلـم بِمَـا يكتمُونَ(١٦٧)﴾ مِنَ النفاق.

﴿الذِينَ قَالُوا لإخوانهـم﴾ فِي النسـب أو فِي الديـن، ﴿وقعـدوا﴾ وقعـد هؤلاء القائلون عَـنِ الجهـاد: ﴿لـو أطاعونـا مَـا قُتلـوا﴾ أطاعنـا إخواننـا فيمـا أمرناهم بِهِ مِنَ الانصراف عَنْ رسول ا لله ﷺ والقعـود، ﴿قـل: فـادرءوا عَـنْ أنفسكم الموت إن كُنتـُمْ صادِقِينَ(١٦٨)﴾ بِأَنَّ الحذر يغني عَنِ القدر.

﴿وَلاَ تحسبن[2] الذِينَ قُتلوا فِي سبيل ا لله﴾ فِي الجهاد، وفِي إحيـاء ديـن ا لله، ويخـرج فِي جميـع طاعـة ا لله تعـالى، ﴿أمواتـا، بَـلْ أحيـاء عنـد ربـِّهم

---

١ - فِي الأصل: - «يومئذ».

٢ - فِي الأصل: + «تحسبنَّ» وهو تكرار.

يرزقُونَ(١٦٩)﴾ قيل: أحياء فِي الدين، وقيل: فِي الذكر، وقيل: يرزقون مثل [مَا] يرزق سائر الأحياء، يأكلون ويشربون؛ وَهُوَ تأكيد لكونهم أحياء، وصف حالهم التِي هم عليها مِنَ التنعُّم برزق ا لله تعالى فيما قيل؛ وَا للهُ أعلم بحقيقة حالهم.

﴿**فرحين بِمَا آتاهم ا لله من فضله**﴾ وَهُوَ التوفيق فِي الشهادة، وَمَا ساق إِلَيْهِم مِنَ الكرامة والتفضيل عَلَى غيرهم، من كونهم أحياء مقرَّبين. يروى عَنِ النبيء ﷺ: «*لَمَّا أصيب إخوانكم بأحد، جعل ا لله أرواحهم فِي أجواف طير خضر، تدور فِي أنهار الجنَّة وتأكل من ثمارها، وتأوي فِي قناديل من ذهب معلَّقة فِي ظلِّ العرش*»[1].

﴿**ويستبشرون**﴾ ويفرحون، ﴿**بالذِينَ**﴾ بإخوانهم المجاهدين الذِينَ ﴿**لم يلحقوا بهم**﴾ لم يُقتلوا، فيلحقوا بهم ﴿**من خلفهم**﴾، يريد الذِينَ من خلفهم قد بقوا بعدهم، من إخوانهم الذِينَ تركوهم أحياء فِي الدُّنْيَا، عَلَى مناهج الدين والجهاد، ولعلمهم أَنَّهُمْ إِذَا استشهدوا أو لحقوا بهم، نالوا مِنَ الكرامة مَا نالوا هم، وَهُمْ قد تقدَّموهم. ﴿**أَلاَّ خوف عَلَيْهِم وَلاَ هم يحزنُونَ(١٧٠)**﴾ المعنى: أَنَّهُمْ يستبشرون بِمَا تبيَّن لَهُمْ من أمر الآخِرَة، وحال من تركوا خلفهم مِنَ

---

١ - عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ ا للهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ا للهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ...». مسلم: كتاب الإمارة، رقم ٣٥٠٠؛ الترمذيُّ: كتاب تفسير القرآن، رقم ٢٩٣٧؛ ابن ماجه: كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩١؛ الدارمي: كتاب الجهاد، رقم ٢٣٠٣. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «قناديل معلَّقة».

المُؤْمِنين، وَهُوَ أَنَّهُم إِذَا ماتوا أو قُتلوا، كَانُوا أحياء حياة لاَ يكدرها خوف وقوع محذور، وحزن فوات محبوب. والآيَة تدلُّ عَلَى الإنسان غير الهيكل المحسوس، بَلْ هُوَ جوهر مُدرِك بذاته لاَ يفنى بخراب البدن؛ وَلاَ يوقف عليه إدراكه وتألُّمه والتذاذه، ويؤيد ذَلِكَ قوله تعالى فِي آل فرعون[1].

﴿**يستبشرون بنعمة مِنَ ا لله وفضل**﴾ يسرُّون بِمَا أنعم ا لله عليهم، وبما تفضَّل عَلَيْهِم من زيادة الكرامة، ﴿**وأنَّ ا لله لاَ يضيع أجر المُؤْمِنِينَ(١٧١)**﴾ بَلْ يوفِّر عليهم.

﴿**الذِينَ استجابوا لله والرسول من بعد مَا أصابهم القرح**﴾ الجرح، ﴿**للذين أحسنوا مِنْهُمْ واتَّقَوا أجر عظيم(١٧٢)**﴾.

﴿**الذِينَ قَالَ لَهُم الناس: إِنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا**﴾ اطمئنانيَّة[2] وإيقانا، ﴿**وَقَالُوا: حسبنا ا لله**﴾ كافينا ا لله، أَي: الذِي يكفينا ا لله، يقال: حسبه الشيء إِذَا كفاه، وَهُوَ بمعنى: المحسب. ﴿**ونعم الوكيل(١٧٣)**﴾ نعم الموكول إِلَيْهِ هُوَ.

﴿**فانقلبوا بنعمة مِنَ ا لله**﴾ وَهُوَ السلامة، وحذر العدو مِنْهُمْ، ﴿**وفضلٍ**﴾ وَهُوَ الربح فِي التجارة، ﴿**لم يمسسهم سوء**﴾ لم يلقوا مَا يسوءهم من كيد عدوٍّ، ﴿**واتَّبعوا رضوان ا لله**﴾ بجربهم وخروجهم إِلَى وجه العدو،

---

١ - يشير إِلَى قوله تعالى: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب﴾. غافر: ٤٥-٤٦.

٢ - فِي الأصل: «اطمانيه»، وهو خطأ.

عَلَى إثر تثبيطه، ﴿**والله ذو فضل عظيم(١٧٤)**﴾ قد تفضَّل عَلَيْهِم بالتوفيق فيما فعلوا.

﴿**إنَّما ذلكم الشيطان**﴾ أي: إنَّمَا ذلكم المثبط هُوَ الشيطان، ﴿**يخوِّف أولياءه**﴾ المنافقين [٨٤] ﴿**فلا تخافوهم**﴾ أي: أولياءه، ﴿**وخافُون إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٥)**﴾ لأنَّ الإيمان بِهِ يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله عَلَى خوف غيره.

﴿**وَلاَ يحزنْك الذِينَ يسارعون فِي الكفر، إنَّهُمْ لن يضرُّوا الله شَيْئًا**﴾ يعني: أنَّهُم لاَ يضرُّون لمسارعتهم[1] فِي الكفر غير أنفسهم، وَمَا وبال ذَلِكَ عائدا عَلَى غيرهم...[2] بقوله: ﴿**يريد الله أَلاَّ يجعل لَهُمْ حظًّا فِي الآخِرَة**﴾ أي: نصيبا مِنَ الثواب، ﴿**ولهم**﴾ بدل الثواب، ﴿**عذاب عظيم(١٧٦)**﴾ وذلك أبلغ مَا ضرَّ بِهِ الإنسان نفسه.

﴿**إنَّ الذِينَ اشتروا الكفر بالإيمان**﴾ أي: استبدلوا بِهِ، ﴿**لن يضرُّوا الله شَيْئًا ولهم عذاب أليم(١٧٧)**﴾.

﴿ **وَلاَ يحسبنَّ الذِينَ كَفَرُوا أنَّما نملي لَهُمْ خير لأنفسهم، إنَّمَا نملي لَهُمْ ليزدادوا[3] إثما ولهم عذاب مهينٌ(١٧٨)**﴾ أي: إنَّما نملي لَهُمْ ليزدادوا إثما عَلَى إثمهم فِي الآخِرَة، وليس لَهُمْ فِيهِ منفعة فِي الدُّنْيَا، وَلاَ خير فِي الآخِرَة، بَلْ ليتضاعف عَلَيْهِم العذاب بِتَسبُّبه فِي الدُّنْيَا بمزاولتهم لَهُ، وجمعهم

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بمسارعتهم».

٢ - يبدو أنَّ في العبارة سقطا تقديره: «ويؤيِّد ذلك بقوله...».

٣ - في الأصل: «ليزداوا»، وهو خطأ.

إيَّاه، لأَنَّهُ مَا زاد عَلَى الكفاية، فهو زيادة عذاب فِي الدُّنْيَا والآخِرَة فِي حق العاصين؛ وكذلك سعيهم لما لاَ بدَّ لَهُمْ منه، أعني: العاصين هُوَ عذاب لَهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، لأَنَّهُمْ لم يؤجروا بِهِ لأَنَّ أعمالهم محبوطة.

﴿مَا كَانَ ا لله ليذر الـمُؤْمِنين عَلَى مَا أَنتُمْ عليه﴾ من اختلاط المـُؤْمِنين الخلَّص والمنافقين، ﴿حتىَّ يميز الخبيث مِنَ الطيِّب﴾ قيل: الخطاب لعامَّة المخلصين والمنافقين فِي عصره. والـمَعنَى: لاَ يتركَكم مختلطين، لاَ يعرف مخلصكم ومنافقكم حتَّى يميز المنافق مِنَ المخلص بالوحي إِلىَ نبيه، وبإخباره إلىَ[1] أحوالكم، أو بالتكاليف الشاقَّة التِي لاَ يصبر عليها وَلاَ يذعن لها إلاَّ الخلَّص المخلصون منكم؛ كبذل الأموال والأنفس فِي سبيل ا لله، ليختبر بواطنكم ويظهر مَا عَلَى عقائدكم. ﴿وَمَا كَانَ ا لله ليطلعكم عَلَى الغيب﴾ وَمَا كَانَ ا لله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب؛ فلا يتوهَّم عند إخبار الرسول من نفاق الرجل وإخلاص الآخر أنَّه يطَّلع عَلَى مَا فِي القلوب اطِّلاع ا لله، فيخبر عَنْ كفرها وإيمانها، ﴿ولكنَّ ا لله يجتبي من رسله من يَشَاء﴾ أي: ولكن ا لله يرسل الرسول فيوحي إِلَيْهِ من يخبره أنَّ فِي الغيب كذا، وأنَّ فلانا فِي قلبه نفاق، وأنَّ فلانا فِي قلبه إخلاص، فيعلم ذَلِكَ من جهة إخبار ا لله، لاَ من جهة نفسه. ﴿فآمنوا با لله ورسله﴾ بصفة الإخلاص، ويحتمل فِي تأويل هَذِهِ الآيَة، أي: لاَ يكون المـُؤْمِنون كلُّهم علماء بدين ا لله، ولكن يختصُّ من عباده، رسلا وعلماء بدينه؛ فإذا بلغتهم حجَّة من حجج ا لله، من رسول ا لله

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عن» .

أو نبيء أو عالم أو جاهل فيما لاَ يسع جهله أو حجَّة عقل، فواجب عَلَى المُؤْمِنِين الإيمان بها والتصديق لها. ﴿وإن تؤمنوا وتتـَّقوا﴾ النفاق، ﴿فلكم أجر عظيم(١٧٩)﴾.

﴿ وَلاَ يحسبنَّ الذِينَ يبخلون بِمَا آتاهم ا لله من فضله﴾ من علم ومال، أو مهجة نفس أو غريزة عقل، ﴿هُوَ خيرا لَهُمْ، بَلْ هُوَ شرٌّ لَهُمْ﴾ لأَنَّ أحوالهم ستزول عَنْهُمْ، ويبقى عَلَيْهِم وبال البخل. ﴿سيطوَّقون مَا بخلوا بِهِ يوم القيامة﴾ تفسيرا لقوله: ﴿بَلْ هُوَ شرٌّ لَهُمْ﴾ أي: سيجعل مَا منعوه عَنِ الحق طوقا فِي أعناقهم؛ كما جاء فِي الحديث: «*من منع زكاة ماله يصير حيَّة ذكرا أقرع لَهُ نابان، فيطوَّق*[1] *فِي عنقه فينهشه ويدفعه إِلَى النار*»[2]. ﴿و لله ميراث السَّمَاوَات والأَرْض﴾ وَلَهُ مَا فيهما مِمَّا يتوارثه فيهما من مال وغيره، فما لَهُمْ يبخلون عليه بملكه، وَلاَ [٨٥] ينفقون فِي سبيله، ﴿وا لله بِمَا تَعْمَلُونَ خبير(١٨٠)﴾.

---

١ - فِي الأصل: «فيوطوق»، وَهُوَ خطأ.

٢ - رواه الربيع فِي كتاب الزكاة والصدقة، باب [٥٨] الوعيد فِي منع الزكاة رقم ٣٤٣ بلفظ: «مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وَلَمْ يُزَكِّهِ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ شُجَاعٍ أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ مُوَكَّلُ بِعَذَابِهِ حَتَّى يَقْضِيَ ا للهُ بَيْنَ الْخَلاَئِقِ». ورواه البخاريُّ عن أبي هريرة فِي كتاب تفسير القرآن، رقم ٤١٩٩، بلفظ: «مَنْ آتَاهُ ا للهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ ا للهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ». وبرقم ١٣١٥، ومسلم والنسائي وابن ماجه، وكلُّهم فِي كتاب الزكاة، وغيرهم... العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «شجاع أقرع».

﴿لَقَدْ سمع ا لله قول الذِينَ قَالُوا: إِنَّ ا لله فقير ونحن أغنياء﴾ قيل: قَالَ ذَلِكَ اليَهُود حين سمعوا قوله تعالى: ﴿من ذا الذِي يقرض ا لله قرضا حسنا﴾[1] وَقَالُوا إنَّ إله محمَّد يستقرض مِنَّا، فنحن إِذَن أغنياء وَهُوَ فقير. ومعنى سماع ا لله لَهُ أنَّه لم يخف عليه، وأنَّه أعدَّ لَهُ كفافه مِنَ العقاب. ﴿سنكتب مَا قَالُوا، وقَتْلَهم الأنبياء بغير حقٍّ، ونقول: ذوقوا عذاب الحريق(١٨١) ذَلِكَ بِمَا قدَّمت أيديكم، وأنَّ ا لله ليس بظلاَّم للعبيد(١٨٢)﴾.

﴿الذِينَ قَالُوا إِنَّ ا لله عهد إلينا﴾ أمرنا فِي التَّوْرَاة وأوصانا ﴿ألاَّ نؤمن لرسول حَتَّى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ أي: نقرب قربانًا، فتنزل نار مِنَ السَّمَاء فتأكله؛ فإن جئتنا بِهِ صدَّقناك؛ والقربان: كلُّ مَا يتقرَّب العبد بِهِ من نسك أو غيره، قد حرَّم ا لله عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ زكاة أموالهم و لم يحلَّها لغنيٍّ وَلاَ فقير مِنْهُمْ، وإنَّما كا[نوا] يخرجون زكاتهم ويجمعونها، ثُمَّ تنزل عليها نار مِنَ السَّمَاء فتأكلها؛ وهذه دعوى باطلة وافتراء عَلَى ا لله، لأنَّ أكل النار القربان سبب لإيمان المرسول الآتي بِهِ، لكونه معجزة؛ فهو إذن وسائر المعجزات سواء. وكانت القرابين والغنائم لاَ تحلُّ لبَنِي إِسْرَائِيلَ، وكَانُوا إِذَا قرَّبوا أو غنموا غنيمة، جاءت نار بيضاء مِنَ السَّمَاء بلا دخان، ولها دويٌّ ووجيف[2] فتحرق ذَلِكَ القربان وتلك الغنيمة.

---

١ - سورة البقرة: ٢٤٥؛ وتمامها: ﴿...فيضاعفه له أضعافا كثيرة وا لله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾. وسورة الحديد: ١١؛ وتمامها: ﴿...فيضاعفه له وله أجر كريم﴾.

٢ - أي لها دويٌّ وسرعة، قال في اللسان: «الوحف سرعة السير. وحف البعير والفرس يجف وحفا ووحيفا : أسرع. والوجيف دون التقريب من السير. الجوهريُّ: الوجيف

﴿قل: قد جاءكم رسل من قبلي بالبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات سوى القربان، ﴿وبالذي قلتم﴾ أي: بالقربان، يعني: قد جاء أسلافكم الذِينَ أنتُمْ عَلَى ملّتهم، وراضون بفعلهم؛ ﴿فلِم قتلتموهم﴾ أي: إن كَانَ امتناعكم عَنِ الإيمان لأجل هَذَا، فلم لم تؤمنوا بالذين أتوا بِهِ؟ و لم قتلتموهم ﴿إن كُنتُمْ صادقِينَ(١٨٣)﴾ فِي قولكم.

﴿فإن كذّبوك فقد كُذّب رسلٌ من قبلك﴾ فإنَّ كذّبك اليَهُود فلا يهولنّك، فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك، ﴿جاءوا بالبَيِّنَات﴾ بالمعجزات الظاهرات، ﴿والزبر﴾ جمع زبور، مِنَ الزبر: وَهُوَ الكتابة، أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحدها: زبور، مثل رسول ورُسل. ﴿والكتاب المنير(١٨٤)﴾ المضيء عند الله، فيكون ذَلِكَ علامة القبول، وإذا لم تقبل بقيت عَلَى حالها وعند المُؤْمِنين.

﴿كلُّ نفس ذائقة الموت﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذّب. ﴿وإنَّمَا توفّون أجوركم يوم القيامة﴾ أي: تُعطَون ثواب أعمالكم عَلَى الكمال يوم القيامة؛ فإنَّ الدُّنْيَا ليست بدار جزاء. ﴿فمن زُحزِح﴾ بُعد ﴿عَنْ النار وأدخل الجنَّة فقد فاز﴾ ظفر بالخير، وقيل: فقد حصل لَهُ الفوز المطلق، المتناول لِكُل مَا يقارنه، وَلاَ غاية للفوز وراء النجاة من سخط الرب، وعذاب النيران، ونيل رضى الله ونعيم الجنان. ﴿وَمَا الحياة الدُّنْيَا﴾ (ولذّاتها

=

ضرب من سير الإبل والخيل...». ابن منظور: لسان، ٦/٨٨٢.

وشهواتها إلاَّ متاع الغرور والخداع الذِي لاَ حقيقة لَهُ وَهُوَ المتاع الرديء الذِي يدلِّس بِهِ عَلَى طالبه حَتَّى يشتريه، حَتَّى يتبيَّن لَهُ رداءته؛ والشيطان هُوَ المدلِّس الغرور)[1]. ﴿إلاَّ متاع الغرور(١٨٥)﴾ شبَّه الدُّنْيَا بالمتاع الذِي يُدلَّس بِهِ عَلَى المستام[2]، ويُغرُّ حتَّى يشتريه ثُمَّ ينكشف لَهُ فساده ورداءته، فيراه عين اليقين. والشيطان هُوَ المدلِّس الغرور، وَعن سعيد بن جبير: «إنَّما هَذَا لمن آثرها عَلَى الآخِرَة، فأمَّا من طلب الآخِرَة بها فإنَّها متاع بلاغ»، وعن الحسن: «كخضرة النبات، ولعب البنات، لاَ حاصل لها». وقال قتاده: «هِيَ متاع متروكة، ويوشك أن يضمحلَّ بأهلها».

﴿لتبلوُّن﴾ لتختبرُن ﴿فِي أموالكم﴾ بالإنفاق فِي سبيل ا لله، وبما يقع فِيهَا مِنَ الآفات، ﴿وأنفسكم﴾ بالقتل والأسر والجراح، والفرائض البدنيَّة الظاهرة والباطنة، وَمَا يَرِد عليها من أنواع العلل والمصائب والمخاوف، ووسواس الشيطان، ﴿ولَتَسمعُنَّ مِنَ الذِينَ أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني: اليَهُود والنصارى، ﴿ومن الذِينَ [٨٦] أشركوا أذًى كثيرا﴾ كالطعن فِي الدين، وصد من أَرَادَ الإيمان، وتخطئة من آمن، والسخرية والاستهزاء والهمز واللّمز والاستخفاف ونحو ذَلِكَ. ﴿وإن تصبروا﴾ عَلَى مَا ابتليتم بِهِ وعلى المكافاة بمثل مَا فعل فيكم، ﴿وتتَّقوا﴾ مخالفة أمر ا لله، ﴿فإنَّ ذَلِكَ من عزم

١ - العبارة التي بين قوسين مكتوبة في الحاشية بخط الناسخ، لكن لم يُحِل إلَيها في المتن، ووضعناها في المكان المناسب باجتهادنا مع مراعاة المعنى.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «المشتري».

الأمور(١٨٦)﴾ مرجو الأمور وواجباتها، وقال عطاء: «من حقيقة الإيمان». خوطب المُؤْمِنون بذلك ليعلمهم أنَّ الدُّنْـيَا ذات عيوب، وليوطّنوا أنفسهم عَلَى احتمال مَا سيلقون مِنَ الشدائد والصبر عليها، حتّى إذَا لقوها وَهُمْ مستعدُّون لاَ يرهقه من تصيبه الشدّة مِنْهُمْ بغتة فينكرها. ثُمَّ بيَّن لَهُمْ إيجاب التعليم إن أجنح إِلَيْهِ فقال:

﴿وإذ أخَذ الله ميثاق الذِينَ أوتوا الكتاب لتبيِّنُنَّه للنَّاس وَلاَ تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم﴾ فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم، لم يراعوه ولم يلتفتوا إِلَيْهِ، والنبذ وراء الظهر مثل فِي الطرح وترك الإعداد؛ وَهُوَ دليل عَلَى أنّه يجب عَلَى العلماء أن يبينوا الحقَّ للنَّاس وَمَا علموه وأن لاَ يكتمنوا مِنْهُ شَيْئًا لغرض فاسد، من تسهيل عَلَى الظلمة وتطيُّب لنفوسهم، ولجر منفعة أو دفع مغرم أو لنحلٍّ بالعلم، وفي الحديث: *«من كتم علما [عن] أهله ألجم بلجام من نار»*[1] وذلك إِذَا احتيج إِلَيْهِ؛ وقيل: مَا أخَذ الله عَلَى أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخَذ عَلَى أهل العلم أن يعلّموا. **﴿واشتروا بِهِ ثمنا قليلا فبِيسَ مَا يشترُونَ(١٨٧)﴾**.

---

١ - رواه الترمذيُّ وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بلفظ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». وَفِي الْبَاب عَنْ جَابِرٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو. قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. الترمذي: سنن، كتاب العلم، رقم ٢٥٧٣. أبو داود: كتاب العلم. ابن ماجه: مقدِّمة. أحمد: مسند باقي المكثرين. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «لجام من نار».

﴿لاَ تحسبنَّ الذِينَ يفرحون بِمَا أتوا﴾ فعلوا، وقيل: أعطوا عَلَى قراءة: «آتوا»، ﴿ويحبُّون أن يُحمدوا بِمَا لم يفعلوا﴾ قيل: مِنَ النفاق من إِذَا مُدح بشيء ليس فِيهِ فأعجبه، ﴿فلا تحسبنَّهم بمفازة مِنَ العذاب﴾ بمنجاةٍ منه، ﴿ولهم عذاب أليم(١٨٨)﴾ روي أنَّ رسول الله ﷺ سأل اليَهُود عَنْ شيء مِمَّا فِي التَّوْرَاة، فكتموا الحقَّ وأخبروه بخلافه، وأروه أنَّهُم صدقوا واستحمدوا وفرحوا بِمَا فعلوا، فأطلع الله رسوله عَلَى ذَلِكَ، وسلاَّه بِمَا أنزل من وعيدهم، أي: لاَ تحسبنَّ اليَهُود الذِينَ يفرحون بِمَا فعلوا من تدلِّيهم عليك، ويحبُّون أن يحمدوا بِمَا لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عمَّا سألتهم عَنْهُ ناجين مِنَ العذاب، وقيل: هم المنافقون يفرحون بِمَا أتوا من إظهار الإيمان للمُسْلِمِينَ وتوصُّلهم بذلك إِلَى أغراضهم، ويستحمدون إِلَيْهِم بالإيمان الذِي لم يفعلوه عَلَى الحقيقة. وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فَرَح إعجاب، ويحبُّ أن يحمده الناس بِمَا ليس فِيهِ، ويروى عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «*لاَ يبلغ العبد حقيقة الإيمان حَتَّى لاَ يحِبَّ أن يحمده أحد عَلَى العمل لله*»[1].

﴿و لله ملك السَّمَاوَات والأَرْضِ، وَا للهُ عَلَى كُل شيء قدير(١٨٩)﴾.

﴿إنَّ فِي خلق السَّمَاوَات والأَرْض واختلاف الليل والنهار لآيات﴾ لأدلَّة واضحة عَلَى صانع قديم عليم حكيم قادر، ﴿لأولي الألباب(١٩٠)﴾ لمن خلص عقله عَنِ الهوى خلوص اللُّب عَنِ القشر، فيرى أنَّ العَرَض المحدَث فِي الجوهر يدلُّ عَلَى حدوث الجواهر، لأَنَّ كلَّ جوهر لاَ ينفكُّ عَنْ عرض

١ - لم نعثر عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة.

حادث، وَمَا لاَ يخلو عَنِ الحادث[1] فهو حادث ثُمَّ حدوثها يدلُّ عَلَى محدِثهـا، وحسنُ صنعها يدلُّ عَلَى علمه، وإتقانه يدلُّ عَلَى حكمته، [٨٧] وبقاؤه يدلُّ عَلَى قدرته. قَالَ العَلَيْـالاِ: *«ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فِيهَا»*[2].

﴿الذِينَ يذكرون ا لله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ قيل: هَذَا فِي الصلاة قياما عند القدرة، وقعودا ـ قاعدين ـ عند العجز عَنِ القيام، وعلى جنوبهم عند العجز عَنِ القيام والقعود. ﴿ويتفكّرون فِي خلق السَّمَاوَات والأَرْض﴾ مَا يدلُّ عليه اختراعُ هَذِهِ الأجرام العظام وإبداعُ صنعتها، وَمَا دبِّر فِيهَا ـ مِمَّا تكلُّ الأفهام عَنْ إدراك بعض عجائبه ـ عَلَى عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه. وقال العَلَيْـالاِ: *«لَا عبادة كالتفكّر»*[3]، وقيل: «الفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية، وَمَا حلّيت القلوب بمثل الأحزان، وَلاَ استنارت بمثل الفكر». ﴿ربَّنَا مَا خلقتَ هَذَا باطلا﴾ والمَعنَى: مَا خلقته عبثا من غير حكمة بَلْ خلقته لحكم عظيمة، من جملتها أن يكون مبدأً لوجود الإنسان وسببا لمعاشه، ودليلا يدلُّه عَلَى معرفتك، ويحثُّه عَلَى طاعتك، لينال الحياة الأبديَّة، والسعادة السرمديَّة إن أطاعك، ويستحقُّ العقاب إن عصاك. ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عَنِ الوصف بخلق الباطل، ﴿فَقِنَا عذاب النار(١٩١)﴾ كأنَّهُم قَالُوا مَا خلقت الخلق إلاَّ ليعبدوك، ويوحِّدوك ثُمَّ ليعادوا للجزاء إمَّا للثواب وَإِمَّا للعذاب.

---

١ - في الأصل جملة: «وما لا يخلو عن الحادث» مكررة.

٢ - لم نعثر عَلَيه في الربيع ولا في الكتب التسعة.

٣ - لم نعثر عَلَيه في الربيع ولا في الكتب التسعة.

﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ من تدخل النار فقد أخزيته**﴾ أهنته أو هلكته أو فضحته، ﴿**وَمَا للظَّالمين من أنصار(١٩٢)**﴾ ينصرونهم من عذابك.

﴿**رَبَّنَا إنَّنا سمعنا مناديا**﴾ هُوَ الرسول ﷺ، أو القرآن، أو كلُّ دليل كَانَ من حجَّة العقل أو غيره، ﴿**ينادي للإيمان**﴾ لأجل الإيمان ﴿**أن آمنوا بربكم فآمنا رَبَّنَا فاغفر لَنَا ذنوبنا**﴾ كبائرنا، ﴿**وكفر عنا سَيِّئَاتنا**﴾ صغائرنا، ﴿**وتوفَّنا مَعَ الأبرار(١٩٣)**﴾ مخصوصين بصحبتهم، معدودين فِي جملتهم.

﴿**رَبَّنَا وآتنا مَا وعدتنا عَلَى رُسلك**﴾ كأنَّهُم سألوه التوفيق فيما يحفظ عَلَيْهِم أسباب إنجاز الميعاد، ﴿**وَلاَ تخزنا يوم القيامة إنَّكَ لاَ تخلف الميعاد(١٩٤)**﴾.

﴿**فاستجاب لَهُمْ ربُّهم أَني لاَ أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بعضكم من بعض، فالذِينَ هاجروا وأُخرِجوا من ديارهم وأوذوا فِي سبيلي**﴾ بسبب إيمانهم با لله، ﴿**وقاتَلوا**﴾ جاهدوا ﴿**وقُتلوا**﴾ واستشهدوا، ﴿**لأكفرنَّ عَنْهُمْ سيئاتهم ولأدخلنَّهم جَنَّات تجري من تحتها الأنهار، ثوابا من عند ا لله وَا للهُ عنده حسن الثواب(١٩٥)**﴾ أي: لاَ يقدر عَلَى الثواب الحقيقي غيره.

﴿**لاَ يغرَّنـَّك تقلُّب الذِينَ كَفَرُوا فِي البلاد(١٩٦)**﴾ والمَعنَى: لاَ تنظر إِلَى مَا الكفرة عليه مِنَ السعة والحظِّ وصِحَّة الأبدان وقوَّتها، وَلاَ تغترَّ بظاهر مَا ترى من تبسُّطهم فِي مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم، ﴿**متاع قليل**﴾ قليل من

جنب مَا فاتهم من نعيم الآخِرَة، أو فِي جنب مَا أعدَّ ا لله للمُؤْمِنين مِنَ الثواب، أو أَرَادَ أنَّه قليل فِي نفسه لانقضائه، وكلُّ زائل قليل، وروي أنَّه ﷺ قَالَ: *«مَا الدُّنْـيَا فِي الآخِرَة، إلَّا مثـل مَـا يجعـل أحدكـم إصبعـه فِي اليـم»*[1]. ﴿**ثمَّ مأواهم جهنَّم وبِيسَ المهاد(١٩٧)**﴾ وساء مَا مهَّدوا لأنفسهم.

﴿**لكن الذِينَ اتَّقُوا ربَّهم لَهُمْ جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا نُزلا**﴾ النزل: مَا يقام للنَّازل، ﴿**من عند ا لله، وَمَا عند ا لله خير للأبرار(١٩٨)**﴾ مِمَّا ينقلب فِيهِ الفجَّار مِنَ القليل الزائل، أَي: لاَ بقاء لتمتُّعهم، لكن ذَلِكَ للذين اتَّقَوا.

﴿**وإنَّ من أهل الكتاب لَمَن يؤمن با لله وَمَا أُنزل إليكم**﴾ مِنَ القرآن، ﴿**وَمَا أُنزل إِلَيْهِم**﴾ مِنَ الكتابين [٨٨]، ﴿**خاشعين لله، لاَ يشترون بِآيَاتِ ا لله ثمنا قليلا**﴾ دنيا فانية، ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ أجرهم عند ربهم إِنَّ ا لله سريع الحساب(١٩٩)**﴾ لنفوذ علمه فِي كلِّ شيء.

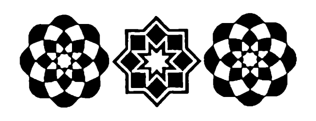
﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اصبروا**﴾ عَلَى الدين وتكاليفه، وَلاَ تَدَعوه لشدَّةٍ وَلاَ رخاءٍ؛ والصبر: حبس النفس عَنِ المكروه، ﴿**وصابروا**﴾ أعداء ا لله من جنٍّ وإنس عَلَى الجهاد، لاتكونوا أقلَّ مِنْهُمْ صبرا، ﴿**ورابطوا**﴾ أنفسكم عَلَى الطاعة كما قَالَ ﷺ: *«من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة»*[2]، وقيل:

---

١ - رواه مسلم في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها، رقم ٥١٠١؛ والترمذيُّ في كتاب الزهد، رقم ٢٢٤٥؛ وأحمد في مسند الشاميين من عدَّة طرق، وكلُّهم عن المستورد بن شداد.

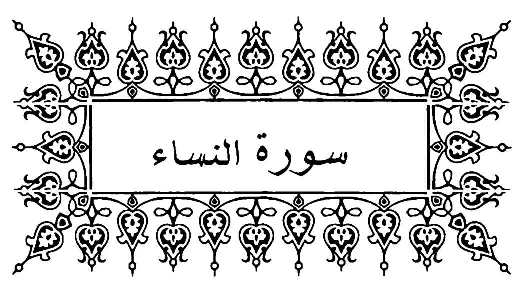
٢ - رواه الربيع عن أنس بن مالك بلفظ: «أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو ا للهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ =

داوموا واثبتوا، ﴿واتَّقُوا ا لله لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ(٢٠٠)﴾ واتَّقُوه بالتبرُّء عمّا سواه، لكي تفلحوا غاية الفلاح، واتَّقُوا القبائح لَعَلَّكُمْ تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتَّبة التِي هِيَ: الصبر عَلَى مضض الطاعات، ومصابرة النفس فِي رفض العادات، ومرابطة الشرِّ عَلَى جناب الحقِّ، لترصُّد الواردات المعبَّر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة.



=

الدَّرَجَاتِ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرباطُ» قَالَهَا ثَلاَثًا. كتاب الطهارة، باب [١٦] في فضائل الوضوء، رقم ٩٨. ورواه مسلم؛ والترمذيُّ؛ والنسائي وكلُّهم في كتاب الطهارة؛ وأحمد في باقي مسند المكثرين؛ ومالك في الموطّإ، كتاب النداء للصلاة.



سورة النساء

وهي مائة وستّة وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا الناس اتَّقُوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ فرَّعكم من أصل واحد، ﴿وخلق منها زوجها وبثَّ﴾ ونشر ﴿منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ وذلك مِمَّا يدلُّ على القدرة العظيمة، ومن قَدر على نحوه كان قادرا على كلِّ شيء؛ ومن المقدورات عقاب الكفّار، فالنظر فيه يؤدِّي إلى أن نتَّقي القادر عليه، ونخشى عقابه، ولأنَّهُ يدلُّ على النعمة السابغة عليهم، فحقُّهم أن يتَّقوه في كفرانها. ﴿واتَّقُوا ا لله الذي تسَّاءلون به والأرحام﴾ واتَّقُوا الأرحام أن تقطعوها؛ المعنى: أَنَّهُم كانوا يقرُّون بِأَنَّ لهم خالقا، وكانوا يتساءلون بذكر ا لله والرحم، فقيل: لهم اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم، واتَّقُوا الذي تتناشدون بِهِ، واتَّقُوا الأرحام فلا تقطعوها، واتَّقُوا ا لله الذِي تتعاطفون باذّكاره[1] وادِّكَار الرحم؛ وفي هَذَا أنَّ صلة الرحم من ا لله بمكان. ﴿إنَّ ا لله كان عليكم رقيبا(١)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بادِّكاره»، بالدال المهملة، وأصلها من فعل: «اذتكر»، عَلَىوزن "افتعل"، أدغمت الذال في التاء، وقلبت دالاً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾. سورة القمر: ١٥، ٢٢...

﴿**وآتوا اليتامى أموالَهم**﴾ بعد بلوغهم واستئناس رشدهم، ﴿**ولا تتبدَّلوا الخبيث بالطيب**﴾ ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم، ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ أي: مضافة إلى أموالكم. وَالمـَعنَى: ولا تضمُّوها إليها في الإنفاق حتَّى لا تفرِّقوا بين أموالكم وأموالهم ، قلَّة مبالاة [و]تسوية بينه وبين الحلال. قال أبو سعيد: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾، يعني مع أموالكم، ﴿**إنَّهُ كان حوبا كبيرا(٢)**﴾ ذنبا عظيما.

﴿**وإن خفتم ألاَّ تقسطوا**﴾ أي: لاَ تعدلوا، أقسِطْ: أي اِعدِلْ، ﴿**في اليتامى فانكحوا مَا طاب لكم مِنَ النساء**﴾ انكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقِّه، لأَنَّهُ لاَ يطيب مَا لاَ يقام بحقِّه، ﴿**مثنى وثـُلاثَ ورُباع؛ فإن خفتم ألاَّ تعدلوا**﴾ بين هَذِهِ[1] الأعداد، ﴿**فوَاحِدَةً أو مَا مَلكت أيمانكم**﴾ إن خفتم ألاَّ تقوموا بحقِّ الوَاحِدَة، ﴿**ذَلِكَ أدنى ألاَّ تعولوا(٣)**﴾ أي: أقرب من أن لاَ تميلوا وَلاَ تجوروا، وقيل: أن لاَ تكثر[2] عيالكم، لأنَّ من كثر عياله لزمه عولهم؛ وفي ذَلِكَ مَا تصعب عليه المحافظة عَلَى حدود الورع، وكسب الحلال، وقيل: لَعَلَّ المراد بالعيال الأزواج، وإن أريد الأولاد فلأنَّ التسرِّي مظنـَّة قلَّة الولد، بالإضافة إِلَى التزوُّج لجواز العزل فِيهِ، كتزوُّج وَاحِدَة بالإضافة إِلَى تزوُّج الأربع!! هذا عن البيضاويِّ.

١ - في الأصل: «هذا»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تكثروا».

﴿وآتوا النساء صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةً﴾ أي: أعطوهنَّ مهورهنَّ عَن طيبة أنفسكم، ﴿فإن طبن لكم عَن شيء مِنْهُ نفسا﴾ فإن وهبن لكم شَيْئًا مِنَ الصداق، طيِّبات نفوسهنَّ بِهِ، غير مضطرَّات [٨٩] إِلَى الهبة من سوء أخلاقكم ومعاشرتكم، أو لاَ مخدوعات، وفِي ذَلِكَ دَلِيل عَلَى ضيق المسلك فِي ذَلِكَ، ووجوب الاحتياط حيث بُني الشرط عَلَى طيب النفس، فقيل: ﴿فإن طبن لكم عَن شيء مِنْهُ نفسا﴾ و لم يقل: «فإن وهبن». إعلاما بِأَنَّ المراعَى هُوَ تجافي نفسها. ﴿فكلوه هنيئا﴾ لاَ إثم فِيهِ، ﴿مريئا(٤)﴾ لإذاقته[1]؛ أو هنيئا فِي الدُّنْيَا بلا مطالبة، مريئًا فِي العقبى بلا تبعة، وهما صفتان، من هَنُؤَ الطعام ومرئه: إِذَا كَانَ سائغا لاَ تنغيص فِيهِ، وهذه عبارة عَن المبالغة فِي الإباحة وإزالة التبعة.

﴿وَلاَ تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ فقد قيل ذَلِكَ فِي النساء والصبيان، لاَ يملكون مَا يكون بِهِ العون عَلَى الطاعة مِنَ الأموال، فيبذِّرونها ويتلفونها؛ فيكون ذَلِكَ ضياعا فِي المال. وسمَّاهم سفهاء استخفافا لعقلهم، واستهجانا لجهلهم. ﴿التِي جعل ا لله لكم قياما﴾ أي: قواما لأبدانكم ومعاشا لأهلكم وأولادكم وأنموذجا لدينكم، وقيل: المال سلاح المؤمن. وفي المعنى: يخرج ذَلِكَ فِي الوارث إِذَا لم يؤدِّ لوازمه من ماله وخلف لوارثه، لأَنَّهُ إِذَا منع إتيانه فِي حياته فأولى بالمنع بعد موته؛ ﴿وارزقوهم فِيهَا﴾ أي: أطعموهم واكسوهم لمن يجب عَلَيْكُم رزقه ومؤنته، أو المعنى: الصدقة لمن لاَ تجب لَهُ. ﴿واكسوهم وقولوا لَهُم قولا معروفا(٥)﴾ عذرا عَن تسليم مَا يطلبون، وكلُّ مَا سكنت

١ - في الأصل كلمة غير واضحة رسمها: «لابأفته»، أو «لادأفته»، وأثبتناها حسب احتهادنا.

إِلَـيْـهِ النفس لحسنه عقلا أو شرعًا من قول أو عمل فهو معروف؛ وَمَـا أنكرتـه لقبحه فهو منكر.

﴿وابتلوا اليتامى﴾ اختبروا عقولهـم، وذوقـوا [كَـذَا] أحوالهـم ومعرفتهـم بالتصرُّف، ﴿حتىَّ إِذَا بلغوا النكاح﴾ أي: الحلم، لأَنَّهُ يصلـح للنكـاح عنده ولطلب مَا هُوَ مقصود بِهِ وَهُوَ التوالـد. ﴿فـإن آنستم مِنـْهُم﴾ تبـيَّـنـتم، ﴿رشـدا﴾ هدايـة فِي التصرُّفـات، وصلاحـا فِي المعـاملات؛ ﴿فـادفعوا إِلَـيْهِم أموالهم﴾ من غير تأخير وتبكـير؛ الرشـد يُبَـيـِّنُ أَنَّ المـراد رشـد مخصـو[ص]، وَهُوَ الرشد فِي (لَعَلَّهُ) التصرُّفات والتجارة، وقيل: الرشد فِي الديـن. أمـر بدفـع المال إِلَـيْهِم بعد البلوغ واستئناس الرشـد. ﴿وَلاَ تأكلوهـا إسـرافا وبـدارا أن يكـبروا﴾ وَلاَ تأكلوهـا مسـرفين ومبـادرين كـبرهم، ﴿ومـن كَـانَ غنيـًّا؛ فليستعفِفْ ومن كَانَ فقيرا، فليأكل بالمعروف؛ فـإذا دفعتـم إِلَـيْهِم أموالهـم فأشهدوا عليهم﴾ بأَنـَّهُم[1] قبضوها فإِنَّهُ أنفى للتُّهمـة، وأبعـد مِـنَ الخصومـة ووجوب الضمان، ﴿وكفى با لله حسيبا(٦)﴾ محاسبا ومجازيا وشاهدا.

﴿للرجال نصيب مِمَّا ترك الوالدان والأقربون، وللنسـاء نصيب مِمَّا تـرك الوالدان والأقربون﴾ هم المتوارثون من ذوي القربات[2] دون غيرهـم. ﴿مِمَّا قـلَّ مِنـْهُ[3] أو كثُرَ﴾ كَانَ قليلا مَا تركوا أو كثيرا، ﴿نصيبا مفروضا(٧)﴾ مقطوعا.

١ - في الأصل: +«بأَنَّهم»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «القرابات».

٣ - في الأصل: - «منه»، وَهُوَ خطأ.

﴿وإذا حضر القسمة﴾ أي: قسمة التركة، **﴿أولو القربى﴾** مِمَّن لاَ يرث، **﴿واليتامى والمساكين﴾** مِنَ الأجانب، **﴿فارزقوهم﴾** فأعطوهم **﴿مِنْهُ﴾** مِمَّا ترك الوالدان والأقربون، قيل: هُوَ ندب لم ينسخ، وقيل: كَانَ واجبا ثُمَّ نسخ بِآيَةِ الميراث. وفي الجامع فِي تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم مِنْهُ﴾ يقول للورثة: أعطوهم مِنْهُ، ثُمَّ يقسم وليس شيء مؤقَّت[1]، نسختها آية الميراث، **﴿وقولوا لَهُم قولا معروفا(٨)﴾** عذرا جميلا وعدَة حسنة.

﴿وليخش الذِينَ لو تركوا من خلفهم ذُرِيَّة ضعافا خافوا عليهم؛ فليتَّقوا ا لله وليقولوا قولا سديدا(٩)﴾ قيل: المراد بهم الأوصياء، أُمروا بأن يخشوا ا لله، فيخافوا عَلَى من فِي حجورهم مِنَ اليتامى، فيشفقوا عَلَيْهِم خوفهم عَلَى ذرِّيَّتهم [٩٠] لو تركوهم ضعافا، وأن يقدِّروا ذَلِكَ فِي أنفسهم ويصوِّروه حتَّى لاَ يجسروا عَلَى خلاف الشفقة والرحمة، لأَنَّهُ «كما تدين تدان»، والقول السديد قول: لاَ إله إِلاَّ ا لله وأنَّ محمَّدًا رسول ا لله وَمَا جاء بِهِ فهو الحقُّ وَهُوَ صفة تقوى ا لله.

﴿إنَّ الذِينَ يأكلون أموال اليتامى ظلما إِنَّمَا يأكلون فِي بطونهم نارا﴾ أي: يأكلون مَا يجرُّ إِلىَ النار فكأَنَّهُ نار، روي أَنَّهُ: «يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فِيهِ وأذنيه، فيعرف الناس أَنَّهُ كَانَ يأكل مال اليتيم فِي الدُّنْيَا». **﴿وسيصلون﴾** أي: سيدخلون. يقولون: صلى

١ - كذا في الأصل، والعبارة المنقولة غير واضحة.

النار: قاسى حرَّها، وصليته: شويته، وأصليته فصليته: ألقيته فِيهَا، ﴿سعيرا(١٠)﴾ نارا مِنَ النيران.

﴿يوصيكم ا للهُ﴾ يعهد إليكم ويَأمُرُكم ويفرض عَلَيْكُم لأَنَّ الوَصِيَّة...[1] أمرٌ وفرضٌ، ﴿فِي أولادكم﴾ فِي شأن ميراثهم، وقيل: فِي ميراثهم وعطيَّتكم لَهُم فِي الحياة. ﴿للذَّكر مثل حظّ الأنثيين؛ فإن كنَّ نساء فوق اثنتين، فلهنَّ ثلثا مَا ترك؛ وإن كَانَت وَاحِدَة فلها النصف، ولأبويه لِكُل وَاحِد منهما السدس مِمَّا ترك إن كَانَ لَهُ ولد؛ فإن لم يكن لَهُ ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث؛ فإن كَانَ لَهُ إخوة فلأمه السدس، من بعد وَصِيَّة يوصي بها أو دين، آباؤكم وأبناؤكم لاَ تدرون أيُّهم أقرب لكم نفعا﴾ المعنى: فرض ا لله الفرائض عَلَى مَا هُوَ عنده حكمة، ولو وكَّل ذَلِكَ إليكم لم تعلموا أيُّهم لكم أنفع؛ فوضعتم أَنتُم الأموال عَلَى غير حكمة؛ والتفاوت فِي السهام بتفاوت المنافع، وأنتم لاَ تدرون تفاوتها فتولىَّ ا لله ذَلِكَ فضلا مِنْهُ، و لم يكلها إِلىَ احتهادكم لعجزكم عَن معرفة المقادير، ﴿فريضة مِنَ ا لله إنَّ ا لله كَانَ عليما﴾ بالأشياء قبل خلقها، ﴿حكيما(١١)﴾ فِي كلِّ مَا فرض وقسم مِنَ المواريث وغيرها.

﴿ولكم نصفُ مَا ترك أزواجكم إن لم يكن لهنَّ ولد؛ فإن كَانَ لهنَّ ولد فلكم الربع مِمَّا تركن من بعد وَصِيَّة يوصين بها أو دين؛ ولهنَّ الربع مِمَّا تركتم إن لم يكن لكم ولد؛ فإن كَانَ لكم ولد فلهنَّ الثمن مِمَّا تركتم، من

---

[1] - ثلاث كلمات غير واضحة، رسمها: «بوا منه لعل»، والمعنى كامل بدونهما.

بعد وَصِيَّة توصون بها أو دين؛ وإن كَانَ رجل﴾ يَعنِي: المَـيِّت وَهُـوَ اسـم "كَانَ"، أي: وإن كَانَ رجل موروث مِنْهُ كلالة، أو ﴿**يورث**﴾ خبر كَـانَ، و﴿**كلالةً**﴾ حال مِنَ الضمير فِي "يورَث"، والكلالـة: تنطلـق[1] عَلَى مـن لم يخلّف ولدا وَلاَ والدا، وعلى من ليـس بولـد وَلاَ والـد مِنَ المخلّفين، وَهُـوَ فِي الأصل مصدر بمعنى الكلالة: وَهُـوَ ذهـاب القـوَّة؛ ﴿**أو امـرأةٌ**﴾ عَلَى رجـل، ﴿**وَلَهُ أخ أو أخت فلكل وَاحِد منهما السدس؛ فإن كَـانُوا أكثر مـن ذَلِكَ فَهُم شركاء فِي الثلث من بعد وَصِيَّة يوصى بها أو دين، غير مضارٍّ**﴾ لورثته بوصيَّته، ﴿**وَصِيَّةً مِـنَ ا للهِ**﴾ لعبـاده، ﴿**وا لله عليـمٌ**﴾ بمـن جـار أو عـدل فِي وصيَّته، ﴿**حليم(١٢)**﴾ لاَ يعاجل بالعقوبة.

﴿**تلـك**﴾ إشـارة إِلَى الأحكـام التِـي ذكـرت فِي بـاب اليتـامى والوصايـا والمواريـث. ﴿**حـدود ا للهِ**﴾ سمَّاهـا حـدودا لأَنَّ الشـرائع الحـدود المضروبـة للمكلّفين، لاَ يجوز لَهُم أن يتجاوزوها، ﴿**ومن يطع ا للهَ**﴾ فِي مَا حدَّ و فرض؛ ﴿**ورسوله**﴾ فيما سنَّ، ﴿**يدخله جَنَّات تجري من تحتها الأَنهار خالدين فِيهَا وذلك الفوز العظيم(١٣) ومن يعص ا لله ورسـوله، ويتعدَّ حـدوده يدخلـه نارا خالدا فِيهَا، وَلَهُ عذاب مهِينٌ(١٤)**﴾ لهوانه عند ا لله.

﴿**واللاتي**﴾ جمع التِـي، ﴿**يأتين الفاحشة**﴾ بالزنا لزيادتهـا فِي القبـح عَلَى كثير مِنَ القبائح ﴿**من نسائكم** [٩١] **فاستشهدوا عليهنَّ أربعـة منكـم، فـإن شهدوا فأمسكوهن فِي البيـوت**﴾ فاحبسـوهنَّ، ﴿**حتـىً يتوفَّـاهنَّ المـوت، أو**

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصوب: «تُطلق».

يجعلَ ا لله لهنَّ سبيلا(١٥)﴾ قيل: السبيل الحدُّ فِي حقِّ البكر بالجلد والتغـرُّب، وفِي الثيِّب بالرَّجم.

﴿واللَّـذان﴾ يريـد الزانـي والزانيـة، **﴿يأتيانهـا منكـم﴾** أي: الفاحشـة، **﴿فـآذوهما﴾** بالتوبيخ والتعيير، وقولوا لهما: أمـا اسـتحييتما مِـنَ ا للّه؟!، أمـا خفتما ا للّه؟!، وَهُوَ تخوُّفهما[1] ا للّه وعقوبتهما، عسى أنَّ يتوبـا فيكـون داعيـا إِلىَ ا لله وإلى دينه. **﴿فإن تابا وأصلحا﴾** مَا فسدا[2] وهدما من منار الإسـلام، **﴿فأعرضوا عَـنْـهُما﴾** فـاقطعوا التوبيـخ والمذمَّـة، لأَنـَّهُما صـارا فِي حـال مَـا يستحقَّان بِهِ المدح. **﴿إنَّ ا لله كَانَ توَّابا[3] رحيما(١٦)﴾** يقبـل توبـة التـائب ويرحمه؛ فاقبلوا توبته وترحَّموا عليه.

﴿إنـَّمَا التوبة﴾ هِيَ مِن "تابَ ا للّهُ عليه" إِذَا قبل توبتـه، أي: إنـَّمَا قبولهـا **﴿عَلَى ا لله﴾**، وليس المراد بِهِ الوجوب، إذ لاَ يجـب عَلَـى ا لله شـيء، ولكـنَّه تـأكيد للوعـد، يعـني أن يكـون لاَ محالـة كـالواجب الـذِي لاَ يـترك. **﴿للذيـن يَعْمَلُونَ السوء﴾** الذنب، لأَنـَّهُ تسوء عاقبـة فاعلـه ومرتكبـه، **﴿بجهالـة﴾** أي: يَعْمَلُونَ[4] السوء جاهلين سفهاء، لأَنَّ ارتكاب القبيح يدعو إِلىَ السفه. وقيـل: من عصى ا لله فهو جاهل حتَّى ينزع عَن جهالته، وقيل: جهالته اختياره اللَّـذة

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تخويفهما».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ما أفسدا».

٣ - في الأصل: «ثـوابا»، وهو خطأ.

٤ - في الأصل: «يعلمون»، وهو خطأ.

الفانية عَلَى اللّذة الباقية، وقيل: لم يجهل أَنَّهُ ذنب ولكن جهل كنه عقوبته. ﴿ثُمَّ يتوبون من قريب﴾ وَهُوَ قبل معاينة أحوال الموت؛ ﴿فأولئك يتوب ا الله عليهم﴾ وعد وإعلام بِأَنَّ الغفران كائن لاَ محالة، مهما كَانَت التوبة فِي ذَلِكَ الوقت لأَنـَّها تكون باختيار العبد لا اضطرارًا[1]، حتّى يعاين أحوال الهلاك، فإذا تاب فِي ذَلِكَ الحين فإنـَّها تكون اضطرارًا[2]. ﴿وكَانَ ا الله عليما﴾ بعزمهم عَلَى التوبة، ﴿حكيما(١٧)﴾ حَكَمَ بِأن يكون الندمُ توبةً.

﴿وليست التوبة للذين يَعْمَلُونَ السَّيئَاتِ حَتَّى إِذَا حضر أحدَهم الموتُ قَالَ: إِني تبت الآن﴾ أي: وَلاَ توبة للذين يذنبون ويسوِّفون توبتهم إِلَى أن يزول حال التكليف، بحضور أسباب الموت لأَنـَّهُا توبة اضطرار، وَلاَ تصحُّ التوبة إِلاَّ لمختار لأَنـَّهُا عمل، ﴿وَلاَ الذِينَ يموتون وَهُم كُفَّار﴾ قيل: هم المشركون والمنافقون. ﴿أُولَـئِكَ أعتدنا لَهُم عذابا أليما(١٨)﴾ هيَّأنا، مِنَ العتيد وَهُوَ الحاضر.

﴿يَا أَيـُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرها، وَلاَ تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض مَا آتيتموهنَّ﴾ وَهُوَ أن يعاضلها[3] بسوء العشرة لتفتدي مِنْهُ. قيل: كَانَ الرجل إِذَا تزوَّج امرأة و لم تكن من حاجته، حبَسَهَا مَعَ سوء العشرة ليرثها، أو لتفتدي مِنْهُ بمالها وتختلع، كما يفعله بعض الجهلة

١ - فِي الأصل: «لاضطرارا»، وَهُوَ خطأ.

٢ - فِي الأصل: «اضطرار»، وَهُوَ خطأ، فهو خبرُ "تكون" منصوبٌ.

٣ - يمكن أن نقرأ: «يعاملها».

فِي بعض أزواجهم ليرثها. وقيل: كَانَ وارث الرجل يرث زوجته أَيْضًا وإن كرهت، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرها﴾. ﴿**إلاَّ أن يأتين بفاحشة**﴾ إلاَّ أن تكون سوء العشرة من جهتهنَّ فقد عُذِر فِي قبول الفدية. ﴿**مبينة، وعاشروهنَّ بالمعروف**﴾ وَهُوَ الإنصاف فِي المبيت والنفقة والإجمال فِي القول ورفع الأذى، ﴿**فإن كرهتموهن**﴾ من قِبل اختلاف القلوب والأحوال؛ ﴿**فعسى أن تكرهوا شَيْـئًا ويجعل الله فِيهِ**﴾ ذَلِكَ الشيء أو فِي الكره، ﴿**خيرا كثيرا(١٩)**﴾ قيل المعنى: فإن كرهتموهنَّ فلا تفارقوهنَّ لكراهة الأنفس [٩٢] وحدها، وليكن نظركم إِلَىَ مَا هُوَ أصلح للدِّين وأدنى إِلَىَ الخير، وَالمَعنَى: فإن كرهتموهنَّ فاصبروا عليهنَّ وإن كَانَ أسلم للدِّين وعسى فِيهِ الخير لقوله: ﴿وعسى[1] أن تكرهوا شَيْـئًا وَهُوَ خير لكم﴾[2] وليكن السعي للنظر فِي أسباب الصلاح.

﴿**وإن أردتم استبدال زوج مكَانَ زوج**﴾ إن أوجب النظر ذَلِكَ وكَانَ أصلح لأسباب الدين، ﴿**وآتيتم إحداهنَّ قنطارا**﴾ مالا؛ ﴿**فلا تأخذوا مِنْهُ شَيْـئًا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا(٢٠)**﴾ بيِّنا.

﴿**وكيف تأْخُذونه، وقد أفضى بعضكم إِلَىَ بعض**﴾ أي: خلا بلا حائل، ﴿**وأخذن منكم ميثاقا غليظا(٢١)**﴾ وَهُوَ الإمساك بالمعروف والتسريح بالإحسان، وَالله أَخذ هَذَا الميثاق عَلَى عباده لأجله فهو كأَخذِهنَّ، أو قول

---

١ - فِي الأصل: «فعسى»، وهو خطأ.

٢ - سورة البقرة: ٢١٦.

النبيِّ ﷺ: *«استوصوا بالنساء خيرا؛ فإنَّهُنَّ عوان في أيديكم، أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله»*[1].

﴿وَلاَ تنكحوا مَا نكح آباؤكم مِنَ النساء إلاَّ مَا قد سلف، إنَّهُ كَانَ فاحشة ومقتا﴾ قيل: بغضا، **﴿وساء سبيلا(٢٢)﴾** وبِئسَ الطريق طريقا.

﴿حُرمت عَلَيْكُم أمَّهاتكم وبناتُكم وأخواتكم وعمَّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمَّهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم مِنَ الرَّضاعة، وأمَّهات نسائكم، وربائبكم اللاتي فِي حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنَّ، فإن لم تكونوا دخلتم بهنَّ فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم الذِينَ من أصلابكم، وأن تجمعوا بين الأختين إلاَّ مَا قد سلف إنَّ الله كَانَ غَفُورا رحيما(٢٣)﴾ قيل: إنَّ أهل الجاهليَّة كَانُوا يعرفون هَذِهِ

---

١ - دَمَج المصنِّف حديثين في حديث واحد:

الأوَّل: «...وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا». البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء؛ وكتاب النكاح. مسلم: كتاب الرضاع. الترمذي: كتاب الرضاع؛ وكتاب تفسير القرآن. ابن ماجه: كتاب النكاح. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «استوصوا بالنساء».

الثاني: ما ورد في حجَّة الوداع: «...فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ...» مسلم: كتاب الحج، رقم ٢١٣٧. أبو داود: كتاب المناسك، رقم ١٦٢٨. ابن ماجه: المناسك، رقم ٣٠٦٥. أحمد: مسند البصريين، رقم ١٩٧٧٤. الدارمي: كتاب المناسك، رقم ١٧٧٨. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «أخذتموهنَّ بأمان الله».

المحرمات إلاَّ نكاح امرأة الأب، والجمع بين الأختين، ولذا قَالَ فيهما: ﴿**إلاَّ مَا قد سلف**﴾.

﴿**والمحصنات مِنَ النساء**﴾ قيل: المتزوِّجات، لأنـَّهُنَّ أحصنَّ فروجهنَّ بالتزوُّج، كأنـَّهُنَّ جعلن عليها حصنا لئلاَّ يستباح سلطان الشهوة. ﴿**إلاَّ مَا ملكت أيمانكم كِتَاب ا لله عليكم**﴾ أي: كتب ا لله ذَلِكَ كِتَابًا عَلَيْكُم وفرضه فرضه[1]. ﴿**وأحلَّ لكم مَا وراء ذلكم**﴾ سوى مَا حرَّم، ﴿**أن تبتغوا بأموالكم محصنين**﴾ متعفِّفين ﴿**غير مسافحين**﴾ لئلاَّ تضيِّعوا أموالكم، وتفقروا أنفسكم فِي مَا لاَ يحلُّ لكم؛ فتخسروا دنياكم ودينكم، والإفساد أعظم مِنَ الجمع بين الخسرانين؛ والإحصان: العفَّة وتحصين النفس مِنَ الحرام؛ والمسافح: الزاني، مِنَ السفح وَهُوَ صبُّ المنيِّ. ﴿**فما استمتعتم**﴾ مَا أنفقتم وتلذَّذتم بالجماع مِنَ النساء بالنكاح الصحيح، ﴿**بِهِ منهنَّ فآتوهن أجورهنَّ فريضة**﴾ أي: فرض ذَلِكَ فريضة، ﴿**وَلاَ جناح عَلَيْكُم فيما تراضيتم بِهِ من**[2] **بعد الفريضة**﴾ فيما تحطُّ عَنْهُ مِنَ المهر، أو تهب لَهُ. ﴿**إنَّ ا لله كَانَ عليما**﴾ بالأشياء قبل خلقها، ﴿**حكيما(٢٤)**﴾ فيما فرض من عقد النكاح الذِي بِهِ حفظت الأنساب.

﴿**ومن لم يستطع منكم طولا**﴾ فضلا، يقال لفلان: عليَّ طَول أي: عليَّ فضل، ﴿**أن يَنكح المحصنات المؤمنات**﴾ الحرائر المسلمات، ﴿**فمِن مَا ملكت**

١ - كذا في الأصل ولعلَّ الصواب: - «فرضه»، أو يصحَّح: «فرضًا».

٢ - في الأصل: - «من»، وَهُوَ خطأ.

أيمَانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ أي: فينكح مملوكة مِنَ الإماء المسلمات، **﴿وا لله أعلم بإيمانكم﴾** فِيهِ تنبيه عَلَى قبول ظاهر إيمانهنَّ. **﴿بعضكم من بعض﴾** أي:[1] لاَ تستنكفوا من نكاح الإماء، فكلُّكم بنوا آدم، وَهُوَ تحذير عَن التعيير بالأنساب والتفاخر بالأحساب.

﴿فانكحوهن بإذن أهلهنَّ﴾ مواليهنَّ[2]، **﴿وآتوهنَّ أجورهنَّ بالمعروف﴾** وأدُّوا إِلَيْهِنَّ مهورهنَّ بغير مطل وضرار، **﴿محصنات﴾** عفائف، **﴿غير مسافحات﴾** زوانٍ علانيةً، **﴿وَلاَ متَّخذات [٩٣] أخدان﴾** زوان سرًّا، والأخدان: الأخلاَّء فِي السرِّ. **﴿فإذا أُحصنَّ﴾** بالتزويج، **﴿فإن أتين بفاحشة﴾** زنا، **﴿فعليهنَّ نصف مَا عَلَى المحصَنات﴾** أي: الحرائر، **﴿من العذاب﴾** مِنَ الحدِّ. **﴿ذَلِكَ لمن خشيَ العَنَتَ منكم﴾** لمن خاف الإثم الذِي يؤدِّي إِلَيْهِ غلبة الشهوة؛ وأصل العنت: انكسار العظم بعد الجبر؛ واستعير لِكُلِّ مشقَّة وضرر، وَلاَ ضرر أعظم من مواقعة الإثم؛ وعن ابن عبَّاس: «هُوَ الزنا، لأَنَّهُ سبب الهلاك». **﴿وأن تصبروا﴾** أي: وصبركم عَلَى نكاح الإماء، **﴿خير لكم﴾**، لأَنَّ فِيهِ إرقاق الولد، وفي الحديث: «*الحرائر صلاح البيت، والإماء*[3] *هلاك البيت*»[4]، **﴿وا لله غَفُور﴾** يستر المحفوظ، **﴿رحيم(٢٥)﴾** يكشف المحذور.

---

١ - في الحاشية: «والأعضاء عن البواطن»، و لم يظهر محلُّها من المتن، إذ لم يُحِل إِلَيها.

٢ - في الأصل: «موالهنَّ»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: «لاماء»، وهو خطأ.

٤ - لم نعثر عَلَيه في الربيع ولا في الكتب التسعة.

﴿**يريد الله ليبين لكم**﴾ مَا هُوَ خفيٌّ عَلَيْكُم مِن مصالحكم، وأفاضل أعمالكم، وَمَا يقرِّبكُم إِلَيْهِ، ﴿**ويهديكم سُنن الذِينَ من قبلكم**﴾ وأن يهديكم مناهج من كَانَ قبلكم مِنَ الأنبياء والصالحين، والطرق التِي سلكوها فِي دينهم، لتقتدوا بهم، ﴿**ويتوب عليكم**﴾ ويوفِّقكم للتَّوبة عمَّا كُنتُم عليه مِنَ الخلاف، ﴿**والله عليم**﴾ بمصالح عباده، ﴿**حكيم(٢٦)**﴾ فيما شرع لَهُم.

﴿**والله يريد أن يتوب عليكم**﴾ إرادة علم وأمر، لأَنَّ الله فرض عَلَى جميع المذنبين أن يتوبوا إِلَيْهِ، خلاف المتتبِّعين للشهوات، كما قَالَ: ﴿**ويريد الذِينَ يتَّبعون الشهوات**﴾، يعمُّ جميع أهل الباطل؛ ﴿**أن تميلوا ميلا عظيما(٢٧)**﴾ يَعنِي: الفجرة، فإنَّ اتِّباع الشهوات الإئتمار لها، وأَمَّا المتعاطي لما سوَّغه الشرع منها دون غيره فهو متَّبع لَهُ فِي الحقيقة لاَ لها، والميل: هُوَ الميل عَن القصد للحقِّ، وَلاَ ميل أعظم مِنْهُ، بمساعدتهم وموافقتهم عَلَى اتِّباع الشهوات.

﴿**يريد الله أن يخفِّف عنكم**﴾ أي: يسهِّل عَلَيْكُم فِي أحكام الشرع مؤنه سهلة بإحلال نكاح الأمَة وغيره والرخص. ﴿**وخُلق الإنسان ضعيفا(٢٨)**﴾ لاَ يصبر عَن الجماع، يُحتمَل هَذَا الوصف لجنس الكافر كما قَالَ: ﴿والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر﴾[1] لأَنَّ من أيَّده الله ببصيرة لاَ يكون ضعيفا، لأَنَّ من خفَّف الله عَلَيه لاَ يجوز إِلاَّ أن يكون قويًّا، لِمَا يسَّره[2] الله لَهُ وخفَّفه عليه،

١ - سورة العصر: ١-٢.

٢ - فِي الأصل: «سره»، وَهُوَ خطأ.

ولكنَّ جميع الشهوات مؤتيها حقيقةً فِي حقِّ المطيعِ وجميعِ العصاة ضعفاءُ عَن المخالفة للشهوات، لقوله: ﴿ويريد الذِينَ يتَّبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ لاَ يصبر عَن الجماع.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بما لم تُبِحْه الشريعة، ﴿إلاَّ أن تكون تجارة عَن تراض منكم﴾ إلاَّ مَا صحَّ بِهِ [عن] طيبة النفس؛ والتراضي: رِضى المتبايعَيْن. ﴿وَلاَ تقتلوا أنفسكم﴾ من كَانَ من جنسكم مِنَ المؤمنين، لأَنَّ المؤمنين كنفس وَاحِدَة، أو لاَ يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة؛ أو لاَ تتَّبعوا هواها فتقتلوها؛ أو لاَ ترتكبوا مَا يوجب القتل، وكل ذَلِكَ يخرج بِالْحَقِّ وللحقِّ وفي الحقِّ. ﴿إنَّ الله كَانَ بكم رحيما(٢٩)﴾ ولرحمته بكم نبَّهكم عَلَى مَا فِيهِ صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم لعبادته.

﴿ومن يفعل ذَلِكَ عدوانا وظلما فسوف نُصليه نارا، وكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يسيرا(٣٠)﴾ قَالَ أبو سعيد: «فموافقة الظلم والعداون لِمَا يخرج عَلَى غير وجه الرضى وتعارف المتعارفين فِي ذَلِكَ من أفعالهم فِي أموال بعضهم البعض، هُوَ من وجه العدوان والظلم؛ وَمَا كَانَ مِنَ العدوان والظلم فقد ثبت فِيهِ بجملا الوعيد واللَّعن مِنَ الله»، فلذلك ذهب ـ حسب من ذهب ـ إِلَى أَنَّهُ كبير، و لم ينزله منزلة الصغير، لأَنَّهُ قد ثبت فِيهِ الوعيد واللَّعن، وصار لاَ يُحمل (لَعَلَّهُ) عَلَى غَيره.

﴿إن تجتنبوا كبائر مَا تُنهون عَنْهُ، نكفِّر عنكم سَيِئَاتكم وندخلكم مدخلا كريما(٣١)﴾ حُسْنَ التوفيق، ومثله: ﴿وقل رَبِّ أدخلني مُدخَلَ صِدقٍ﴾[1].

١ - سورة الإسراء: ٨٠.

﴿وَلاَ تتمنَّوا مَا فضَّل ا لله بِهِ بعضكم عَلَى بعض﴾ بِمَا خصَّ بِهِ بعضكم دون بعض، لأَنَّ ذَلِكَ التفضيل قسمة مِنَ ا لله صادرة عَن حكمة وتدبير، وعلم بأحوال العباد، وَمَا ينبغي لِكُلٍّ من بُسط فِي الرزق أو قبض أن يرضى بِمَا قسم لَهُ، ويسعى لـمَا خلق لَهُ، وَلاَ يحسد غيره عَلَى مَا خصَّ بِهِ؛ فالحسد: أن يتمنىَّ [٩٤] أن يكون ذَلِكَ الشيء لَهُ ويزول عَن صاحبه؛ والغبطة: أن يتمنىَّ مثل مَا لغيره، وَهُوَ مرخَّص فِيهِ فِي حال مَا يمكن، وَأَمَّا فيما لاَ يمكن مثل أن يتمنىَّ الرجال مَا للنساء، أو النساء مَا للرِّجال، فذلك مَا لاَ يجوز؛ ولعلَّ النَّهي متوجِّه فِي ذَلِكَ، وذلك مِمَّا يروى أنَّ أمَّ سلمة وغيرها قالت: «يا ليتنا كُنَّا رجالا، فجاهدنا وغزونا وكَانَ لَنَا مثل أجر الرجال».

﴿للرجال نصيب مِمَّا اكتسبوا، وللنساء نصيب مِمَّا اكتسبن﴾ مَعنَاهُ: أنَّ الرجال والنساء فِي الأجر فِي الآخِرَة سواء؛ وذلك أنَّ الحسنة تكون بعشر أمثالها، يستوي فِيهَا الرجال والنساء، وإن فضِّل الرجال فِي الدُّنْيَا عَلَى النساء فِي حال؛ وقيل: معنى ﴿للرجال نصيب مِمَّا اكتسبوا﴾ من أمر الجهاد، ﴿وللنساء نصيب مِمَّا اكتسبن﴾ من طاعة الأزواج، وحفظ الزينة، وعلى مشقَّة الولادة ورضاع الولد وتربيتِّه. **﴿واسألوا ا لله من فضله﴾** قيل: من رِزقه، وقيل: من عبادته، وَهُوَ سؤال التوفيق للعبادة، وَلاَ تتمنَّوا مَا لِلنَّاسِ مِنَ الفضل. **﴿إِنَّ ا لله كَانَ بِكُل شيء عليما(٣٢)﴾** فالتفضيل عَن علم بمواضع الاستحقاق.

﴿ولكلٍّ﴾ أحدٍ، أو لِكُلِّ مال، **﴿جعلنا موالي﴾** وارثا يلونه، **﴿مِمَّا ترك الوالدان والأقربون﴾** أي: من مالٍ تركه الوالدان والأقربون. **﴿وَالذِينَ**

عقَدَت[1] **أيمانكم﴾** عاقدتهم، والمعاقدة: المحالفة، وذلك قيل: إنَّ الرجل كَانَ فِي الجاهليَّة يعاقد الرجل، فيقول: دمي دمك، وحزبي حزبك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عنِّي وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكَانَ ذَلِكَ ثابتا فِي أوَّل الإسلام لقوله تعالى: **﴿فآتوهم نصيبهم﴾** أي: أعطوهم حظَّهم مِنَ الميراث؛ ثُمَّ نسخ ذَلِكَ بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فِي كِتَاب ا لله﴾[2]. **﴿إنَّ ا لله كَانَ عَلَى كُل شيء شهيدا(٣٣)﴾** أي: هُوَ عالم الغيب والشهادة، وَهُوَ أبلغ وعدٍ ووعيدٍ.

﴿الرجال قوَّامون عَلَى النساء﴾ يقومون عليهنَّ بالأمر والنهي والإصلاح، كما يقوم الولاَة عَلَى الرعايا. **﴿بمَا فضَّل ا لله بعضهم عَلَى بعض﴾** بالعقل والعزم والحزم والنبوَّة والخلافة والإمامة وغير ذَلِكَ، مِمَّا خصُّوا بِهِ دونهنَّ. **﴿وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات قانتات﴾** مطيعات قائمات بِمَا عليهنَّ للأزواج، **﴿حافظاتٌ للغيب﴾** بحواجب الغيب، وَهُوَ خلاف الشهادة؛ أي: إِذَا كَانَ الأزواج غير شاهدين لهنَّ، حفظن مَا يجب عليهنَّ حِفْظُه فِي حال الغيبة، مِنَ الفروج والبيوت والأموال؛ وقيل: للغيب: للأسرار. **﴿بمَا حفظ ا لله﴾** بِمَا حفظهنَّ ا لله، خبر؛ أو أوصى بهنَّ الأزواج؛ أو بِمَا

١ - فِي الأصل: «عاقدت»، عَلَى قراءة ورش، والملاحظ أنَّ المصنف اعتمد عموما عَلَى رواية حفص، ففضَّلنا إثباتها عَلَى ما جرى عَلَيه فِي غالب الكتاب.

٢ - سورة الأنفال: ٨٠.

حفظهنَّ ا لله وعصمهنَّ ووفَّقهنَّ بحفظ الغيب؛ أو بحفظ ا لله إيَّاهنَّ حيث صيَّرهنَّ كذلك.

﴿واللاتي تخافون نشوزهنَّ﴾ عصيانهنَّ، وترفُّعهنَّ عَن طاعة الأزواج، ﴿فعِظوهنَّ﴾ خوِّفوهنَّ عقوبة ا لله، والعظة: كلام يلين القلوب القاسية، ويرغِّب الطبائع النافرة، ﴿واهجروهنَّ﴾ إن لم يؤثِّر فِيهِنَّ الوعظ، وذلك بمعنى الأدب يراد بِهِ لاَ غير. ﴿في المضاجع﴾ فِي المراقد، أي: لاَ تدخلوهنَّ تحت اللُّحف، أو هُوَ كناية عَن الجماع، أو هُوَ أن يولِّيها ظهره فِي المضجع، لأَنَّهُ لم يقل: «عَن المضاجع»، ﴿واضربوهنَّ﴾ ضربا غير مبرِّح. أمر بوعظهنَّ أوَّلاً، ثُمَّ بهجرانهنَّ فِي المضاجع ثانيا، ثُمَّ بالضرب ثالثا، إن لم يؤثِّر فِيهِنَّ الوعظ والهجران؛ فالأول أرفق مِنَ الثاني، والثاني أرفق مِنَ الثالث، والثالث [٩٥] أرفق مِنَ الطلاق، والطلاق أولى مِنَ العصيان فِيهِنَّ. ﴿فإن أطعنكم﴾ بترك النشوز، ﴿فلا تبغوا عليهنَّ سبيلا﴾ فأزيلوا عنهنَّ التعرُّض بالأذى، ﴿إنَّ ا لله كَانَ عليًّا كبيرا(٣٤)﴾ أي: إن علت أيديكم عليهنَّ فاعلموا أنَّ قدرته عَلَيْكُم أعظم من قدرتكم عليهنَّ؛ فاجتنبوا ظلمهنَّ؛ أو ﴿إنَّ ا لله كَانَ عليًّا كبيرا﴾ وَإِنَّكُم تعصونه عَلَى علوِّ شأنه وكبرياء سلطانه، ثُمَّ تتوبون فيتوب عليكم؛ فأنتم أحقُّ بالعفو عمَّن يجني عليكم، إِذَا رجع فا[1].

﴿وإن خفتم شقاق بينِهما﴾ عداوة وخلافا، ﴿فابعثوا حَكَما من أهله﴾ رجلا يصلُح للحكومة والإصلاح بينهما، ﴿وحَكَما من أهلها﴾ وإنَّما كَانَ

١ - كذا في الأصل، وفيه سقط واضح.

بعث الحكمين من أهلهما، لأنَّ الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، ونفوس الزوجين أسكن إِلَيْهِم، فيبرزان مَا فِي ضمائرهما مِنَ الحبِّ والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة، والضمير فِي ﴿**إن يريدا إصلاحا**﴾ للحكمين وفي: ﴿يوفّق ا لله بينهما﴾ للزوجين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين، وكانت نيتهما صحيحة بورك فِي وساطتهما، وأوقع ا لله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق، وألقى فِي نفوسهما المودَّة والاتِّفاق. أو الضميران للحكَمَين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين، ﴿**يوفّق ا لله بينهما**﴾ فيتّفقان عَلَى الكلمة الوَاحِدَة، حتّى يتمَّ المراد. أو الضميران للزوجين إن يريدا إصلاح مَا بينهما وطلبَ الخيرِ، وَأن يزول عَنْهُما الشقاق يلقي ا لله بينهما الألفة، وأبدلهما بالشقاقِ الوفاقَ، وبالبغضاء المودَّةَ، وقد وعد ا لله التوفيق لمن أَرَادَ الإصلاح منهما، ﴿**إنَّ ا لله كَانَ عليما خبيرا(٣٥)**﴾ بإرادة الحكَمَين والخصمين.

﴿**واعبدوا ا لله**﴾ العبوديّة، أن يوحّدوه ويطيعوه فِي الأحوال كلّها، مخلصين لَهُ الدين حنفاء، ﴿**وَلاَ تُشركوا بِهِ شَيْئًا**﴾ صنما، أو شَيْئًا مِنَ الشرك جليًّا أو خفيًّا، أو شَيْئًا من كبائر الذنوب. ﴿**وبالوالدين إحسانا**﴾ أحسنوا بهما إحسانا، بالقول والفعل والإنفاق عليهما، مَعَ القدرة عند الاحتياج، ﴿**وبذي القربى**﴾ وبكلٍّ من بينكم وبينه قربى، من أخ أو عمٍّ أو غيرهما، ﴿**واليتامى والمساكين والجار ذي القربى**﴾ قيل: الجار النسيب، وقيل: القريب الجوار، ﴿**والجار الجُنُب**﴾ الذِي جواره أبعد، أو الأجنبيُّ،

﴿والصاحب بالجنب﴾ قيل: الصاحب فِي السفر، أو الذِي صحبك أن حصل بجنبك، إمَّا رفيقا فِي السفر، أو شريكا فِي تعلُّم علم، أو غيره، أو قاعدا إِلَى جنبك فِي مجلس أو مسجد، فعليه أن يراعَى حقَّه. ﴿وابن السبيل﴾ المسافر بِهِ، أو الضيف، ﴿وَمَا ملكت أيمانكم﴾ العبيد والإماء وبقيَّة الحيوانات. ﴿إنَّ ا لله لاَ يُحِبُّ من كَانَ مختالا﴾ متكبِّرا، يأنف عَن القيام بأمر ا لله، ﴿فخورا(٣٦)﴾ يعدِّد مناقبه كِبْرا، وَهُوَ التيَّاه الجهول الذِي يتكبَّر عَن إكرام أقاربه وأصحابه؛ والفخور: الذِي يفخر بكثرة ماله.

﴿الذِينَ يبخلون ويَأْمُرُون الناس بالبخل﴾ أي: يبخلون بذات أيديهم، وبما فِي أيد[ي] غيرهم، فيَأْمُرُونهم بأن يبخلوا بِهِ مقتا للسخاء، قيل البخل: أن يأكل بنفسه، وَلاَ يُؤكِل غيره، والشحُّ: أن يأكل[1] وَلاَ يُؤكل، والسخاء: أن يأكل ويؤكل، ويجوز أن يؤكِل وَلاَ يَأكل، إِلاَّ إِذَا كَانَ الأكل أفضل مِنَ الإمساك. ﴿ويكتمون مَا آتاهم ا لله من فضله﴾ ويخفون مَا أنعم ا لله عَلَيْهِم بِهِ من مال أو علم، ﴿وأعتدنا للكَافِرِينَ عذابا مهينا(٣٧)﴾ أي: يهانون بِهِ.

﴿وَالذِينَ ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾[٩٦] رئاء الناس أي: المُرَآة والفخار، وليقال: إِنَّهُم أسخياء، لاَ لوجه ا لله، أي: للفخر وليقال[2]: مَا أجودهم! لا ابتغاء وجه ا لله، ﴿وَلاَ يُؤمِنُونَ با لله وَلاَ باليوم الآخر﴾ إيمانا بالقلوب، ﴿ومن يكن الشيطان لَهُ قرينا فساء قرينا(٣٨)﴾ كلُّ من

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أن لا يأكل»، وَإِلاَّ فلا فرق بين البخل والشح.

٢ - في الأصل: «واليقال»، وهو خطأ.

استجاب لَهُ فِي دعوة وأطاعه كَانَ قرينه، لأَنَّ الشيطان لاَ يفارق أحدا مِنَ الإنس ـ المؤمنين والْكَافِرِينَ مِنْهُم ـ طرفة عين، ولكن إِذَا لم يطعه و لم يتابعه فِي وساوسه كَانَ وجوده كعدمه، لأَنَّهُ لاَ يضرُّه مقارنته بَل تنفعه، لأَنَّهُ إِذَا دعاه ووسوس لَهُ فلم يتابعه كَانَ ذَلِكَ من أكبر الجهاد، وكَانَ لَهُ درجات، وللشيطان بدعوته لَهُ دركات.

﴿**وماذا عَلَيْهِم لو آمَنُوا با لله واليوم الآخر، وأنفقوا مِمَّا رزقهم ا لله**﴾ مَعنَاهُ: وأيُّ تبعة ووبال عَلَيْهِم فِي الإيمان والإنفاق فِي سبيل ا لله، وَهُوَ ذمٌّ وتوبيخ، ﴿**وكَانَ ا لله بهم عليما(٣٩)**﴾ فيجازيهم عَلَى إيمانهم، وإنفاقهم فِي الآخِرَة.

﴿**إِنَّ ا لله لاَ يظلم مثقال ذرَّة**﴾ لاَ ينقص مِنَ الأجر وَلاَ يزيد فِي العقاب أصغر شيء كالذرَّة، وهي النملة الصغيرة، وقيل: كلُّ جزء من أجزاء الهباء فِي الكوَّة[1] ذرَّة؛ وفي هَذَا دلالة عَلَى أَنَّهُ لو نقص مِنَ الأجر أدنى شيء، أو يزيد عَلَى المستحق مِنَ العقاب لكَانَ ظلما؛ والمثقال: "مفعال" مِنَ الثقل. ﴿**وإن تَكُ حسنةً**﴾ وإن يك مثقالُ الذرَّة حسنةً ﴿**يضاعِفْها**﴾ يضاعفْ ثوابها، ﴿**ويؤت من لدنه أجرا عظيما(٤٠)**﴾ ويعطى صاحبها من عنده عَلَى سبيل التفضُّل ثوابا عظيما، وَمَا وصفه ا لله بالعظم فمن يعرف مقداره مَعَ أَنَّهُ سمَّى متاع الدُّنْيَا قليلا.

---

١ - كذا في الأصل، والمقصود بالكَوَّة: الشعاع الذي يدخل البيتَ من خلال الكوَّة، لا الكوَّة نفسها.

﴿فكيف﴾ يصنع هؤلاء الكفرة، ﴿إِذَا جئنا من كُل أمَّة بشهيد﴾ يشـهد عَلَيْهِم بِمَا فعلوا، وَهُوَ نبيـُّهم أو عـالم زمـانهم، ﴿وجئنـا بـكَ﴾ يـا محمَّـد ﴿عَلَى[1] هؤلاء﴾ أي: أمَّتك ﴿شهيدا(٤١)﴾ أي: شـاهدا عَلَـى مـن آمـن، وعلى من كفر. وعن ابن مسعود أَنَّهُ قرأ سورة النساء عَلَى النبيِّ ﷺ حتَّى بلغ قوله: ﴿وجئنـا بـك عَلَـى هـؤلاء شـهيدا﴾ فبكـى رسـول ا لله، وقـال: «حسبنا»[2]، فانظر فِي هَذِهِ الحالة إِذَا كَانَ الشـاهد يبكـي لهـول هَـذِهِ المقالـة، فماذا ينبغي أن يصنع المشهود عليه، والانتهاء عَن كـلٍّ مَـا يسـتحى مِنـْهُ عَلَـى رؤوس الأشهاد.

﴿يومئذ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا وعصوا الرسولَ لو تُسَوَّى بهم الأَرْضُ﴾ لـو يُدفنـون فتسـوَّى بهـم الأَرْض كمـا تسـوَّى بـالموتى، ﴿وَلاَ يكتمـون ا لله حديثا(٤٢)﴾ أي: لاَ يقدرون عَلَى كتمانه، لأَنَّ جوارحهم تشهد عليهم.

---

١ - فِي الأصل: -«على»، وهو خطأ.

٢ - رواه البخاري فِي كتاب فضائل القرآن، عَنْ عَبْدِا للهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَـالَ: قَـالَ لِـي النَّبِـيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ ا للهِ آقْرَأُ، عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ»؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُـورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِـنْ كُـلِّ أُمَّـةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَـا بِـكَ عَلَـى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَـإِذَا عَيْنَـاهُ تَذْرِفَـانِ. رقـم ٤٦٦٢. ورواه البخاري أَيْضًا فِي كتاب تفسير القرآن. ومسلم: صلاة المسافرين. الترمذي: تفسـير القـرآن. ابن ماجه: الزهد. أحمـد: مسند المكثرين مـن الصحابـة. العالميـة: موسـوعة الحديـث، مـادة البحث: «﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾».

﴿يَـا أَيـُّهَا الذِيـنَ آمَنُـوا لاَ تقربـوا الصـلاة وأنتـم سُـكارى﴾ أي: لاَ تقربوها فِي هَذِهِ الحالة ﴿حتىَّ تعلموا﴾ بالقلوب ﴿مَا تقولون﴾ أي: تقرؤون، ومن ذَلِكَ أن يأتي الصلاة وَهُوَ مشغول البال، إلاَّ مَا لاَ يقدر عَلَى دفعـه بقـوَّة البشـر، مِـنَ الوسـاوس الشيطانيـَّة. ﴿وَلاَ جُنُبـًا إِلاَّ عـابري سـبيلٍ حتـىَّ تغتسلوا﴾ وفِي الآيـَة تنبيه عَلَى أنَّ المصلي ينبغي أن يتحرَّر عمَّا يلهيه، ويشغل قلبه ويزكِّي نفسه مِمَّا يجب تطهيرها مِنْهُ. ﴿وإن كُنتُم مرضى أو عَلَى سـفر أو جاء أحد منكم مِنَ الغائط أو لامستم النساء فلـم تجدوا مـاء﴾ تقـدرون عَلَى استعماله لعدمه أو بُعده، أو فقد آلة الوصول إِلَيْـهِ، أو لمانع، أو خـوف من حيَّة أو سبع أو عـدوٍّ؛ ﴿فتيمَّمـوا صعيـدا طيـبا؛ فامسـحوا بوجوهكـم وأيديكم إنَّ ا لله كَانَ عفوًّا﴾ بالترخيص والتيسير، ﴿غَفُورا(٤٣)﴾ عَن الخطإ والتقصير لمن تاب مِنْهُ.

﴿ألم تَرَ﴾ من رؤية القلب [٩٧]، ﴿إِلَى الذِينَ أوتوا نصيبا مِنَ الكتاب﴾ حظاً من علم التـَّوْرَاة، ﴿يشترون الضلالة﴾ يسـتبدلونها بـالهدى ﴿ويريـدون أن تضلُّوا﴾ أَنتُم أَيـُّهَا المؤمنون ﴿السبيل(٤٤)﴾ أي: سبيلَ الحقِّ.

﴿وا لله أعلـم﴾ منكـم ﴿بـأعدائكم﴾ وقـد أخـبركم بعـداوة هـؤلاء؛ فـاحذروهم، وَلاَ تنتصحوهـم فِي أموركـم، ﴿وكفـى بـا لله وليـًّا﴾ فِي النفـع، ﴿وكفى با لله نصيرا(٤٥)﴾ فِي الدفع.

﴿من الذِينَ هادوا﴾ بيان للذين أوتوا نصيبا مِـنَ الكتـاب، ﴿يحرفـون الكَلِـمَ عَن مواضعه﴾ يُميلونه ويـُزيلونه عَن مواضعـه، لأنـَّهُم إِذَا بدَّلوه ووضعـوا مكانـه

كَلِمًا غيره، فقد أمَالوه عَن مواضعه التِي وضعها الله فِيهَا وأزالوه عنها. ﴿ويقولون: سمعنا﴾ قولك، ﴿وعصينا﴾ أمرك، قيل: أسرُّوا بِهِ، ﴿واسمع﴾ قولنا، ﴿غير مُسمَع﴾ أي: اسمعْ مِنَّا وَلاَ نسمعُ منك، ﴿غير مُسمَع﴾ أي: غير مقبول منك، وقيل: كَانُوا يقولون للنبيِّ ﷺ: اسمعْ، ثُمَّ يقولون[1] فِي أنفسهم: لا سَمِعتَ. ﴿وراعنا﴾ يحتمل راعِنا نكلِّمْك، أي: ارقبنا[2] وانتظرنا، وقيل: غير ذَلِكَ، ﴿ليًّا بألسنتهم﴾ فتلاً بها وتحريفا، أي: يفتلون بألسنتهم الحَقَّ إِلىَ الباطل، أو يفتلون بألسنتهم مَا يضمرونه مِنَ الشتم إِلىَ مَا يظهرونه مِنَ التوقير نفاقا ﴿وطعنا فِي الدين﴾ أي: قدحا فِيهِ هُوَ قولهم[3]: «لو كَانَ نبيًّا حقًّا لأخبرنا بما نعتقد فِيهِ». ﴿ولو أَنَّهُم قَالُوا: سمعنا وأطعنا﴾ و لم يقولوا: وعصينا، ﴿واسمع﴾، و لم يلحقوا بِهِ ﴿غير مسمع، وانظرنا﴾ مكَانَ راعنا، ﴿لكان﴾ قولهم ذَلِكَ، ﴿خيرا لَهُم﴾ عند الله ﴿وأقوم﴾ وأعدل؛ ﴿ولكن لعَنَهُم الله بكفرهم﴾ طردهم وأبعدهم عَن مراشد أمورهم، بسبب اختيارهم الكفر؛ ﴿فلا يُؤمِنُونَ إلاَّ قليلا(٤٦)﴾ لأَنَّ مِنهُم [من] قد آمن أَوَّلاً إيماناً قليلا ضعيفاً لاَ ينفع، أو إيمانا بشيء دون شيء.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ أوتوا الكتاب آمَنُوا بِمَا نزَّلنا﴾[4] يَعنِي: القرآن،

---

١ - فِي الأصل: «يقولو» وَهُوَ خطأ.

٢ - فِي الأصل: «اراقبنا»، وهو خطأ.

٣ - فِي الأصل: «قلولهم»، وهو خطأ.

٤ - فِي الأصل: «أنزلنا»، وَهُوَ خطأ.

﴿مصدقا لِمَا معكم﴾ يَعنِي: التَّوْرَاة، ﴿من قبل أن نطمِسَ وجوها﴾ قَالَ ابن عبَّاس: «يجعلها كخفِّ البعير»، وقال قتادة: «يعمها»[1]، والمراد بالوجه: العين؛ ﴿فنردَّها عَلَى أدبارها﴾ فنجعلها عَلَى هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة، وفي الحقيقة هِيَ عين القلب التِي يبصر بها حقائق الأشياء، والردُّ عَلَى أدبارها هُوَ الضلال عَن الحقِّ، كما قَالَ: ﴿أفمن يمشي مكبًّا عَلَى وجهه...﴾[2] الآيَة. ﴿أو نلعَنَهُم كما لعنَّا أصحاب السبت﴾ فنجعلهم قردة وخنازير، ﴿وكَانَ أَمْرُ ا للهِ﴾ أي: المأمور بِهِ، ﴿مفعولا(٤٧)﴾ كائنا لاَ محالة مَا أوعد إن لم يؤمنوا.

﴿إنَّ ا لله لاَ يَغْفِر أن يشرَك بِهِ﴾ إن مات عليه، بأيِّ شركٍ كَانَ، ﴿ويَغْفِر مَا دون ذَلِكَ﴾ إن تاب مِنْهُ بلسان مقاله، أو لسان حاله، أو يخرج فِي هَذَا الصغائر لمن اجتنب الكبائر، والأوَّل يعمُّ الكبائر. ﴿لمن يَشَاء﴾ وأهل مشيئته التائبون، ﴿ومن يشرك با لله﴾ أيّ شركٍ كَانَ؛ ﴿فقد افترى إثما عظيما(٤٨)﴾ كذب كذبا عظيما، وَهُوَ مفتر فِي زعمه أنَّ العبادة يستحقُّها غير ا لله سبحانه، وقد استحقَّ بِهِ عذابا عظيما.

﴿ألم تر إِلَى الذِينَ يزكُّون أنفسهم﴾ ويدخل فِيهَا كلُّ من زكَّى نفسه ووصفها بزكاء العمل، وزيادة الطاعة والتقوى، ﴿بَل ا للهُ يزكِّي من يَشَاء﴾

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يُعمِيَها».

٢ - سورة الملك: ٢٢؛ وتمامها: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى أمَّن يمشي سويًّا عَلَى صراط مستقيم﴾.

إعلام بأنَّ تزكية ا لله هِيَ التِي يعتدُّ بها، لاَ تزكية الإنسان نفسه، لأَنَّهُ هُوَ العالم بمن هُوَ أهل للتزكية، ونحوه: ﴿فلا تزكُّوا أنفسكم هُوَ أعلم بمن اتّقى﴾[1] ونحوه: ﴿صبغةَ ا لله ومن أحسن مِنَ ا لله صبغةً﴾[2]. ﴿**وَلاَ يُظلمون فتيلا(٤٩)**﴾ قدر فتيل، هُوَ مَا يحدث بفتل الأصابع مِنَ الوسخ.

﴿**انظر كيف يفترون عَلَى ا لله الكذب**﴾ فِي زعمهم أَنَّهُم عند ا لله أزكياء مَعَ ارتكابهم لشيء من مناهيه، ﴿**وكفى بِهِ إثما مبينا(٥٠)**﴾ ظاهرا غير [٩٨] خفيٍّ.

﴿**ألم تر إِلَى الذِينَ أوتوا نصيبا مِنَ الكتاب يُؤمِنُونَ بالجبت**﴾ أي: الأصنام، وكلّ مَا عُبد من دون ا لله. ومِن كُتُب أصحابنا: «وسألته عَن الجبت والطاغوت فقال: أمَّا الجبت فحُيَيٌّ بن أخطب»، ﴿**والطاغوت**﴾ الشيطان، ﴿**ويقولون للذين كَفَرُوا: هؤلاء أهدى مِنَ الذِينَ آمَنُوا سبيلا(٥١)**﴾.

﴿**أولَئِكَ الذِينَ لعَنَهُم ا لله**﴾ أبعدهم من رحمته، ﴿**ومن يلعن ا لله؛ فلن تجد لَهُ نصيرا(٥٢)**﴾ يعتدُّ بنصره. ثُمَّ وصف اليهود بالبخل والحسد، وهما من شرِّ الخصال: يمنعون مالهم، ويتمنَّون مال غيرهم، فقال: ﴿**أم لَهُم نصيب مِنَ الملك؛ فإذًا لاَ يؤتون الناس نقيرا(٥٣)**﴾ أي: لو كَانَ لَهُم نصيب مِنَ الملك أي: مُلك أهل الدُّنيَا أو مُلك ا لله، فإذاً لاَ يؤتون أحدا مقدار نقير، لفرط بخلهم؛ والنقير: النقرة فِي ظهر النواة، وَهُوَ مَثل فِي القلّة كالفتيل.

---

١ - سورة النجم: ٣٢.

٢ - سورة البقرة: ١٣٨.

﴿أم يحسدون الناس عَلَى مَا آتاهم ا لله من فضله﴾ بَل أيحسدون رسول ا لله والمؤمنين عَلَى إنكار الحسد واستقباحه؟ وكَانُوا يحسدونهم عَلَى مَا أتاهم ا لله مِنَ الهداية والنصرة، والغلبة وازدياد العزِّ، والتقدُّم كلَّ يوم. ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما(٥٤) فمنهم مَن آمَن بِهِ، ومنهم من صدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عَنْهُ، مَعَ علمه بصحَّته، ﴿وكفى بجَهَنَّم سعيرا(٥٥)﴾ للمعرضين.

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنا سوف نصليهم نارا، كلَّما نَضجَت جلودهم﴾ احترقت، ﴿بدَّلناهم جلودا غيرها﴾ غير الجلود المحترقة، قيل: تبدَّل فِي ساعة مائة مرَّة، ﴿ليذوقوا[1] العذاب﴾ ليدوم لَهُم ذوقه وَلاَ ينقطع؛ والعذاب فِي الحقيقة للنفس العاصية المدركة الآلة[2]. ﴿إنَّ ا لله كَانَ عزيزا﴾ غالبا بالانتقام، لاَ يمتنع عليه شيء مِمَّا يريده بالمجرمين، ﴿حكيما(٥٦)﴾ فيما يفعل.

﴿وَالذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحات، سندخلهم جنَّات تجري من تحتها الأنهَار خالدين فِيهَا أبدا، لَهُم فِيهَا أزواج مطهَّرة﴾ من كلِّ مَا تكرهه النفوس وتعافه، لأَنَّهَا وَمَا فِيهَا بالعكس، ﴿وندخلهم ظلاًّ ظليلا(٥٧)﴾.

﴿إنَّ ا لله يَأْمُرُكم أن تؤدُّوا الأمانات إِلَى أهلها﴾ قيل: قد دخل فِي هَذَا الأمر أداء الفرائض التِي هِيَ أمانة ا لله تعالى التِي حمَّلها الإنسانَ، وحفظ الحواسِّ التِي هِيَ ودائع ا لله. ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكُموا بالعدل،

١ - فِي الأصل: «ليذقوا» وهو خطأ.

٢ - يمكن أن نقرأ: «الإله».

إِنَّ ا لله نِعمَّا يعِظُكم بِهِ﴾ قيل: نِعمَ شيء يعظكم بِهِ. وقيل: نعمَّا يعظكم بِهِ ذاك، وَهُوَ المأمور بِهِ من أداء الأمانات[1] والعدل فِي الحكم، **﴿إِنَّ ا لله كَانَ سميعا بصيرا(٥٨)﴾**.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ أي: الولاّة والعلماء، لأَنَّ أمرهم ينفذ عَلَى الأمراء، **﴿فإن تنازعتم فِي شيء فردُّوه إِلَى ا لله﴾** أي: إِلَى كتابه، **﴿والرسول﴾** إِلَى سنَّته، **﴿إِنَّ كُنتُم تؤمنون با لله واليوم الآخر﴾** أي: إِنَّ الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان، ودلَّت عَلَى أنَّ طاعة الأمراء واجبة إِذَا وافقوا[2] الحقَّ؛ فإذا خالفوه فلا طاعة لَهُم، لقوله عليه السلام: «*لاَ طاعة لمخلوق فِي معصية الخالق*»[3]، **﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إِلَى الردِّ، أي: الردُّ إِلَى الكتاب والسنَّة، **﴿خير﴾** لكم عاجلا، **﴿وأحسن تأويلا(٥٩)﴾** عاقبة.

﴿ألم تر إِلَى الذِينَ يزعمون أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنزل إليك، وَمَا أنزل من قبلك﴾ يَعنِي: المنافقين، **﴿يريدون أن يتحاكموا إِلَى الطاغوت﴾** إِلَى من يحكم بغير الحقِّ، وقيل: هُوَ كعب بن الأشرف [٩٩] سمَّاه ا لله طاغوتا

١ - فِي الأصل: «الأمات»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصل: «فوافقوا»، وهو خطأ.

٣ - رواه أحمد عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ا للهِ عَزَّ وَجَلَّ». مسند العشرة المبشَّرين بالجنَّة، رقم ١٠٤١؛ مسند المكثرين من الصحابة، رقم ٣٦٩٤؛ مسند البصريِّين، رقم ١٩٧٣٢، ١٩٧٣٥.

لإفراطه فِي الطغيان، والطواغيت: الشياطين، أو جعل اختيار التحاكم إِلَى غير رسول ا لله، عَلَى التحاكم إِلَيْهِ تحاكما إِلَى الشياطين، بدليل قوله: ﴿**وقد أمروا أن يكْفُرُوا بِهِ ويريدُ الشيطان أن يضلّهم**﴾ عَن الحقّ، ﴿**ضلالا بعيدا(٦٠)**﴾ مستمرًّا[1] إِلَى الموت، أو يعسر التخلّص مِنْهُ.

﴿**وإذا قيل لَهُم: تعالوا إِلَى مَا أنزل ا لله وإلى الرسول**﴾ للتحاكم. ﴿**رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدودا(٦١)**﴾ يعرضون عنك إِلَى غيرك.

﴿**فكيف إِذَا أصابتهم مصيبة**﴾ الموت ﴿**بمَا قدَّمت أيديهم ثُمَّ جاءوك يحلفون با لله، إن أردنا إِلاَّ إحسانا وتوفيقا(٦٢)**﴾ بين الخصمين.

﴿**أُولَئِكَ الذِينَ يعلم ا لله مَا فِي قلوبهم**﴾ مِنَ المرض والنفاق والهوى بغير الحقّ، وضدّ مَا قَالُوا. ﴿**فأعرض عَنْهُم، وعِظْهُم**﴾ بالموعظة الحسنة، ﴿**وقل لَهُم فِي أنفسهم قولا بليغا(٦٣)**﴾ يبلغ فِيهِم بإقامة الحجّة عليهم، ويجافيهم عن الإقامة عَلَى إعراضهم، وينصح لَهُم ويبالغ فِيهِم بالترغيب والترهيب.

﴿**وَمَا أرسلنا من رسول**﴾ أي: رسولا قطُّ، ﴿**إلاَّ لِيُطاع بإذن ا لله**﴾ بتوفيقه فِي طاعته وتيسيره، أو بسبب إذن ا لله فِي طاعته، وبِأَنَّهُ أُمِر، وبِأَنَّهُ المبعوث إِلَيْهِم أن يطيعوه. ﴿**ولو أَنَّهُم إذ ظلموا أنفسهم**﴾ بالمخالفة، ﴿**جاءوك**﴾ تائبين مِنَ النفاق، معتذرين عمَّا ارتكبوا مِنَ الشقاق. ﴿**فاستغفروا ا لله، واستغفر لَهُم الرسول لوجدوا ا لله توَّابا**﴾ أي: التائب عليهم، ﴿**رحيما(٦٤)**﴾ حيث يقبل التوبة مِمَّن عصاه.

---

١ - فِي الأصل: «مستمر».

﴿فلا وربك لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يحكّموك فيما شجر بَيْنَهُم﴾ فيما اختلف بَيْنَهُم، واختلط والتبس عَلَيْهِم حكمه، ومنه الشجر لتدخل[1] أغصانه، ﴿ثمّ لاَ يجدوا فِي أنفسهم حَرَجًا﴾ ضيقا، ﴿مِمَّا قضيتَ﴾ أي: لاَ تضيق صدورهم من حكمك، أو شكًّا، لأَنَّ الشاكَّ فِي ضيق من أمره، حتّى يلوح لَهُ اليقين، وقيل: سخطا، أي: لم ترض أنفسهم بذلك. ﴿ويسلّموا تسليما(٦٥)﴾ وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقة، سَلَّم نفسه لَهُ وأسلمها، أي: جعلها سالمة لَهُ خالصة، و«تسليما» مصدر مؤكّد للفعل بمنزلة تكريره، كأَنَّهُ قيل: وينقادوا لحكمك انقيادا لاَ شبهة فِيهِ، بظاهرهم وباطنهم، وَالمَعنَى: لاَ يكونون مؤمنين حتّى يَرضَوا بحكمك وقضائك، وَهُوَ علامة لانشراح صدورهم؛ فما كَانُوا مؤمنين أبدا حتّى يستكملوا جميع مَا قسم الله (لَعَلَّهُ) بِهِ عليه، فكيف يؤمن بالله و لم يُحكِّم الله ورسولَه، ووجد فِي نفسه حرجا مِمَّا قضى بِهِ، و لم يسلّم تسليما!.

﴿ولو أنّا كتبنا عليهم﴾ عَلَى المنافقين، ﴿أن اقتلوا أنفسَكم﴾ أي: تعرّضوا بالقتل[2] بالجهاد، أو لو أوجبنا عَلَيْهِم مثل مَا أوجبنا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ من قتلهم أنفسهم. ﴿أو اخرجوا من دياركم مَا فعلوه﴾ لنفاقهم، ﴿إلاَّ قليل مِنْهُم، ولو أنَّهُم فعلوا مَا يوعظون بِهِ﴾ من اتّباع رسول الله، والانقياد لحكمه، ﴿لكَانَ خيرا لَهُم﴾ فِي الدارين، ﴿وأشدَّ تثبيتا(٦٦)﴾ لإيمانهم، وأبعد مِنَ

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «لتداخل».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «للقتل».

الاضطراب. ﴿وإذا لآتيناهم من لدنـًا أجرا عظيما(٦٧)﴾ فِي الدارين، ﴿ولهديناهم صراطا مستقيما(٦٨)﴾ أي: لثبـّتناهم عَلَى الدين الحق.

﴿ومن يطع ا لله والرسول، فأولئك مَعَ الذِينَ أنعم ا لله عَلَيْهِم مِنَ النبيِّين والصدِّيقين﴾ كأفاضل صحابة الأنبياء، والصديقُ: المبالغ فِي الصدق بظاهره [١٠٠] بالمعاملة، وباطنه بالمراقبة، أو الذِي يصدق قولَه بفعله. يروى عَن رسول ا لله ﷺ: *«لاَ يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتَّى يكتب عند ا لله صديقا»*[1]. ﴿والشهداء﴾ وَالذِينَ استشهدوا فِي سبيل ا لله، أو شهداء عَلَى الناس، ﴿والصالحين﴾ ومن صلحت أحوالهم، وحسنت أعمالهم، ﴿وحَسُن أُولَـئِكَ رفيقا(٦٩)﴾ أي: وَمَا أحسنَ أُولَـئِكَ رفيقا. ﴿ذَلِكَ الفضل مِنَ ا لله وكفى با لله عليما(٧٠)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا خُذوا حِذركم﴾ يقال: أَخَذ حِذره إِذَا تيقّظ واحترز مِنَ المخوف، كأنَّهُ جعل الحذر آلته التِي يقي بها نفسه، ويعصم

---

١ - نصُّه عند مسلم عَنْ عَبْدِ ا للهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ا للهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ا للهِ كَذَّابًا» مسلم: كتاب البرِّ والصلة والآداب، رقم٤٧٢١، ورقم ٤٧٢٠. وروى نحوَه البخاري في كتاب الأدب. الترمذي: كتاب البرِّ والصلة. أبو داود: كتاب الأدب. ابن ماجه: كتاب المقدِّمة. أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، من عدَّة طرق. مالك: الموطَّأ، كتاب الجامع. الدارمي: كتاب الرقاق. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «الصدق».

روحه، وَالمـَعنَى: احذروا واحترزوا مِنَ العدو. ﴿فانفروا ثُباتٍ﴾ فاخرجوا إِلَى العدو جماعات متفرقة، سَرِيَّة بعد سَرِيـَّة، فالثُّـبات: الجماعـات، واحدهـا[1] ثُبـتَة، ﴿أو انفـروا جميعـا(٧١)﴾ أي: مجتمعين، أو انفـروا ثُبـات إِذَا لم يعـمَّ النفير، وانفروا جميعا إِذَا عمَّ النفير.

﴿وإنَّ منكم لَمَن ليُبطِّئَنَّ﴾ نزلـت فِي المنـافقين، وإنـَّما قَـالَ: «منكـم» لاجتماعهم مَعَ المؤمنـين فِي إظهـار الإيمـان لاَ فِي حقيقتـه، «ليبطِّئـنَّ» ليتـأخَّرن وليتثاقلنَّ عَن الخروج إِلىَ الجهاد، ويجوز أن يكـون منقـولا مـن بَطُـؤ؛ فيكـون المعنى: ليبطِّئن غيره، والتبطئة عَن الغزو. ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ دنيويـة لأَنَّ الآيَة فِي الذِينَ آمَنُوا. ﴿قَالَ﴾ المبطِّئ: ﴿قد أنعـم ا لله علـيَّ إذ لم أكـن معهـم شهيدا(٧٢)﴾ حاضرا، فيصيبني مثل مَا أصابهم.

﴿ولئن أصـابكم فضـل مِنَ ا لله﴾ فتـح أو غنيمـة، ﴿ليقولـنَّ﴾ هَـذَا المبطِّئ متلهفا عَلَى مَا فاتـه مِـنَ الغنيمـة، لاَ طلبـا للمثوبـة: ﴿كـأن لم تكـن بينكـم وبينـه مودَّة﴾ أي: معرفة سابقة، ﴿يا ليتني كنت معهـم﴾ وَالمـَعنَى: كـأن لم تتقـدَّم لَـهُ معكم مودَّة، لأَنَّ المنافقين كَانُوا يـوادُّون المؤمنـين فِي الظـاهر، وإن كَـانَ[2] يبغـون لَهُم الغوائل فِي الباطن. ﴿فأفوز فوزا عظيما(٧٣)﴾ فآخذ مِنَ الغنيمة حظا وافرا.

﴿فليقـاتل فِي سبيل ا لله الذِيـنَ يشـرون﴾ يبـيعون[3] ﴿الحيـاة الدُّنـْـيَا بـالآخِرَة﴾، والمـراد المؤمنـون، الذِيـنَ يسـتحبُّون الآجلـة عَلَـى العاجلـة،

---

١ - فِي الأصل: «واحدهاها»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «كانوا».

٣ - فِي الأصل: «يبغون»، وهو خطأ، وَهُوَ عكس المراد.

ويستبدلونها بها، أي: إن صدَّ الذِينَ مَرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عَن القتال، فليقاتل الثابتون المخلصون، أو يشترون؛ والمُرَاد: المنافقون الذِينَ يشترون الحياة الدُّنْيَا بالآخِرَة، وُعظوا بِأن يغيروا مَا بهم مِنَ النفاق، ويخلصوا الإيمان با لله والرسول، ويجاهدوا فِي سبيل ا لله حقَّ جهاده. ﴿**ومن يقاتل فِي سبيل ا لله فيُقتَل**﴾ إذَا أتى بالأمر عَلَى وجهه، ﴿**أو يغلب؛ فسوف نؤتيه أجرا عظيما(٧٤)**﴾ وَعَدَ المقاتلَ فِي سبيل ا لله ـ ظافرا أو مظفورا بِهِ ـــ إيتاءَ الأجر العظيم عَلَى اجتهاده فِي إعزاز دين ا لله.

﴿**وَمَا لكم لاَ تقاتلون فِي سبيل ا لله**﴾ أي: وأيُّ شيء لكم تاركين القتال، وقد ظهرت دواعيه، ﴿**والمستضعفين**﴾ أي: فِي سبيل ا لله، فِي خلاص المستضعفين مِنَ المُسْلِمِينَ من أيدي الكفّار. و«سبيل ا لله» عامٌّ فِي كل خير، وخلاص المستضعفين مِنَ المُسْلِمِينَ من أيدي الكفّار، ومن كل نائبة عضّتهم، من أعظم الخير وأخصه، والمستضعفون: هم الذِينَ أسلموا بمكّة، وصدَّهم المشركون عَن الهجرة، وعن القيام بأمر دينهم ظاهرا، فبقوا بين أظهرهم مستذَلين مستضعفين، يلقون مِنْهُم الأذى الشديد، [١٠١] ﴿**من الرجال والنساء والولدان**﴾ ذَكرَ الولدان، تنحيلا [كَذَا] بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدانَ غير المكلّفين، إرغاما لآبائهم وأمّهاتهم، أو لرجاء بقائهم عَلَى الإيمان بعد بلوغهم.

﴿**الذِينَ يقولون: رَبَّنَا أخرجنا من هَذِهِ القرية الظالِمِ أهلُها، واجعل لَنَا من لدنك وليًّا**﴾ يتولىّ أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا، ﴿**واجعل لَنَا من لدنك نصيرا(٧٥)**﴾ ينصرنا عليهم؛ كَانُوا يدعون ا لله بالخلاص ويستنصرونه؛ فيسَّر

ا لله لبعضهم الخروج إِلَىَ المدينة، وبقي بعضهم إِلَىَ الفتح، حتّى جعل ا لله لَهُم من لدنه خيرَ وليٍّ وناصر، وَهُوَ محمّد ﷺ؛ فتولاّهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر.

﴿الذِينَ آمَنُوا يقاتلون فِي سبيل ا لله﴾ فِي طاعته، ﴿وَالذِينَ كَفَرُوا يقاتلون فِي سبيل الطاغوت﴾ أي: الشيطان، وفي الحقيقة يقاتلون فِي هواء[1] أنفسهم، ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أي: الكفّار الظاهرين والباطنين، ﴿إِنَّ كيد الشيطان﴾ أي: وساوسه، وقيل: الكيد: السعي فِي فساد الحال خِفية عَلَى جهة الاحتيال. ﴿كَانَ ضعيفا(٧٦)﴾، لأَنَّهُ غرور لاَ يؤول إِلَىَ محصول كالجفاء السحري [كَذَا]، أو كيده فِي مقابلة نصر ا لله ضعيف، ولأنَّ كيده للمؤمنين بالإضافة إِلَىَ كيد ا لله للكَافِرِينَ ضعيف، لاَ يؤبه بِهِ؛ فلا تخافوا أولياءه، فإنَّ اعتمادَهم عَلَى أضعف شيء وأوهنه، وكيده ضعيف لمن خالفه وقابله[2] بالذكر، لأَنَّهُ لاَ سبيل لَهُ عليه، ﴿إِنَّما سلطانه عَلَى الذِينَ يتولّونه وَالذِينَ هم بِهِ مشركون﴾[3].

﴿ألم تر إِلَىَ الذِينَ قيل لَهُم كفُّوا أيديكم﴾ أي: عَن القتال، ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة؛ فَلَمَّا كُتب عَلَيْهِم القتال إِذَا فريق مِنْهُم يَخشَوْنَ الناسَ كخشية ا لله﴾ يخافون أن يقاتلهم الكُفّار، كما يخافون أن ينزل ا لله

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أهواء».

٢ - يمكن أن نقرأ: «قاتله».

٣ - سورة النحل: ١٠٠.

عَلَيْهِم بأسه، لاَ شكًّا فِي الدين وَلاَ رغبة فِيهِ، ولكن نفورا عَن الأخطار بالأرواح، أو خوفا مِنَ الموت، أي: يخشون الناس مثل أهل خشية ا لله، أي: مشبهين لأهل خشية ا لله، ﴿أو أشدَّ خشية﴾ أو أشدَّ خشية من أهل خشية ا لله، «أو» للتخيير، أي إن قلت: خشيتهم الناس كخشيتهم ا لله فأنت مصيب، وإن قلت: إنَّهَا أشدُّ فأنت مصيب، لأَنَّهُم حصل لَهُم مثلها وزيادة.

﴿وَقَالُوا: رَبَّنَا لِمَ كتبت علينا القتال؟ لولا أخَّرتنا إِلَىَ أجل قريب﴾ هلاَّ أمهلتنا إِلىَ الموت، فنموت عَلَى الفرش، وَهُوَ سؤال عَن وجه الحكمة فِي فرض القتال عليهم، أو لتأخير القتال عَنْهُم، من حال إِلىَ حال، كما قَالُوا: ﴿لاَ تنفروا فِي الحر﴾[1]. ﴿قل متاع الدُّنْيَا قليل، والآخِرَة خيرٌ لمن اتَّقى﴾ متاع الدُّنْيَا قليل زائل، ومتاع الآخِرَة كثير دائم، والكثير إِذَا كَانَ عَلَى شرف الزوال فهو قليل، فكيف القليل الزائل. ﴿وَلاَ تُظلمون فتيلا(٧٧)﴾ وَلاَ تنقصون أدنى شيء من أجوركم عَلَى مشاق القتل؛ فلا ترغبوا عَنْهُ.

ثمَّ أخبر أنَّ الحذر لاَ ينجي مِنَ القدر بقوله: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموتُ، ولو كُنتُم فِي بروجٍ﴾ حصون أو قصور، ﴿مشيَّدة﴾ مرفعة[2]، والبروج فِي الأصل: بيوت عَلَى أطراف القصر، مِن "تبرَّجت المرأة" إِذَا أظهرت زينتها. ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ نعمة من خصب أو رخاء، ﴿يقولوا: هَذِهِ من عند ا لله﴾ ينسبوها إِلىَ ا لله، ﴿وإن تصبهم سيِّئة﴾ بليَّة من شدَّة أو

---

١ - سورة التوبة: ٨١.

٢ - كذا فِي الأصل ولعلَّ الصواب: «مرفوعة».

قحط، ﴿**يقولوا: هَذِهِ من عندك**﴾ أضافوها إليـك، وَقَـالُوا: هِـيَ مـن عنـدك، وَمَا كَانَت إِلاَّ بشؤمك، وذلك أنَّ المنافقين [١٠٢] واليهود كَانُوا إِذَا أصـابهم خير حمدوا الله، وإذا أصابهم مكـروه نسبوه إِلَى محمَّـد، فكذَّبهـم الله بقولـه: ﴿**قل: كلٌّ مـن عنـد الله**﴾ أي: كـلٌّ ذَلِـكَ، فهـو يبسـط الأرزاق ويقبضهـا؛ ﴿**فمـال هـؤلاء القـوم لاَ يكـادون يفقهـون**﴾ يفهمـون ﴿**حديثـا(٧٨)**﴾؛ فيعلمون أنَّ الله هُوَ الباسط القـابض. وكـلٌّ ذَلِـكَ صـادر عَـن حكمـة؛ فنفـى عَـنْـهُم فقه كل حديث وَهُوَ كقوله: ﴿**لاَ يعقلون شَيْـئًا...**﴾[1].

ثمَّ قَالَ: ﴿**مَا أصابك**﴾ يا إنسان، خطابا عامًّا، وقيـل: خاصًّـا للنـبِّي عليه السلام، والمراد غيره، ﴿**من حسنة**﴾ مـن نعمـة وإحسـان، ﴿**فمـن الله**﴾ تفضُّـلا مِنـْهُ وامتنانا، ﴿**وَمَا أصابك من سيِّـئة**﴾ مـن بليـَّة ومصيبـة، ﴿**فمـن نفسـك**﴾ فمـن عنـدك، أي: مِمَّـا كسبت يـداك، ﴿وَمَـا أصـابكم مـن مصيبـة فبمـا كسـبت أيديكم﴾[2]. ويحتمل هَذَا الخطاب لِكُل متعبـد، فـ﴿ما أصابك مـن حسـنة﴾ أي: طاعة، ﴿فمن الله﴾ أي: من فضله، ﴿وَمَا أصابك من سـيئة﴾ أي: معصيـة فمـن نفسك، لأَنَّ المعاصي لاَ تحال عَلَى الله، وإن كَـانَت وقعت بقضائـه، لأَنـَّهُ زَجَـرَ وحذَّر غاية التحذير. ﴿**وأرسلناك لِلنَّاسِ رسولا**﴾ لاَ مُقـدراً حتَّـى ينسبوا إليـك الشـدَّة، أو أرسـلناك لِلنـَّاسِ رسـولا فـإليك تبليـغ الرسـالة، وليـس لـك الحسـنة والسيـئة. ﴿**وكفى بالله شهيدا(٧٩)**﴾ بأنَّـك رسوله.

---

١ - سورة البقرة: ١٧٠؛ وتمامها: ﴿وإذا قيل لهم: اتَّبعوا ما أنزل الله. قـالوا: بـل نـتـَّبع مـا ألفينا عليه آباءنا؛ أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيـئًا ولا يهتدون﴾.

٢ - سورة الشورى: ٣٠.

﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾، لأَنَّهُ لاَ يَأْمُرُ وَلاَ ينهى إِلاَّ بِمَا أمر الله بِهِ ونهى عَنْهُ، فكانت طاعته فِي أوامره ونواهيه طاعةَ اللهِ، ﴿**ومن تولىّ**﴾ عَن الطاعات، فأعرض عَنها ﴿**فما أرسلناك عَلَيْهِم حفيظا(٨٠)**﴾ تحفظ عَلَيْهِم أعمالهم، وتحاسبهم عليها وتعاقبهم، أو تحفظهم عَن العصيان.

﴿**ويقولون**﴾ ويقول المنافقون إِذَا أمرتم بشيء: ﴿**طاعةٌ**﴾، أي...[1] ﴿**فإذا برزوا**﴾ خرجوا ﴿**من عندك، بيَّت طائفة مِنْهُم**﴾ زوَّر وسوَّى، فهو مِنَ البيتوتة، لأَنَّهُ قضاء الأمر وتدبيره بالليل، ﴿**غير الذِي تقول**﴾ خلاف مَا قلت أو أمرتَ بِهِ، ﴿**والله يكتب مَا يبيِّتون**﴾ يثبته فِي صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه؛ ﴿**فأعرض عَنْهُم وتوكَّل عَلَى الله**﴾ فِي شأنهم، فإنَّ الله يكفيك معرَّتهم، المعرَّة: المشقَّة والمساءة[2]، وينتقم لك مِنْهُم إِذَا قوي أمر الإسلام. ﴿**وكفى بالله وكيلا(٨١)**﴾ مكافئا لمن توكَّل عليه.

﴿**أفلا يتدبَّرون القرآن**﴾ أفلا يتأمَّلون فِي معانيه ومبانيه، والتدبُّر: التأمُّل والنظر فِي أدبار الأمر وَمَا يؤول إِلَيْهِ فِي عاقبته؛ ثُمَّ استعمل فِي كل تأمُّل، ومعنى تدبُّر القرآن: تأمُّل معانيه، والتفكُّر بصرف القلب بالنظر في الدلائل؛ وهذا يردُّ قول من زَعَم مِنَ الروافض أنَّ القرآن لاَ يُفهم مَعنَاهُ إِلاَّ بتفسير الرسول. ﴿**ولو كَانَ من عند غير الله**﴾ كما زعم الكفَّار، ﴿**لوجدوا فِيهِ اختلافا كثيرا(٨٢)**﴾ أي: تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل،

---

١ - في العبارة سقط واضح.

٢ - في المنجد: المساءة: من ساء سَوَاءً وسَوءً ومساءً ومساءة الأمرُ فلانا: أحزنه أو فعل به ما يكره...

وتفاوت من حيث البلاغة، فكَانَ بعضه بالغا حدَّ الإعجاز، وبعضه قاصراً عَنْهُ يمكن معارضته؛ ومن حيث المعاني فكَانَ بعضه إخبارا لغيبٍ قد وافق المخبر عَنْهُ، وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عَنْهُ، وبعضه دالاً عَلَى معنىً صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً عَلَى معنىً فاسد غير ملائم؛ فَلَمَّا تناسب كلُّه فصاحةً فاتَت قُوَى الفصحاء، وصِحَّة معان، وصدق إخبار، عُلِم أَنَّهُ من جهة ا لله.

﴿وإذا جاءهم أمر مِنَ الأمن أو الخوف﴾ هم ناس من ضعفة الـمُسْلِمِينَ [١٠٣] الذِينَ لم يكن فِيهِم خبرة بالأحوال، أو المنافقون كَانُوا إِذَا غلبهم خير من اسرابا[١] رسول ا لله ﷺ من أمن وسلامة، أو خوف وخلل، ﴿أَذَاعوا بِهِ﴾ أفشوه، وكانت إذاعتهم مفسدة، يقال: أذاع السرَّ. ﴿ولو ردُّوه إِلَىَ الرسول، وإلى أولي الأمر مِنْهُم﴾ يَعنِي: كبار الصحابة البصراء بأمور الدين، ﴿لَعَلِمه﴾ لَعَلِم تدبير مَا أخبروا بِهِ، ﴿الذِينَ يستنبطونه مِنْهُم﴾ يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم، ومعرفتهم بالأمور، وتفرُّسهم فِي عواقبها، ردَّ حكمه فِي الوقائع إِلَىَ استنباطهم، فألحق رتبتهم برتبة الأنبياء، (لَعَلَّهُ) فِي كشف حكم ا لله. ﴿ولولا فضل ا لله عليكم﴾ بإرسال الرسول، ﴿ورحمته﴾ بإنزال الكتاب، ﴿لاتَّبعتم الشيطان﴾ فيما يلقي إليكم مِنَ الوساوس، والموجبة[٢]

١ - كذا في الأصل ولعلَّ صواب العبارة: «إذا بلغهم خَبَر من أسرار رسول ا لله (ص)»، وَهُوَ ما يتناسب وتفسير الآيَة.

٢ - يمكن أن نقرأ: «والموحية»، وَلَعَلَّ الأصوب حذف واو العطف.

لضعف اليقين والبصيرة. ﴿إلاَّ قليلا(٨٣)﴾ منكم وَهُوَ أهل البصائر النافذة، من ذوي الصدق (لعلّه) واليقين. ﴿إلاَّ قليلا﴾ لم يتّبعوه، وكَانُوا آمَنُوا بالعقل؛ ومن ذَلِكَ دَلِيل عَلَى أن ليس بأشدّ عَلَى الشيطان مِنَ العالِم، وأنَّ مصيدَهُ مِنَ الجهلة الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ حدود مَا أنزل ا لله عَلَى رسوله.

﴿فقاتل فِي سبيل ا لله﴾ لَمَّا تقدّم فِي الآي قبلها تثبيطُهم عن القتال قَالَ: ﴿فقاتل فِي سبيل ا لله﴾ وإن أفردوك وأوحدوك. ﴿لاَ تكلّف إلاَّ نفسك﴾ أي: لاَ تكلّف إِلاَّ تقويم نفسك، كما قَالَ: ﴿عليكم أنفسكم﴾[1] وهذه رحمة مِنَ ا لله منَّ بها عَلَى عباده. ﴿وحرِّض المؤمنين﴾ وَمَا عليك فِي شأنهم إِلاَّ التحريض عَلَى القتال فحسب، ﴿عسى ا لله أن يكفَّ بأس الذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بطشهم وشدَّتهم، بقتال المؤمنين الْكَافِرِينَ، ﴿وا لله أشدُّ بأسا﴾ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا، ﴿وأشدُّ تنكيلا(٨٤)﴾ تعذيبا.

﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ هِيَ الشفاعة فِي دفع شرٍّ، أو جلب نفع، مَعَ جوازها شرعا، ﴿يكن لَهُ نصيب منها﴾ من ثواب الشفاعة، ﴿ومن يشفع شفاعة سيِّئة﴾ هِيَ خلاف الشفاعة الحسنة. قَالَ ابن عبَّاس: «مَا لها مفسر غيري، مَعنَاهُ: من أَمَر بالتوحيد وضده»، ﴿يكن لَهُ كِفل﴾ نصيب، ﴿منها وكَانَ ا للهُ عَلَى كلِّ شيء مُقيتا(٨٥)﴾ مقتدرا، من أقات عَلَى الشيء إِذَا اقتدر عليه، أو حفيظا، مِنَ القوت[2]، لأَنَّهُ يمسك النفس ويحفظها.

---

١ - سورة المائدة: ١٠٥.

٢ - فِي اللسان: «القوت ما يمسك الرمق... وَفِي أسماء ا لله تعالى "المقيت" هو الحفيظ، وَقِيلَ: المقتدر،

﴿وإذا حُيـِّيتم﴾ أي: سُـلِّم عليكـم؛ فـإنَّ التحيـَّة فِي ديننـا بالسـلام فِي الدارين، ﴿بتحيَّة؛ فحيُّوا بأحسـن منهـا أو رُدُّوهـا؛ إنَّ ا لله كَـانَ عَلَـى كـلِّ شيء حسيبا(٨٦)﴾ أي: يحاسبكم عَلَى كل شيء مِنَ التحيَّة وغيرها.

﴿ا لله لاَ إله إلاَّ هُوَ ليجمعنَّكم﴾ مَعنـَاهُ: ا لله، وَا للهِ ليجمعنـَّكم، ﴿إِلَى يوم القيامة﴾ أي: ليحشرنـَّكم إِلَيـْهِ، ﴿لاَ ريب فِيـهِ، ومَـن أصـدق مِـنَ ا لله حديثا(٨٧)﴾ أي: لاَ أحد أصدق مِنْهُ فِي إخباره ووعده ووعيده، لاستحالة الكذب عليه لقبحه، لكونه إخبارًا[1] عَن الشيء بخلاف مَا هُوَ عليه.

﴿فما لكم فِي المنافقين فئتـين﴾ أي: مَـا لكـم اختلفتـم فِي شـأن قـوم قـد نافقوا نفاقا ظاهرا، وتفرَّقـتم فِيهِم فرقتين؛ وَمَا لكم لم تقطعوا القول بكفرهـم؛ قيل: إنَّ فرقة سمَّتهم مشركين، وفرقة سمَّتهم مؤمنـين، فـردَّ ا لله عليهـم، وأخـبر أنـَّهُم ليسوا بمشركين وَلاَ مؤمنين، ولكنَّهم منافقون، وأخـبر أنـَّهُ ﴿أركسـهم بِمَا كسبوا﴾، ثُمَّ قَالَ عتابا لَهُم: ﴿أتريدون أن تهدوا مـن أضـلَّ ا لله﴾، لأنـَّهُ يوقع العتاب ها هنا عَلَى من سمَّاهم مؤمنين، ثُمَّ قَالَ: ﴿ودُّوا لو تكفرون كمـا كَفَرُوا فتكونون سواء﴾ فسمَّاهم كُفَّارا، ثُمَّ قَالَ: ﴿فلا تتَّخذوا مِنـْهُم أوليـاء حتَّـى يهـاجروا فِي سبيل ا لله﴾ فقـد انقطعـت [١٠٤] الولايـة بـين المؤمنـين والكفـَّار حتَّـى يهـاجروا فِي سبيل ا لله. ﴿وا لله أركسـهم بِمَـا كسـبوا﴾ أي

وَقِيلَ: هو الذي يعطي أقوات الخلائق...». للتوسُّع انظر: ابن منظور: لسان العرب، ١٨٣/٥.

١ - في الأصل: «إخبار»، وهو خطأ.

نكّسهم وردّهم إِلىَ الكفر بِمَا كسبوا، ﴿**أتريدون أن تهدوا**﴾ أن تجعلوهم مهتدين، ﴿**من أضلّ ا لله**﴾ من جعله ا لله ضالاًّ، أو تريدون أن تسمُّوهم مهتدين، وقد أظهر ا لله ضلالهم، فيكون تعبيرا لمن سمَّاهم مهتدين. ﴿**ومن يضلل ا لله فلن تجد لَهُ سبيلا(٨٨)**﴾ طريقا إِلىَ الهداية.

﴿**ودُّوا لو تكفرون كما كَفَرُوا فتكونون سواء**﴾ فِي الكفر، ﴿**فلا تتّخذوا مِنْهُم أولياء حتّى يهاجروا فِي سبيل ا لله فإن تولّوا**﴾ عَن الإيمان ﴿**فخُذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم وَلاَ تتّخذوا مِنْهُم وليًّا وَلاَ نصيرا(٨٩)**﴾ وإن بدلوا[1] لكم الولاية والنصرة فلا تصدقوهم.

﴿**إلاّ الذِينَ يَصِلُون إِلىَ قوم**﴾ أي ينتهون إِلَيْهِم، ويتّصلون بهم، ﴿**بينكم وبينهم ميثاق**﴾ أي فاقتلوهم إِلاّ من اتّصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق، ﴿**أو جاءوكم**﴾ عطف عَلَى صفة «قوم»، أي: إِلاّ الذِينَ يصلون إِلىَ قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عَن القتال لاَ لكم وَلاَ عليهم. ﴿**حَصِرَت صدورهمُ**﴾ الحصر: الضيق والانقباض، أي: ضاقت، ﴿**أن يقاتلوكم**﴾ عَن أن يقاتلوكم، ﴿**أو يقاتلوا قومهم**﴾ معكم، ﴿**ولو شاء ا لله لسلّطهم عليكم**﴾ بتقوية قلوبهم، وإزالة الحصر عنها، ﴿**فلَقَاتَلوكم**﴾ عطف عَلَى «سلّطهم». ﴿**فإن اعتزلوكم**﴾ فإن لم يعترضوا لكم، ﴿**فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم**﴾ أي: الانقياد والاستسلام، ﴿**فما جعل ا لله لكم عَلَيْهِم سبيلا(٩٠)**﴾ إِلىَ القتال.

---

١ - كذا فِي الأصل، ويمكن أن نقرأ: «بذلوا»، ولعلَّ الصواب: «أبدَوْا لكم».

﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾ بالنفاق، ﴿ويأمنوا قومهم﴾ بالوفاق، ﴿كلَّ مَا ردُّوا إِلَىَ الفتنة﴾ كلّما دعاهم قوم إِلَىَ قتال المُسْلِمِينَ، ﴿أركسوا فِيهَا﴾ قلبوا فِيهَا أقبح قلب وأشنعه، وكَانُوا شرًّا فِيهَا من كل عدوٍّ. ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ فإن لم يعتزلوا قتالكم، ﴿ويلقوا إليكم السلم﴾ عطف عَلَى «لم يعتزلوكم»، أي: و لم ينقادوا لكم بطلب الصلح. ﴿ويكفُّوا أيديهم﴾ عطف عليه أَيْضًا، أي: و لم يمسكوا عَن قتالكم. ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ حيث تمكّنتم مِنْهُم وظفرتم بهم. ﴿وأولئكم جعلنا لكم عَلَيْهِم سلطانا مبينا(٩١)﴾ حجَّةً واضحة لظهور عداوتهم، وانكشاف حالهم فِي الكفر والغدر، وإضرارهم بالمسلمين.

﴿وَمَا كَانَ لمؤمن﴾ وَمَا صحَّ لَهُ وَلاَ استقام وَلاَ لاق بحاله، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لنبيٍّ أن يغلَّ﴾[1]. ﴿أن يقتل مؤمنا﴾ ابتداءً غير قصاص، ﴿إلاَّ خطأً، ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنةٍ﴾ محكوم بإسلامها، وإن كَانَت صغيرة فيما قيل، قد جعل الله تكفير[2] القتلِ التحريرَ، لأَنَّ ذَلِكَ حياء إذا العبد مفقود لنفسه موجود لسيده[3]، فالإعتاق إيجاد لاَ يقدر الإنسان عَلَى أكثر مِنْهُ، فيقابل الإعدام بالإيجاد، وذلك سلوك طريق المضادَّة. ﴿ودية مسلَّمة إِلَىَ

---

١ - سورة آل عمران: ١٦١.

٢ - في الأصل: «تفكير»، وَهُوَ خطأ.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «لأنَّ ذلك حياة العبدِ، إذِ العبدُ مفقود بنفسه، موجود بسيده».

أهله﴾ مؤدَّاة إِلَى ورثته يقسمونها كما يقسمون الميراث، لاَ فرق بينها وبين سائر التركة فِي كل شيء، فيقضى منها الدَّين، وتنفَّذ الوَصِيَّة، وإذا لم يبق وارث كَانَت فِي بيت المال، والديَّة عَلَى العاقلة، والكفَّارة عَلَى القاتل. **﴿إلاَّ أن يصَّدَّقوا﴾** إِلاَّ أن يتصدَّقوا عليه بالدية، أي: يعفوا عَنْهُ، وفي الحديث: *«إِنَّ كلّ معروف صدقة»*[1].

﴿فإن كَانَ من قوم عدوٌّ لكم﴾ عَن أبي سعيد: «عَن قول الله: ﴿فإن كَانَ من قوم عدوٌّ لكم وَهُوَ مُؤْمِن؛ فتحرير رقبة مؤمنة...﴾ الآيَة. ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾، فقد قيل فِي هَذَا: إِنَّهُ فِي كفَّارة الخطإ، وكفَّارة ذَلِكَ عتق رقبة مؤمنة موحدة؛ فمن [١٠٥] لم يجد عتق رقبة فصيام شهرين متتابعين». قَالَ أبو عبد الله: «فِي قول الله: ﴿وإن كَانَ من قوم عدوٌّ لكم وَهُوَ مُؤْمِن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ قَالَ: هُوَ أن يكون رجلٌ مُؤْمِن يقتل رجلاً مِنَ المُسْلِمِينَ خطأ وورَثَةُ المقتول من أهل الحرب، فلا يلزمه إِلاَّ تحرير رقبة مؤمنة، كما قَالَ الله، فإنَّ المقتولَ خطأً وارثه من قوم أعداء لكم، أي: كَفَرة». **﴿وَهُوَ مُؤْمِن﴾** أي: المقتول مُؤْمِن، **﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾** يَعنِي: إِذَا أسلم الحربيُّ من دار الحرب و لم يهاجر إلينا، فقتله مسلم خطأً تجب الكفَّارة

---

١ - رواه البخاريُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِي الله عَنْهُمَا عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». كتاب الأدب، رقم ٥٥٦٢. مسلم: كتاب الزكاة، رقم ١٦٧٣. الترمذي: كتاب البرّ والصلة، رقم ١٨٩٣. أبو داود: كتاب الأدب، رقم ٤٢٩٦. أحمد باقي مسند المكثرين، رقم ١٤١٨٢، ١٤٣٤٨، ١٧٩٩٢...

بقتله للعصمة الإسلاميَّة وَلاَ تجب الديَّة لأَنَّ وارثه[1] محاربون، لم يثبت لهم عهد وَلاَ ذمـة، ﴿وإن كَانَ﴾ أي: المقتول ﴿من قوم بينكم﴾، بين المُسْلِمِينَ، ﴿وبينهم ميثاق﴾ عهد؛ ﴿فديَّة مسلَّمة إِلَىَ أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: وإن كَانَ المقتول ذميًّا فحكمه حكم المسلم. ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة، أي: لم يملكها، وَلاَ مَا يتوصَّل بِهِ إِلَيْهِ، ﴿فصيام شهرين متتابعين توبة مِنَ ا لله﴾ قبولا مِنْهُ ورحمة، مِن "تَاب ا لله عليه" إِذَا قبل توبته. ﴿وكَانَ ا لله عليما حكيما(٩٢)﴾.

﴿ومن يقتل مؤمنا متعمِّدا فجزاؤه جَهَنَّم خالدا فِيهَا وغضب ا لله عليه ولعنه﴾ أي: انتقم مِنْهُ، وطرده من رحمته، ﴿وأعدَّ لَهُ عذابا عظيما(٩٣)﴾ لارتكابه أمرا عظيما. فِي الحديث: «*لزوال الدُّنْيَا أهون عَلَى ا لله من قتل أمرئ مسلم*»[2]، لأَنَّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا جعلت آلة للمؤمن، و لم يجعل المؤمن آلة (لَعَلَّهُ) لعوام الدُّنْيَا مَعَ أهل التحقيق.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا ضربتم فِي سبيل ا لله فتبيَّنوا﴾ فتثبَّتوا، بمعنى الاستفعال، أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته وَلاَ تتهوَّكوا[3] فِيهِ. ﴿وَلاَ

---

١ - كذا فِي الأصل ولعلَّ الصواب: «ورثته».

٢ - رواه الترمذيُّ فِي كتاب الديات، عَنْ عَبْدِ ا للهِ بْنِ عَمْرٍو، رقم ١٣١٥. النسائي: كتاب تحريم الدم من عدَّة طرق. ابن ماجه: كتاب الديات.

٣ - الأَهْوَكَ: هو الأحمق، وقد هوِك هَوَكًا. ورجل هوَّاك ومتهَوك: أي متحير. وفِي الحديث: «أمتهوكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى؟...» بمَعْنَى أمتحيرون؟. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٦/٨٤٥.

تقولوا لمن ألقى إليكـم السـلام﴾ وَهُوَ الاستسـلام، **﴿لسـت مؤمنـا تبتغـون عرض الحياة الدُّنْـيَا﴾** تطلبون الغنيمة التِـي هِيَ حطام سريع النفاد، فهو الذِي يدعوكم إِلىَ ترك التثبُّت وقِلَّة البحث عَن حال من تقتلونه، **﴿فعنـد ا لله مغـانم كثيرة﴾** يُغنمكموها، تغنيكم عَن قتل رجل يُظهـر الإسـلام، **﴿كذلـك كُنتـُم من قبل﴾** أوَّل مَا دخلتم فِي الإسلام، سمعـت مـن أفواهكـم: كلمـة الشـهادة؛ فحصَّنت دماءَكم وأموالكم، من غـير انتظـار الاطِّـلاع عَلَى مواطـأة قلوبكـم لألسنتكم[1]. **﴿فمـنَّ ا لله عليكـم﴾** بالاستقامة والاشتهار بالإيمـان، فـافعلوا بالداخلين فِي الإسلام كما فُعِل بكم، أو كذلك كُنتُم مـن قبـلُ لاَ تـتبيـَّنون قبلَ أن يُبَيـن ا لله لكم، **﴿فتبـيـَّنوا إِنَّ ا للهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرا(٩٤)﴾**.

﴿لاَ يستوي القاعدون﴾ عَن الجهاد، **﴿من المؤمنـين غـير أولي الضـرر﴾** من مرض أو عاهة من عمًى أو عـرج أو زمانـة[2] أو نحوهـا، تنبيهـا عَلَـى أنَّ القاعد من أولي الضرر، شريك للمجاهد فِي الأجر، إِذَا كَانَت نيـَّته أن يجاهد إن لو لم يكن بِهِ ذَلِكَ. **﴿والمجـاهدون فِي سـبيل ا لله بـأموالهم وأنفسـهم﴾** لاَ مساواة بَيْنَـهُم وبين من قعد عَن الجهاد من غير علَّة، وفائدته تذكير مَا بينهما مِنَ التفاوت ترغيبا للقاعد مـن غـير علَّـة فِي الجهـاد، رفعـا لرتبتـه، وأنفـة عَـن انحطاط منزلته. **﴿فضَّل ا لله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم عَلَى القاعدين﴾** قَالَ أبو سعيد: «إِنـَّمَا عذر عَن الجهاد عند القدرة عَلَـى الجهـاد مِنَ الكافَّـة بجهـاد

---

١ - في الأصل: «لا ألسنتكم»، وهو خطأ.

٢ - سبق شرحها صفحة: ٨٦ من هَذَا التفسير.

البعض، ولو اجتمعوا كلُّهم عَلَى ترك الجهاد وَهُم قـادرون عليـه كَـانُوا بذلـك هالكين مضيعين لـما لزمهـم من تـرك الجهـاد». ﴿**درجـة، وكـلاً وعـد ا لله الحسنى**﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي الجنّة، وإن كَانَ المجاهدون مفضَّلـين عَلَـى القاعدين درجة بزيادة عملهم. ﴿**وفضَّل ا لله المجاهدين عَلَى القاعدين**﴾ بعذر أو بغير عـذر، ﴿**أجـرا عظيمـا(٩٥) درجـات مِنـْهُ** [١٠٦] **ومغفـرة ورحمـة وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(٩٦)**﴾.

﴿**إنَّ الذِيـنَ توفَّـاهم المَلاَئِـكَة ظـالمي أنفسـهم**﴾ أي: فِي حـال ظلمهـم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة، ﴿**قَالُوا**﴾ قَالَ المَلاَئِـكَة للمتوفَّين: ﴿**فيم كُنتُـم**﴾ فِي أي: شيء كُنتُـم من أمر دينكم، ومعناه التوبيخ بأَنـَّهُم لم يكونـوا فِي شـيء مِنَ الدين، وذلك كلُّ كافر يُوبَّخ عَلَى مَا كفر بِهِ، ويقـرُّ فِي ذَلِـكَ الحـين بمَـا أنكـر، ويَسـأل الرجـوع إِلىَ الدُّنـْـيَا ليصلـح مَـا أفسـد. ﴿**قَـالُوا: كُنـَّـا مستضعفين**﴾ عَن الهجرة ﴿**فِي الأَرْض؛ قَالُوا**﴾ أي: المَلاَئِـكَة موبخـين لَهُـم: ﴿**أَلم تكن أرض ا لله واسعة، فتهـاجروا فِيهَـا**﴾ أرادوا: إنـَّكُم كُنتـُم قـادرين عَلَى الخروج من أرض الشرك إِلىَ أرض الإسلام، وإلى الرسـول ﷺ، وهـذا يدلُّ عَلَى أنَّ الإنسان إِذَا كَانَ فِي بلد لاَ يتمكّن فِيهِ من إقامة أمر الديـن لبعـض العوائـق، وعَلـم أنَّ فِي غـير بلـده أقـوم بحـق ا لله، وجبـت عليـه المهـاجرة؛ وفي الحديـث: «*مـن فـرَّ بدينـه مـن أرض إِلىَ أرض، وإن كَـانَ شـبرا مِـنَ الأَرْض، استوجب الجَنّة*»[1]. ﴿**فأولئك مأواهم جَهَنـَّم وساءت مصيرا(٩٧)**﴾.

---

١ - لم نقف عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة.

﴿إلاَّ المستضعفين مِنَ الرجال والنساء والولـدان لاَ يستطيعون حيلـة﴾ فِي الخروج منها، لفقرهم أو عجزهم؛ وفيه دَلِيل عَلَى وجوب الاحتيال لإقامـة الدين. ﴿وَلاَ يهتدون سبيلا(٩٨)﴾ وَلاَ معرفة لَهُم بالمسالك.

﴿فـأولئك عسـى ا لله أن يعفـو عَـنْـهُم، وكَـانَ ا لله عفـوًّا غَفُـورا(٩٩)﴾، وذكر الولدان وَهُم غير متعبّدين، كأَنَّهُ أمر بإخراج أولاد المؤمنين مَعَ القدرة، مـن دار الشرك إِلَى دار الإسلام، خوفا عَـن أن يدركهـم التعبُّـد وَهُـم بـين ظهرانيهـم، فيؤول عَـلَـيْـهِـم الضرر الدينيُّ والدنيويُّ، ومن قِبَل مَا يُخاف عَـلَـيْـهِـم مِنــْهُم، فِي حال طفولتهم؛ أو الولدان الذِينَ بلغ سنُّهم وكمل عقلهم.

﴿ومـن يهـاجر فِي سـبيل ا لله يجـد فِي الأَرْض مراغمـا﴾ أي: مُتحـوَّلا يتحوَّل إِلَـيْـهِ؛ وقيل: مُتزحزحـا عمـَّا يكـره، وقيـل: مهـاجرا وطريقـا، يُراغـم بسلوكه قومه، أي: يفارقهم عَلَى رغم أنوفهم، والرغم: الذلُّ والهوان، وأصلـه لصوق الأنف بالرغام، وَهُوَ التراب، يقال: راغمت الرجـل، إِذَا فارقتـه، وَهُـوَ يكره مفارقتك لمذلّة تلحقه بذلك. ﴿كثـيرا وسـعة﴾ فِي الـرزق، أو فِي إظهـار الدين. ﴿ومن يخرج من بيتـه مهـاجرا إِلَى ا لله ورسـوله﴾ إِلَى حيـث أمـر ا لله ورسوله، ﴿ثمَّ يدركه الموت﴾ قبل بلوغه مهـاجره، ﴿فقـد وقـع أجـره عَلَـى ا لله﴾ أي: حصل لَهُ الأجر بوعد ا لله، ﴿وكَانَ ا لله غَفُـورا رحيمـا(١٠٠)﴾ قَالُوا: كلُّ هجرة لطلب علم، أو حـجٍّ، أو جهـاد، أو فـرار إِلَى بلـد يـزداد فِيـهِ طاعة وزهدا؛ فهي هجرة إِلَى ا لله ورسوله؛ وإن أدركه المـوت فِي طريقـه، قـد وقع أجره عَلَى ا لله.

﴿وإذا ضربتم فِي الأَرْضِ﴾ سائرين، **﴿فليس عَلَيْكُم جناح أن تقصروا مِنَ الصلاة﴾** من أعدد[1] ركعاتها، **﴿إن خفتم أن يفتنكم الذِينَ كَفَرُوا﴾** إن خشيتم أن يفتنكم الذِينَ كَفَرُوا، بقتل أو جرح أو أخذ، وقد رخّص للمسافر ولزمه اليومَ القصرُ، مَعَ الخوف وعدمه، **﴿إنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لكم عدوًّا مبينا(١٠١)﴾** فتحرَّروا عَنْهُم لئلاَّ يضرُّوكم فِي دين أو دنيا.

﴿وإذا كنت فِيهِم فأقمت لَهُم الصلاة، فلتقم طائفة مِنْهُم معك﴾ فاجعلهم طائفتين، فلتَقُم أحدهما[2] معك، فصل بهم، وتقوم طائفة تجاه العدو، **﴿وليأخُذوا أسلحتهم؛ فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾** أي إِذَا صلّت هَذِهِ الطائفة التِي معك ركعة، فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو، **﴿ولتأت طائفة أُخْرَى لم يصلُّوا؛ فليصلُّوا معك،** [١٠٧] **وليأخُذوا حذرهم وأسلحتهم وَدَّ الذِينَ كَفَرُوا لو تغفلون عَن أسلحتكم وأمتعتكم﴾** أي: تمنَّوا أن ينالوا منكم فِي صلاتكم، فليميلوا[3] عَلَيْكُم مَيلَة وَاحِدَة، وهكذا أعداء الباطن مترصدون للغفلة مِنَ الإنسان. **﴿فيميلون عَلَيْكُم مَيلَة وَاحِدَة﴾**، كما قَالَ: ﴿وَمَا أرسلنا من قبلك من رسول وَلاَ نبيٍّ إلاَّ إِذَا تمنَّى ألقى الشيطان فِي أمنيّته﴾[4]. **﴿وَلاَ جُناح عليكم﴾** والجناح: الإثم، وجَنَحت: إِذَا عَدَلت عَن

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عدد».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «إحداهما».

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ليميلوا».

٤ - سورة الحج: ٥٢.

القصد، **﴿إن كَانَ بكم أذى من مطر أو كُنتُم مرضى أن تضعوا أسلحتكم، وخذوا حذركم﴾** قد أمر ا لله نبيه ﷺ والمؤمنين بالصلاة جماعة فِي وقت القتال، تنبيها عَلَى عظم فضلها، وأن لاَ تُترك إلاَّ مَعَ عدمها، ورخّص لَهُم فِي وضع الأسلحة إن ثَقُلَ عَلَيْهِم حملها، بسبب مَا يؤذيهم من مطر، أو يضعفهم من مرض. وأمرهم مَعَ ذَلِكَ أن يأخُذوا الحذر لئلاَّ يغفلوا، فيهجم عَلَيْهِم العدوُّ. **﴿إنَّ ا لله أعدَّ للكَافِرِينَ عذابا مهينا(١٠٢)﴾** أخبر أنَّهُ يهين عدوَّهم لتقوى قلوبهم. إنَّ الأمر بالحذر ليس لتوقُّع غلبتهم عليهم، وإنَّما هُوَ تعبُّد مِنَ ا لله تعالى.

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا ا لله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ أي: دوموا عَلَى ذكر ا لله فِي جميع الأحوال، أو فإذا أردتم الصلاة فصلُّوا قياما، إن قدرتم عليه، وقعودا إن عجزتم عَن القيام ومضطجعين إن[1] عجزتم عَن القعود. **﴿فإذا اطمأننتم﴾** سكنتم بزوال الخوف، **﴿فأقيموا الصلاة﴾** فأتمُّوها بطائفة وَاحِدَة، أو إِذَا اطمأنتم بالصِحَّة فأتمُّوا بالقيام والقعود والركوع والسجود. **﴿إنَّ الصلاة كَانَت عَلَى المؤمنين كِتَابًا موقوتا(١٠٣)﴾** مكتوبا محدودا، بأحوال موصوفة فِي أوقات محدودة.

﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ وَلاَ تضعفوا وَلاَ تتوانوا **﴿فِي ابتغاء القوم﴾** فِي طلب الكفّار، **﴿إن تكونوا تألمون فإنَّهُم يألمون كما تألمون﴾** لأنَّهُم شبهكم فِي الخلق، ومثلكم فِي الطبع مباينوكم فِي الخاصيَّة، كما قَالَ: **﴿وترجون مِنَ ا لله مَا لاَ يرجون﴾** أي: ليس مَا

---

١ - في الأصل: «عن»، وهو خطأ.

تجدون مِنَ الألم بالجرح والقتل مختصًّا بكم، بَل هُوَ مشترك بينكم وبينهم، ويصيبهم كما يصيبكم، ثُمَّ إِنَّهُم يصبرون عليه، فما لكم لاَ تصبرون مثل صبرهم، مَعَ أَنَّكُم أجدر مِنْهُم بالصبر لأنَّكم ترجون مِنَ ا لله مالا يرجون من إظهار دينكم عَلَى سائر الأديان، ومن الثواب العظيم؛ وذلك تنبيه مِنَ ا لله تعالى، وحثٌّ للمؤمن عَلَى الصبر إن نالته شدَّة فِي قيام بشيء من واجباته، ويُراعي بصبره صبر من يحتمل المشاقَّ عَلَى دنيا فانية عقابها الخسران، والذهاب والعتاب والعذاب، بَل يكون أشدَّ صبرا وأثبتَ عزيمة، لأَنَّهُ لاَ يقاس مَا يرجوه من مولاه، مِنَ التوفيق فِي الدُّنْيَا والثواب العظيم فِي الآخِرَة، مَعَ ظن من يسعى للدنيا وحطامها، وَمَا يؤول عليه[1] مِنَ الخسران للدنيا والآخِرَة. ﴿وكَانَ ا لله عليما﴾ بِمَا يجد المؤمنون، ﴿حكيما(١٠٤)﴾، لأَنَّهُ لاَ يَأْمُرُكم وَلاَ ينهاكم إِلاَّ بِمَا يعلم أن فِيهِ صلاحكم.

﴿إِنَّا أنزلنا إليك الكتاب بِالْحَقِّ لتحكم بين الناس بِمَا أراك ا لله﴾ عَلَى قدر دعاويهم، أو لتُنزلهم منازلهم، من أمين أو خائن، تحذيرا لَهُ عَن أن يُخاصم الخائن لقوله: ﴿وَلاَ تكن للخائنين﴾ أي: لأجل الخائنين، ﴿خصيما(١٠٥)﴾ مخاصما، ﴿واستغفر ا لله﴾ مِمَّا هممت بِهِ، ﴿إِنَّ ا لله كَانَ غفُورا رحيما(١٠٦)﴾.

﴿وَلاَ تجادل عَن الذِينَ يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعصية، جعلت معصية العصاة خيانة مِنْهُم لأنفسهم، لأَنَّ الضرر راجع عليهم. ﴿إِنَّ ا لله لاَ يُحِبُّ من كَانَ خوَّانا أثيما(١٠٧)﴾ خوَّانا مبالغا فِي الخيانة مصرًّا عليها،

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «إِلَيهِ».

«أثيما» منهمكا فِيهِ [١٠٨]، وإذا عثرت من رجل عَلَى سيِّئة، فاعلم أنَّ لها أخوات فِي حقِّ أكثر الخلق، إلاَّ الذِينَ آمَنُوا، فإنَّهُم إن بدت مِنْهُم زلَّة يسرعون إِلىَ الانقلاع منها بالتوبة.

﴿**يستَخفُون**﴾ يستترون ﴿**من الناس**﴾ حياء مِنْهُم، وخوفا من ضررهم، وطمعا لما فِي أيديهم، ﴿**وَلاَ يستخفون مِنَ ا لله**﴾ وَلاَ يستحيون مِنهُ، ﴿**وَهُوَ معهم**﴾ وَهُوَ عالم بهم، مطَّلع عليهم، لاَ يخفى عليه خاف من سرِّهم، وكفى بهذه الآيَة ناعية عَلَى الناس مَا هم فِيهِ من قِلَّة الحياء والخشية من رَبِّهم، مَعَ علمهم أنَّهُ معهم أين مَا كانوا، ﴿**إذ يُبَيِّتُون**﴾ يدبِّرون، وأصله أن يكون خفية، ولذلك أسند إِلىَ البيات، لأنَّ الفعل فِيهِ أخفى، ﴿**مَا لاَ يرضى مِنَ القول**﴾ وَهُوَ دَلِيل عَلَى أنَّ الكلام هُوَ المعنى القائم بالنفس، حيث سمَّى التدبير قولا، أو كَانَ قولا مِنْهُم لبعضهم بعض، ﴿**وكَانَ ا لله بِمَا يَعْمَلُونَ محيطا(١٠٨)**﴾ عالما علم إحاطة لاَ يخفى عليه مِنْهُ شيء.

﴿**ها أَنتُم هؤلاء جادلتم عَنْهُم فِي الحياة الدُّنْيَا فمن يجادل ا لله عَنْهُم يوم القيامة**﴾ فمن يخاصم عَنْهُم فِي الآخِرَة إِذَا أَخذهم ا لله بعذابه، ﴿**أم من[1] يكون عَلَيْهِم وكيلا(١٠٩)**﴾ حافظا من بأس ا لله وعذابه، فكأنَّ أحدا مِنَ المؤمنين جادل عَن أحد مِنَ المنافقين فِي حقوق ثبتت عَلَيْهِم فِي الإسلام، فعاتبهم ا لله بذلك، بدليل قوله:

١ - فِي الأصل: «أمَّن».

﴿ومن يعمل سوءا﴾ ذنبا، ﴿أو يظلِمْ نفسَه﴾ يترك مَا تعبَّده ا لله بِهِ، أو بارتكاب[1]، (لَعَلَّهُ) شيء من محرَّماته. ﴿ثمَّ يستغفر ا لله يجدِ ا للهَ غَفُورا رحيما(١١٠) ومن يكسب إثما﴾ و لم يتب مِنْهُ، ﴿فإنَّما يكسبه عَلَى نفسه وكَانَ ا لله عليما حكيما(١١١)﴾.

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بريئا﴾ أي: يبرِّئ مِنْهُ نفسه من غير توبة مِنْهُ، إِلاَّ ظنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لاَ يعاقبه عليه، ويستصغره أو يتهاون بِهِ، أو لاَ يظنُّه أَنَّهُ ذنب، أو يرمي بِهِ عَلَى غيره، ويقول: أنا ليس[2] فعلته، وإنَّما فعله فلان. ﴿فقد احتمل بهتانا﴾ كذبا عظيما، ﴿وإثما مبينا(١١٢)﴾ ذنبا ظاهرا.

﴿ولولا فضل ا لله عليك ورحمته﴾ أي: عصمته ولطفه مِنَ الاطِّلاع عَلَى شرِّهم، ﴿لهمَّت طائفة مِنْهُم أن يُضلُّوك﴾ عَن القضاء بِالْحَقِّ، وتوخِّي طريق العدل، ﴿وَمَا يضلُّون إلاَّ أنفسهم وَمَا يضرُّونك من شيء﴾ أي: لاَ يملكون من ضرِّك شَيْئًا لم يرده ا لله فيك. ﴿وأنزل ا لله عليك الكتابَ والحكمةَ وعلَّمَك مَا لم تكن تعلم﴾ من أمور الدين والشرائع، أو من خفيَّات الأمور، وضمائر القلوب. ﴿وكَانَ فضل ا لله عليك[3] عظيما(١١٣)﴾ فيما علَّمك وأنعم عليك.

---

١ - في الأصل: «برتكاب»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ونلاحظ فيه خطأً في التركيب، ولعلَّ الصواب: «ويقول: أنا لم أفعله».

٣ - في الأصل: - «عليك» وهو سهو.

﴿لاَ خير فِي كثير من نجواهم إِلاَّ من أمر بصدقة أو معروف[1] أو إصلاح بين الناس﴾ الإصلاح بالتأليف بَيْنَهُم بالمودَّة. ويروى عَن عليٍّ أَنَّهُ قَالَ: «إنَّ الله فرض عَلَيْكُم زكاة جاهكم، كما فرض عَلَيْكُم زكاة مَا ملكت أيمانكم». ﴿ومن يفعل ذَلِكَ ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما(١١٤)﴾ ابتغاء: طلب رِضَى الله، وخرج عَنْهُ من فعل ذَلِكَ رياء أو تروسا[2]، ووصف الأجر بالعظم تنبيها عَلَى حقارة مَا لحقه مِنَ المكروه، وفاته من أعراض الدُّنْيَا فِي جنَّته.

﴿ومن يشاقِقِ الرسولَ من بعد مَا تبيَّن لَهُ الهدى﴾ ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدَّلِيل، وظهور الرشد، ﴿ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين﴾ أي: السبيل الذِي هم عليه مِنَ الدين الحنيفيِّ الحقيقيِّ. ﴿نولّه مَا تولَّى﴾ نجعله وليًّا لِمَا تولَّى مِنَ الضلال، وندعه وَمَا اختاره فِي الدُّنْيَا، ﴿ونُصلِهِ جهَنَّم﴾ فِي العقبى، ﴿وساءت مصيرا(١١٥)﴾.

﴿إنَّ الله لاَ يَغفِر أن يُشرك بِهِ﴾ قَالَ أبو سعيد فِي تأويل هَذِهِ الآية: «فمن قامت [١٠٩] عليه الحجَّة، وبلغته المعرفة، فخالف بعد بلوغ الحجَّة والمعرفة

---

١ - فِي الأصل: «أمعروف»، وهو خطأ.

٢ - فِي اللسان: التُّرس من السلاح: المتوقَّى بها؛ أو خشبة توضع خلف الباب. وجمعه أتراس وتِراس وتروسا. ابن منظور: ٣١٧/١. ولم يتَّضح محلُّ الكلمة فِي هَذَا السياق، وربَّما يقصد: إنَّمَا فعل ذلك اتِّقاء لشرٍّ، أو خوفا لأن يذكره الناس بسوء.

ببيان الحقِّ مِنَ الباطل، والضلالِ مِنَ الهدى، فيفعل[1] مَا قد نُهي عَنْهُ كَانَ مشاققا لله ولرسوله والمسلمين، متَّبعا لغير سبيل المؤمنين، وَلاَ عذر لَهُ، وَلاَ يعلم فِي ذَلِكَ اختلافا». ﴿ويَغْفِرُ مَا دون ذَلِكَ﴾ الصغائر، ﴿لمن يَشَاء﴾ لمن اجتنب الكبائر، وَهُوَ يقتضي جميع الكبائر التِي لم يتب منها، ﴿ومن يشرك بالله﴾ بأيِّ شرك كَانَ، ﴿فقد ضلَّ ضلالا بعيدا(١١٦)﴾ عَن محجَّة الصواب.

﴿إن يدعون من دونه﴾ مَا يعبدون من دون الله، ﴿إلاَّ إناثا﴾ جمع أنثى، وهي اللاَّت والعزَّى ومناة؛ قيل: و لم يكن حيٌّ من أحياء العرب، إلاَّ ولهم صنم يعبدونه يسمُّونه أنثى بني فلان، وقيل: كَانُوا يقولون فِي أصنامهم هنَّ بنات الله، ﴿وإن يدعون﴾ يعبدون ﴿إلاَّ شيطانا﴾، لأَنَّهُ هُوَ الذِي أغراهم عَلَى عبادة الأصنام، فأطاعوه، فجعلت طاعتهم لَهُ عبادة، وقيل: المراد بِهِ المَلاَئِكَة لقولهم: المَلاَئِكَة بنات الله، ﴿مَريدا(١١٧)﴾ خارجا عَن الطاعة، عازبا عَن الخير، ومنه الأمرد.

﴿لعنه الله؛ وقال: لأتَّخذنَّ من عبادك نصيبا مفروضا﴾ مقطوعا واجبا لي، ﴿ولأضلَّنَّهم﴾ بالدعاء إِلَى الضلالة، والتزيين والوسوسة، ولو كَانَ إنفاذ الضلالة إِلَيْهِ لأضلَّ الكلَّ، ﴿ولأمنينَّهم﴾ ولألقينَّ فِي قلوبهم الأماني الباطلة، من طول الأعمار وبلوغ الآمال، ﴿ولآمُرَنَّهم فليُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام﴾ البتك: القطع، والتبتيك للتكثير والتكرير، أي: لأحملنَّهم عَلَى أن يقطعوا آذان الأنعام، ﴿ولآمرنَّهم فليغيرُنَّ خلق الله﴾ عَن وجهه، صفة أو

١ - في الأصل: «فيعل»، وهو خطأ.

صورة؛ ويندرج فِيهِ مَا قيل من فَقْءِ عينِ الحامي[1]، وخصيِ العبيد، والوشم والوشر[2]، واللواط والسحق[3]، ونحو ذَلِكَ ويغيِّر فطرة الله التِي هِيَ الإسلام، لقوله: ﴿لاَ تبديل لخلق الله﴾[4]، وعبادة الشمس والقمر واستعمال الجوارح والقوى فيما لاَ يعود عَلَى النفس كمالاً، ولا يوجب لها مِنَ الله زُلْفى. **﴿ومن يتَّخذ الشيطان وليًّا من دون الله﴾** وأجاب إِلَى مَا دعاه إِلَيْهِ، **﴿فقد خَسِر خُسرانًا مبينا(١١٩)﴾** فِي الدارين.

﴿يعدهم﴾ يوسوس لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُم عَلَى مَا يقتضيه طبعه، ويميل إِلَيْهِ بهواه، ويقبل مِنْهُ، **﴿ويُمنيهم﴾** مَا لاَ ينالون، لقوله: **﴿وَمَا يعدهم الشيطان إِلاَّ غرورا(١٢٠)﴾** هُوَ أن يُريَ شَيْئًا يظهر خلافه.

﴿أولَئِكَ مأواهم جهَنَّم وَلاَ يجدون عنها محيصا(١٢١)﴾ معدِلا ومقرًّا[5].

---

١ - «الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضِّراب المعدودة، قيل: عشرة أبطن، فإذا بلغ ذلك قالوا: هَذَا حامٍ، أي حمى ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يُمنع من ماء ولا مرعى. الجوهريُّ...:

فقأتُ لها عين الفحيلِ عيافة وفيهنَّ رَعْلاء المسامعِ والحامي».

ابن منظور: لسان العرب، ١/٧٣١، مادَّة "حما".

٢ - في المنجد: وَشَرَ يشِر وشْرًا أسنانه: حدَّدها ورقَّقها.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «السحاق».

٤ - سورة الروم: ٣٠.

٥ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ومفرًّا».

﴿**وَالذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحات**﴾ و لم يتّبعوا الشيطان فِي الأمر بالكفر، ﴿**سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا أبدا، وعد ا للهِ حقًّا ومن أصدق مِنَ ا لله قيلا(١٢٢)**﴾ قولا، وفائدة هَذِهِ التوكيدات، مقابَلَةُ مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد ا لله الصادق لأوليائه.

﴿**ليس بأمانيكم**﴾ ليس الأمر عَلَى شهواتكم أيُّهَا المشركون والمنافقون، ﴿**وَلاَ أماني أهل الكتاب**﴾، وقيل: ليس مَا وعد ا لله مِنَ الثواب يُنال بأمانيكم أيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَلاَ بأماني أهل الكتاب، وإنّما يُنال بالإيمان والعمل الصالح؛ وقيل: ليس الإيمان بالتمنّي، ولكن مَا وقر فِي القلب، وصدّقه العمل. ﴿**من يعمل سوءا يُجزَ بِهِ، وَلاَ يجِدْ لَهُ من دون ا لله وليًّا وَلاَ نصيرا(١٢٣)**﴾ وهذا وعيد للمفسدين.

﴿**ومن يعمل مِنَ الصالحات**﴾ بِمَا تعبّده ا لله منها، وَمَا تقرّب إِلَيْهِ مِنَ النوافل؛ ﴿**من ذَكَرٍ أو أنثى**﴾ إذ لاَ فرق بينهما فِي العمل، ﴿**وَهُوَ مُؤْمِن؛ فأولئك يدخلون الجنّة وَلاَ يُظلمون نقيرا(١٢٤)**﴾ لاَ يظلمون أعمال السوء فتزادون[1] عذابا فوق مَا يستحقّونه، وَلاَ أعمال[2] الصالحات فينقصون.

﴿**ومن أحسن دينا**﴾ [١١٠] من أحسن مِنْهُ دينا، ﴿**مِمَّن أسلم وجهَه لله**﴾ أخلص نفسه لله وجعلها سالمة لَهُ، لاَ يعرف لها ربًّا ومعبودا سواه، ﴿**وَهُوَ محسِنٌ**﴾ عامل للحسنات، وقيل فِي الحديث: *«الإحسان أن تعبد ا لله*

١ - كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «فَيَرِثُون».

٢ - في الأصل: «ولاعمال».

كأنّك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1]. **﴿واتّبع ملّة إبراهيم حنيفا﴾** مائلا عَن الأديان الباطلة، **﴿واتّخذ ا لله إبراهيمَ خليلا(١٢٥)﴾** عبارة عَن اصطفائه واختصاصه بكرامة شبه كرامة الخليل عند خليله؛ والخليل هُوَ فِي الأصل: المخال الـذِي يخالك، أي: يوافقك فِي خلالك، أو يداخلك خلال منزلك، أو يسدُّ خُللك، كما تسدُّ خلَلَه؛ فالخلّة: صفاء مودّة توجب الاختصاص بتخلُّل الأسرار؛ والمحبَّةُ أصفى، لأنّهُا من حبّة القلب؛ وَالمـَعنَى: تأكيد وجوب اتّباع طريقته، لأنَّ من بلغ مِنَ الزلفى عند ا لله أن اتّخذه خليلا كَانَ جديرا بأن تُتبّع ملّته وطريقته، ليكون ا لله خليله. وهذه الصفات شريفة لاَ تُنال إلاّ بتزكية النفوس من رذائل الأخلاق؛ وفي مضمون هَذِهِ[2]: المرادُ مِنَ الخلق أن يكونوا كلُّهم أخلاّء ا لله، لأنّهُم المخاطبون أن يأتَمُّوا بمن كَانَ عَلَى هَذِهِ المنزلة الشريفة.

﴿و لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ دليل عَلَى أنَّ اتِّخَاذه خليلا باحتياج الخليل إِلَيْهِ، لاَ لاحتياجه تعالى، لأنّهُ منزّه عَن ذَلِك. **﴿وكَانَ ا لله بكل شيء محيطا(١٢٦)﴾** إحاطة علم وقدرة.

---

١ - رواه الإمام الربيع بن حبيب عن أنس بلفظ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْمَلَ للهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». حديث رقم ٥٦، باب [٩] في الإيمان والإسلام والشرائع. ورواه البخاري: كتاب الإيمان، رقم ٤٨؛ كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٤٠٤. مسلم والترمذي والنسائي كلُّهم في كتاب الإيمان. أبو داود: كتاب السنّة. ابن ماجه: المقدِّمة. أحمد: مسند العشرة؛ باقي مسند المكثرين؛ مسند الشاميِّين. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «الإحسان».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «هذا».

﴿ويستفتونك فِي النساء﴾ الإفتاء: تبيين المبهم، **﴿قل: ا لله يفتيكم فيهنَّ، وَمَا يتلى عَلَيْكُم فِي الكتاب فِي يتامى النساء اللاَّتي لاَ تؤتونهنَّ مَا كُتب لهنَّ﴾** قيل: من صداقهنَّ، **﴿وترغبون أن تنكحوهنَّ﴾** أي: فِي نكاحهنَّ لمالهنَّ وجمالهنَّ بأقلَّ من صداقهنَّ، وقيل: حقِّهن مِنَ الميراث؛ لأَنَّهُم كَانُوا لاَ يورِثون النساء، ﴿وترغبون أن تنكحوهنَّ، **والمستضعفين مِنَ الولدان﴾** أي: اليتامى. قيل: كَانُوا فِي الجاهليَّة إنَّما يورِّثون الرجل القوَّام بالأمور، دون الأطفال والنساء. وَالمَعنَى: يفتيكم فِي يتامى النساء، وفِي المستضعفين مِنَ الصبيان أن تعطوهم حقوقهم، وفِي ﴿أن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أي: بالعدل فِي أنفسهم وفِي مواريثهم، تعطوا كلَّ ذي حقٍّ مِنْهُم حقَّه. **﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾** فِي إصلاحهم، وإصلاح أموالهم، لأَنَّهُم لاَ يستقيمون بأنفسهم من دون قائم؛ **﴿وَمَا تفعلوا من خير﴾** من عدل وبرٍّ؛ **﴿فإنَّ ا لله كَانَ بِهِ عليما(١٢٧)﴾** أي: يجازيكم عليه كَانَ قليلا أو كثيرا.

﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ توقَّعت مِنْهُ ذَلِكَ، لِمَا لاح لها من مخايله، وَمَا رأته تجافيا عنها، وترفُّعا عَن صحبتها كراهة لها، ومنعا لحقوقها، **﴿أو إعراضا﴾** بأن يُقِلَّ محادثتَها ومؤانستَها، بسبب كِبَر سنٍّ أو دمامة، أو شيء فِي خُلُق أو خَلْقٍ، أو ملال أو طموحِ عينٍ إِلَى أُخْرَى، أو غير ذَلِكَ؛ **﴿فلا جُناح عليهما أن يصلحا بينهما﴾** صلحا، أن يتصالحا عَلَى [أن] تطيب لَهُ نفسا عَن القسمة، أو عَن بعضها، أو تهب لَهُ بعض المهر أو كلّه، أو النفقة، **﴿والصلح خير﴾** مِنَ الفُرقة، أو مِنَ النشوز، أو مِنَ الخصومة فِي كلِّ

شَيء، أو الصلح خير مِنَ الخيور، كما أنَّ الخصومة شرٌّ مِنَ الشرور. ومن آثار أصحابنا قَالَ فِي هَذِهِ الآيَة: «فمَعِي أَنَّهُ قيل: إنَّ هَـذَا فِي الرجل يكون عنده الزوجة، فيتزوَّج عليها غيرها، ويميل عنها إِلَيْها لمحبَّة، فوسَّع[1] الله للرَّجل ذَلِكَ إِذَا كَانَ عَن رأي زوجته ورضاها أن يتزوَّج عليها إِذَا اصطلحا عَلَى ذَلِكَ، عَلَى مَا اصطلحا عليه من إيثار الآخِرَة[2] عليها فِي [١١١] معاشرة، أو مؤنة إِذَا رضيت بذلك. وأخبر أَنَّ الصلح عَلَى ذَلِكَ إن اتَّفقا خير مِنَ المشاق والفراق، فإن لم يتَّفقا و لم يصطلحا، فليس إِلاَّ الحكم من إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان بين الزوجين». هكذا وجدته فِي زيادة جامع ابن جعفر، وأظنُّه أَنَّهُ عَن أبي سعيد.

﴿وأُحضرت الأنفس الشحَّ﴾ أي: جعل الشحُّ حاضرا لها، لاَ يغيب عنها أبدا؛ وَلاَ تنفكُّ عَنْهُ، يَعنِي: مطبوعة عليه، والمراد أنَّ المرأة لاَ تكاد تسمح بقسمها ببيتها، والرجل لاَ تكاد نفسُهُ تسمح بأن يقسم لها إِذَا رغِب عنها، فكلٌّ وَاحِد منهما يطلب مَا فِيهِ راحته، ثُمَّ حثَّ عَلَى مخالفة الطبع ومتابعة الشرع، بقوله: ﴿وإن تحسنوا﴾ بالعفو والمسامحة، وترك الشحِّ، أو الإقامة عَلَى المعاشرة لنسائكم، وإن كرهتموهنَّ إِذَا كَانَ فِي الإمساك يرجى صلاح أكثر مِنَ الفرقة، ﴿وتتَّقوا﴾ النشوز أو الإعراض، وَمَا يؤدِّي إِلَى الأذى والخصومة، ﴿فإنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الإحسان والصبر والتقوى،

---

١ - يمكن أن نقرأ: «بوسع».

٢ - كذا في الأصل، وَلَعَلَّ الأصوب: «الأخرى»، أي الزوجة الأخرى.

﴿خبيرا(١٢٨)﴾ فيثيبكم عليه. قيل: كَانَ عمران الخارجي من أدمِّ بني آدم، وأمرأته من أجملهم، فنظرت إِلَيْهِ، وقالت: «الحمد لله عَلَى أنَّني وإيَّاكَ من أهل الجنَّة»، قَالَ: «كيف»؟ قالت: «لأنَّك رُزِقتَ مثلي فشكرتَ، ورُزِقتُ مثلك فصبرتُ، والجنَّة موعَدَة للشاكرين والصابرين».

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية، حتَّى لاَ يقع ميلٌ البتَّة، فتمام العدل أن يسوَّى بينهنَّ فِي المحبَّة والجماع، وذلك لاَ يطاق فِي قوى الشرِّ، بَل واجب أن يسوَّى بينهنَّ فِي المبيت وفي أداء الواجب لهنَّ؛ وكان عليه السلام يقسم بين نسائه، فيعدل فيقول: «هِيَ قسمتي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك وَلاَ أملك»[1]، يَعنِي: المحبَّة، ﴿ولو حرصتم﴾ بالغتم فِي تحرِّي ذَلِكَ، ﴿فلا تميلوا كلَّ الميل﴾ بترك المستطاع، "فإنَّ مَا لاَ يدرك كلُّه لاَ يترك كلُّه". ﴿فتذروها كالمعلَّقة﴾ أي: فتقدعوا[2] الآخرى كالمنوطة، وهي التِي ليست بذات بعل، وَلاَ مطلَّقة، ﴿وإن تصلحوا﴾ بينهنَّ، ﴿وتتَّقوا﴾ الجور، ﴿فإنَّ الله كَانَ غَفُورا﴾ لما لاَ يستطاع فعله، ﴿رحيما(١٢٩)﴾.

﴿وإن يتفرَّقا﴾ أي: إن لم يصطلح الزوجان عَلَى شيء، وتفرَّقا بالخلع، أو بتطليقه إيَّاها، وإيفائه مهرها ونفقة عدَّتها، ﴿يُغنِ الله كُلاًّ﴾ كلَّ وَاحِد

---

١ - رواه الترمذيُّ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا، فِي كتاب النكاح، رقم ١٠٥٩. والدارميُّ فِي كتاب النكاح، رقم ٢١١٠.

٢ - فِي اللسان: قَدَع يَقدَعُ قَدعًا والقَدْعُ: هو الكفُّ والمنع والكَبح؛ وفي الحديث: «اقدَعوا هَذِهِ النفوس فإنَّها طُلَعة». ابن منظور: لسان، ٣٤/٥.

منهما، ﴿مِن سَعَتِه﴾ من غناه، أي: يرزقه زوجا خيرا من زوجه، وعيشا أهنأ من عيشه. ﴿وكَانَ ا لله واسعا﴾ من حيث أحلَّ استبدال الأزواج، ﴿حكيما(١٣٠)﴾ بالإذن فِي السراح، فالسعة: الغنى والقدرة، والواسع: الغنيُّ المقتدر، ثُمَّ بيَّن غناه وقدرته بقوله:

﴿و لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ خَلْقًا، والمتملّكون عبيدَه رقًّا.

﴿ولَقَد وصَّينا الذِينَ أوتوا الكتاب﴾ هُوَ اسم للجنس، ويتناول الكتب السماويَّة، ﴿من قبلكم﴾ مِنَ القرون الخالية، ﴿وإيَّاكم أن اتَّقُوا ا لله﴾ المَعنَى: أنَّ هَذِهِ وَصِيَّة قديمة مِنَ ا لله لعباده، لستم بها مخصوصين، لأَنَّهُم بالتَّقوى يوحِّدونه، وبه يسعدون ويفوزون. ﴿وإن تكفُرُوا﴾ المعنى: أمرناهم وأمرناكم بالتَّقوى، وقلنا لَهُم: ﴿وإن تكفرُوا فإنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض وكَانَ ا لله غنيًّا﴾ عَن خلقه وعن عبادتهم إن أطاعوه، فلا يزيد فِي ملكه شيء، وإن كَفَرُوا فلا يُنقص من سلطانه شيء، ﴿حميدا(١٣١)﴾ مستحقًّا لأن يحمد لكثرة نعمه، وإن لم يحمده أحد. وتكرير [١١٢] قوله: ﴿و لله[1] مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ تقرير لما هُوَ موجبٌ توحيدَه وتقواه، لأَنَّ الخلق لـمَّا كَانَ كلُّه لَهُ وَهُوَ خالقهم ومالكهم، فحقُّه أن يكون مطاعا فِي خلقه غير مَعصيٍّ، وفيه دليل عَلَى أنَّ التَّقوى أصل الخير كلّه فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، وأنَّ الكفر أصل الشرِّ كلّه فِي الدُّنْيَا والآخِرَة.

١ - فِي الأصل: «لله» وهو سهو.

﴿و لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض، وكفى با لله وكيلا(١٣٢)﴾ فاتَّخذوه وكيلا وَلاَ تتَّكلوا عَلَى غيره، وحقيقة التوكُّل: الانقطاع إِلىَ ا لله بالكلِّية. ثُمَّ خوَّفهم وبيَّن قدرته بقوله:

﴿إن يشأ يذهِبْكم﴾ يعذِّبكم ﴿أَيُّهَا الناس﴾ إن عصيتموه، ﴿ويأت بآخرين﴾ ويُوجِد إنسا آخرين مكانكم، أو خلقا آخرين غير الإنس أطوع منكم. ﴿وكَانَ ا لله عَلَى ذَلِكَ قديرا(١٣٣)﴾ بليغ القدرة.

﴿من كَانَ يريد ثواب الدُّنْيَا﴾ كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة، ﴿فعند ا لله ثواب الدُّنْيَا والآخِرَة﴾ فما لَهُ يطلب أحدهما دون الآخر، والذي يطلبه أخسُّهما، لأنَّ من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة، وَلَهُ من ثواب الآخِرَة، ﴿وكَانَ ا لله سميعا بصيرا(١٣٤)﴾ هُوَ وعد ووعيد.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كونوا قوَّامين بالقسط﴾ مجتهدين فِي إقامة العدل، حتَّى لاَ يقع منكم ميل إِلىَ الهوى، ﴿شهداء لله﴾ تشهدون للمحقِّين بالْحَقِّ، وعلى الْكَافِرِينَ بالكفر، أو تقيمون شهادتكم لوجه ا لله، ﴿ولو عَلَى أنفسكم﴾ ومن القيام فأولى بالمرء نفسه[1]، وعلى كلٍّ أحد أن يقوم لها وعليها، بِمَا يرجو لها بِهِ الفكاك، وبما يرجوا أن يسلم بِهِ مِنَ الهلاك، ثُمَّ عليه القيام بعد ذَلِكَ عَلَى أهله وأقاربه الأقرب فالأقرب، عَلَى مَا يبلغ إِلَيْهِ طَوله مِنَ القيام لَهُم بالقسط وعليهم، ثُمَّ بعد ذَلِكَ حيث بلغت قدرته، ليس معه لذلك غاية، وَلاَ لَهُ معه نهاية، حتَّى يموت عَلَى ذَلِكَ إن شاء ا لله.

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «ومن القيام بالقسط أن يبدأ المرء بنفسه».

ومن القيام بالقسط لله أن يشهَد لَهُ بالوحدانيَّة، وأنَّهُ ربٌّ معبود، وعلى نفسه أَنَّهُ عبد لَهُ، ويندرج فِي هَذِهِ الشهادةِ الشهادةُ بالحقوق والتحقيق، ﴿**أو الوالدين والأقربين**﴾ أي: ولو كَانَت الشهادة عَلَى أقاربكم، ﴿**إن يكن**﴾ المشهود عليه ﴿**غنيًّا**﴾، فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه، ﴿**أو فقيرا**﴾، فلا يمنعها ترحُّما عليه، ﴿**فا لله أولى بهما**﴾ بالغنيِّ والفقير، أي: بالنظر لهما والرحمة. ﴿**فلا تتَّبعوا الهوى**﴾ إرادة أن تعدلوا عَن الحقِّ، مِنَ العدول، وكراهة ﴿**أن تعدلوا**﴾ بين الناس، مِنَ العدل أن تلووا (بواوين) ﴿**وإن تلووا**﴾ ألسنتكم عَن شهادة الحقِّ أو حكومة العدل، ﴿**أو تعرضوا**﴾، وقيل: بواو وَاحِدَة وضمِّ اللاَّم مِنَ الولاية، ﴿**فإنَّ ا لله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرا(١٣٥)**﴾ إن أطعتموه أو عصيتموه؛ وذلك يتناول الترغيب والتخويف.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا**﴾ خطاب لمن آمن باللِّسان، ﴿**آمِنُوا**﴾ أي: صدِّقوا بالقلوب، وذلك بمعنى اليقين والمعرفة، ﴿**با لله ورسوله والكتاب الذِي نزَّل عَلَى رسوله**﴾ أي: القرآن، ﴿**والكتاب الذِي أنزل من قبلُ**﴾ أي: جنس مَا أنزل عَلَى الأنبياء قبله مِنَ الكتب. قَالَ أبو سعيد: «إنـَّمَا وجدنا تأكيد الإيمان من كِتَاب ا لله؛ إنـَّمَا وجدناه إيمان التصديق واليقين أو المعرفة، وإنـَّما يخاطب بذلك المقرِّين بالجملة». ﴿**ومن يكفر با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**﴾ أي: ومن لم يصدِّق بشيء من ذَلِكَ بقلبه، ﴿**فقد ضلَّ ضلالا بعيدا(١٣٦)**﴾ لأنَّ الكفر ببعضه كفر بكلِّه.

﴿إِنَّ الذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَـرُوا ثُـمَّ ازدادوا كفـرا[1] لم يكن ا لله لِيَغْفِرَ لَهُم وَلاَ ليهديَـهم سبيلا(١٣٧)﴾ أي: طريقا إِلىَ الجـنّة.

[١١٣] ﴿بشر المنافقين﴾ أي: أخبرهم، والبشارة: كلُّ خبر تتغيـر بشـرة[2] الوجه سارًّا كَانَ أو غير سارٍّ، ﴿بأَنَّ لَهُم عذابا أليما(١٣٨)﴾ فِي الدارين.

﴿الذِينَ يتَّخذون الْكَافِرِينَ أولياء من دون المؤمنين، أيبتغُونَ[3] عندهـم العزَّة﴾؛ كَانَ المنافقون يوالون الكفرة يطلبـون مِنـْهُم المنعـة والنصـرة. ﴿فـإِنَّ العِزَّة لله جميعا(١٣٩)﴾ لأَنَّ ا لله مالك الأمور كلِّها، ومالك قلوب الْكَافِرِينَ الذِينَ يريدون منها العِزَّة.

﴿وقـد نـزّل عَلَيْكُـم فِي الكتـاب أن إِذَا سمعتـم آيـات ا لله يُكفـر بهـا ويُستهزأ بها﴾ قيل: دخل فِي هَذِهِ [الآية] كلُّ محدِث فِي الديـن، وكـلُّ مبتـدع إِلىَ يـوم القيامـة. ﴿فـلا تقعـدوا معهـم﴾ أي: لاَ تشـركوهم فِي كفرهـم واستهزائهم، ﴿حتىَّ يخوضوا فِي حديث غيره﴾ حتَّى يشرعوا فِي كـلام غـير الفكـر[4]، ﴿إِنـَّكُم إِذًا مثلهـم﴾ فِي الـوزر، إِذَا قعـدتم معهـم لأجـل اسـتماع الخوض والاستهزاء، أو رضيتم بفعلهم. ﴿إِنَّ ا للهَ جـامعُ المنـافقين والْكَـافِرِينَ فِي جَهَنَّـم جميعا(١٤٠)﴾ لاجتماعهم فِي الكفر والخوض والاستهزاء.

---

١ - في الأصل: لم يذكر هذه الآية «ثم ازدادوا كفرا» وهو سهو من الناسخ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يغير بشرة» أو «تتـغيَّر به بشرة الوجه».

٣- في الأصل: «أيبغون»وهو خطأ.

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «الكفر».

﴿**الذِينَ يـتربَّصون**﴾ ينتظرون ﴿**بكـم**﴾، مَـا يحدث بكـم، مـن ظفـر أو عكسه، ﴿**فإن كَـانَ لكـم فتـح مِـنَ ا للهِ**﴾ نصـر وغنيمـة، ﴿**قَـالُوا: ألم نكـن معكم**﴾ مظاهرين فأشركونا فِي الغنيمة، ﴿**وإن كَانَ للكَافِرِينَ نصيب**﴾ سمَّـى ظفـر الـمُسْلِمِينَ فتحـا، تعظيمـا لشـأنهم، لأَنـَّهُ أمـر عظيـم تفتـح لَـهُ أبـواب السَّمَـاء؛ و[سمَّـى] ظفـر الْكَـافِرِينَ نصيبـا تخسيسـا لحظِّهـم، لأَنـَّهُ قطعـة مِـنَ العذاب تصيبهم، ﴿**قَالُوا**﴾ الكُفَّار: ﴿**ألم نستحوذ عليكـم**﴾ الاستحواذ مِـنَ الاستيلاء والغلبة، كما قَالَ: ﴿اسـتحوذ عَـلَـيْـهِـم الشـيطان﴾[1] أي: استولى عَـلَـيْـهِـم وغلبهم، يقول: ألم نخبركم بعودة محمَّـد ﷺ وأصحابـه وبـإطلاعكم عَلَى سرِّهم؛ وقيل: يقول المنافقون لِلكُفَّارِ: ألم نغلبكم عَلَى رأيكم، ﴿**ونمنعْكم مِنَ المؤمنين**﴾ بِأَن ثبـَّطناهم عنكم، وخيَّلنا لَهُم مَا ضعفت قلوبهم بِهِ، وقصَّروا فِي قتالكم؛ فهاتوا نصيبا مِمَّـا أصبتـم، ﴿**فـا للهُ يحكـم بينكـم**﴾ أيـُّهَا المؤمنـون والمنافقون، ﴿**يوم القيامة**﴾ فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجـنَّة، ﴿**ولن يجعـل ا للهُ للكَافِرِينَ عَلَى المؤمنين سبيلاً(١٤١)**﴾ بَل لَهُم عَـلَـيْـهِـم السبيل.

﴿**إنَّ المنافقين يخادعون ا للهَ**﴾ أي: يفعلون مَا يفعـل المخـادع مـن إظهـار الإيمان وإبطان الكفر. ﴿**وَهُوَ خادعهم**﴾ وَهُوَ خادعهم بالاسـتدراج والإمـلاء من حيث لاَ يَعْلَمُونَ، وكَانَ ذَلِـكَ مِنـْهُ عَلَى سبيل الجـزاء، لـمَّا أن أظهـروا الإيمـان بالظـاهر وأخفـوا المعـاصي، أظهـر ا للهُ لَهُـم النعـم الظـاهرة، وألبـس عَـلَـيْـهِـم مَا يلبسون عَلَى أنفسهم، حيث تصامموا وتعـاموا عَـن الحـقِّ، فـيرون

---

١ - سورة المجادلة: ١٩.

أَنـَّهُم مهتدون. ﴿وإذا قاموا إِلىَ الصلاة قاموا كُســالى﴾ متثـاقلين كراهـة، لاَ يريدون بها وجه ا للهِ، وَلاَ يرجون عليها ثوابا، وَلاَ يخافون مـن تركهـا عقابـا؛ ثـمَّ فسَّر إقبالهم إِلَـيْهِا كسالى بقوله: ﴿يـُراءون النـاسَ﴾ أي: يقصـدون بصلاتهم الرياء والسمعة، ﴿وَلاَ يَذْكُرون ا للهَ إِلاَّ قليلا(١٤٢)﴾ إذ المرائي لاَ يفعل إِلاَّ بحضرة من يرائيه، وَهُـوَ أقلُّ أحواله، أو لأَنَّ ذكرهم باللِّسان قليل بالإضافة إِلىَ الذكر بالقلب. وقيل: المراد بالذكر الصلاة، وقيـل: الذكـر فِيهَـا، فإِنـَّهُم لاَ يذكرون فِيهَا غير تكبيرة الإحرام والتسليم. وقيـل: لاَ يذكـرون ا للهَ بإخلاص. وقيل: لاَ يذكـرون ا للهَ فِي جميـع الأحـوال كمـا يجـب عليهـم، بَـل يذكرونه فِي شيء دون شيء، وذلك لاَ ينفع.

﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ أي: متردِّدين[1] حياري، يَعنِي: ذبذبهـم الشيطان والهـوى، بين الإيمان والكفر؛ فَهُم متردِّدون بينهما متحيـِّرون، يَعْمَلُونَ الطاعـات عقيـب المعاصي، والمعاصي [١١٣] عقيب الطاعات[2] مثـل التِـي نقضـت غزلهـا مـن بعد قوَّة أنكاثا[3]. ﴿بين ذَلِكَ﴾، بين عمل الكفر والإيمـان، ﴿لاَ إِلىَ هـؤلاء﴾ لاَ منسوبين إِلىَ أهل الشرك بإظهارهم الإيمان بالألسنة، ﴿وَلاَ إِلىَ هؤلاء﴾ وَلاَ إِلىَ أهل الإيمان لأَنـَّهُم لم يعملوا عملهـم، أو لاَ صـائرين إِلىَ أحدهـم بالكلِّيـة. ﴿ومن يضللِ ا للهُ فلن تجدَ لَهُ سبيلا(١٤٣)﴾ طريقا إِلىَ الهدى.

---

١ - فِي الأصل: «مرددين». وَهُوَ خطأ.

٢- فِي الأصل: «الطاعطات»، وهو خطأ.

٣ - اقتباس من قوله تعالى: ﴿ولا تكُونوا كـالتِي نَقَضـت غزْلَهَـا مِـن بعـدِ قـوَّةٍ أنكاثـا تتـَّخذون أيْمانكم دَخَلا بينكم أن تكونَ أُمَّةٌ هي أربَى من أُمـَّة﴾. سورة النحل: ٩٢.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تتَّخذوا الْكَافِرِينَ أولياء من دونِ المؤمنين﴾ فإِنَّهُ صنيع المنافقين وديدنهم فلا تشبَّهوا بهم، ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عَلَيْكُم سلطانا مبينا(١٤٤)﴾ حجَّة بيِّنة فِي تعذيبكم.

﴿إنَّ المنافقين فِي الدَّرَكِ الأسفلِ مِنَ النار﴾ أي: فِي الطبق الذِي فِي قعر جَهَنَّم، والنار: سبع دركات سمِّيت[1] بذلك لأَنَّهَا متداركة، متتابعة بعضها فوق بعض؛ وقيل: فِي توابيت من حديد مقفلة عليهم، تتوقَّد فِيه[2] النار؛ وإنَّما كَانَ المنافق أشدَّ عذابا مِنَ الكافر، لأَنَّهُ مثله فِي الكفر، وضمَّ إِلَى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله. ﴿ولن تجد لَهُم نصيرا(١٤٥)﴾ يمنعهم مِنَ العذاب.

﴿إلاَّ الذِينَ تابوا﴾ من نفاقهم، ﴿وأصلحوا﴾ مَا أفسدوا، ﴿واعتصموا با لله﴾ ووثقوا بِهِ، كما يثق المؤمنون الخلَّص، وَهُم المنقطعون إِلَيْهِ بالكلِّية، ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ لاَ يبتغون بطاعتهم إِلاَّ رضاه عَنْهُم، ﴿فأولئك مَعَ المؤمنين﴾ رفاقهم فِي الدارين، لَهُ مَا لَهُم، ﴿وسوف يُؤتِ ا لله المؤمنين أجرا عظيما(١٤٦)﴾ فيشاركونهم فِيهِم. ثُمَّ استفهم مقرِّرا أَنَّهُ لاَ يعذِّب المؤمن الشاكر فقال:

﴿مَا يَفعَل ا لله بعذابكم إن شكرتم﴾ نِعم ا لله ﴿وآمنتم﴾، أيتشفَّى بِهِ غيظا؟[3] أو يدفع ضرًّا؟ أو يستجلب بِهِ نفعا؟ وَهُوَ الغنيُّ المتعالي عَن النفع

١ - فِي الأصل: «سمت»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «فيها».

٣ - فِي الأصل: «غيضا»، وهو خطأ.

والضرِّ، وإنَّما يعـاقب المصرَّ بكفـره، لأَنَّ إصـراره كسـوء مـزاج، يـؤدِّي إِلَى مرض؛ فإذا أزاله بالإيمان والشكر، ونقَّى عَنْـهُ نفسـه، يخلـص مـن اتـّبعته[1]. ﴿وكَانَ ا لله شاكرا﴾ يجزيكم[2] عَلَـى شـكركم، أو يقبـل اليسـير مِـنَ العمـل ويعطى الجزيل مِنَ الثواب، ﴿عليما(١٤٧)﴾ عالما بِمَا تصنعون.

﴿لاَ يُحِبُّ ا لله الجهرَ بالسوء مِنَ القول إلاَّ مَن ظُلِم﴾ أي: ومن ظُلم لاَ يُحِبُّ ا لله الجهر مِنْهُ، ﴿وكَانَ ا لله سميعا عليمـا(١٤٨)﴾ بظلـم الظـا لم؛ ثُـمَّ حـثَّ عَلَى العفـو، وأن لاَ يجهـر أحـد لأحـد بسـوء، وإن كَـانَ عَلَـى وجـه الانتصار، فقال:

﴿إن تبدوا خيرا﴾ أي: تظهروه، ﴿أو تخفوه﴾ أو تسرُّوه، ﴿أو تعفوا عَن سوء﴾ أي: عَن مظلمة؛ أي: تمحوه عَن قلوبكم اختيـارا للثـواب. ﴿فـإنَّ ا لله كَانَ عفوًّا قديرا(١٤٩)﴾ أي: أَنَّهُ لم يزل يعفو عَـن الآثـام مَـعَ قدرتـه عَلَى الانتقام؛ فعليكم أن تقتدوا بسنَّته وتتـّصفوا بأوصافه.

﴿إنَّ الذِينَ يكفرون با لله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين ا لله ورسله﴾ بِأن يؤمنوا با لله، ويكفرُوا برسله، ﴿ويقولون: نؤمن ببعض، ونكفر ببعـض﴾ كاليهود كَفَرُوا بعيسى ومحمَّد والإِنجيل والقرآن، وكالنصارى كَفَـرُوا بمحمَّـد والقرآن، وكذلك من ردَّ حجَّة عالم أقام عليه بشيء من دين ا لله، أو ردَّ حـقًّا ألهمه ا لله إيـَّاه من عقله، أو أعرض عَن آيـَة من آيات ا لله تعالى، فهو داخل فِي

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تَبِعَاتِه».

٢ - في الحاشية كتبت كلمة «الحزوء» وهي غير مفهومة بعد «يجزيكم».

معنى هَذِهِ الآيـَة. ﴿ويريـدون أن يتـّخذوا بـين ذَلِـكَ سبيلا(١٥٠)﴾ أي: ذنبا[1] وسطا بين الإيمان والكفر.

﴿أولَـئِكَ هم الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الكاملون فِي الكفر، لأَنَّ الكفر بوَاحِد كفر بالكلِّ؛ ﴿حـقًّا﴾ تأكيد لمضمون الجملة، كقولـك: هَـذَا عبـد الله حـقًّا، أي: حقَّ ذَلِكَ، وَهُوَ كونهم كاملين فِي الكفر، أو هُـوَ صفـة لمصـدر الْكَـافِرِينَ هـم الذِينَ كَفَرُوا حقًّا ثابتا يقينا [١١٤] لاَ شكَّ فِيهِ، ﴿وأعتدنـا للكَـافِرِينَ عذابـا مهينا(١٥١)﴾ معجَّلا ومؤجَّلا.

﴿وَالذِينَ آمَنُوا با لله ورسله﴾ كلِّهم، و لم يردُّوا حجَّة ا لله [لـمَّا] قـامت عليهم، ﴿ولم يفرقوا بين أحد مِنـْهُم﴾ لمن وصفهم [كَـذَا]، ﴿أولَـئِكَ سـوف يؤتيهم أجورهم﴾ فِي الدارين بإيمانهم با لله وكتبه ورسله. ﴿وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(١٥٢)﴾ (لَعَلَّهُ) يَعنِي: مِنَ الرسل، والمؤمنون يقولون: ﴿لاَ نفـرِّق بـين أحد من رسله﴾[2].

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عَـلَـيْـهِـم كِتَابـًا مِـنَ السَّمَـاءِ﴾ قيـل: كِتَابـًا محرَّرا بخط سماويٍّ عَلَى ألواح، كما كَـانَت التـَّوْرَاة، أو كِتَابـًا نعاينـه حين ينزل، أو كِتَـابـًا إلينا بإعياننا...[3] بأنَّـك رسول ا لله وإنـَّما اقترحوا ذَلِكَ

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: «دِينـًا».

٢ - سورة البقرة: ٢٨٥. والعبارة من قوله: «(لَعَلَّهُ) يعني» إِلىَ آخر الآيـَة، غـير واضحـة إذ كـثر فيها التشطيب وإعادة الكتابة فوق الكلمات المشطوبة نفسها.

٣ - فراغ في الأصل قدر كلمة، تقديرها: «يـُثـبِـتُ».

عَلَى سبيل التعنُّت. قَالَ الحسن: «لو سألوه لكـي يَتبيَّنوا الحقَّ لأعطاهم، وفيما آتاهم كفاية». ﴿**فقد سألوا موسى أكبر من ذَلِكَ**﴾ أي: أعظم من ذَلِكَ؛ وإنَّما أسند السؤال إِلَيْهِم وإن وجد من آبائهم، لكونهم راضين بسؤالهم جهرة، ﴿**فَقَالُوا: أرنا ا لله جهرة**﴾ عيانا؛ ﴿**فأَخَذتهم الصاعقة**﴾ قيل: نار جاءت مِنَ السَّمَاء فأهلكتهم ﴿**بظلمهم**﴾ عَلَى أنفسهم، بسؤال شيء فِي غير موضعه، أو بالتحكُّم عَلَى نبيِّهم، ﴿**ثمَّ اتَّخذوا العجل**﴾ إلها، ﴿**من بعد مَا جاءتهم البينات؛ فعفونا عَن ذَلِكَ**﴾ تفضُّلا، و لم نستأصلهم بالهلاك، قيل: هَذَا استدعاء إِلَى التوبة، مَعنَاهُ: أُولَئِكَ الذِينَ أجرموا تابوا فعفونا عَنْهُم، فتوبوا أَنتُم حتَّى نعفو عنكم مثلهم. ﴿**وآتينا موسى سلطانا مبينا(١٥٣)**﴾ حجَّة ظاهرة.

﴿**ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا، ﴿**وقلنا لَهُم**﴾ والطور مظلٌّ عليهم: ﴿**ادخلوا الباب سُجَّدا**﴾ متواضعين منقادين، غير متعالين عَلَى ا لله وعلى رسله وكتبه، ﴿**وقلنا لَهُم: لاَ تعدُّوا**﴾ لاَ تجاوزوا الحدَّ، ﴿**فِي السبت**﴾ مَعنَاهُ: لاَ تعدُّوا لاَ تظلموا باصطياد[1] الحيتان فِيهِ. ﴿**وأَخَذنا مِنهُم ميثاقا غليظا(١٥٤)**﴾ قيل: قولهم سمعنا وأطعنا، أو خلقهم عَلَى الفطرة.

﴿**فَبِمَا نقضِهِم ميثاقَهم وكفرِهم بِآيَاتِ ا لله، وقتلِهم الأنبياءَ بغير حقٍّ**﴾ بغير سبب يستحقُّون القتل، ﴿**وقولهم: قلوبنا غُلف**﴾ أي: محجوبة لاَ يتوصَّل

١- في الأصل: «باصياد»، وهو خطأ.

إِلَيْها شيء مِنَ الذكر والوعظ، وقيل: أوعية للعلوم، أو ﴿فِي أكنَّة مِمَّا تدعونا إِلَيْهِ﴾[1]، فقال مكذِّبا لَهُم: ﴿بَل طَبَعَ ا للهُ عليها بكفرهم﴾ فجعلها محجوبة عَن العلم، لِمَا فِيهَا مِنَ التجاهل، أي: منعها الإلطاف، وخذلها بسبب كفرهم، فصارت كالمطبوع عليها، ﴿فلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قليلا(١٥٥)﴾ مِنْهُم، أو إيمانا غير خالص، وَلاَ منتفَع بِهِ إِلاَّ فِي دار الدُّنْـيَا، أو الإيمان ببعض والكفر ببعض، كما قَالَ: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾؟[2] وكأنَّ هَذَا أصحّ.

﴿وبكفرهم وقولهم عَلَى مَرْيَم بهتانا عظيما(١٥٦)﴾ هُوَ النسبة إِلَى الزنا.

﴿وقولِهم: إِنَّا قَتَلنا المسيحَ عيسى ابنَ مَرْيَم رسولَ ا للهِ﴾ سُمِّي مسيحا قيل: لأَنَّ جبريل عليه السلام مسحه بالبركة، أو لأَنَّهُ كَانَ يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ، فسمِّي مسيحا بمعنى الماسح. ﴿وَمَا قتلوه وَمَا صلبوه، ولكن شُبِّه لَهُم؛ وإِنَّ الذِينَ اختلفوا فِيهِ لفي شكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ من علم، إِلاَّ اتباع الظن﴾ اتِّباع الظنِّ ليس من جنس العلم، ﴿وَمَا قتلوه يقينا(١٥٧) بَل رَفَعَه ا للهُ إِلَيْهِ وكَانَ ا للهُ عزيزا حكيما(١٥٨)﴾.

﴿وإن من أهل الكتاب إِلاَّ ليؤمننَّ بِهِ قبل موته﴾ قيل: ليس أحد من أهل الكتاب إِلاَّ ليؤمننَّ بِهِ قبل موته، يَعنِي: إِذَا عاين أسباب الموت، حين لاَ ينفعه إيمانه، لانقطاع وقت التكليف والاختيار. ﴿ويوم[3] القيامة [١١٦] يكون عَلَيْهِم شهيدا(١٥٩)﴾ كما قَالَ: ﴿فكيف إِذَا جئنا من كلِّ أمَّة بشهيد﴾[4].

١ - سورة فصِّلت: ٥.

٢ - سورة البقرة: ٨٥.

٣- فِي الأصل: «ويو» وهو خطأ.

٤ - سورة النساء: ٤١.

﴿فبظلم مِنَ الذِينَ هادوا حرَّمنا عَلَيْهِم طيبات أُحلّت لَهُم﴾ دينية ودنيويَّة كما قَالَ: ﴿وَعَلَى الذِينَ هادوا حرَّمنا كلَّ ذي ظفر﴾[1] وَالمَعنَى: مَا حرَّمنا عَلَيْهِم الطَّيِّبَات إلاَّ لظلم عظيم ارتكبوه، وَهُوَ مَا عُدِّد قبل هَذَا. ﴿وبصدهم عَن سبيل ا لله﴾ وبصرفهم أنفسهم وغيرهم عَن الإيمان، ﴿كثيرا(١٦٠)﴾ خلقا كثيرا.

﴿وأَخْذِهم الربا، وقد نُهُوا عَنْهُ، وأكلِهم أموال الناس بالباطل، وأعتدنا للكَافِرِينَ مِنْهُم عذابا أليما(١٦١)﴾ فِي الدارين.

﴿لكن الراسخون فِي العلم﴾ أي: الثابتون فِيهِ المتقنون لدقائقه، ﴿مِنْهُم﴾ من أهل الكتاب، ﴿والمؤمنون﴾ مِنَ المهاجرين والأنصار، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أنزل إليك وَمَا أُنزل من قبلك﴾ القرآن وَمَا تقدَّمه، ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون با لله واليوم الآخر، أُولَـئِكَ سنؤتيهم أجرا عظيما(١٦٢)﴾ فِي الدارين.

﴿إِنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إِلَىَ نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إِلَى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ قيل: أولاده، ﴿وعيسى وأيُّوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا(١٦٣)﴾.

﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبلُ، ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ الذِينَ خصَّهم بالذكر مَعَ اشتمال النبيِّين عَلَيْهِم تعظيما لَهُم، ﴿وكلَّم ا لله موسى تكليما(١٦٤)﴾.

---

١ - سورة الأنعام: ١٤٦.

﴿**رسلا مبشرين ومنذرين، لئلاَّ يكون لِلنـَّاسِ عَلَى ا لله حجَّة بعد الرسل**﴾ تنبيه عَلَى أنَّ بعثة الأنبياء إِلىَ الناس ضرورة، لقصور الكلِّ عَن إدراك جزئيات المصالح، والأكثرِ عَن إدراك كلِّياتها، وفيه دليل عَلَى أنَّ ا لله تعالى لاَ يعذِّب الخلق إلاَّ بعد بعثه الرسل لقوله: ﴿وَمَا كُنـَّا معذِّبين حتَّى نبعث رسولاً﴾[1]. ﴿**وكَانَ ا لله عزيزا حكيما(١٦٥)**﴾ فِي بعث الرسل للإنذار.

وَلَـمَّا نزل ﴿إنـَّا أوحينا إليك...﴾ قَالُوا: مَا نشهد لك بهذا فنزل: ﴿**لكن ا لله يشهد بِمَا أنزل إليك**﴾ ومعنى شهادة ا لله بِمَا أنزل إِلَيْهِ: إثباته لصحَّته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بِالبَيِّنَاتِ، إذ الحكيم لاَ يُؤَيِّدُ الكاذب بالمعجزة، ﴿**أنزله بعلمه**﴾ بعلمه الذِي يحتاج إِلَيْهِ الناس، فِي معاشهم ومعادهم، ﴿**والمَلاَئِكَةُ يَشهَدون**﴾ لك بالنبوءة، وفيه تنبيه عَلَى أَنـَّهُم يودُّون أن يعلموا صِحَّة دعوى النبوءة عَلَى وجهٍ يستغني عَن النظر والتأمُّل، وهذا النوع من خواصِّ الملك، وَلاَ سبيل للإنسان إِلىَ العلم بأمثال ذَلِكَ سوى الذكر والنظر؛ فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوَّتك وشهدوا بها. ﴿**وكفى با لله شهيدا(١٦٦)**﴾ شاهدا وإن لم يشهد غيره.

﴿**إنَّ الذِينَ كَفَرُوا**﴾ بتكذيب محمَّد ﷺ، ﴿**وصدُّوا عَن سبيل ا لله**﴾ ومنعوا الناس عَن سبيل الحقِّ، ﴿**قد ضلُّوا ضلالا بعيدا(١٦٧)**﴾ عَن الحقِّ، لاَ يستطيعون الرجوع إِلىَ الهدى، وَلاَ يرجى لَهُم مَا داموا عَلَى الكفر.

---

١ - سورة الإسراء: ١٥.

﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وظلموا لم يكن ا لله ليَغْفِر لَهُم﴾ مَا داموا عَلَى الكفر، **﴿وَلاَ ليهديَهم طريقا(١٦٨) إِلاَّ طريق جَهَنَّم خالدين فِيهَا أبدا، وكَانَ ذَلِكَ عَلَى ا لله يسيرا(١٦٩)﴾** مقيمين عَلَى الإصرار لاَ تقع مِنْهُم (لَعَلَّهُ) طاعة، وَلاَ يتأتىَّ مِنْهُم إِلاَّ مَا يقرِّبهم إِلَى جَهَنَّم، ويبعدهم مِنَ الجنَّة والرحمة.

﴿يَا أَيُّهَا الناس قد جاءكم الرسول بِالْحَق من ربكم؛ فآمنوا خيرا لكم وإن تكفرُوا فإنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَات والأَرْض﴾ لاَ يتضرَّر بكفركم كما لاَ ينتفع بإيمانكم، **﴿وكَانَ ا لله عليما﴾** بأحوالكم، [١١٧] **﴿حكيما(١٧٠)﴾** فِي مَا دبَّر لكم.

﴿يا أهل الكتاب لاَ تغلوا فِي دينكم﴾ لاَ تجاوزوا[1] الحدَّ فغلت اليهود فِي حطِّ المسيح عَن منزلته، حتَّى قَالُوا: إِنَّهُ ابن الزنى، وغلت النصارى فِي رفعه عَن مقداره حيث جعلوه ابن ا لله، **﴿وَلاَ تقولوا عَلَى ا لله إِلاَّ الحقَّ﴾** وَهُوَ تنزيه عمَّا لاَ يليق بِهِ. **﴿إِنَّمَا المسيحُ عيسى ابنُ مَرْيَم﴾** لاَ ابن ا لله، **﴿رسول ا لله، وكلمته﴾** أي: آيته **﴿ألقاها إِلَى مَرْيَم﴾** أي: أعلمها، **﴿وروح مِنْهُ﴾** سمِّي روحا:، لأَنَّهُ كَانَ يحيي الأموات أو القلوب، **﴿فآمنوا با لله ورسله؛ وَلاَ تقولوا: ثلاثة انتهوا خيرا لكم إِنَّمَا ا لله إله وَاحِد سبحانه أن يكون لَهُ ولد لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾** بيان لتنزيهه مِمَّا نسب إِلَيْهِ، [والـ]معنى أَنَّ كلَّ مَا فيهمَا خلقه وملكه؛ فكيف يكون بعض ملكه جزءًا مِنْهُ؟، إذ النبوَّة والملك لاَ يجتمعان، عَلَى أَنَّ الجزء إِنَّمَا يصحُّ فِي

١- في الأصل: «تجاوزا»، وَهُوَ خطأ.

الأجسام، وَهُوَ يتعالى عَن أن يكون جسما. ﴿وكفى بالله وكيلا(١٧١)﴾ حافظا ومدبِّرا لهما ولِمَا فيهما.

﴿لن يستنكف المسيح﴾ أي: لم يأنف ولن يتعظَّم، والاستنكاف: التكبُّر مَعَ الأنفة، ﴿أن يكون عبدًا لله وَلاَ المَلاَئِكَة المقرَّبون﴾ أي: الكروبيُّون الذِينَ حول العرش، كجبريل ومكائيل وإسرافيل ومن فِي طبقتهم، وَالمـَعنَى: والمَلاَئِكَة المقرَّبون أن يكونوا عبادا لله. واختلف فِي الأفضل مِنَ المَلاَئِكَة والمؤمنين مِنَ البشر؛ فقيل: المَلاَئِكَة، لأَنـَّهُم لاَ يعصون الله أبدا، وقيل: المؤمنون مِنَ البشر أفضل، لأَنـَّهُم تعبّدوا بقهر البواعث النفسانيَّة، والدواعي الجسدانيَّة، فكانت طاعتهم أشقّ لكونها مَعَ الصوارف، بخلاف طاعة المَلاَئِكَة، لأنـَّهم جُبلوا عليها، فكانت أزيد ثوابا، ولقول الله تعالى: ﴿أولَئِكَ هم خير البريَّة﴾[1]، والمَلاَئِكَة مِنَ البريَّة؛ وقيل: إنَّ خواصَّ البشر وَهُم الأنبياء عَلَيْهِم الصلاة [والسلام] والرسل أفضل من خواصِّ المَلاَئِكَة، وَهُم الرسل، كجبريل وميكائيل وعزرائيل[2] ونحوهم؛ وخواصُّ المَلاَئِكَة أفضل من عوامِّ المؤمنين مِنَ البشر؛ وعوامُّ المؤمنين مِنَ البشر أفضل من عوامِّ المَلاَئِكَة. ﴿ومن يستنكفْ عَن عبادته ويستكبرْ﴾ والاستكبار دون الاستنكاف، ﴿فسيحشرُهم إِلَيْهِ جميعا(١٧٢)﴾، فيجازيهم عَلَى استنكافهم واستكبارهم.

---

١ - سورة الْبَيِّنَة: ٧.

٢ - في الأصل: «عزائل»، وهو خطأ.

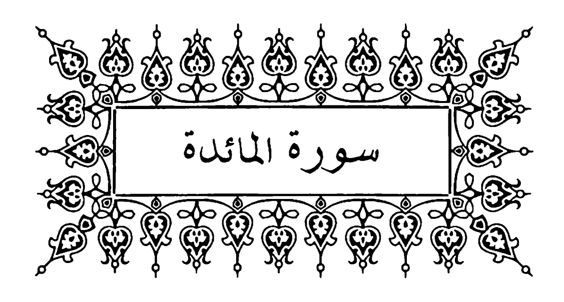
﴿**فَأمَّا الذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحات فيوفِّيهم أجورهـم**﴾ فِي الداريـن، ﴿**ويزيدهم من فضلـه، وَأَمـَّا الذِيـنَ استنكفوا واستكبروا فيعذِّبهـم عذابا أليمـا**﴾ فِي الداريـن، ﴿**وَلاَ يجـدون لَهُـم مـن دون ا لله وليـًّا وَلاَ نصيرا(١٧٣)**﴾ ينصرهم من عذابه.

﴿**يَا أَيـُّهَا الناس قـد جاءكم برهـان مـن ربـكم**﴾ أي: رسول يُبهِر المُنكِر بالإعجاز، ﴿**وأنزلنا إليكم نورا مبينا(١٧٤)**﴾ قرآنا يُستضَاء بِـهِ فِي ظلمات الحيرة.

﴿**فأمَّا الذِينَ آمَنُوا با لله واعتصموا بِهِ**﴾ امتنعوا بِـهِ مـن زيـغ الشيطان، ﴿**فسيدخلهم فِي رحمة مِنْهُ**﴾ ثواب قدره بإزاء إيمانـه وعملـه، ورحمـة مِنـْهُ لاَ قضاءً لحقٍّ واجب ﴿**وفضل**﴾ إحسان زائد عليـه، ﴿**ويهديهـم إِلَيـْهِ صراطا مستقيما(١٧٥)**﴾ غير معوجٍّ وَلاَ زائغٍ وَلاَ متردِّدٍ.

﴿**يستفتونك، قل ا لله يُفتيكم فِي الكلالة إن أمرؤٌ هَلَـكَ ليـس لَـهُ وَلَـدٌ وَلَهُ أختٌ فلها نصفُ مَا تَرك وَهُوَ يرثها إن لم يكن لها ولد، فإن كانتا اثنتـين فلهما الثلثان مِمَّا ترك، وإن كَانُوا إخوة رجـالا ونسـاء فللذكـر مثـلُ حـظِّ الأنثيَـينِ يُبَـيـنُ ا للهُ لكم أن تضلُّوا**﴾ أي: يُبَـيِّـنُ ا لله لكم ضلاكم الذِي من شأنكم إِذَا خلَّيتم من طباعكم، لتميلوا عَنـْهُ وتهـوُوا خلافـه، ﴿**وا لله بِكُـل شيء عليم(١٧٦)**﴾ يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها وبعده.

❁❁❁



سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ يقال: وفّى بالعهد، ووافى بِهِ، والعقد: العهد الموثق شُبِّه بعقد الحبل ونحوه، وهي عقود الله التِي عقدها عَلَى عباده، وألزمها إيَّاهم، من مواجب التكليف والعقود، التِي تتعاقدها الناس مِنَ المبايعة والمناكحة وغيرها. ﴿**أُحلَّت لكم بهيمة الأنعام، إلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُم غير محلِّي الصيد وأنتم حُرُم**﴾ كأنَّه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام، فِي حال امتناعكم مِنَ الصيد، وأنتم محرمون لئلاَّ يضيق عليكم، ﴿**إنَّ الله يحكم مَا يريد(١)**﴾ لاَ ينازع فِي حكمه، بل يجِبُّ الإذعان لحكمه، لأَنــَّهُ هُوَ العالم بمصالح عباده.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تُحلُّوا شعائر الله**﴾ (لَعَلَّهُ) بالقول، أو العمل، أو النيَّة؛ جمع شعيرة: وَهُوَ اسم مَا أشعر، أي: جُعل شِعارا و عَلما للنسك من مواقف الحجِّ، ومرامي الجِمار، والمطاف والمسعى، والأفعال التِي هِيَ علامات الحاجِّ يعرف بها مِنَ الإحرام، والطواف والسعي والحلق والنحر،

وقيل: دين الله، لقوله: ﴿ومن يعظّم شعائر الله﴾[1] أي: دينه، وقيل: فرائضه التِي حدَّها لعباده، فليس للعباد إحلالُ مَا حرَّمه الله، وَلاَ حجر مَا أباحه الله، وليس [لهم] إلاّ التسليم لأحكامه جلّ وعلا. ﴿وَلاَ الشـهرَ الحرامَ﴾ أي: وَلاَ شهر الحجِّ، ﴿وَلاَ الهديَ﴾ هُوَ مَا هُدي إِلىَ البيت؛ فتـُقُرِّبَ بهِ إِلىَ الله مِنَ النسائك، ﴿وَلاَ القلائد﴾ جمع قلادة: وَهُوَ مَا قلِّد بِهِ الهدي من نعل أو عروة؛ مراده أو لحاء شجر أو غيره. ﴿وَلاَ آمِّين البيت الحرام﴾ وَلاَ تُحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام، وَهُم الحجَّاج والعمَّار، ويدخل فِي ذلكَ جميع القاصدين لبيوت الله للطاعة، وإحلاء [كَذَا] هَذِهِ الأشياء أن يُتهاون بحرمة الشعائر، أو أن يُحال بينها وبين المتنسِّكين بها، أو أن تُحدثوا فِي[2] أشهر الحجِّ مَا تصدُّون بِهِ الناس عَن الحجِّ، وأن يتعرَّض للهَدي بالغصب، أو بالمنع من بلوغ محلِّه، وَأَمَّا القلائد فجاز أن يراد[3] ذوات القلائد. ﴿يبتغون فضلا من ربِّهم﴾ أي: ثوابا، ﴿ورضوانا﴾ وأن يرضى عَنـهُم، أي: لاَ تتعرضوا لقوم هَذِهِ صفتهم، تعظيما لَهُمْ، ومن تعرَّض لأذاهم أو صدَّهم عَنْ ذلكَ، فقد تعدَّى أمر الله فِيهِم.

﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ إباحة للاصطياد بعد حظره عَلَيْهِم، بقوله ﴿غير محلّي الصيد وأنتم حُرم﴾. ﴿وَلاَ يَجرمنَّكم﴾ وَلاَ يحملنَّكم، أو لا

---

١ - سورة الحجّ: ٣٢.

٢- في الأصل: + «في»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: «يردا»، وهو خطأ.

يكسبنّكم ﴿**شنآن قوم**﴾ أي: شدّة بغضهم وعداوتهم، ﴿**أن صدُّوكم عَن المسجد الحرام أن تعتدوا**﴾ وأجرم أي: كسب، وَلاَ يكسبنّكم بغضُ قوم لأن صدُّوكم الاعتداءَ لتعتدوا عَلَيْهِم بغير مَا أمر ا لله، وَلاَ يحملنّكم عليه، ﴿**وتعاونوا عَلَى البرِّ والتقوى**﴾ قيل: البرُّ: متابعة الأمر، والتقوى: (لعلّه) مجانبة النهي. ﴿**وَلاَ تعاونوا عَلَى الإثم والعدوان**﴾ الإثم: ترك المأمور، والعدوان: فعل المحظور، وقيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم. ﴿**واتَّقُوا**[1] **ا لله**﴾ عباد ا لله، ﴿**إنَّ ا لله شديد العقاب(٢)**﴾ فِي الدارين لمن عاون عَلَى الإثم والعدوان، و لم يعاون عَلَى البرِّ والتقوى.

﴿**حرِّمت عَلَيْكُم الميتة والدم ولحم**[2] **الخنزير، وَمَا أُهلَّ لغير ا لله بِهِ**﴾ أي: رفع الصوت بِهِ لغير ا لله، وَهُوَ قولهم: باسم اللاّت والعزّى، أو نحو ذلكَ عند ذبحه، ﴿**والمنخنقة والموقوذة**[3] **والمتردِّية والنطيحة وَمَا أكل السبع، إلاَّ مَا ذكَّيتم وَمَا ذُبح عَلَى النُّصب**﴾ قيل: كَانَت لَهُمْ حجارة منصوبة حول البيت، يذبحون [١١٩] عليها، يعظّموها بذلك ويتقرَّبون بِهِ إِلَيْهَا، تسمَّى الأنصَاب واحدها نَصْبٌ، أو هُوَ جمع، والوَاحِد نصاب. قَالَ أبو سعيد: «فأجمع أهل التأويل أنَّه مَا ذبح مِنَ الأنعام الحلال أصلها، و لم يذكر اسم ا لله عليها بشيء مِنَ الآلهة غير ا لله، أنَّها حرام، وأنَّها لاحقة بقوله: ﴿وَمَا ذُبح عَلَى النصب﴾، ﴿وَمَا أهلَّ بِهِ لغير ا لله﴾[4]».

---

١ - في الأصل: «وتقوا»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «والحم»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: «والموقواذة»، وهو خطأ.

٤ - سورة البقرة: ١٧٣.

﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾: هُوَ طلب القسم، والحكم، مِنَ الأزلام[1] هِيَ القداح المعلّمة؛ قيل: كَانَ أحدهم إِذَا أَرَادَ سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو غير ذَلِكَ، تعمَّد إِلىَ قداح ثلاثة عَلَى وَاحِدٍ منها مكتوب: «أمرني رَبِّي»، وعلى الآخر: «نهاني ربِّي»، والثالث غفل؛ فإن خرج الآمر مضى لحاجته، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده؛ فمعنى الاستقسام بالأزلام، طلب معرفة قسمٍ لَهُ مِمَّا لم يقسم لَـهُ. قَالَ الزجَّاج: «لا فرق بين هَذَا، وبين قول المنجِّمين: لاَ تخرج مِن أجلِ نجم كذا، واخرجْ لطلوع نجم كذا»، وقيل: هُوَ الميسر. ﴿ذلكم فسق﴾ أي: الاستقسام بالأزلام خروج عَن الطاعة، ويحتمل أن يعود إِلىَ كلِّ محرَّم فِي الآيَة.

﴿اليوم يئس الذِينَ كَفَرُوا من دينكم﴾ يئسوا مِنْهُ أن يبطلوه أو يغلبوه، لأَنَّ الله وفّى بعهده من إظهاره عَلَى الدين كلّه، أو لاَ يطمعوا[2] فِي الارتقاء بِهِ مَعَ وقوف أنفسهم فِي بحبوحة هواهم، ﴿فلا تخشوهم﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف مِنَ الكفّار، وانقلابهم مغلوبين بعد مَا كَانُوا غالبين، ﴿واخشون﴾ أي: أخلصوا إليَّ الخشية.

﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم﴾ بالنصر والإظهار عَلَى الأديان كلّها، أو بالتنصيص عَلَى قواعد العقائد، والتوفيق عَلَى أصول الشرائع، وقوانين الاجتهاد، وأكملت لكم مَا تحتاجون لَـهُ فِي تكليفكم، من تعليم الحلال

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «والأزلامُ هيَ...».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يطمعون».

والحرام، والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس. ﴿**وأتممتُ عَلَيْكُم نعمتي**﴾ بالهداية والتوفيق، أو بكمال الدين وهدم منار الجاهليَّة ومناسكهم، ﴿**ورضيتُ لكم الإسلام دينا**﴾ أي: اخترته لكم من بين الأديان، ﴿**فمن اضطُرَّ**﴾ متّصلٌ بذكر المحرّمات؛ وقولُه: ﴿ذلكم فسق﴾ اعتراض أكّد بِهِ معنى التحريم، وكذا مَا بعده، لأَنَّ تحريم هَـذِهِ الخبائث من جملة الدين الكامل، والنعمة التامّة، والإسلام المَرْضِي دون غيره مِنَ الملل. ﴿**فِي مَخْمَصَةٍ**﴾ أي: جهد فِي مجاعة، والمخمصة: خلوُّ البطن مِنَ الغذاء؛ نقول: رجل خميص البطن: إِذَا كَانَ طاويا خاويا. ﴿**غير متجانف لإثم**﴾ غير مائل لَهُ ومنحرف إِلَى إثم، وعلامته أن يأكل متلذّذا مجاوزًا أخذ[1] الرخصة؛ ﴿**فإنَّ الله غَفُور**﴾ لاَ يؤاخذه لما هُوَ مضطرٌّ إِلَيْهِ، ﴿**رحيم(٣)**﴾ بإباحة المحظور للمعذور.

﴿**يسألونك ماذا أُحلَّ لَهُمْ**﴾ مِنَ المطاعم، كأنّهم حين تُلِي عَلَيْهِم مَا حُرم عَلَيْهِم من خبيثات المطاعم سألوه عمّا أُحلَّ لَهُمْ منها، فقال: ﴿**قل: أُحلَّ لكم الطَّيِّبَات**﴾ مَا لم تستخبثه الطباع السليمة، وَهُوَ مَا أُحلَّ فِي الشرع؛ فقد بيّن الله لأولي الألباب فِي هَذَا أنَّ مَا حرّمه الله تعالى لخلقه هِيَ ضدُّ الطّيبَات، وهي الخبائث التِي هِيَ عمل تصيب[2] الشيطان وأعوانه مِنَ الغاوين. ﴿**وَمَا علّمتم مِنَ الجوارح**﴾ أي: الكواسب للصيد من سباع البهائم

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصوب: «مجاوزا حَدَّ».

٢ - كذا في الأصل، وحذف كلمة «تصيب» لا يخلُّ بالمعنى.

والطير، ﴿**مكلّبين**﴾ المكلّب: هُوَ مؤدب[1] الجوارح ومعلّمها، مشتقٌّ مِنَ الكلب، لأَنَّ التأديب فِي الكلاب أكثر. ﴿**تعلّمونهنّ**﴾، وفيه دليل عَلَى أنَّ كلَّ آخذ علما لاَ يأخذه إِلاَّ من أفقههم علما، فكم من آخذ عَنْ غير متقن قد ضيَّع أيّامه، وعضَّ عند انكشاف الحقائق أنامله [١٢٠]. ﴿**مِمَّا علّمكم الله**﴾ أي: مِنَ العلم الذِي علّمكم الله من علم التكليب، ﴿**فكلوا مِمَّا أمسكن عليكم**﴾ الإمساك عَلَى صاحبه أن لاَ يأكل منه[كَذَا]؛ فإن أكل مِنْهُ لم يؤكل، إِذَا كَانَ صيد كلب. ﴿**واذكروا اسم الله عليه واتَّقوا الله**﴾ واحذروا مخالفة أمره فيما أمركم بِهِ، ﴿**إنَّ الله سريع الحساب(٤)**﴾ إنّه محاسبكم عن أفعالكم، فيجازيكم فِي الدُّنْيَا بالخذلان، وفي العقبى بالنار.

﴿**اليوم أُحلَّ لكم الطَّيِّبات**﴾ كرَّره تأكيدًا للمِنَّة، ﴿**وطعامُ الذِينَ أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لَهُمْ**﴾ فلا عَلَيْكُم أن تطعموهم، لأَنَّهُ لو كَانَ حراما عَلَيْهِم طعام المُؤمنين لما متاع لَهُم اطعامهم[2]. قَالَ أبو سعيد: «فاجتمعت الأمَّة بأسرها، لا نعلم بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ اختلافا، أنَّ الطعام هاهنا هُوَ اللُّحوم من أيدي أهل الكتاب، من ذبائحهم، وأنَّهُم مأمونون عَلَى ذَلِكَ، وجائز من عندهم شراء اللُّحوم» انتهى. فإن قيل: كيف شرع لَهُمْ حِلُّ طعامنا وَهُمْ كُفَّار ليسوا من أهل الشرع؟ يروى عَنْ الزجاج أنَّه قَالَ: «معناه حلال لكم أن تطعموهم، حرام عَلَيْكُم أن تزوجوهم». ﴿**والمحصَنات مِنَ المُؤمِنات**﴾: هِيَ الحرائر والعفائف، والمحصن: هُوَ

---

١ - فِي الأصل: «المودب»، وَهُوَ خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «لَما أباح لهم إطعامهم».

مأخوذ اسمه مِمَّن يحصَّن عَنْ عدوه لئلاَّ يأخذه، كأنَّه أحصن دينه عَن الوقوع فِي الإثم من أسباب الجماع. **﴿والمحصَنات مِنَ الذِينَ أوتوا الكتاب من قبلكم إِذَا آتيتموهنَّ أجورهنَّ محصنين غير مسافحين﴾** متزوجين غير زانين، **﴿ولاَ متَّخذي أخدان﴾** صدائق[1]، والخِدن: يقع عَلَى الذكر والأنثى، **﴿ومن يكفر بالإيمان﴾** شرائع الإسلام، وما أحلَّ الله وما حرَّم، أو بشيء من ذلك، **﴿فقد حَبِط﴾** بطل **﴿عمله وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخاسرِينَ(٥)﴾** خسر دنياه وآخرته.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِذَا قمتم إِلَى الصلاة؛ فاغسِلوا وجوهَكم﴾ أي: إِذَا أردتم القيام إِلَى الصلاة، كقوله: **﴿فإِذَا قرأت القرآن﴾**[2] قيل: كَانَ الوضوء لِكُل صلاة واجبا، ولو من غير نقض للوضوء أوَّلَ مَا فُرض ثُمَّ نُسخ؛ وقيل: تقديره: إِذَا قمتم إِلَى الصلاة وأنتم محدثون. **﴿وأيديكم إِلَى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلَكم إِلَى الكعبين، وإن كُنتُمْ جُنبا فاطَّهروا، وإن كُنتُمْ مرضى أو عَلَى سفر أو جاء أحد منكم مِنَ الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمَّموا صعيدا طيِّبا﴾** فِيهِ إيجاب فرض التطهير مِنَ النجاسات بالماء لأجل أداء الصلاة، بذكره للغائط، فثبت التطهُّر بالماء لوجوده من جميع النجاسات، فإن عدم كَانَ التيمُّم بدله، يقوم مقامه. **﴿فامسحوا بوجوهكم**

---

١ - فِي اللسان والمنجد لم يجمع "الصديق" على ما جمعه الناسخ إِنَّمَا الصحيح: الصديق جمع أصدقاء وصُدقاء وصُدقان، وجج: أصادق بمعنى الخِلُّ والحبيب.

٢ - سورة الإسراء: ٩٨، فِي الأصل: «إذا قرأتَ»، وهو خطأ. وتمام الآيَة: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ با لله من الشيطان الرجيم﴾.

وأيديكم مِنْهُ مَا يريد ا لله ليجعل عَلَيْكُم مـن حـرج﴾ أي: ضيـق، ﴿ولكـن يريـد ليطهِّركـم وليتـمَّ نعمتـــه عليكــم﴾ وليتــمَّ برُخَصِــه إنعامــَه عَلَيْكُــم بعزائمه[كَذَا]، ﴿لَعَلَّكُمْ تشكرُونَ(٦)﴾ توفُّون حقَّ النعم.

﴿واذكروا نعمة ا لله عليكم﴾ بالإسـلام لتذكّركـم المنعـمَ، وترغّبكـم فِي شكره، وأنَّه مَا بكم من نعمة فمِنـهُ، لتسـتعينوا بهـا عَلَـى عبادتـه، ﴿وميثاقـه الذِي واثَقكم بِهِ إذ قلتـم سمعنـا وأطعنـا واتَّقُـوا ا لله﴾ فِي نقضـه، ﴿إنَّ ا لله عليم بذات الصدور(٧)﴾ بسرائرها مِنَ الخير والشر.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقسـط﴾ بـين الأنـام، ﴿وَلاَ يجرمنّكم شنآن قوم عَلَى أَلاَّ تعدلوا﴾ أَي: لاَ يحملنّكم بغض قوم علـى ترك العدل فِيهِم لعداوتهم؛ ﴿اعدلوا هُوَ أقرب للتَّقوى﴾ أَي: العـدل أقـرب إِلَى التَّقوى؛ نهاهم أوَّلاً أن تحملهـم البغضـاء عَلَـى تـرك العـدل، ثُـمَّ استأنف فصرَّح لَهُمُ الأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا، ثُمَّ استأنف فذكر لَهُمْ [١٢١] وجه الأمر، وَهُوَ قوله: ﴿اعدلوا هُوَ أقرب للتـَّقوى﴾. ﴿واتَّقُـوا ا لله﴾ فيمـا أمـر ونهى، ﴿إنَّ ا لله خبير بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)﴾ وعد ووعيد، ولذا ذكـر بعدهـا آيـة الوعد، وَهُوَ قوله:

﴿وعـد ا لله الذِيـنَ آمنـوا وعملـوا الصالحـات لَهُـمْ مغفـرةٌ وأجـرٌ عظيم(٩)﴾ مَا وصفه ا لله بالعظم فهـو جديـر أن تعظّمـه القلـوب. ﴿وَالذِيـنَ كَفَرُوا وكذَّبوا بِـآيَـاتِنا أُوْلَئِكَ أصحاب الجحيم(١٠)﴾ لاَ يفارقونها.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اذكروا نعمة ا لله عَلَيْكُم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل، يقال: بسط إِلَيْهِ لسانه إِذَا شتمه، وبسط إليه يده إِذَا بطش بِهِ، ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾[1]؛ ﴿فكفَّ أيديهم عنكم﴾ وذلك يذكِّرهم[2] ا لله نعمته ليطيعوه ويتَّقوه، كما قَالَ: ﴿واتَّقُوا ا لله وعلى ا لله فليتوكَّل الـمُؤمِنونَ(١١)﴾ واجبٌ ذكرُ نِعَمِ ا لله فِي كل شيء، وهذه النعمة من أخص مَا أنعم ا لله بها عَلَى عباده، إذ لو خلىَّ ا لله الخلق واختيارهم فِي بعضهم بعض، مِنَ البغي والضر فِي دينهم وأنفسهم وأموالهم وأمر معاشهم لما انتظم أمر العالم، وَمَا بقي عَلَى ظهر الأَرْض من دابَّة، ولبطلت الحكمة فِي إيجاد خلقه لغير معنى، ولكنَّ ا لله رحيم بخلقه، قد تفضَّل عَلَيْهِم برأفته ورحمته؛ ولو سلَّط ا لله عَلَى ابن آدم بعوضة، أو أصغر منها جرما، لأهلكته فِي أسرع حال.

﴿وَلَقَدْ أَخَذ ا لله ميثاق بَنِي إِسْرَائِيلَ، وبعثنا مِنْهُمْ اثني عشر نقيبا﴾ النقيب: هُوَ الذِي (لَعَلَّهُ) المختار من القوم، وهو [الذي] ينقِّب عَن أحوال القوم ويفتش عنها، ﴿وقال ا لله: إِنِّي معكم﴾ أي: ناصركم ومُعينكم. ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وآمنتم برسلي وعزَّرتموهم﴾ أي: نصرتموهم وقوَّيتموهم، وأصله الذبُّ[3]، ﴿وأقرضتُّم ا لله قرضا حسنا﴾ قيل:

---

١ - سورة الممتحنة: ٢.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «ليذكِّرهم».

٣ - في المنجد: الذَّبُّ: ذَبَّ ذبًّا عنه: دفع عنه، ومنع وحامى، أي: الدفاع عن الأهل والقوم.

هُوَ كلُّ فعل خير، ومخالفة النفس عَن كل قبيح، ﴿لأكفِّرنَّ عنكم سيِّئاتكم﴾ صغائر أعمالكم، ﴿ولأدخلنَّكم جنَّات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: مَن فَعل ذَلِكَ جوزي بهذا؛ ﴿فمن كفر بعد ذَلِكَ منكم﴾ أي: بعد ذَلِكَ الشرط المؤكّد المعلّق بالوعد العظيم؛ ﴿فقد ضلَّ سواء السبيل(١٢)﴾ أخطأ طريق الحق. نعمُّ من كفر قبل ذَلِكَ فقد ظلَّ سواء السبيل أَيْضًا؛ ولكنَّ الضلال بعده أقبح وأعظم، وسواءُ كُل شيء: وسطُه.

﴿فبِمَا نَقْضِهِم ميثاقَهم لعنَّاهم﴾ طردناهم[1]، وأخرجناهم من رحمتنا، ﴿وجعلنا قلوبَهم قاسية﴾ يابسة لاَ رحمة فِيهَا وَلاَ لين، والقسوة: خلاف اللِّين والرقَّة؛ وقرئ: قسيَّة أي: رديَّة، (لَعَلَّهُ) مغشوشة. ﴿يحرِّفون الكلم عَنْ مواضعه﴾ يفسرونها عَلَى غير مَا أنزلت عقوبة لَهُم. وَهُوَ بيان لقسوة قلوبهم، لأَنَّهُ لاَ قسوة أشدَّ مِنَ الافتراء عَلَى الله، وتغيير وحيه.

﴿ونسوا حظًّا﴾ والمعنى: أنَّهم حرَّفوا التَّوْرَاة، وتركوا حظّهم مِمَّا أُنزل عَلَيْهِم فِيهَا، فلم يتأوَّلوه عَلَى تأويله، فتركوه و لم ينالوه، يعني: أَنَّ إعراضهم عَن التَّوْرَاة إغفال حظٌّ عظيم. ﴿مِمَّا ذُكِّروا بِهِ﴾ أو تركوا نصيب أنفسهم، مِمَّا أمروا بِهِ مِنَ الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ وبعثته. ﴿وَلاَ تزال تطلّع عَلَى خائنة مِنْهُمْ﴾ أي: عادة الخلق الخيانة وقلَّة الوفاء بما تعبَّدهم الله بِهِ، ومعاملتهم لبعضهم بعض، فلا ينبغي أن يستنكر ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ لأَنَّهُ من طبعهم، والوفاء مِنْهُمْ نادر قليل. ﴿إلاَّ قليلا مِنْهُمْ﴾ وَهُم الذِينَ آمنوا مِنْهُم، ﴿فاعفُ

١ - في الأصل: «اطردناهم»، وهو خطأ.

عَنْهُمْ[1] **واصفح﴾** وَلاَ تخن مثل مَا خانوا، وأحسن إِلَيْهِم بفعل مَا أمرك بِهِ فِيهِمْ. **﴿إِنَّ ا لله يحبُّ المحسنِينَ(١٣)﴾**.

﴿ومن الذِينَ قَالُوا إِنَّا نصارى أَخَذنا ميثاقهم﴾ هُوَ الإيمان با لله والرسل وَمَا جاءوا بِهِ؛ **﴿فنسوا حظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِهِ﴾** أي: تركوا حظّهم [١٢٢] الوافر الباقي، باشتغالهم بالفاني الناقص، **﴿فأغرينا﴾** فألصقنا وألزمنا، من غَرَى بالشيء، إِذَا لزمه ولصق بِهِ، ومِنْهُ الغِراء الذِي يلصق بِهِ، **﴿بَيْنَهُمْ﴾** فرق النصارى المختلفين **﴿العداوةَ والبغضاءَ إِلَى يوم القيامة﴾** بالأهواء المختلفة، والجدل فِي الدين؛ فكلٌّ فرقة تكفِّر الأخرى، **﴿وسوف ينبِّئهم ا لله بِمَا كَانُوا يصنعُونَ(١٤)﴾**[2] عند الموت، أو فِي القيامة بالجزاء والعقاب.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمَّد ﷺ، **﴿يُبَيِّنُ لكم كثيرا مِمَّا كُنتُمْ تُخفون مِنَ الكتاب﴾** من نحو صفة رسول ا لله، **﴿ويعفو عَنْ كثير﴾** مِمَّا تفعلون، لاَ يؤاخذكم بِهِ، أو يعرض عَن كثير مِمَّا أخفيتم فلا يُبينه. **﴿قد جاءكم مِنَ ا لله نور وكتاب مُبين(١٥)﴾** يريد القرآن، لكشفه ظلمات الشرك والشك، ولإبانته مَا كَانَ خافيا عَلَى الناس مِنَ الهدى.

﴿يهدي بِهِ ا لله﴾ بالقرآن، **﴿من اتَّبع رضوانه﴾**، من طلب بِهِ رضى ا لله، **﴿سُبُل السلام﴾** طرق السلامة والنجاة من عذاب ا لله فِي الدارين، **﴿ويخرجهم مِنَ الظلمات إِلَى النور﴾** من ظلمات الكفر إِلَى نور الإسلام،

١ - هنا إحالة إِلَى الحاشية كُتب فيها: «يحتمل».

٢ - فِي الأصل: «يصعنون»، وَهُوَ خطأ.

﴿بإذنه، ويهديهم إِلَىٰ صِرَاط مُسْتَقِيم(١٦)﴾ طريقٍ هُوَ أقرب الطرق إِلَىٰ الله وأرفقها، وتوصل إِلَيْهِ لاَ محالة.

﴿لَقَدْ كفر الذِينَ قَالُوا: إِنَّ الله هُوَ المسيح ابن مَرْيَم﴾ معناه: قطع القول عَلَى أنَّ الله هُوَ المسيح لاَ غير. قيل: كَانَ فِي النصارى قوم يقولون بذلك، أو لأَنَّ مذهبهم يؤدي إِلَيْهِ، حيث اعتقدوا أنَّه يخلق ويحيي ويُميت، أو يستحقُّ العبادة من دون الله. ﴿قل: فمن يملك مِنَ الله شَيْئًا﴾ فمن يمنع من قدرته ومشيئته شَيْئًا، ﴿إن أَرَادَ أن يهلك المسيح ابن مَرْيَم وأمَّه، ومن فِي الأَرْض جميعا﴾ أي: أَرَادَ أن يهلك من ادَّعَوه إلها مِنَ المسيح وأمه، يعني: أنَّ المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وعطْفُ «من فِي الأَرْض» عَلَى «المسيح وأمَّه» إبانةُ أنَّهما مِن جنسهم لاَ تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى: أنَّ من اشتمل عليه رحم الأموميَّة متى يفارقه نُقْصُ البشريَّة؟! ومن لاحت عليه شواهد الحدثيَّة أنَّى يليق بِهِ نعت الربوبيَّة؟! ولو قطع البقاء عَن جميع مَا أوجد، لم يُعَدَّ نُقْصٌ إِلَى الصمديَّة[1].

﴿و لله ملك السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما يخلق مَا يَشَاء﴾ أي: يخلق من ذكر وأنثى، ويخلق من أنثى بلا ذَكَر، كما خلق عيسى، ويخلق من غير ذَكر وَلاَ أنثى، كما خلق آدم؛ أو يخلق مَا يَشَاء كخلق الطير عَلَى يد عيسى معجزة لَهُ؛ فلا اعتراض عليه، لأَنَّهُ الفعَّال لمَا يريد، ﴿والله عَلَى كُلِّ شيء قدير(١٧)﴾ لاَ يعجزه شيء مِنَ الأشياء.

---

١ - كذا في الأصل، مع الشكل، ونلاحظ أنَّ في العبارة خللا.

﴿وقالت اليهود والنصارى: نَحْنُ أبناء ا لله وأحبَّاؤه﴾ أي: أعزَّةٌ عليه كالابن عَلَى الأب، أو أشياع ابني ا لله عُزير والمسيح، ﴿قل: فلِم يعذِّبكم بذنوبكم﴾ أي: فإن صحَّ أنَّكُمْ أبناء ا لله وأحبَّاؤه، فلِم تُعذَّبون بذنوبكم بالمسخ والنار أيَّاما معدودة عَلَى زعمكم، وأنتم مقرُّون بذلك، وهل يمسخ الأب ولده، وهل يعذِّب الوالد ولده بالنار؟؛ ثُمَّ قَالَ ردًّا عليهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ بشر مِمَّن خلق﴾ مِمَّن تعبَّده بالأمر والنهي، ﴿يَغْفِر لمن يَشَاء﴾ لمن تاب عَن الكفر ويثيبه. ﴿ويعذِّب من يَشَاء﴾ من كفر و لم يتب منه. ﴿و لله ملك السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما وَإِلَيْهِ المصير(١٨)﴾ فِيهِ تنبيه عَلَى عبوديَّة المسيح، لأَنَّ الملك والنبوءة متنافيان.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبَيِّنُ لكم﴾ الشرائع، ﴿عَلَى فترة مِنَ الرسل﴾ أي: جاءكم عَلَى حين فُتور[1] من إرسال الرسل، وانقطاع مِنَ الوحي؛ لأَنَّ سنن الشرائع تموت وتندرس، إِذَا تباعدت المدد من أيَّام الرسل عَلَى قِلَّة العاملين بها، ويَظهر حزب الشيطان [١٢٣] عَلَى حزب ا لله. ﴿أن تقولوا: مَا جاءنا من بشير وَلاَ نذير﴾، لأَنَّهُ تطاولت الأيَّام، وقدم أمر الرسول، نسوا البشير والنذير المنزولين عليه، بعث ا لله عَلَيْهِمُ الرسول بشيرا ونذيرا، ليجدد الأمرَ عَلَيْهِم اندراسه[2]. ﴿فقد جاءكم﴾ أي: لاَ تعتذروا فقد جاءكم، ﴿بشير﴾ للمُؤْمِنين، ﴿ونذير﴾ للكَافِرينَ، والمعنى: الامتنان

١ - فِي الأصل: «فتوور»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصل: «لتحدُّد الأمر عَلَيهم بعد انداراسه».

عَلَيْهِم بِأَنَّ الرسول بعث إِلَيْهِم حين انطمست آثار الوحي، أحوج مَا يكونون إِلَيْهِ ليهشوا[1] إليه، ويعدُّوا[2] أعظم نعمة مِنَ ا لله، ويلزمهم الحجَّة فلا يعتلُّوا غدا بأنَّه لم يرسل إِلَيْهِم من يحييهم[3] من بعد موتهم، ويوقظهم من رقدهم، وينبههم عن غفلتهم. ﴿وا لله عَلَى كلِّ شيء قدير(١٩)﴾ وذلك من أدل الأشياء عَلَى إثبات قدرة ا لله عَلَى جميع الأشياء الموجودات، أو المعدومات أو المتوهَّمات.

﴿وإذ قَالَ موسى لقومه: يا قوم اذكروا نعمة ا لله عَلَيْكُم إذ جعل فيكم أنبياء﴾، لأَنَّهُ لـمَّا جعل فِيهِم أنبياء كَانَ أتمَّ للنعمة وألزم للحجَّة، لإزاحة الشبهة. ﴿وجعلكم ملوكا﴾ ومن تمام النعمة أن جعلكم مالكين غير مملوكين، وقيل: الملِك: هو من له مسكن واسع فيه ماء جار، وقيل: من له بيت وخدم، أو لأَنَّهُمْ كانوا مملوكين فِي أيدي[4] القبط؛ فأنقذكم ا لله، فسمىَّ إنقاذهم مُلكا، وقيل عَن ابن عبَّاس أنَّه قَالَ: «أصحاب خدم وحشم»؛ وعندي أنَّ ذَلِكَ يعمُّ من كَانَ مخلًّى بينه وبين أشغاله الدينيَّة والدنيويَّة، وَهُوَ اسم يستغرق اسم الحرية عَن استخدام العبوديَّة. ﴿وآتاكم مَا لم يؤتِ أحدا مِنَ الْعَالَمِينَ(٢٠)﴾ من فلق البحر وإغراق العدو، وإنزال المن والسلوى، وتظليل الغمام، أو بِمَا خصَّهم ا لله من فضله عَلَى سائرهم، أو أَرَادَ عالَمي زمانهم.

---

١ - فِي اللسان: «الجوهري: هشِشتُ بفلان بالكسر، أهشُّ هشاشة، إذا خفَّفت إِلَيهِ وارتحتُ له وفرحتُ به، ورجل هشٌّ بشٌّ». ابن منظور: لسان العرب، مادَّة «هشش».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «ويعدُّوه».

٣ - فِي الأصل: «يحيهم»، وهو خطأ، لأَنَّهُ لا موجب للجزم.

٤ - فِي الأصل: «أيد».

﴿يا قومِ ادخلوا الأَرْض المقدَّسة﴾ أي: المطهَّرة والمباركة، وهي أرض بيت المقدس، سُميَت بذلك لأنَّها كَانَتْ قرار الأنبياء ومسكن الـمُؤمِنين. ﴿التِي كتب ا لله لكم﴾ قسمها لكم وسمَّاها، أو كتب فِي اللَّوح المحفوظ أنَّها مساكن لكم، أو جعل عاقبة ثوابها لكم إن امتثلتم الأمر. ﴿وَلاَ ترتدُّوا عَلَى أدباركم﴾ وَلاَ ترجعوا عَلَى أعقابكم، مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا، أو لاَ ترتدُّوا عَلَى أدباركم فِي دينكم؛ ﴿فتنقلبوا خاسرِينَ(٢١)﴾ الدارين.

﴿قَالُوا يا موسى: إنَّ فِيهَا قوما جبَّارين﴾ الجبَّار، "فعَّال" مِن جَبَره عَلَى الأمر، بمعنى أجبره عليه، وَهُوَ العاتي الذِي يجبر الناس عَلَى مَا يريد ولو شخص وَاحِد، ولو فعل فِي هزَّته أو تهمته ما لاَ يجوز دخل عليه اسم الجبَّار[1]. ﴿وَإِنَّا لن ندخلها﴾ بالقتال، ﴿حتىَّ يخرجوا منها﴾ بغير قتال، ﴿فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلُونَ(٢٢)﴾.

﴿قَالَ رجلان مِنَ الذِينَ يخافون﴾ ا لله ويخشونه، ﴿أنعم ا لله عليهما﴾ بالخوف منه: ﴿ادخلوا عَلَيْهِمُ الباب؛ فإذا دخلتموه فَإِنَّكُمْ غالبون﴾ لأنَّهم أجسام لاَ قلوب فِيهَا، لأَنَّ قلوبهم لـمَّا رانت عليها معاصيهم، لم يكن لَها حكم، والمُؤْمِنون: المتَّقون لم يجعلوا حكما لأجسامهم، لأنَّها خادمة لقلوبهم؛ فالأجسام تحييَ وتقوى بالقلوب إِذَا أطاعتها، والقلوب تموت بطاعة الأجسام. ﴿وعلى ا لله فتوكَّلوا إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٣)﴾ إذ الإيمان بـهِ يقتضي التوكُّل عليه، وَهُوَ قطع العلائق، وترك الخضوع للخلائق، إِلاَّ مَا كَانَ لله.

---

١ - كذا في الأصل، والعبارة غير واضحة المعنى.

﴿قَالُوا يا موسى: إِنَّا لـن ندخلها أبدا مَا داموا فِيهَا؛ فاذهب أنت وربُّكَ فقاتلا إِنَّا ها هنا قاعدُونَ(٢٤)﴾ مخالفة لأمره.

﴿قَالَ ربِّ إِنِّي لاَ أملك إِلاَّ نفسي وأخي﴾ قيل معناه: وأخي لاَ يملك إِلاَّ نفسه، وقيل: لاَ تطيعني إِلاَّ نفسي وأخي. **﴿فافرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقِينَ(٢٥)﴾** فافصل بيننا وبينهم، بأن تحكم لَنَا بِمَا وعدتنا، وتحكم عَلَيْهِم بِمَا هم [١٢٤] أهله، وَهُوَ فِي معنى الدعاء عَلَيْهِم، والبراءة مِنْهُمْ.

﴿قَالَ: فإِنَّها محرَّمة عليهم﴾ لاَ يدخلونها، قيل: معناه تلك البلدة محرَّمة أبدا، لم يُرد بها تحريم تعبُّد، وإنَّما أَرَادَ تحريم منع، **﴿أربعين سنة﴾**، فإذا مضى الأربعون كَانَ مَا كتب، **﴿يتيهون فِي الأَرْض﴾** عاقبهم الله بحرمان التوفيق لمَّا خالفوا أمره، لاَ يهتدون طريقا إِلاَّ طريق جهنَّم مَا داموا مصممين عَلَى كفرهم؛ وكأنَّهم فِي الظاهر يسيرون، وفي الحقيقة ناكصون عَلَى أعقابهم، مُرتدُّون عَن مقصدهم، مكبُّون عَلَى وجوههم، وَلاَ يرون أنَّهم ناكصون مكبُّون عَلَى وجوههم، لأَنَّ ظلمات معاصيهم أعمت نور بصائرهم، وزيَّن لَهُمُ الشيطان أعمالهم، وَهُوَ معنى الاستدراج. **﴿فلا تأسَ عَلَى القوم الفاسقِينَ(٢٦)﴾** فلا تحزن عَلَيْهِم فإنَّهم فاسقون.

﴿واتل عَلَيْهِم نبأ ابني آدم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، **﴿إذ قرَّبا قربانا﴾** مَا يُتقرَّب بِهِ إِلَى الله من نُسك أو صدقة، يقال: قرَّب وتقرَّب. **﴿فتُقبِّل من أحدهما، ولم يُتقبَّل مِنَ الآخر﴾**، لأنَّه سخط حكم الله، ولم يخلص النيَّة فِي قربانه، أو كَانَ عاصيا غير متّقٍ فلا يقبل مِنْهُ، وإن أَرَادَ بذلك

القربانِ وجه ا لله، لأَنَّهُ عاصٍ، وَلاَ تُقبل طاعة من عاص[1]، وانظر فِي عملهما فِي الصورة الظاهرة كأنَّه متوازن، وإنَّما بتقوى القلوب تبايَنَ، فصار هَذَا مقبولا مِنْهُ، وهذا مردودا عليه مضروبا [به] وجهه؛ فَهَذَا فِي حقيقة حسنة، وهذا فِي حقيقة سيئة[2]. ﴿قَالَ: لأقتلنَّك﴾ توعَّد بالقتل لفرط الحسد، ولعلَّ فِي أمانيه لينال بقتله مَا لاَ ينال فِي حياته. ﴿قَالَ: إِنَّمَا يتقبَّل ا لله مِنَ المتَّقِينَ(٢٧)﴾ فإنَّما أولى مَن قَتَل نفسَه لانسلاخها من لباس التقوى.

﴿لئن بسطتَّ إليَّ يدك لتقتلني، مَا أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إنِّي أخاف ا لله ربَّ الْعَالَمِينَ(٢٨)﴾ و لم يجرمنَّه شنآن أخيه عَلَى أن يجور عليه خوفا مِنَ ا لله تعالى.

﴿إنيِّ أريد أن تبوء﴾ تحمل أو ترجع ﴿بإثمي﴾ بإثم قتلي إِذَا قتلتني، ﴿وإثمك﴾ الذِي لأجله لم يُتقبَّل قربانك؛ ﴿فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالِمِينَ(٢٩)﴾.

﴿فطوَّعت[3] لَهُ نفسُه قَتْلَ أخيه﴾ فوسعته وسرَّته وطاوعته وشانعته[4]

---

١ - فِي الأصل: «لأَنَّهُ عاصي، وَلاَ تُقبل طاعة من عاصي»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «فَهَذَا فِي حقيقته حسنة، وهذا فِي حقيقته سيِّئة».

٣ - فِي الأصل: «وطوعت»، وهو خطأ.

٤ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وتابعته». أو لَعَلَّه مِن «شنَّعَتِ وأشنعت، وتشنَّعت الناقة: شمَّرت فِي سيرها وأسرعت وجدَّت»، بمعنى سرَّعته نفسه إِلَى فعلته. أو مِن تشنَّعتُ الفرسَ والراحلةَ: ركبتُها وعلوتُها، أي ركِبَتْهُ نفسه لفعل الشر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادَّة «شنع».

وعاونته، مِن «طاوع لَهُ المرتع»: إذَا اتَّسع. ﴿فقتله، فأصبح مِنَ الخاسرِينَ(٣٠)﴾ دنيا ودينا.

﴿فبعث ا لله غرابا يبحثُ فِي الأَرْض لِيُرِيَه كيف يُواري سوأة أخيه﴾ عورة أخيه؛ ﴿قَالَ: يا ويلتَى أعجزتُ أن أكونَ مثلَ هَذَا الغرابِ، فأُوَارِيَ سَوْأَةَ أخي﴾؟ لأهتديَ لما اهتدَى إِلَيْهِ. ﴿فأصبح مِنَ النادمِينَ(٣١)﴾. قد بعث ا لله غرابا يبحث فِي الأَرْض ليريه كيف يواري سوأة أخيه، لـمَّا عجزت دلائله عَن الدليل، وقد أقام عليه الحجَّة بفعله، ليتأسىَّ بِهِ، (لَعَلَّهُ) لأمر دينه ودنياه.

﴿من أجل ذَلِكَ كتبنا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أنَّه من قتل نفسا بغير نفس، أو فسادٍ فِي الأَرْض﴾ يريد بغير نفس وبغير فساد فِي الأَرْض، مِن كفرٍ أو زنًا أو قطع طريق أو نحو ذَلِكَ؛ ﴿فكأنَّما قَتَل الناسَ جميعا﴾ ومن قتل نفسين، فكأنَّما قتل الناس مرَّتين، وكذلك مَا زاد. ﴿ومَن أحياها﴾ حماها عَن القتل، أو أخرجها من ضلال إِلىَ هدى؛ ﴿فكأنَّما أحيا الناس جميعا﴾ قيل للحسن: «يا أبا سعيد هل لَنَا كما كَانَ لبَنِي إِسْرَائِيلَ؟» قَالَ: «أي والذي لاَ إله غيره، مَا كَانَ دماء بَنِي إِسْرَائِيلَ أكرم عَلَى ا لله من دمائنا». ﴿وَلَقَدْ جاءتهم رسلُنا بالبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات الواضحات؛ ﴿ثمَّ إن كثيرا مِنْهُمْ بعد ذَلِكَ فِي الأَرْض لَمُسرفُونَ(٣٢)﴾ متجاوزون.

﴿إنَّمَا جزاء الذِينَ يحاربون ا لله ورسولَه ويسْعَوْنَ فِي الأَرْض فسادا أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا مِنَ الأَرْض، ذَلِكَ لَهُمْ خِزي فِي الدُّنْيَا، ولهم [١٢٥] فِي الآخِرَة عذاب

عظيم(٣٣) إلاَّ الذِينَ تابوا من قبل أن تَقْـدِروا عَـلَـيْـهِـم، فـاعلموا أنَّ ا لله غَفُورٌ رحيمٌ(٣٤)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اتَّقُوا ا لله وابتغـوا إِلَيْـهِ الوسيلة﴾ أي: القربة فعليَّة[كَـذَا]، مِـن توسَّـل إِلَىَ فـلان بكـذا أَي: تقـرَّب إِلَيْـهِ. ﴿وجـاهِدوا فِي سبيله لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ(٣٥)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا لـو أنَّ لَهُـمْ مَـا فِي الأَرْض جميعـا ومثلَـه معـه﴾ حتَّـى أعمالهم الطاعة التِـي عملوها لله داخلة فِي هَذَا، ﴿ليفتدوا بِهِ من عـذابِ يـوم القيامةِ مَا تُقبِّل مِنْهُمْ ولهم عذاب أليم(٣٦)﴾.

﴿يريدون أن يَخرُجوا مِنَ النار، وَمَا هـم بخـارجين منهـا، ولهـم عـذاب مقيم(٣٧)﴾ هَذَا الوعيد متوجه عَلَى كل كـافر كُفـر نعيـم، أو كفـر شـرك، لأنَّـه قَالَ: ﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا﴾ أبهم القولَ وأعمَّه فِي الفريقين، ومَن خَـصَّ بـهِ كافر الشرك دون كافر النعيم فعليه إقامة الدليل، وقال ا لله فِيهِمْ: ﴿يريدون أن يَخرجوا مِنَ النار وَمَا هم بخارجين منها، ولهم عـذاب مقيـم﴾ فقـد شـهد ا لله عَـلَيْـهِـم بالإقامة فِيهَا، وأن لاَ خروج منها بعد الدخول فِيهَا للعذاب؛ أعاذنـا ا لله من ذَلِكَ.

﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَـهما جزاءً بِمَا كسـبا نَكـالا مِنَ ا لله وَا للهُ عزيز حكيم(٣٨) فمن تاب من بعدِ ظلمِـه وأصلـحَ﴾ بـرد المسـروق، ﴿فإنَّ ا لله يتوب عليه إِنَّ ا للهَ غَفُور رحيم(٣٩)﴾.

﴿ألم تعلم أنَّ ا لله لَهُ ملك السَّمَاوَات والأَرْض، يعذِّب من يَشَـاء ويَغْفِر لمن يَشَـاء، وَا للهُ عَلَى كُلِّ شيء قدير(٤٠)﴾ يعذِّب من يشاء من مات عَلَـى كفره، ويَغْفِر لمن يَشَـاء من تاب من كفره.

﴿يَا أَيُّهَا الرسول لاَ يَحْزُنك الذِينَ يسارعون فِي الكفر، مِنَ الذِيـنَ قَـالُوا: آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ إيمان تصديق حقيقيٍّ، وَهُم المنافقون؛ لأَنَّ إيمان قلوبهم (لَعَلَّهُ) يقتضي ترك مسارعتهم للكفر، والمبادرة إِلَى (لَعَلَّهُ) المسارعة للخـير؛ وانظر كيف سمَّاهم ا لله كَفَرة. ﴿ومـن الذِيـنَ هـادوا سـمَّاعون للكـذب﴾ أي: قائلون للكذب، كقـول المصلِّي: «سمع ا لله لمـن حمـده» أي: قَبِـلَ، وقيـل: معنـاه لأجـل الكـذب، أي: يسمعون منـك ليكذِّبـوك؛ إنـَّهم كَـانُوا يسـمعون مِـنَ الرسولﷺ ثُمَّ يخرجون ويقولون: سمعنـا مِنـْهُ كـذا، فلـم[1] يسـمعوا ذَلِـكَ منه. ﴿سـمَّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك﴾ أي: سمَّاعون منـك لأجـل قـوم آخريـن مِـنَ اليهود، وجَّهوهم[2] عُيونا ليبلِّغوهم مَا سمعوا منك.

﴿يحرِّفون الكَلِم مِن بعد مواضعـه﴾ أي: يُزيلونـه ويميلونـه عَـن مواضعـه التِـي وضعها ا لله فِيهَا؛ فيهملونه بغير مواضع[كَـذَا]، بعـد أن كَـانَ ذا مواضعَ عالية؛ ﴿يقولون: إن أوتيتم هَذَا﴾ المحـرَّف المـزال عَـن مواضعـه؛ ﴿فخـذوه﴾ واعلمـوا أنـَّه الحـقُّ، واعملـوا بِـهِ، ﴿وإن لم تؤتـوه﴾، وأفتـاكم بخلافـه، ﴿فاحذروا﴾ وإيـَّاكم وإيـَّاه، فهو البـاطل. ﴿ومـن يُـرد ا لله فتنتـه﴾ ضلالـه،

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وهم لم يسمعوا ذلك منه».

٢ - في الأصل: «وجهوهم»، وهو خطأ.

﴿فلن تَملِك لَهُ مِنَ ا لله شَيْـئًا﴾ من أمر دين وَلاَ دنيا. ﴿أُولَئِكَ الذِينَ لم يُرِدِ ا للهُ أن يطهِّر قلوبَـهم﴾ عَـن الكفـر، لعلمـه مِنْـهُمْ اختيـار الكفـر. ﴿لَهُـمْ فِي الدُّنْـيَا خِزيٌ﴾ لاَ ينفكُّ الخزي عَن كل من كَـانَ فِي قلبـه خـزيٌ. ﴿وهـم فِي الآخِرَة عذاب عظيم(٤١)﴾.

﴿سـمَّاعون للكذب أكَّالون للسُّحتِ﴾ هُوَ كلُّ مَا لاَ يحلُّ كسـبه، وَهُـوَ مِن سَـحتَه: إِذَا اسـتأصله، لأَنـَّهُ مسـحوت البركـة، كمـا قَـالَ: ﴿يَمحَـق ا لله الربا﴾[1]، وقال: ﴿فيسحَـتَكم بعذاب﴾[2] أي: يهلككم بـهِ. ﴿فـإن جـاءوك فاحكمْ بَيْـنَـهُمْ، أو أعرض عَـنْـهُمْ﴾ قيل: كَـانَ مخيَّرًا إِذَا تحـاكم إِلَيْـهِ أهـل الكتاب بين أن يحكم بَيْـنَـهُمْ وبين أن لا يحكم؛ وقيـل: نسخَ التخيير بقولـه: ﴿وأنْ احكم بَيْـنَـهُمْ بِمَا أنزل ا لله﴾[3]. ﴿وإن تُعرِضْ عَـنْـهُمْ، فلن يضـرُّوك شَيْـئًا، وإن حكمـتَ فـاحكم بَيْنَـهُمْ بالقسـط، إنَّ ا لله يحِـبُّ المقسطِينَ(٤٢)﴾ العادلين.

[١٢٦] ﴿وكيف يُحكِّمونك وعندهم التـَّوْرَاة فِيهَا حُكـمُ ا لله﴾ تنبيـه عَلَى أنـَّهم مَا قصدوا بالتحكُّم معرفة الحق وإقامة الشرع، وإنـَّما طلبـوا بـهِ مَـا يكون أهون عليهم، وإن لم يكن حكمَ ا لله فِي زعمهم. ﴿ثـُمَّ يتولَّـونَ[4] مـن

١ - سورة البقرة: ٢٧٦.

٢ - سورة طه: ٦١.

٣ - سورة المائدة: ٤٩.

٤- فِي الأصل: «يقولون» وهو خطأ.

بعد ذَلِكَ، وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ(٤٣)﴾ (لَعَلَّهُ) أي: بمصدقين بك، وَلاَ بكتابهم كما يدَّعون.

﴿إِنَّا أنزلنا التَّوْرَاة فِيهَا هدى ونورٌ﴾ يُبَيِّنُ مَا استُبهم مِنَ الأحكام، ﴿يحكم بها النبيُّون الذِينَ أسلموا﴾ أي: أسلموا، أو انقادوا لحكم الله وَمَا أنزل فِي التَّورَاة، ﴿للذين هادوا﴾ تابوا مِنَ الكفر، ﴿والربَّانيون والأحبارُ﴾ أي: العلماءُ والزهَّاد السالكون طريقة أنبيائهم، فسُمي العالم حبرا لما عليه من حال العلم، وبهائه وأماراته ودلائله. ﴿بمَا استُحفِظوا﴾ استُودعوا ﴿من كِتَاب الله﴾، الضمير فِي «استحفظوا» للأنبياء، والربَّانيين والأحبار جميعا؛ والاستحفاظ مِنَ الله، أي: كلَّفهم الله حفظه، أو بسبب أمر الله إيَّاهم بِأن يحافظوا[1] كتابه مِنَ التضييع والتحريف، أو للربَّانيين والأحبار، والاستحفاظ مِنَ الأنبياء. ﴿وكَانُوا عليه[2] شهداء﴾ أنَّهُ كذلك، وقيل: أنَّهُ رقباء عَن التبديل فِيهِ.

﴿فلا تخشوا الناسَ﴾ نهيٌ للحكَّام عَن خشيتهم غير الله فِي حكوماتهم، وإمضائها عَلَى خلاف مَا أُمروا بِهِ مِنَ العدل، لخشية سلطان ظالم، أو خيفة أذِيَّةَ[3] أحدٍ، ﴿واخشون﴾ فِي مخالفة أمري، ﴿وَلاَ تشتروا بِآيَاتِي﴾

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «يحفظوا».

٢- في الأصل: - «عليه».

٣ - أذيَّة مصدر آذى، في اللسان: «آذاه يؤذيه أذًى وأذاةً وأذيَّة، وتأذَّيتُ به». ابن منظور: لسان العرب، مادَّة «أذي».

ولاتستبدلوا بـآيـَاتِ ا للهِ وأحكامه **﴿ثمنا قليلا﴾** وَهُوَ الرشوة، وابتغـاء الجـاه، والخوف مِنَ الخلق ورضاهم. **﴿ومن لم يحكم بِمَا أنزل ا للهُ﴾** مسـتهينا بـهِ، أو منكِرا لَهُ، أو مستبدِلا بِهِ. **﴿فأولئك همُ الْكَافِرُونَ(٤٤)﴾** فكلٌّ من لم يحكـم بِمَا أنزل ا للهُ، و لم يرض بحكم ا للهِ، فهو كافر ظالم فاسق.

﴿وكَتبنا عَـلَـيْـهِـم فِيهَـا﴾ وفرضنـا عَـلَـيْـهِـم فِي التـَّوْرَاة، **﴿أنَّ النفس بالنفس، والعينَ بالعين، والأنفَ بـالأنف، والأذنَ بـالأذن، والسـنَّ بالسـنِّ﴾** وسائر الجوارح قياس عليهـا فِي القصـاص، [بدليـل] قولـه تعـالى: **﴿والجـروحَ قصاص﴾** فَهَذَا تعميم بعـد تخصُّـص فيمـا يمكـن الاقتصـاص منـه، **﴿والجـروحَ قصاصٌ فمن تصدَّق بِهِ﴾** من أصحـاب الحـق بالقصـاص وعُفـي عنـه، **﴿فهـو كفَّارة لَهُ﴾** فالتصدُّق بِهِ كفـَّارة للمتصدق بإحسانه إِذَا كَانَ مُؤْمِنا. **﴿ومـن لم يحكم بِمَا أنزل ا للهُ فأولئك هم الظالـمُونَ(٤٥)﴾**.

﴿وقـفَّينا عَلَى آثارهم﴾ عَلَى آثار النبيـين، ومعنى قفَّيت الشيء بالشـيء: جعلته فِي أثره، كأنـَّه جُعل فِي قفـاه، **﴿بعيسـى ابـن مَرْيَـم، مصدِّقـا لِمَـا بـين يديه﴾** لـمَا تقدَّمه **﴿من التـَّوْرَاة وآتيناه الإِنـْجيل فِيهِ هـدى ونـور ومصدِّقـا لِمَا بـين يديـه مِنَ التـَّوْرَاة وهـدًى وموعظـة للمتـَّقِينَ(٤٦)﴾** لأنـَّهم هـم المنتفعون بِهِ.

﴿ولْيَحكُمْ أهل الإِنـْجِيل بِمَا أَنزل ا للهُ فِيهِ، ومن لم يحكم بِمَا أنـزل ا للهُ فأولئك هم الفاسقُونَ(٤٧)﴾ الخارجون عَن الطاعة، والفاسق هُوَ الذِي فسق بفعله، وخرج من دخوله فيما أقرَّ به بفسقه، كمَـا يقـال: فسـقت الرطبـة: إِذَا

خرجت من قشرتها، ﴿**وأنزلنا إليك**﴾ يا محمَّد، ﴿**الكتابَ بِالْحَقِّ مصدِّقا لِمَا بين يديه**﴾، لما تقدَّمه نزولا، وإنَّما قيل: لِمَا قبل الشيء هُوَ بين يديه، لأَنَّ مَا تأخَّر عَنْهُ يكون وراءه وخلفه، فما تقدَّم عليه يكون قدَّامه وبين يديه ﴿**من الكتابِ**﴾ المراد بِهِ جنس الكتب المنزَّلة، لأَنَّ القرآن مصدق لجميع كتب الله، فكَانَ حرف التعريف فِيهِ للجنس؛ ومعنى تصديقه للكتب: موافقتها فِي التوحيد والعبادة، ﴿وَمَا أرسلنا من قبلك من رسول إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أنَّه لاَ إله إِلاَّ أنا فاعبدون﴾[1]، ﴿**ومهيمنا عليه**﴾ وشاهدا، لأَنَّهُ يشهد لَهُ بالصِحَّة والثبات، ﴿**فاحكم بَيْنَهُمْ بِمَا أنزل الله وَلاَ تتَّبع أهواءهم عَمَّا جاءك مِنَ الحَقِّ**﴾ بالانحراف عَنْهُ إِلَى مَا [١٢٧] يشتهونه، أي: لاَ تعرض عمَّا جاءك مِنَ الحق، وَلاَ تتَّبع أهواءهم.

﴿**لِكُلٍّ جعلنا منكم شرعة**﴾ شريعة، وهي الطريقة إِلَى الماء؛ شبَّه بها الدين، لأَنَّهُ طريق إِلَى مَا هُوَ سبب الحياة الأبديَّة، وقرئ بفتح الشين، ﴿**ومنهاجا**﴾ طريقا واضحا فِي الدين، يجرون عليه، ﴿**ولو شاء الله لَجَعَلَكم أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ جماعة متَّفقة عَلَى شريعة وَاحِدَة فِي جميع الأعصار، من غير نسخ وتحويل، ﴿**ولكن**﴾ أَرَادَ ﴿**ليبلوكم**﴾ ليعاملكم معاملة المختبر، ﴿**فِي مَا آتاكم**﴾ مِنَ الشرائع المختلفة المناسبة لِكُل قرن وعصر، هل تعملون بها مذعنين لها، معتقدين أنَّ اختلافها يقتضي الحكمة الإلهيَّة؛ أم تزيغون عَن الحق، وتفرطون فِي العمل كما زاغ من زغ من أهل الكتابين. ﴿**فاستبِقوا**

---

١ - سورة الأنبياء: ٢٥.

الخيرات﴾ فابتدروها وتساكفوا[1] نحوها قبل الفوات بالوفاة بجميع مَا آتاكم مِنَ الأمور الدينيَّة والدنيويَّة؛ والمراد بالخيرات: كُلُّ مَا يُعبد الله بِهِ، ويتوسَّل بِهِ إِلَيْهِ، **﴿إِلَى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تختلفُونَ(٤٨)﴾** فيجازيكُم عَلَى حسب مَا عملتم.

﴿وأن احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أنزل الله وَلاَ تتبَّع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك﴾ أي: يصرفوك، فإن تخييلاتهم مزلَّة للافتتان، **﴿عَنْ بعض مَا أنزل الله إليك﴾** من دقائقه وغوامضه، فإنَّهم لاَ يطمعون منك فِي جميعه، بَلْ لاَ يطمعون منك فِي الظواهر، **﴿فإن تولَّوا﴾** عَن الحكم بِمَا أنزل الله إليك، ومالوا إِلَى سواه، **﴿فاعلم أنَّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾** أي: يعاقبهم بالتولِّي عَن الحقِّ، والتعامي منه ببعض ذنوبهم، أَي: فاعلم أنَّ إعراضهم من أجل أنَّ الله يريد أن يعجِّل لَهُمُ العقوبات فِي الدُّنْيَا ببعض ذنوبهم، **﴿وإنَّ كثيرا مِنَ الناس لفاسقُونَ(٤٩)﴾** لَخارجون عَن برِّ الله.

﴿أفحكمَ الجاهلية يبغون﴾؟ الذِي هُوَ متابعة الهوى بغير الحقِّ، والجاهلية: ضدُّ الإسلام، **﴿ومن أحسن﴾** أي: لا أحد أحسن **﴿من الله حكما لقوم يوقِنُونَ(٥٠)﴾** فإنَّهم هم الذِين يتدبَّرون الأمور، ويتحقَّقون حقائق الأشياء بتفكُّرهم، فيعلمون[2] أن لا أحسن حكما من الله.

---

١ - كذا في الأصل، و لم أجد في لسان العرب لمادَّة "سكف" معنىً يليق بهذا السياق، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادَّة "سكف"، ١٧٢/٣. ولعلَّ الصواب: «تسابقوا».

٢ - في الأصل: «فيعملون»، ولا معنى له.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تتـَّخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي: لا تتـَّخذوهم أولياء تنصرونهم، وتستنصرون بهم، وتؤاخذونهم، وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين؛ ثُمَّ علّل النهي بقوله: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ فِي العون والنصرة بالباطل، ويدهم وَاحِدَة عَلَى المـُسْلِمِينَ ودينـُهم، وكلُّهم أعداء للمؤمنين، وفيه دَلِيل عَلَى أنَّ الكفر كلـَّه ملّة وَاحِدَة، ﴿ومن يتولّهم منكم﴾ فيوافقهم ويعينهم، ﴿فإنـَّه مِنـْهُمْ﴾ من جملتهم، وحكمه فِي الوعيد حكمهم، ﴿إنَّ ا لله لاَ يهدي القوم الظالِمِينَ(٥١)﴾ قد حكم عَلَى المتولّي لَهُمْ أنـَّه مِنـْهُمْ بولايته إيـَّاهم، وخرج من جملة المؤمنين، ودخل فِي جملة الكَافِرِينَ بكفره وفسقه، وهذا تشديد مِنَ ا لله فِي وجوب مجانبة المخالف فِي الدين، كما جاء في الحديث: «*لا ترااي ناراصما*» [كذا!]. ﴿فترى الذِينَ فِي قلوبهم مرض﴾ هوى، وَهُوَ المؤثر معهم عَلَى مَا سواه [كَذَا]، ﴿يسارعون فِيهِمْ﴾ فِي معاونتهم عَلَى المـُسْلِمِينَ وموالاتهم، ﴿يقولون﴾ أي: فِي أنفسهم، لقوله: ﴿عَلَى مَا أسرُّوا﴾. ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي: حادثة تدور بالحال التِي يكونون[1] عليها المسلمون، معناه نخشى أن يدور (لعلّه) الدهر علينا بمكروه، فنحتاج إِلىَ نصرتهم؛ ثـُمَّ (لعلّه) وعد ا لله، فقال: ﴿فعسى ا لله أن يأتي بالفتح﴾ لرسول ا لله عَلَى أعدائه، وإظهار المـُسْلِمِينَ، ﴿أو أمر من عنده﴾ لاَ يعلم كنهه إلاَّ هُوَ، ﴿فيصبحوا عَلَى مَا أسرُّوا فِي أنفسهم﴾ مِنَ النفاق ﴿نادمِينَ(٥٢)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، والأصوب: «يكون».

﴿ويقول الذِينَ آمنوا﴾ فِي وقت ما ينزل عَلَى المنافقين مِنَ الدائرة والتدمير. ﴿أهؤلاء الذِينَ أقسموا با لله جَهدَ أَيـْمانهم إنـَّهُمْ لَمَعكم﴾ أي: أقسموا بأغلاظ الأيمان إنـَّهم أولياؤكم ومعاضدوكم [١٢٨] عَلَى الكفّار، و«جهد أيمانهم» مصدر فِي تقدير الحال، أي: مجتهدين فِي توكيدها، يريد أنَّ المؤمنين حينئذ يتعجَّبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قَالَ ا لله تعالى: ﴿حبطت أعمالهم﴾ ضاعت أعمالهم التِي عملوها رياء وسمعة، إلاَّ إيمانا وعقيدة، ﴿فأصبحوا خاسِرينَ(٥٣)﴾ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة لفوات المعونة، ودوام العقوبة.

﴿يَا أَيـُّهَا الذِينَ آمنوا من يرتدَّ منكم عَن دينه﴾ من يرجع منكم عَن دين الإسلام إِلىَ دين الكفر، ﴿فسوف يأتي ا لله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه﴾ تقديره: فسوف يأتي ا لله بقوم مكانهم[1]؛ ومحبَّة ا لله لعبده أصل محبَّة لَهُ، وكأنَّ ا لله تعالى وعد أن يخلف مكَانَ من يرتدُّ عَن دينه بقوم يطيعونه فِي أرضه، مكَانَ طاعة من أريد قبل الارتداد؛ وهكذا شبَّه ا لله فِي خلقه لمن يدبِّر الكتاب، لأَنَّ حجَّة ا لله لا تموت فِي أرضه إلى يوم القيامة؛ وقيل: لا تعدم الأَرْض مِنَ الأبدال إِذَا مات مِنْهُمْ أحد أو ارتدَّ أبدل ا لله مكانه. ﴿أذلَّة عَلَى المؤمنين﴾ عاطفين عَلَيْهِم متذلِّلين لَهُمْ، ﴿أعِزَّة عَلَى الْكَافِرينَ﴾ أشدَّاء عَلَى الكافرين، والعزاز: الأَرْض الصلبة، فَهُمْ مَعَ المؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيِّده، ومع الكَافِرِينَ كالسبع عَلَى فريسته. ﴿يجاهدون﴾ مجاهدة الظاهر

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الأصوب: «مكانكم».

والباطن، ﴿في سبيل الله﴾ في طاعته، ﴿ولاَ يخافون لومة لائم﴾ ولاَ يتركون المجاهدة لخوف الإثم، ولاَ لمذمَّة ذامٌ. ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور، ﴿ذَلِكَ فضلُ الله يؤتيه من يَشَاء وَالله واسع عليم(٥٤)﴾.

﴿إنَّمَا وليُّكم﴾ «إنَّمَا» تفيد اختصاصهم بالمولاة، والمعنى: إنَّمَا وليُّكم الذِي يتولَّى تدبيركم، ويلي أموركم ﴿الله ورسوله وَالذِينَ آمنوا﴾ الذِينَ هَذِهِ صفاتهم: وهم راكعون[1] ﴿الذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وَهُمْ راكعُونَ(٥٥)﴾.

﴿ومن يتولَّ الله ورسولَه وَالذِينَ آمنوا فإنَّ حزبَ الله هم الغالبُونَ(٥٦)﴾ أصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم، ومن يتولَّهم فقد تولَّى حزب الله واعتضد بمن لاَ يُغَالب.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تتخذوا الذِينَ اتَّخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾ يعني أنَّ اتِّخاذهم دينكم هزوا ولعبا لاَ يصحُّ أن يقابل باتِّخاذهم أولياء بَل يقابل ذَلِكَ بالبغضاء والمنابذة، ﴿من الذِينَ أوتوا الكتاب من قبلكم والكفَّار أولياء واتَّقُوا الله﴾ فِي موالاة الْكَافِرِينَ، ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ(٥٧)﴾ حقًّا، لأَنَّ الإيمان حقًّا يأبى موالاة أعداء الدين.

﴿وإذا ناديتم إِلَى الصلاة اتَّخذوها هُزُوا ولعبا﴾ أي: الصلاة أو المناداة، وفيه دَلِيل عَلَى أنَّ الأذان مشروع للصلاة، ﴿ذَلِكَ بأنَّهم قوم لاَ يعقلُونَ(٥٨)﴾ لأَنَّ لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكأنَّه لاعقل

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: حذف عبارة «وهم راكعون».

لَهُمْ، ومن سمع الأذان للصلاة، و لم يُجب من غير عذر، واستخفَّ بِهِ، أو تنقَّص بفاعله، فقد اتَّخَذَ آيات ا لله هزؤا.

﴿**قل يا أهلَ الكتاب هل تَنقِمون مِنَّا إلاَّ أن آمنَّا با لله وَمَا أنزل إلينا وَمَا أُنزل من قبلُ**﴾ يعني هل تعيبون مِنَّا وتنكرون إلاَّ الإيمان با لله وبالكتب المنزَّلة كلِّها، ﴿**وأنَّ أكثركم فاسقُونَ(٥٩)**﴾، والمعنى: عاديتمونا لأنَّا اعتقادنا توحيد ا لله وصدق أنبيائه، وفسقكم لمخالفتكم فِي ذَلِكَ.

﴿**قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذَلِكَ مَثوبةً عندَ ا لله**﴾ أي: ثوابا، والمثوبة وإن كَانَت مختصَّة بالإحسان ولكنَّها وضعت موضع العقوبة، كقوله: ﴿فبشِّرهم بعذاب أليم﴾[1]؛ وكَانَ اليهود يزعمون أنَّ المُسْلِمِينَ مستوجبون للعقوبة، فقيل لَهُمْ: ﴿**مَن لعَنَهُ ا لله**﴾ شرّ عقوبة فِي الحقيقة من أهل الإسلام فِي زعمهم، ﴿**وغضب عليه**﴾ وعذَّبه، [١٢٩] ﴿**وجعل مِنْهُم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت**﴾ أي: الشيطان، أي: عاقبهم بسبب مخالفتهم إيَّاهُ، بأن جعلهم عباد الشيطان. ﴿**أُوْلَئِكَ شرٌّ مكانا**﴾ جعلت الشرارة للمكَانَ، وهي لأهله للمبالغة، ﴿**وأضلُّ عَن سواء السبيل(٦٠)**﴾ عَن قصد الطريق الموصل إِلَىَ الجنَّة.

﴿**وإذا جاءوكم قَالُوا آمنَّا وقد دخلوا بالكفر وَهُمْ قد خرجوا بِهِ**﴾ أي: دخلوا كَافِرِينَ وخرجوا كَافِرِينَ، وتقديره ملتبسين بالكفر لاَ منفكِّين

---

١ - سورة آل عمران: ٢١.

عَنْهُ، وكذلك قد دخلوا وَهُمْ قد خرجوا، معناه: دخلوا فيما دخلوا فِيهِ كَافِرِينَ، وخرجوا فيما خرجوا مِنْهُ مِنَ الأمور كَافِرِينَ، معناه: لاَ يزايلهم الكفر، كَانُوا ملازمين للأمور أم تاركيها. ﴿وا لله أعلم بِمَا كَانُوا يكتمُونَ(٦١)﴾ مِنَ النفاق.

﴿وترى كثيرا مِنْهُمْ يسارعون فِي الإثم والعدوان﴾، قيل: الإثم مَا يختصُّ بهم، والعدوان مَا يتعدَّاهم إِلىَ غيرهم؛ والمسارعة فِي الشيء: الشروع فِيهِ بسرعة عَن فواته عَنْهُمْ، لأَنَّ الهوى قادهم إِلَيْهِ، ﴿وأكلهم السحت لبِيسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٢)﴾ لبيسَ شَيْئًا عملوه.

﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿ينهاهم الربَّانيُّون والأحبار عَن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئسَ مَا كَانُوا يصنعُونَ(٦٣)﴾ هَذَا ذمٌّ للعلماء، والأوَّل للعامَّة؛ وعن ابن عبَّاس: «هِيَ أشدُّ آية فِي القرآن، حيث أُنزل تارك النهي عَن المنكر منزلة مرتكب المنكر».

﴿وقالت اليهود: يد ا لله مغلولة، غُلَّت أيديهم، ولعنوا بِمَا قَالُوا، بَلْ يداه مبسوطتان﴾، روي أَنَّ اليهود لـمَّا كذَّبوا رسول ا لله كفَّ ا لله مَا بسط عَلَيْهِم مِنَ السعة، وكَانُوا من أكثر الناس مالا؛ فعند ذَلِكَ قَالَ فنحاص: يد ا لله مغلولة، ورضي بقوله الآخرون، فأشركوا فِيهِ، وغلُّ اليد وبسطها مجاز عَن البخل والجود، ومِنْهُ قوله: ﴿وَلاَ تجعل يدك مغلولة إِلىَ عنقك﴾[1]، و[من] لم ينظر فِي علم البيان تحيَّر فِي تأويل أمثال هَذِهِ الآيَة؛ وقوله: ﴿غُلَّت أيديهم﴾ دعاء عَلَيْهِم بالبخل،

١ - سورة الإسراء: ٢٩.

ومن ثَمَّ كَانُوا أبخل خلق ا لله؛ وقال بعض أهل المعاني قولهم: «يد ا لله مغلولة» قلّة الثقة بوعد ا لله، واطمئنانهم بمكاسبهم وَمَا فِي أيديهم، وقوله: ﴿بَلْ يداه مبسوطتان﴾ قيل: رحمته لأهل الطاعة، وعقوبته عَلَى أهل المعصية، وقيل معنى: ﴿بَلْ يداه مبسوطتان﴾ يعني: نعمتيه نعمة الدين ونعمة الدُّنْيَا، قَالُوا: النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة. ﴿يُنفق كيف يَشَاء﴾ تأكيد للوصف بالكرم، ودلالة عَلَى أنَّه لاَ ينفق إِلاَّ عَلَى مقتضى الحكمة. ﴿ولَيَزيدَنَّ كثيرا مِنْهُمْ مَا أُنزل إليك من رَبكَ طغيانا وكفرا﴾ أَي: يزدادون عند قيام الحجَّة طغيانا وكفرا بردِّهم لها. ﴿وألقينا بَيْنَهُمُ العداوة والبغضاء إِلَى يوم القيامة﴾ عقوبة وعذابا معجَّلا لَهُمْ؛ وَأَمَّا من عادى أعداء ا لله، أو عادوه عَلَى دينه، فذلك ابتلاء يبتلي بِهِ من يَشَاء، وَلَهُ زيادة ثواب إن صبر، وزيادة دركات عذاب لمن كفر. ﴿كلَّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها ا لله﴾ كلَّما أَرَادوا حرب الرسول وإثارة شرٍّ عليه، ردَّهم ا لله بِأن أوقع بَيْنَهُمْ منازعة كفَّ بها عَنْهُ شرَّهم، لأنَّهم تجمعهم كلمة الحقِّ. ﴿ويَسعَوْنَ فِي الأَرْض فسادا﴾ ويجتهدون فِي دفع الإسلام، ﴿وا لله لاَ يحبُّ المفسدِينَ(٦٤)﴾.

﴿ولو أنَّ أهل الكتاب آمنوا واتَّقَوا﴾ وقَرنوا إيمانهم بالتقوى. ﴿لكفَّرنا عَنْهُمْ سَيِئَاتهم ولأدخلناهم جَنَّات النعيم(٦٥)﴾.

﴿ولو أنـَّهم أقاموا التَّوْرَاة [١٣٠] والإِنـْجِيل﴾ أقاموا أحكامهما وحدودها وَمَا فِيهَا، وَإِلاَّ فهما مُسْتَقِيمان فِي الحقيقة بإقامة ا لله إيَّاهما من

غير إقامتهم إيَّاهما، وإقامته (لَعَلَّهُ) القيام بِهِ، والذبُّ عنه[1]. ﴿وَمَا أُنزل إِلَيْهِم من ربهم﴾ من سائر كتب الله، لأنَّهم مكلَّفون الإيمانَ بجميعها، فكأنَّما أنزلت إِلَيْهِم، وقيل: هُوَ القرآن، وقيل: هُوَ كلُّ حجَّة من حجج الله قامت عَلَيْهِم، من حجَّة عقل أو غيره. ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ حلالا طيِّبا، يعني: مِنَ الثمار، أو من مَا أنزل مِنَ السَّمَاء من رزق. ﴿ومِن تحتِ أرجلهم﴾ يعني: الزروع، أو هَذَا عبارة عَن التوسعة؛ ودليل الآية[2] عَلَى أنَّ العمل بطاعة الله سبب لسعة الرزق؛ وَهُوَ كقوله: ﴿ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتَّقَوا لفتحنا عَلَيْهِم بركات مِنَ السَّمَاء والأَرْض﴾[3]، ﴿ومن يتَّقِ الله يَجعلْ لَهُ مَخرَجا ويَرزُقْه من حيث لاَ يَحتسِب﴾[4]، ﴿فقلت استغفروا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غفَّارا...﴾[5] الآية، ﴿وأن لو استقاموا عَلَى الطريقة...﴾[6] الآية، ومعنى هَذِهِ الآيات مخصوصة[7] لأهل الطاعة، ضاق عَلَيْهِمُ الرزق أو اتَّسع، (لَعَلَّهُ) وَلاَ يكون رزق المُؤمِن إلاَّ واسعا وإن ضاق، لأنَّ ثوابه الجنَّة، ولايكون رزق الكافر إِلاَّ ضيِّقا، لأنَّ الدُّنْيَا متاعها قليل، كما قَالَ: ﴿ومن أعرض عَن

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وإقامتهما (لَعَلَّهُ) القيام بِهِما، والذبُّ عنهما».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وفي الآيَة دَلِيل...».

٣ - سورة الأعراف: ٩٦.

٤ - سورة الطلاق: ٢-٣.

٥ - سورة نوح: ١٠. وتمامها وَهُوَ محلُّ الشاهد: ﴿...يرسلِ السماءَ عليكم مِدرارا ويُمدِدْكم بأموالٍ وبنينَ ويجعلْ لكم جنَّاتٍ ويجعلْ لكم أنهارا﴾.

٦ - سورة الجنّ: ١٦؛ وتمامها: ﴿وأن لَو استقاموا عَلَى الطريقة لأسقيناهم ماء غَدَقا﴾.

٧ كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مخصوص»، والضمير يعود إِلَى «معنى».

ذكري فإنَّ لَهُ معيشة ضنكا﴾[1]. ﴿**مِنْهُمْ أمـةٌ مقتصدة**﴾ قيل: هِيَ الأمـةُ الـمُؤمِنة، عادلـة غـير غاليـة وَلاَ مقصِّـرة، ﴿**وكثيرٌ مِنـهُمْ سـاء مَـا يَعْمَلُونَ(٦٦)**﴾ وكثير مِنْهُمْ مَا أسوء عملهم.

﴿**يَا أَيُّهَا الرسول بلغ مَا أُنزل إليك من ربك**﴾ جميع مَـا أنـزل إليـك، غير مراقب فِي تبليغه أحدا، وَلاَ خائف أن ينالك مكروه. ﴿**وإن لَـمْ تَـفعلْ**﴾ وإن لم تُبلـِّغ جميعه كما أمرتـك، ﴿**فما بلَّغت رسالته**﴾ فلم تبلـِّغ إذًا مَـا كلَّفتك من أداء الرسالة، و لم تؤدِّ منهـا شَيْـئًا فِي الحقيقـة، وذلـك أنَّ بعضهـا ليس بأولى بالأداء من بعض؛ فإذا لم تؤدِّ بعضها، فكأنَّما أغفلت أداءها جميعا، كما أنَّ من لم يؤمن ببعضها، كَانَ كمن لاَ يؤمن بكلِّهـا، لكونهـا فِي حكـم شيء وَاحِد، لدخولها تحت خطاب واحد؛ والشيء الوَاحِد لاَ يكون مبلَّغا غـير مبلَّغ، وَلاَ مُؤْمنا بِـهِ غير مُؤْمَن بِـهِ، هَـذَا مَـا لاَ يجوز، ﴿**والله يعصمُك مِنَ النـاس**﴾ مـن إغوائهـم وإضلالهـم إيـَّاك، ﴿**إنَّ الله لاَ يهـدي القـوم الْكَافِرِينَ(٦٧)**﴾ لاَ يُمكِّنهم مَا يريدون من دين وَلاَ دنيا.

﴿**قل يا أهل الكتاب: لستم عَلَى شيء**﴾ فِي الحقيقة عَلَـى ديـن وَلاَ دنيـا يعتدُّ بِهِ، حتَّى يسمَّى شَيْـئًا لبطلانه، لأنَّـهم خسروا الحَالَين، وإنَّـما هـم فيمـا هم عليه من أمر دنياهم أمور وهميَّة لاَ حقيقة لها، بمنزلة اللَّهو واللَّعب الذي لا يثمر فائدة، بَلْ يثمر التعب والتعذيب. ﴿**حتىَّ تُقيموا التَّوْرَاةَ والإِنْجيل وَمَا أُنزل إليكم من ربـكم**﴾ أي: القرآن أي: تقيموا أحكامها وَمَـا يجب عَلَيْكُـم

---

١ - سورة طه: ١٢٤.

فِيهَا، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كثيرا مِنْهُمْ مَا أنزل إليك من رَبكَ طغيانا وكفرا﴾ بكفرانهم بِمَا فِيهِ، ﴿فلا تَأْسَ عَلَى القوم الْكَافِرِينَ(٦٨)﴾ فلا تتأسَّف عَلَيْهِم فإنَّ ضرر ذَلِكَ يعود عايهم.

﴿إنَّ الذِينَ آمنوا﴾ بألسنتهم، ﴿وَالذِينَ هادوا والصابئون والنصارى﴾ قيل: ارتفع «الصابئُون» بالابتداء. ﴿من آمن با لله واليوم الآخر﴾ بقلوبهم، ﴿وعمل صالحا﴾ بالتوحيد، وصدَّق إيمانه بالعمل [١٣١] الصالح، ﴿فلا خوفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هم يحزنُونَ(٦٩)﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذنا ميثاق بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (لَعَلَّهُ) بالتوحيد، ﴿وأرسلنا إِلَيْهِم رُسلا﴾ ليقفونهم[1] عَلَى مَا يأتون (لَعَلَّهُ) ويذرون فِي دينهم، ﴿كلَّما جاءهم رسول بِمَا لاَ تهوى أنفسُهم﴾ بِمَا يخالف هواهم، ويَضادُّ شهواتهم من مشاقِّ التكليف، والعمل بالشرائع. ﴿فريقا كذَّبوا وفريقا يَقتُلُونَ(٧٠)﴾ ففريق شأنهم التكذيب، وفريق شأنهم القتل.

﴿وحسبوا ألاَّ تكون فتنةٌ﴾ حسبوا أن لاَ يصيبهم من أمر ا لله عذاب بسبب التكذيب والقتل لأنبياء ا لله؛ أو وحسبوا أن لا يكون التكذيب والقتل معصية، بِمَا خيَّل لَهُمُ الشيطان، ﴿فَعموا وصمُّوا﴾ فعموا عَن الحقِّ باتِّباع أهوائهم، ﴿ثمَّ تاب ا لله عليهم﴾ لـمَّا تابوا؛ ﴿ثمَّ عَموا وصمُّوا كثير مِنْهُم﴾ من حيث أنَّهم ارتدُّوا عَلَى أدبارهم، ﴿وا لله بصير بِمَا يَعْمَلُونَ(٧١)﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ليوقفوهم».

﴿لَقَدْ كَفَر الذِينَ قَالُوا: إِنَّ ا للهَ هُوَ المسيحُ ابنُ مَرْيَم؛ وقال المسيح: يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعبدوا ا لله رَبي وربَّكم﴾ لم يفرِّق عيسى بَيْنَهُ وبينهم، فِي أنَّه عبدٌ مربوب. **﴿إنَّهُ من يشركْ با لله﴾** فِي عبادته غير ا لله، شرك الجحود أو شرك الطاعة، **﴿فقد حرَّم ا للهُ عليه الجنَّةَ﴾** التِي هِيَ دار الموحِّدين المطيعين، **﴿ومأواه﴾** ومَرجِعه **﴿النار﴾** التِي أُعدَّت للكَافِرِينَ، **﴿وَمَا للظالمين من أنصار(٧٢)﴾** ينصرهم ويحميهم من عذاب ا لله ويدخلهم الجنَّة.

﴿لَقَدْ كَفر الذِينَ قَالُوا: إِنَّ ا للهَ ثالثُ ثلاثة﴾ أي: ثالث ثلاثة آلهة، **﴿وَمَا مِنَ الَهٍ إلاَّ إله واحد﴾** أي: وَمَا إله قطُّ فِي الوجود، إلاَّ إله موصوف بالوحدانيَّة، لاَ ثاني لَهُ، وهو ا لله وحده لاَ شريك لَهُ؛ **﴿وإن لم ينتهوا عمَّا يقولون﴾** بلسان المقال أو بلسان الحال، **﴿ليمسَّنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عذاب أليم(٧٣)﴾** فِي الدارين.

﴿أفلا يتوبون إِلَى ا لله ويستغفرونه﴾ أفلا يتوبون بعد هَذِهِ الشهادة ـ المكرَّرة[1] عَلَيْهِم بالوحدانيَّة لله وبإشراكهم بِهِ ـ وهذا الوعيد الشديد مِمَّا هم عليه، وفيه تعجُّب من إصرارهم. **﴿وا لله غَفُور رحيم(٧٤)﴾** يَغْفِر لمن تاب.

﴿مَا المسيح ابنُ مَرْيَم إلاَّ رسولٌ﴾ فِيهِ نفي الألوهيَّة، **﴿قد خَلَتْ من قَبلِه الرسلُ﴾** أي: مَا هُوَ إلاَّ رسول من جنس الرسل الذِينَ خلوا من قبله، لم

١- في الأصل: «المكرَّر»، وهو خطأ.

يكن منه ـ لأنَّهُ إله بَل للهِ[1] ـ إبراءُ الأكمهِ والأبـرص، وإحيـاء الموتـى عَلَـى يده، ﴿وأمــُّه صِديقـة﴾ أي: وَمَـا أمُّـه أيْضـًا إلاَّ كبعـض النسـاء المصدِّقـات للأنبياء، الـمُؤمِنات بهم، ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ لأنَّ من احتاج إِلَى الاغتـذاء وَمَا يتبعه مِنَ الهضم والنقص، لم يكن إِلاَّ جسما مركّبا من لحـم وعظـم يـدلُّ عَلَمُه عَلَى أنـَّه مصنوع مؤلَّف كغيره مِنَ الأجسام. ﴿انظر كيف نـُبَـيـنُ لَهـُمُ الآيات﴾ أي: الأعلام مِنَ الأدلَّة الظاهرة عَلَى بطلان مَا هم عليـه مِـنَ الكفـر، ﴿ثمَّ انظر أنىَّ يؤفكُونَ(٧٥)﴾ كيف يُصرفون عَن استماع الحقِّ وتأمُّلـه بعـد هَذَا البيان.

﴿قل: أتعبدون من دون الله مَا لاَ يملك لكم ضرًّا وَلاَ نفعا﴾ كلُّ مَـا يعبـد من دون الله من هوى الأنفس وغيرها، وهذا شاهد ثانٍ[2]؛ لاَ يملـك لعامله ضـرًّا وَلاَ نفعا. ﴿والله هُوَ السميع العليم(٧٦)﴾ القادر عَلَى الضرِّ والنفع.

﴿قل يا أهل الكتاب: لاَ تَغلـوا فِي دينكـم﴾ الغلـوُّ: مجـاوزة الحـدِّ، فغلُـوُّ النصـارى رفعـه فـوق قـدره باستحقاق الألوهيَّـة؛ وغلـوُّ اليهـود وضعـه عَــن استحقاق النبوَّة. ﴿غير الحق﴾ أي: علوًّا باطلا، وقوله ﴿غــير الحـقِّ﴾ أي: فِي دينكم (لَعَلَّهُ) المخالف [١٣٢] للحقِّ؛ وذلك بأنـَّهم خـالفوا الحـقَّ، (لَعَلَّـهُ) فِي دينهـم، لأنَّ الغلوَّ فِي الدين غلـوَّان: حـقٌّ، وَهُـوَ أن يفـحـَص عَـن حقائقــه،

١ - في الأصل: « الله »، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «ثاني»، وهو خطأ.

وينقش[1] عَن أباحر [كَذَا] معانيه، ويجتهد فِي تحصيل حججه، كما يفعل المتكلّمون من أهل العدل والتوحيد، وغلوٌّ باطلٌ وَهُوَ أن يتجاوز الحقّ، ويتخطّاه بالإعراض عَن الأدلّة واتّباع الشبهة، كما يفعل أهل الأهواء والبدع. **﴿وَلاَ تتّبعوا أهواء قوم قد ضلُّوا مِن قبلُ، وأضلُّوا كثيرا وضلُّوا عَن سواء السبيل(٧٧)﴾** عَن قصد السبيل.

﴿لُعن الذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لسان داوودَ وعيسى ابنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أنزل لعنهُم عَلَى ألسنتهما بِمَا أوحي إِلَيْهِما، **﴿ذَلِكَ بِمَا عصوا وكَانُوا يعتدُونَ(٧٨)﴾** ذَلِكَ اللّعن بعصيانهم واعتدائهم؛ ثُمَّ فسَّر المعصية والاعتداء بقوله: **﴿كَانُوا لاَ يتناهون﴾** لاَ ينهى بعضهم بعضا **﴿عَنْ منكر فعلوه، لبِئسَ مَا كَانُوا يفعلُونَ(٧٩)﴾**، وفيه دليل عَلَى أنَّ ترك المنكر مِنَ العظائم.

﴿ترى كثيرا مِنْهُمْ يتولَّون الذِينَ كَفَرُواْ، لبِئْسَ مَا قدَّمت لَهُم أنفسُهم﴾ بِئسَ مَا قدَّموا مِنَ العمل لأنفسهم فِي معادهم، **﴿أن سَخِطَ الله عليهم﴾** لبِئسَ شَيْئًا قدَّموه لأنفسهم، **﴿سخطَ الله عَلَيْهِم﴾** أي: موجب سخط الله أبد الآباد، وهذا مُذ قارفوا المعصية أعظم شيء عَلَيْهِم، كما أنَّ رضاه عَن المؤمنين أبدَ الآباد أكبر شيء. **﴿وفِي العذاب هم خالدُونَ(٨٠)﴾** (لَعَلَّهُ) لاَ محيد لَهُمْ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَة، إلاَّ بالتوبة إِذَا تابوا فِي الحياة.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلّها من البحث والاستخراج، قال في اللسان: «ونَقَش عن الشوكة ينقشها نقشا، وانتقشها: أخرجها من رجله، وبه سمِّي المنقاش». ابن منظور: لسان العرب، ٦/٧٠٤، مادّة «نقش».

﴿ولو كَانُوا يُؤْمِنُونَ با لله﴾ إيمانا خالصا بلا نفاق، ﴿والنبي﴾ محمَّد ﷺ، ﴿وَمَا أنزل إِلَيْـهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿مَا اتَّخذوهم أولياء﴾ مَا استقام لَهُـم أن يتَّخذوا المشركين أوليـاء، يعـني: أنَّ مـوالاة[1] المشـركين تـدلُّ عَلَـى نفـاقهم، ﴿ولكنَّ كثيرا مِنْهُمْ فاسقُونَ(٨١)﴾ متمرِّدون فِي كفرهم ونفاقهم، ومعنـاه: ولو كَانَ هؤلاء اليهود يُؤْمِنُونَ با لله وبموسى وبما أنزل إِلَيْـهِ، يعـني: التَّوْرَاة، مَا اتَّخذوا المشركين أولياء، كما لم يوالهم المـُسْلِمُونَ؛ ﴿ولكـنَّ كثـيرا مِنْـهُمْ فاسقون﴾ خارجون عَن دينهم، فلا دين لَهُم يُعتدُّ بِهِ أصلا.

﴿لَتجدَنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهـود وَالذِيـنَ أشـركوا﴾ إذَا اعتبرت أحوالهم، ﴿وَلَتجدَنَّ أقربَـهم مـودَّة للذيـن آمنـوا الذِيـنَ قَـالُوا: إِنـَّا نصارى﴾ لم يُرد بِهِ جميع النصارى، لأنـَّهم فِي عداوتهم للمسلمين كاليهود فِي قتلهم المـُسْلِمِينَ وأسرهم، وتخريب بلادهم، وهدم مساجدهم، لاَ وَلاَ كرامـة لَهُمْ، بَل الآيـَة فيمن أسلم مِنْهُمْ مثـل النجاشـيِّ وأصحابـه؛ وقيـل: نزلـت فِي جميع اليهود وجميع النصارى، لأنَّ اليهود أقسى قلبا، والنصارى ألين قلبا مِنْهُمْ (لَعَلَّهُ) وأقلُّ مظاهرة. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قسيسين ورهبانا﴾ أي: سبب مـودَّة النصـارى للذيـن آمنـوا، لأنَّ مِنْـهُمْ علمـاء وعبـَّادا يعطفـون قومهـم لمـوادَّة المؤمنين، ﴿وأنـَّهم لاَ يستكبرُونَ(٨٢)﴾ لاَ يتعظَّمـون عَـن الإيمـان والإذعـان للحقِّ، وفيه دَلِيل عَلَى أنَّ العلم أنفع شيء، وأهداه إِلَى الخير.

﴿وإذا سمعوا مَا أنزل إِلَى الرسول تَرَى أعينَهـم تفيـض مِـنَ الدمـع مِمَّـا عَرَفوا مِنَ الحق﴾ وصفهم برقَّة القلوب، وأنـَّهم يبكون عند اسـتماع القـرآن؛

---

١ - في الأصل: «مولاه»، وهو خطأ.

﴿يقولون: رَبـَّنَا آمنـَّا﴾ بمحمَّدٍ ﷺ وبما جاء بهِ، **﴿فاكتبنا [١٣٣] مَعَ الشاهدِينَ(٨٣)﴾** مَعَ المحقّين المصدِّقين الصادقين.

﴿وَمَا لَنَا لاَ نؤمن با لله﴾ إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان، مَعَ قيام موجبه، وَهُوَ الطمع فِي إنعام ا لله عَلَيْهِم بصحبة الصالحين، **﴿وَمَا جاءنا مِنَ الحق، ونطمعُ أن يُدخِلنا رَبُّنَا مَعَ القوم الصالحِينَ(٨٤)﴾** فِي سعيهم وجزائهم.

﴿فأثابهم ا لله بِمَا قَالُوا جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا﴾، لأَنـَّهُ من سلك طريق الجنَّة صار كأنـَّه فِيهَا، كقوله لصدِّهم: **﴿فما أصبرهم عَلَى النار﴾**![1]، أو لأَنَّ مصيرهم فِي الآخِرَة إِلَيْهَا. **﴿وذلك جزاء المحسنِينَ(٨٥)﴾** الذِينَ أحسنوا النظر والعمل، واعتادوا الإحسان فِي الأمور.

﴿وَالذِينَ كَفَرُوا وكذَّبوا بِآيَاتِنا أُوْلَئِكَ أصحاب الجحيم(٨٦)﴾ هؤلاء ضدّ الأَوَّلين.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تحرموا طيبات مَا أَحلَّ ا لله لكم وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ ا لله لاَ يحبُّ المعتدِينَ(٨٧) وكلوا مِمَّا رزقكم ا لله حلالا طيبا، واتَّقُوا ا لله الذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنونَ(٨٨)﴾ لأَنَّ الإيمان بِهِ يوجب تقواه وامتثال أمره.

﴿لاَ يؤاخذُكم ا لله باللَّغو فِي أَيْمانكم﴾ اللّغو فِي اليمين: الساقط الذِي لاَ يتعلّق بِهِ حكم، وَهُوَ أن يحلف عَلَى شيء يرى أنـّه كذلك، وليس كما ظنّ، وقيل: مَا يجري عَلَى اللّسان بلا قصد، وقيل: هُوَ أن يحلف الرجل ببعض

١- سورة البقرة: ١٧٥.

اليمين، ثُمَّ يمسك عَن تمامها خوف الإثم؛ فهذا هُوَ اللّغو الـذِي لاَ يؤاخـذ بـهِ، وَأمَّا من أتمَّ اليمين فقد عقدها، وقـد وجبـت الكفّـارة عليـه إن كَـانَ كاذبـا؛ . وليس هُوَ كما قيل: إنَّ اللغو فِي الأيمان مثل قول الرجـل: «لاَ وا الله»، «وبلـى وا الله»، وَلاَ يريد بهذا يمينا، وأنَّ هَذَا اللغو لاَ يؤاخَذ به، ولكن كلُّ مـا حلـف بِهِ الإنسان فهـو لَـهُ أو عليـه. **﴿ولكـن يؤاخذكـم بِمَـا عقّـدتم الأيمـان﴾** أي: بتعقيدكم الأيمان، وهو توثيقها؛ والعقد: العزم عَلَى الوفـاء، والمعنـى: **﴿ولكـن يؤاخذكم بِمَا عقّدتم﴾** إِذَا حنثتم، وإذا كَانَ لاَ يؤاخذ بالأيمان مـن غـير عقـد، فكذلك لاَ يثاب عَلَى أيمانه بغير عقد؛ **﴿فكفـّـارته إطعـامُ عشـرةِ مسـاكين﴾** وَهُوَ أن يغدِّيَـهم ويعشِّيهم؛ وقيل: يجوز أن يعطيهم بطريق التمليـك، وَهُـوَ مَـا حُدَّ فِي الشرع، **﴿من أوسط مَا تطعمون أهليكم﴾** قيل: الأوسط (لَعَلَّهُ) الخبز والخلّ، وإلاَّ على الخـبز (لعلّـه) النجـب[1]، والكـلُّ مجـزي. **﴿أو كسـوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيَّام، ذَلِكَ كفـّـارة أيمـانكم إِذَا حَلفتـم واحفَظوا أيمانكم﴾** فبرُّوا فِيهَا وَلاَ تحنثوا، إِذَا لم يكن الحنـث خـيرا، قيـل: أَرَادَ بِهِ ترك الحلف، أَي: (لَعَلَّـهُ) لاَ تحلفـوا، وقيـل: أَرَادَ بِـهِ إِذَا (لَعَلَّـهُ) حلفتـم فـلا تحنثوا، والمُرَاد بِهِ حفظ اليمين عَن الحنث؛ وقيل: احفظوا كيـف حلفتـم بهـا، وَلاَ تنسوها تهاونـا بهـا، وقيـل: إِذَا حلـف وحنـث ليحفظْهـا حتّـى يكفّرهـا، **﴿كذلـك يُبَيـنُ ا الله لكـم آياتـه﴾**، أعـلام شـريعته وأحكامـه، **﴿لَعَلَّكُـمْ تشكرُونَ(٨٩)﴾** نعمته فيما علّمكم، فتعملوا بِهِ.

---

١ - كذا في الأصل، وقد بحثنا في اللسان عن معنى للكلمة يوافق السياق فلم نجد.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِنَّمَا الخمر والميسر﴾ القمار، ﴿والأنصاب﴾ الأصنام، لأَنَّهَا تُنصَب فتعبد، ﴿والأزلام﴾: وهي القداح التِي مرَّ ذكرها، ﴿رجس﴾ نجس أو خبيث مستقذر ﴿من عمل الشيطان﴾ لأَنَّهُ يُحمل عليه، فصار كأنَّه عمله؛ ﴿فاجتنِبوه لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ(٩٠)﴾.

﴿إنَّمَا يريد الشيطان أن يوقِع بينكم العداوةَ والبغضاءَ فِي الخمر والميسرِ، ويَصُدَّكم عَن ذِكرِ ا للهِ وعن الصلاة﴾ ذَكَر مَا يتولَّد منهما مِنَ الوبال، وَهُوَ [١٣٤] وقوع التعدِّي والتباغض، من أصحاب الخمر والقَمْر، وَمَا يؤدِّيان إِلَيْهِ مِنَ الصدِّ عَن ذكر ا لله، وعن مراعاة أوقات الصلاة، وخُصَّ[1] من بين الذكر لزيادة درجتها، كأنَّه قَالَ: وعن الصلاة خصوصًا. وانظر إِلَى أحوال الشيطان كيف يزيِّن فعل معصية لتكون سببا لركوب معاصي، وتركا لـمَا فرض ا لله، وعقوبة فِي الدُّنيَا، وهي العداوة والتباغض، وإضاعة المال فِي المعاصي، وعذاب النار فِي الآخِرَة لمن لم يتب؛ ﴿فهل أَنتُمْ مُنتَهُونَ(٩١)﴾؟ مِن أبلغِ مَا يُنهى بِهِ، كأنَّه قيل: قد تَلى عَلَيْكُم مَا فيهما من أنواع الصوارف والزواجر، فهل أَنتُم مَعَ هَذِهِ الصوارف منتهون؟ أو أَنتُم عَلَى مَا كُنتُم عَلَيه، كأن لم توعظوا أو لم تنزجروا.

﴿وأطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول، واحذروا﴾ الشيطان، وكونوا حذرين منه، لأنَّهم إِذَا حذروا دعاهم الحذر إِلَى عمل الحسنات واتِّقاء السيِّئات؛ ﴿فإن تولَّيتم﴾ عَن الطاعة والحذر، ﴿فاعلموا أَنَّمَا عَلَى رسولنا البلاغ الْمُبِين(٩٢)﴾ أي: ليس عَلَى رسولنا إِلاَّ إبلاغكم بالآيات البَيِّنَات.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «خُصَّت».

﴿ليس عَلَى الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات جُنَاح فيما طَعموا﴾ مِنَ الخمر قبل التحريم، **﴿إذَا مَا اتَّقَوا﴾** الشرك **﴿وآمنوا﴾** با لله **﴿وعملوا الصالحات﴾** بعد الإيمان؛ **﴿ثم اتَّقَوا﴾** الخمر والميسر بعد التحريم، **﴿وآمنوا﴾** بتحريمها؛ **﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾** سائر المحرَّمات؛ أو الأوَّل: عَن الشرك، والثاني: عَن المحرَّمات، والثالث: عَن الشبهات؛ أو لأنَّهم أَرَادوا بأكل الطعام الحلال وجه ا لله، فلم تبق عَلَيْهِم تباعة؛ ليس كمثل الذِينَ طَعموا وتقَوَّوا بِهِ عَلَى المعاصي كقوله: ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[1]، **﴿وأحسَنوا﴾** و لم يسيئوا **﴿وا لله يحِبُّ المحسنِينَ(٩٣)﴾**.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لَيبلونَّكم ا لله بشيء مِنَ الصيد، تناله أيديكم ورِماحُكم﴾ معنى يبلو: يختبر[2]، وَهُوَ مِنَ ا لله تعالى لإظهار مَا علم مِنَ العبد، عَلَى مَا علم، لاَ ليعلم مَا لم يعلم، **﴿ليعلمَ ا للهُ من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذَلِكَ، فله عذاب أليم(٩٤)﴾** فالوعيد لاَحق بِهِ، فإنَّ من لاَ يملك حاشيه[3] الصبر فِي مثل ذَلِكَ، وَلاَ يراعي حكم ا لله فِيهِ، فكيف بِهِ فيما تكون النفس أميل إِلَيْهِ وأحرص عليه.

١ - فِي الأصل: «واهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة»، وهو خطأ. سورة الأعراف: ٣٢.

٢ - فِي الأصل: «ويختبز».

٣ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «جأشه»، و«الجأش: النفس، وَقِيلَ: القلب، وَقِيلَ: رباطه وشدَّته عند الشيء، تسمعه لا تدري ما هو». ابن منظور: لسان العرب، ٣٩٠/١، مادَّة «جأش».

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم**﴾ أي: مُحرِمون، ﴿**ومن قتله منكم متعمدا**﴾ أي: ذاكرا لإجرامه، أو عالما أنَّ مَا يقتله مِمَّا يُحرم قتله عليه؛ ﴿**فجزاء مثل مَا قَتَل مِنَ النَّعَم**﴾ معناه: أنَّه يجب عليه مثل ذَلِكَ الصيد مِنَ النعَم، وأَرَادَ مَا يَقرُب مِنَ الصيد المقتول، شبها من حيث الخلقة لاَ من حيث القيمة، ﴿**يحكم بِهِ ذَوَا عدل منكم**﴾ حكمان عادلان، ﴿**هديا بالِغَ الكعبةِ، أو كفَّارة طعام مساكين، أو عدل ذَلِكَ صياما ليذوق وبالَ أمره**﴾ ليذوق سوء عاقبة هتكه لِحُرمة الإحرام، لعلَّ ذَلِكَ يكون ردعا؛ والوبال: المكروه والضرر الذِي يُنال فِي العاقبة من عمل سوء لثقله عليه، ﴿**عفا ا لله عَمَّا سلف**﴾ قبل التحريم؛ ﴿**ومن عاد**﴾ إلَى قتله بعد له[1] التحريم؛ ﴿**فينتقمُ ا لله منه**﴾ بالجزاء، وهذا من أشدِّ الوعيد، ﴿**وا لله عزيزٌ ذو انتقام(٩٥)**﴾ لمن جاوز الحدود.

﴿**أُحلَّ لكم صيدُ البحر، وطعامُه متاعا لكم وللسَّيارة**﴾ وللمسافرين، ﴿**وحُرم عَلَيْكُم صيد البر مَا دمتم حُرُما، واتَّقُوا ا لله [١٣٥] الذِي إِلَيْهِ تحشرُونَ(٩٦)**﴾.

﴿**جَعَل ا لله الكعبةَ البيتَ الحرامَ**﴾ سُمِّي البيت الحرام: لأنَّ ا لله حرَّمه وعظَّم حرمته، قَالَ النبي ﷺ: «*إنَّ ا لله حرَّم مكَّة يوم خلق السَّمَاوَات والأَرْض*»[2] عَلَى مَا يُروى عَنْهُ؛ ﴿**قياما للنَّاس**﴾ أي: انتعاشا لَهُمْ فِي أمر

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: - «له». أو «بعد ما بان له التحريم».

٢ - رواه البخاري فِي كتاب المغازي، رقم٣٩٧١، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ رَسُولَ ا للهِ ﷺ قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ

دينهم، ﴿والشهر الحرام﴾ والشهر الـذِي يُؤدَّى فِيهِ الحـج، ﴿والهدي﴾ مَا يُهدى إِلَى مكَّة، ﴿والقلائد﴾ والمقلَّد مِنْهُ خصوصا، وهو البُـدن فـالثواب فِيـهِ أكثر، وبَهاء الحجِّ معه أظهر؛ ﴿ذَلِكَ لتعلموا أنَّ ا لله يعلم مَـا فِي السَّـمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض، وأنَّ ا لله بكل شيء عليم(٩٧)﴾ أي: جعل ذَلِكَ لتعلموا أنَّ ا لله يعلم مصالح مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض، وكيف لاَ؛ وَهُوَ بِكُلِّ شـيء عليم. ﴿اعلموا أنَّ ا لله شديد العقاب﴾ لمـن عصـاه حيـًّا ومَـيـِّتا ﴿وأنَّ ا لله غَفُور رحيم(٩٨)﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، ثُمَّ اهتدى.

﴿مَا عَلَى الرسولِ إِلاَّ البلاغ﴾ تشديد فِي إيجاب القيام بِمَا أمر بِهِ، وأن الرسول قد فرغ مِمَّا وجب عليه مِنَ التبليغ، وقامت عَلَيْكُم الحجَّـة، ولزمتكـم الطاعة، وَمَا بقي إِلاَّ اختياركم فـلا عـذر لكـم فِي التفريـط، ﴿وا لله يعلـم مَـا تُبدون وَمَا تكتمُونَ(٩٩)﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم.

﴿قل: لاَ يستوي الخبيثُ﴾ وَهُوَ كلُّ مَا زجر عَنْهُ الشرع، ﴿والطيـب﴾ كلُّ مَا أباحه؛ فـلا تسوُّوا فِي الحكـم بينهمـا، ﴿ولـو أعجبـك كـثرةُ الخبيـث﴾، ومـالت نفسك إِلَيْهِ؛ ﴿فاتَّقُوا ا لله﴾ وآثروا الطيِّـب وإن قلَّ عَلَى الخبيـث وإن كـثر؛ وقيـل: هُوَ عَلَم فِي حـلال المـال وحرامـه، وصـالح العمـل وطالحـه، وجـيِّد النـاس ورديـئهم، ﴿ياأولي الألباب﴾ أي: العقول الخالصة، ﴿لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ(١٠٠)﴾.

= فَقَالَ: «إِنَّ ا للهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ ا للهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...». وانظر: البخاري: كتاب الحج، كتاب الجزية والموادعـة. مسـلم: كتـاب الحـجّ. النسائي: مناسك الحج. ابن ماجه: كتاب المناسك. أحمد: مسند بني هاشم؛ مسند المدنيِّين.

كَانُوا يسألون النبيَّ ﷺ عَن أشياء امتحانا؛ فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تسألوا عَن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم﴾ معانيها وتأويلها، ﴿وإن تسألوا عنها حين يُنزَّل القرآن، تُبد لكم﴾ أي: وإن تسألوا عَن هَذِهِ التكاليف الصعبة فِي زمان الوحي، وَهُوَ مَا دام الرسول بين أظهركم، تُبد لكم تلك التكاليف التِي تسؤكم، أي: تغمُّكم وتشقُّ عَلَيْكُم، وتؤمروا بتحمُّلها؛ فتعرضون أنفسكم لغضب ا لله بالتفريط فِيهَا، ﴿عفا ا لله عنها﴾ عفا ا لله عَمَّا سلف من مسألتكم، ﴿وَا للهُ غَفُورٌ حليم(١٠١)﴾ لاَ يعاقب إِلاَّ بعد الإنذار.

﴿قد سألها قوم من قبلكم، ثُمَّ أصبحوا بها كَافِرِينَ(١٠٢)﴾ صاروا بسببها كَافِرِينَ، قيل: «إنَّ ا لله فرض فرائض، فلا تسبقوها، ونهى عَن أشياء فلا تنتهكوها، وحدَّ حدودا فلا تعتدوها، وترك أشياء، فلم ينزل بها حكم من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها».

﴿مَا جعل ا لله من بَحيرة﴾ أي: مَا أنزل ا لله، ولا أمر به[1]، ﴿وَلاَ سائبة وَلاَ وصيلة وَلاَ حامٍ﴾، قيل: كَانَ أهل الجاهليَّة إِذَا نتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، شقُّوا أذنها، وامتنعوا مِنَ الانتفاع بها، وسمُّوها «بحيرة»؛ وكَانَ الرجل يقول: إِذَا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وحرَّم الانتفاع بها؛ وكَانَ الرجل إِذَا أعتق عبدا، قَالَ: هُوَ سائبة، فلا عقل بينه وبينه[2]. وكانت الشاة إِذَا ولدت سبعة أبطن، فإن كَانَ السابع ذكرا، أكله

١ - فِي الأصل: «والامر»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «بيني وبينه»؛ أو «بينه وبين عبده».

الرجال، وإن كَانَ أنثى أرسلت فِي الغنم؛ وكذا إن كَانَ ذكرا وأنثى، وَقَالُوا: وصلت أخاها، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قَالُوا: [١٣٦] قد حَمَى ظهرَه، فلا يُركب، وَلاَ يحمل عليه، وَلاَ يمنع من جاء، وَلاَ يرعى، ومعنى «مَا جعل»: مَا شرع ذَلِكَ وَلاَ أمر بِهِ، **﴿ولكنَّ الذِينَ كَفَرُواْ﴾** بتحريمهم مَا حرَّموا، **﴿يفترون عَلَى ا لله الكذب﴾** فِي نسبتهم هَذَا التحريم إِلَيْهِ، **﴿وأكثرهم لاَ يعقلُونَ(١٠٣)﴾** أنَّ ا لله لم يحرم ذَلِكَ وَهم عوامُّهم، أو أنَّ صاحب العقل السليم لاَ يحرم مَا أحلَّه ا لله.

﴿وإذا قيل لَهُمْ تعالوا إِلَى مَا أنزل ا لله وإلى الرسول﴾ أي: هلمُّوا إِلَى حكم ا لله ورسوله، بأنَّ هَذِهِ الأشياء غير مُحرَّمة، **﴿قَالُوا: حَسبُنا مَا وجدنا عليه آباءَنا﴾** أي: كافينا ذَلِكَ؛ **﴿أولو كَانَ آباؤهم لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلاَ يهتدُونَ(١٠٤)﴾** أي: لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنَ الأشياء فِي الحقيقة من أمر دين وَلاَ دنيا، والاقتداء إِنَّمَا يصحُّ بالعالم المهتدي، وإنَّما يعرف اهتداؤه بِالحُجَّةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا عَلَيْكُم أنفسكم﴾ أي: عَلَيْكُم إصلاح أنفسكم، وتزكيتها وتقويمها عَلَى المحجَّة، **﴿لاَ يضرُّكم من ضلَّ إِذَا اهتديتم﴾** قيل: كَانَ المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة عَلَى أهل العناد مِنَ الكفرة، يتمنَّون دخولهم فِي الاسلام، فقيل لَهُمْ: **﴿عَلَيْكُم أنفسكم﴾**، وَمَا كُلِّفتم من إصلاحها، لاَ يضرُّكم ضلالهم فِي دينكم، إِذَا كُنتُمْ مهتدين، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عَن المنكر، **﴿إِلَى ا لله مرجعكم جميعا، فينبِّئكم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥)﴾** فِيهِ وعد لمن اهتدى ووعيد لمن ضلَّ.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا شهادة بينكم إِذَا حضر أحدكم الموت﴾ أي: مرض الموت، ﴿حين الوَصِيَّة[1] اثنان ذوا عدل منكم﴾ من أهل دينكم، ﴿أو آخران من غيركم﴾ من غير أهل دينكم، قيل: هُوَ منسوخ ﴿إن أَنتُمْ ضربتم فِي الأَرْض فأصابتكم مصيبة الموت تَحبِسونهما من بعد الصلاة، فيقسِمان با لله إن ارتبتم لاَ نشتري بِهِ ثمنا ولو كَانَ ذا قربى، وَلاَ نكتم شهادة ا لله إِنَّا إِذًا لمن الآثمينَ(١٠٦)﴾.

﴿فإن عُثِرَ﴾ اطُّلِعَ ﴿عَلَى أَنَّهُمَا استحقَّا﴾ استوجبَا ﴿إثمًا﴾ بخيانتهما بأَيْمَانِهِمَا الكاذبة إثما، ﴿فآخران يقومان مقامَهما مِنَ الذِينَ استُحِقَّ عليهم﴾ مِنَ الذِينَ استُحِقَّ عَلَيْهِمُ الإثم، ومعناه: مِنَ الذين جُني عَلَيْهِم، وَهُمْ أهل المَيت وعشيرته، ﴿الأوليان﴾ الأحقَّان بالشهادة، لقرابتهما ومعرفتهما، ﴿فيُقسمان با لله لَشهادتُنا أحقُّ من شهادتهما وَمَا اعتدينا﴾ في أيماننا وقولنا: إنَّ شهادتنا أحقُّ من شهادتهما، ﴿إنَّا إِذَا لَمن الظالِمِينَ(١٠٧)﴾.

﴿ ذَلِكَ أدنى﴾ أقرب[2] ﴿أن يأتوا بالشهادة عَلَى وجهها﴾ كما حملوها بلا خيانة فِيهَا، أَي: ذَلِكَ الذِي حكمتما به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الشاهدان بالشهادة على وجهها، ﴿أو يخافوا أن تردَّ أيمان بعد أيمانهم﴾ قيل: أن تردَّ اليمين على المدَّعين بعد أيمانهم، فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة، وقيل: أَي: تكررُ أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم،

١ - في الأصل: - «حين الوصيَّة».

٢ - في الأصل: «قرب»، وَهُوَ خطأ.

فيفتضحوا بظهور كذبهم؛ ﴿واتَّقُوا ا لله﴾ فِي الخيانة واليمين الكاذبة، ﴿واسمعوا﴾ سَمْعَ قَبول وإجابة، ﴿وا لله لاَ يهدي القومَ الفاسقِينَ(١٠٨)﴾.

﴿يوم يجمع ا لله الرسل فيقول: ماذا أُجبتم﴾؟ هُوَ سؤال توبيخ لمن أنكرهم، ﴿قَالُوا لاَ علم لَنَا﴾ بإخلاص[1] قومنا، ﴿إنَّك أنت علاَّم الغيوب(١٠٩)﴾، أو بما أحدثوا بعدنا، [و]دليله: ﴿كنتَ أنت الرقيبَ عَلَيْهِم﴾، أو قَالُوا ذَلِكَ تأدُّبًا، أَي: عِلمنا ساقط مَعَ عِلمك، أو مغمورٌ[2]؛ فكأنَّه لاَ علم لَنَا، والمعنى: أَي أنت الذِي تعلم مَا غاب ونحن لاَ نعلم [١٣٧] إلاَّ مَا نشاهد.

﴿إذ قَالَ ا لله: يا عيسى ابن مَرْيَم اذكر نعمتي عليك﴾ وذكر النعمة شكرها، وشكرها إظهارها، ﴿وعلى والدتك﴾ حيث أوجدتها، وكانت سببا لإيجادك، فكانت نعمتِي عليها نعمةً عليك؛ أو بما عمَّهما بِهِ جميعا مِنَ النعمة؛ ثُمَّ ذكر النعم فقال: ﴿إذ أيَّدتُك﴾ أي: قوَّيتُك، قَالَ الغزالي: «التأييد: هُوَ عبارةٌ عَن تقوية أمره بالبصيرة من داخل، وبقوَّة البطش ومساعدة الأسباب من خارج»؛ و(لعلَّه) نعمة التأييد ﴿بروح القدس﴾ لِكُل مُؤْمِن، إلاَّ من يأباها و لم يقبلها، ﴿بروح القدس﴾ بجبريل عليه السلام، وأضافه إِلىَ القُدس، لأَنَّهُ سبب الطهر من أدناس الآثام، دليله: ﴿تُكلِّم الناس فِي المهد﴾ أي: تكلِّمهم طفلاً، إعجازًا، ﴿وكهلا﴾ وتبليغا. ﴿وإذ علَّمتك الكتابَ﴾ أي الخطَّ،

---

١ - في الأصل: «بالإخلاص»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «مغمورا»، وَهُوَ خطأ.

﴿والحكمةَ﴾ أي: العلم والفهم، ﴿والتَّوْرَاةَ﴾ يحتمل أنَّه علَّمه تنزيلها، ويحتمل عِلْمُه بها إيمانَه بها، ﴿والإِنْجِيل، وإذ تخلق﴾ تقدر وتصور ﴿من الطين كهيئة﴾ كصورة ﴿الطير بإذني، فتنفخ فِيهَا فتكون طيرا﴾ حيًّا يطير ﴿بإذني، وتُبرئ الأكمه والأبرص بإذني، وإذ تُخرج الموتى﴾ مِنَ القبور أحياء ﴿بإذني؛ وإذ كففتُ﴾ منعتُ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عنك﴾ حين همُّوا بقتلك، بسبب ﴿إذ جئتهم بالبَيِّنَاتِ؛ فقال الذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ: إن هَذَا﴾ ما هَذَا ﴿إلاَّ سحرٌ مُبِين(١١٠)﴾ يعني: مَا جاءوا بحقٍّ.

﴿وإذ أوحيتُ﴾ أي: ألهمتُهم، وقذفتُ في قلوبهم ﴿إلَى الحوارِيِّين﴾ الخواص أو الأصفياء، ﴿أن آمِنوا بي وبرسولي؛ قَالُوا: آمنَّا واشهد بأنَّنا مُسْلِمُونَ(١١١)﴾ مخلصون، مِن «أسلَمَ وجهَه».

﴿إذ قَالَ الحواريُّون: يا عيسى ابن مَرْيَم هل يستطيع ربُّك﴾ هل يفعل ﴿أن ينزِّل علينا مائدة مِنَ السَّمَاء؟ قَالَ: اتَّقُوا ا لله إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(١١٢)﴾ إذ الإيمان يوجب التقوى.

﴿قَالُوا: نريد أن نأكل منها وتطمئنَّ قلوبُنا، ونعلمَ أن قد صَدَقْتَنا﴾ أي: نعلم صدقك عَيَانا، كما علمناه يقينا، ﴿ونكون عليها مِنَ الشاهدِينَ(١١٣)﴾ بمَا عاينَّا؛ وَلَمَّا كَانَ السؤال لزيادة العلم لاَ للتَّعنُّت، كما سأل إبراهيم إذ قَالَ: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾[1]، ﴿قَالَ عيسى

١ - سورة البقرة: ٢٦٠.

ابن مَرْيَم: **اللَّهُـمَّ﴾** أصله يـا ا لله، فحُـذف «اليـاء»، وعـوض مِنْـهُ «الميـم» **﴿رَبَّنَا أنزِلْ علينا مائدة مِنَ السَّمَـاء تكون لَنَـا عيدا﴾** العيد: السرور العائد، **﴿لأوَّلنا وآخرنا وآيةً منك، وارزقنا وأنت خير الرازقِينَ(١١٤)﴾** خـير مـن يرزق، لأنَـّهُ خالق الرزق ومعطيه بلا عرض[1].

﴿قَالَ ا لله: إِنـِّي منزِّلها عَلَيْكُم، فمن يكفر بعدُ منكم فَإِنـِّي أعذِّبـه عذابا﴾ مَن لم يُعطَ مثلَ مَا أُعطُوا، **﴿لاَ أعذِّبه أحدا مِنَ الْعَالَمِينَ(١١٥)﴾** فِي الدارين.

﴿وإذ قَالَ ا لله: يا عيسى ابن مَرْيَم، أأنت قلـتَ للنـاس: اتـَّخذوني وأمِّي إلهين من دون ا لله﴾؟ أي: أطيعوني وأمـي فِي غير طاعة ا لله، لأَنَّ من أطاع أحـدًا فيما أمره بِهِ، عَلَى غير طاعة ا لله؛ فكأنـَّه فِي المعنى قد اتـَّخذه إلها، وعبده من دون ا لله؛ **﴿قَالَ: سبحانك مَا يكون لِي أن أقول مَا ليس لي بحقٍّ؛ إن كنتُ قلتـُه فقد علمتـَه﴾** ولم يقـل: «لم أقـُل» رعايـة لأدب الحضـرة؛ ومَـن أمـر أحـدا بمعصيـة، فكأنـَّه قَالَ لَهُ أن يتـَّخذه إلها من دون ا لله، هكذا فِي المعنى. **﴿تعلمُ مَا فِي نفسـي، وَلاَ أعلم مَا فِي نفسك﴾** ذاتك، ونفس الشيء: ذاته؛ وقيل: (لَعَلَّهُ) تعلم مَا أعلـم، ولا[2] أعلم مَا تعلم؛ وقيل: لاَ أعلم مَا فِي علمك؛ وقيل: تعلم مَا عندي، ولا أعلم مَا عندك؛ **﴿إنـَّك أنت علاَّم الغيوب(١١٦)﴾**.

﴿مَا قلتُ لَهُمْ إلاَّ مَا [١٣٨] أمرتـَني بِهِ﴾ قـد نـزَّه نفسـه عَـن أن يقـول لَهُمْ خلاف أمره: **﴿أن اعبدوا ا لله رَبِّي وربَّكُم، وكنتُ عَـلَـيْـهِـم شهيدا﴾**

---

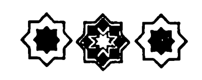
١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عوض».

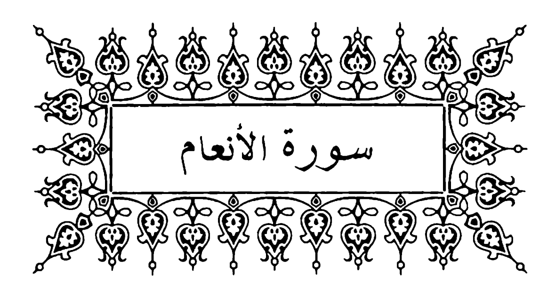
٢ - في الأصل: «والا»، وَهُوَ خطأ.

عَلَى أعمالهم ﴿مَا دمتُ فِيهِمْ؛ فَلَمَّا توفَّيتني، كنتَ أنت الرقيبَ عليهم﴾ الحفيظ ﴿وأنت عَلَى كُلِّ شيء شهيد(١١٧) إن تعذِّبهم فَإِنَّهُمْ عبادك، وإن تغفر لَهُمْ فإنَّك أنت العزيز الحكيم(١١٨)﴾.

﴿قَالَ ا لله: هَذَا يومَ ينفعُ الصادقين صدقُهم، لَهُمْ جَنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا أبدا، رضي ا لله عَنْهُمْ﴾ بأداء مَا أوجبه عَلَيْهِم ﴿ورضوا عنه﴾ بِمَا جازاهم بِهِ، أو بما قضى بِهِ لَهُمْ وعليهم. ﴿ذَلِكَ الفوز العظيم(١١٩)﴾.

﴿لله ملك السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء قدير(١٢٠)﴾.





سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الحمد لله الذي خَلَق السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وجعَلَ الظلماتِ والنـورَ؛ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُوا بربِّـهم يعدلُونَ(١)**﴾ يسوُّون بِهِ الأوثان، تقول: عدلتُ هَـذَا بذا، أي: ساويته؛ والمعنى: أنَّ ا لله حقيق بالحمد عَلَى مَا خلق، لأَنـَّهُ مَـا خلقـه إلاَّ نعمة؛ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُوا بِهِ يعدلون، فيكفُرون نعمتـه. ﴿**هُوَ الـذِي خَلَقكـم من طينٍ، ثُمَّ قضى أجلا**﴾ أي: حكم أجل الموت، ﴿**وأجـلٌ مسـمًّى عنـده**﴾ أجل القيامة، وقيل غير ذَلِكَ، ﴿**ثمَّ أَنتُم تَمترُونَ(٢)**﴾ تشكُّون.

﴿**وَهُوَ ا لله فِي السَّـمَاوَات وفِي الأَرْض**﴾ متعلّـق بمعنى اسم ا لله، كأنـَّه قيل: وَهُوَ المعبود فيهما، ليس مستحقٌّ للعبادة غيره، لأنَّ غـيره خلقـه وملكـه، وَهُوَ المعروف بالإلهية فيهما وفي غيرهما. ﴿**يعلم سرَّكم وجهركـم ويعلـم مَـا تكسبُونَ(٣)**﴾ فالسرُّ: مَا أكنـَّته الصدور، والجهر: مَا ظهر مِنَ الألسـن، وَمَـا تكسبون مَا عملته الجوارح.

﴿**وَمَا تأتيهم من آية من آيات ربــِّهم**﴾ وَمَـا يظهـر لَهُـم دليـل قـطُّ مِـنَ الأدلـَّة التِـي يجـب فِيهَـا النظـر والاعتبـار؛ ﴿**إلاَّ كَـانُوا عنهـا معرضِـينَ(٤)**﴾ تاركين للنَّظر لاَ يلتفتون إِلَـيْـهِ (لعلَّه) خوفهم وتدبُّرهم فِي العواقب.

﴿فقد كذَّبوا بِالْحقِّ لَمَّا جاءهم﴾ أي: بِمَا هُوَ أعظم آية وأكبرها وَهُوَ القرآن؛ ﴿فسوف يأتيهم أنباء مَا كَانُوا بِهِ يستهزءُونَ(٥)﴾ أي: أنباء الشيء الذي كَانُوا بِهِ يستهزئون، وَهُوَ القرآن، أي: أخباره وأحواله، يعني: سيعلمون بأي شيء استهزؤوا، وذلك عند خروج أرواحهم، أو يوم القيامة، ﴿ألم يروا﴾ يعني: المكذِّبين ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ هُوَ مدَّة انقضاء كُل أهل عصر، ﴿مكَّنَّاهم فِي الأَرْض مَا لم نمكِّن لكم﴾ التمكين: التمليك، أي: لم يعطوا كما أُعطي من تقدَّم، مِنَ البسطة فِي الأجسام، والسعة فِي الأموال، والاستظهار بأسباب الدُّنيَا، ﴿وأرسلنا السَّمَاء عَلَيْهِم مدرارا، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ أي: عاشوا فِي الخصب بين الأنهار والثمار، وسقنا الغيث المدرار ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ و لم يغن ذَلِكَ عَنْهُم شَيْئًا، لأنَّهم لم يريدوا بِهِ الله؛ ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرِينَ(٦)﴾ وخلقنا من بعد هلاكهم أمَّة أُخْرَى، وفيه دلالة عَلَى أنَّه سبحانه لاَ يتعاظمه أن ينفيَ عالَما، ويُنشئَ عالما آخر، كقوله: ﴿فَلاَ يخاف عقباها﴾[1]، ﴿ولو نزَّلنا عليك كِتَابًا فِي قرطاس﴾ كِتَابا من عند الله، ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أي: عاينوه ومسُّوه بأيديهم، وذكر اللمس [١٣٩] و لم يذكر المعاينة، لأنَّ اللَّمس أبلغ فِي إيقاع العلم مِنَ الرؤية، (لَعَلَّهُ) فالسحر يجري عَلَى المرئي، وَلاَ يجري عَلَى الملموس بأيديهم. ﴿لقال الذِينَ كَفَرُوا: إن هَذَا إلاَّ سحر مُبِين(٧)﴾ تعنُّتا وعنادًا للحق بعد ظهوره لأنَّ نور البصيرة أعماها ملازمة الهوى؛ فلم يستطيعوا أن يبصروا بها الحقَّ.

---

١ - سورة الشمس: ١٥.

﴿وَقَالُوا: لولا﴾ هلاّ **﴿أنزل عليه مَلَك؟ ولو أنزلنا ملَكا لقُضيَ الأمـرُ﴾** لقضي أمر إهلاكهم، لأنـّهم لاَ يتّبعون الحقّ، ولو أُنزل عَـلَـيْـهِـم ملك، **﴿ثـمَّ لاَ يُنظرُونَ(٨)﴾** لاَ يُمهلون بعد نزولـه طرفـة عـين، لأنـّهم لاَ يـُؤمِنُونَ عنـد مشاهدة تلك الآية التِـي لاَ شيء أَبين منها؛ فتقتضي الحكمة استئصالهم.

﴿ولو جعلناه ملَكا﴾ ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا؛ لأنـّهم كَـانُوا تارة يقولون: «لولا أنزل عَلَى محمَّد ملـك»؛ وتـارة يقولـون: «مَـا هَـذَا إلاّ بشـر مثلكم، ولو شاء رَبُّنَا لأنزل مَلاَئِـكَة» **﴿لَجَعَلنـاه رجـلاً﴾**، لأرسلناه فِي صـورة رجـل، كمـا كَـانَ يَنزل جـبريل عَلَـى رسـول الله عليهمـا السـلام، **﴿ولَلَبسـنا عَـلَيْـهِـم مَا يلبسون﴾**، لأشكلنا عَـلَـيْـهِـم من أمره؛ فيقولون إذا رأوا الـمَلك فِي صورة إنسان: هَذَا إنسان وليس بملك، كما قَالُوا حين رأوا الآيـات البَيـنَات: إن هَذَا إِلاّ سحر مبين؛ يقال: لَـبَـسْـتُ الأمر عَلَى القوم، ألبَسه إِذَا شبَّهته عَـلَـيْـهِـم، وأشكلته عليهم، فصـار الأمر كـالمغرى عليهـم، كأنـّه استوى حجـاب عَـن عـين صورته. يروى عَن ابن عـبَّاس قَالَ: «فرَّقوا دينهم، وحرَّفـوا الكلـم عَـن مواضعـه، فلبس الله عَـلَـيـهِـم كما لبسوا عَلَى أنفسهم»، قَالَ غيره: «وتلبيسه عَلَى أنفسـهم (لَعَلَّهُ) هُوَ عين التلبيس مِنَ الله لَهُم، لأَنـَّهُم فِي الحقيقة لاَ فاعل إلاّ الله».

﴿وَلَقَد استهزئ برسـل مـن قبلـك﴾ كمـا استهزئ بـك يـا محمَّـد، تعزيـة لَـهُ، **﴿فحاق﴾** فأحاط **﴿بالذين سخروا مِنْهُم مَا كَـانُوا بـهِ يستهزءُونَ(١٠)﴾** فأحـاط بهم الشيء الذِي كَانُوا يستهزئون، به وَهُوَ الحقُّ، حيث أُهلكوا من أجل الاستهزاء بهِ.

﴿قل سيروا فِي الأَرْض ثُمَّ انظـروا كيـف كَـانَ عاقبـة المكذِّبـينَ(١١)﴾ سيروا لأجل النظر، وَلاَ تسيروا سير الغافلين، ومعنى السير فِي الأَرْض: معناه[1] هُـوَ التفكُّـر بـالقلوب فِي عاقبـة مـن مضـى؛ وقيـل: سـافِروا فيهـا ثُـمَّ انظـروا بأبصاركم، وتفكّروا بقلوبكم كيف كَانَ عاقبة المكذّبين.

﴿قل: لمن مَا فِي السَّـمَاوَات والأَرْض؟ قـل: للهِ﴾ تقريـر لَهُـم، أَي: هُـوَ الله لاَ خـلاف بيـنِي وبينكـم، وَلاَ يقـدرون أن يضيفـوا شيـئًا منـه إِلَى غــيره، ﴿كَتَبَ عَلَى نفسه الرحمَةَ﴾ التزمها تفضُّلا وإحسانا، أَي: أوجبهـا عَلَـى ذاتـه فِي هدايتكم إِلَى معرفته، ونَصب الأدلّة لكم عَلَى توحيده، بِمَا أَنتُم تعرفـون بـهِ من خلق السَّمَاوَات والأَرْض، وقيل: أوجب الرحمة عَلَى نفسه فِي إمهاله عباده ليتداركوا مَا فَرَط مِنْهُم. والمراد بالرحمة: مَا يعمُّ الدارين، ومن ذَلِكَ الهداية إِلَى معرفته، والعلم بتوحيده؛ بنصب الأدلّـة، وإنزال الكتب وإمهال الكفرة، وذلك ترغيب مِنْهُ للمتولّين عَـنْـهُ إِلَى الإقبَـال عليه، وإخبــار بأنّــه رحيـم بالعبـاد، لاَ يعجِّل العقوبة مِنْهُ تعالى، ويقبل الإنابة والتوبة. ﴿لَيجمعنّـكم إِلَى يوم القيامـة لاَ ريـبَ فِيـهِ، الذِيـنَ خسِـروا أنفسَـهم﴾ بتضييـع رأس مـالهم، وَهُـوَ الفطـرة الأصليّـة، [١٤٠] والعقل السليم، ﴿فَهُم لاَ يُؤمِنُونَ(١٢)﴾ «الفــاء» للدّلالـة عَلَى أنَّ عـدم إيمـانهم سبب لخسـرانهم؛ فـإنَّ إبطـال العقـل باتـِّبـاع الحـواسِّ والوهم، والانهمـاك فِي التقليـد، وإغفـال النظـر، أدّى بهـم إِلَى الإصـرار عَلَى الكفر، والامتناع عَن الايمان.

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: - «معناه»، لأَنـَّهُ تكرار لِمَا سبق.

﴿وَلَهُ مَا سَكن فِي الليل والنهار﴾ مَا سكن وتحرَّك فيهما، فاكتفى بأحد الضدَّين، وقيل: مِنَ السكنى حتَّى يعمَّ الجميع. ذكر فِي الأوَّل السَّمَاوَات والأَرْض، وذكر هنا الليل والنهار؛ فالأول يجمع المكَانَ، والثاني يجمع الزمان، وهما ظرفان بجميع الموجودات مِنَ الأجسام والأعراض، ﴿وَهُوَ السميع العليم(١٣)﴾ يسمع كلَّ مسموع، ويعلم كلَّ معلوم.

﴿قل: أغير ا لله أتـَّخذُ وليًّا﴾؟ ناصرا ومعبودا، ﴿فاطر السَّمَاوَات والأَرْض﴾ مخترعها، وقيل عَن ابن عبَّاس: «مَا عرفت معنى الفاطر، حتَّى اختصم إليَّ أعرابيَّان فِي بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدعتها» ﴿وَهُوَ يُطعِم وَلاَ يُطعَم﴾ وَهُوَ يَرزق وَلاَ رازق لمرزوق غيرُه، أي: المنافع كلُّها من عنده، وَلاَ يجوز عليه الانتفاع، ﴿قل إِني أُمِرتُ أن أكون أوَّل من أسلم﴾ لأنَّ النبيَّ سابق أمَّته فِي الاسلام كقوله: ﴿وبذلك أُمِرتُ وأنا أوَّل المُسْلِمِينَ﴾[1] فهو إمام أمَّته كافَّة، والإسلام بمعنى الاستسلام. ﴿وَلاَ تكوننَّ مِنَ المشركِينَ(١٤)﴾ والمعنى: أُمرت بالإسلام، ونُهيت عَن الشرك، خفيِّه وجليِّه، وصغيره وكبيره، لأنَّ جميع المعاصي يدخل عليه اسم الشرك بدليل قوله: ﴿قل إِني أخافُ إن عصيتُ رَبي عذابَ يومٍ عظيم(١٥)﴾.

﴿من يُصرف عَنهُ﴾ العذاب ﴿يومئذ فقد رَحِمه﴾ ا لله الرحمة العظمى، وهي النجاة مِنَ العذاب، والفوز بالجنَّة، ﴿وذلك الفوز المُبِين(١٦)﴾ النجاة الظاهرة.

---

١ - سورة الأنعام: ١٦٣.

﴿وإن يمسسك الله بضرٍّ﴾ من مرض أو فقر، أو نحوهما؛ ﴿فلا كاشف لَهُ إلاَّ هُوَ؛ وإن يمسسك بخير﴾ من غنىً أو صِحَّة أو نحوهما؛ ﴿فهو عَلَى كُل شيء قدير(١٧)﴾ قادر عَلَى إدامته وإزالته وغير ذَلِكَ.

﴿وَهُوَ القاهر﴾ الغالب المقتدر، وفي القهر: زيادة معنى عَلَى القدرة، وَهُوَ منع غيره عَن بلوغ مراده، ﴿فوق عباده﴾ عالي عَلَيْهِم بالقدرة والقهر، ﴿وَهُوَ الحكيم﴾ فِي تدبير أموره، ﴿الخبير(١٨)﴾ العليم.

﴿قل: أيُّ شيء أكبر شهادةً؟ قل: الله﴾ أي: الله أكبر شهادة، وفيه دليل عَلَى جواز إطلاق الشيء عَلَى الله، لأنَّ الشيء اسم للموجود، وَلاَ يُطلق عَلَى المعدوم، وَالله تعالى موجود فيكون شيئًا، ولذا يقال: الله تعالى شيء لاَ كالأشياء، ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ عَلَى مَا أقول، أي: يشهد لي بِالْحَقِّ، وعليكم بالباطل، ﴿وأوحيَ إليَّ هَذَا القرآن لأُنذِرَكم بِهِ ومن بلَغَ﴾ لأنذركم بِهِ يا أهل مكّة، وسائر من بلغه مِنَ الأسود والأحمر، أو مِنَ الثقلين؛ أو لأنذركم أيُّها الموجودون، ومن بلغه إِلىَ يوم القيامة؛ فِي الحديث: «*من بلغه القرآن، فكأنَّما رأى محمَّد*[1] ﷺ *وأقام عَليه الحجَّة بِهِ*»[2]، لأَنَّهُ معجز مخالف لكلام الآدميِّين، وقيل: من بلغه القرآن فكأنَّما كلَّمه الله تعالى، أو شيء مِنْهُ، وقيل: إنَّ المعنى ومن بلغ أن يكون إمامًا من آل محمَّد فهو يُنذر أَيْضًا بالقرآن، ﴿أئنَّكم لتشهدون أنَّ مَعَ الله آلهةً أُخْرَى﴾ استفهام إنكار

١ - فِي الأصل: «محمد»، وهو خطأ.

٢ - لم نعثر عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

وتبكيت، ﴿قل: لاَ أشهد﴾ إن شهدوا ﴿قل: إنـَّمَا هُوَ إله وَاحِد وإنـَّني بريء مِمَّا تُشركُونَ(١٩)﴾ [١٤١] بالقول أو العمل أو النيَّة.

﴿الذِينَ آتيناهم الكتابَ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿يعرفونه﴾ أي: الله تعالى أو رسوله، تحليته ونعته الثابت فِي الكتابين، ﴿كما يعرفون أبناءهم؛ الذِينَ خسروا أنفسهم﴾ بتنقيصها عَن الكمال، ﴿فَهُم لاَ يُؤمِنُونَ(٢٠)﴾ بتضييعهم مَا بِهِ يُكتسب الإيمان، فلم تغن معرفتهم بِهِ.

﴿ومَن أظلمُ﴾ استفهام يتضمَّن معنى النفي، أي: لاَ أحد أظلم لنفسه، والظلم: وضع الشيء فِي غير موضعه، وأشنعُه اتِّخاذ المخلوق معبودًا، وَهُوَ مِنَ الكذب قولاً أو فعلاً أو اعتقادا؛ ومن عصاه، فكأنـَّه قد اتـَّخذ غيره معبودًا فِي المعنى، لأَنـَّهُ اتـَّخذ إلَهه هواه، ﴿مِمـَّن افترى﴾ اختلق ﴿عَلَى الله كذبا﴾ فيَصِفه بِمَا لاَ يليق بِهِ، أو فعل فعلاً يناقض الإيمان بِهِ، ﴿أو كذَّب بِآيَاتِهِ﴾ لأَنـَّهُ فِي المعنى سواء كذَب عَلَى الله، أو كذَّب بِآيَاتِه؛ لأَنَّ المكذِّب كاذب، والكاذب مكذِّب؛ وآياته: حججه الواضحات، سواء كَانَت مِنَ التنزيل أو التأويل، أو حجـَّة العقل، ﴿إنَّهُ لاَ يُفلح الظالمونَ(٢١)﴾ لاَ سبيل لَهُم إِلَى الفلاح، لأنـَّهم لم يقصدوا سبيله وإنـَّما قصدوا سبيل الظلم والهلاك.

﴿ويوم نحشُرهم جميعا، ثُمَّ نقول للذين أشركوا﴾ مَا كَانَ مِنَ الشرك، من شرك الجحود، أو شرك الطاعة وَهُوَ طاعة إبليس، وكلُّ متعبِّد لاَ يخلو من أحد الطاعتين: إمـَّا طاعة الله فلا سبيل عليه وَلاَ لائمة؛ وَإمـَّا طاعة الشيطان، فلا سلامة لَهُ.

﴿أين شركاؤكم﴾؟ آلهتكم التِي جعلتموها شركاء لله، وَهُوَ النفس والهوى والشيطان، ﴿الذِينَ كُنتُم تزعمُونَ(٢٢)﴾.

﴿ثُمَّ لم تكن فتنتَهم﴾ كفرهم، ﴿إلاَّ أن قَالُوا: وَا للهِ رَبنَا مَا كُنَّا مشركِينَ(٢٣)﴾ ثُمَّ لم تكن عاقبة كفرهم الذِي لزموه أعمارهم، وقاتلوا عليه، إِلاَّ جحوده والتبرُّء مِنْهُ، والحلف عَلَى الانتفاء مِنَ التديُّن بِهِ؛ أو ثُمَّ لم يكن جوابهم إِلاَّ أنْ قَالُوا، فسمِّي فتنة، لأَنَّهُ كذب، ويحلفون عليه مَعَ علمهم أنَّه لاَ ينفع عَن فرط الحيرة والدهشة. كما يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخرِجْنَا منها﴾[1]، وقد أيقنوا بالخلود. والفتنة ها هنا: المعذرة. وإنَّما يصحُّ وقوع الكذب مِنْهُم مَعَ اطلاعهم عَلَى حقائق الأمور، ومعارفهم الضروريَّة، لِمَا يلحقهم مِنَ الدهش والحسرة، من أهوال ذَلِكَ اليوم وشدائده، والمبتلى قد ينطق بِمَا لاَ ينفعه، من غير رويَّة وفكرٍ فِي عاقبة.

﴿انظر كيف كَذَبوا عَلَى أنفسهم﴾ بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مشركين﴾ تبرَّؤوا مِنَ الشرك وكَانَ فعلهم، واعتدُّوا بالباطل ﴿وضلَّ عَنْهُم﴾ يقال: ضلَّت الضالَّة إِذَا غابت، فلم تهتد سبيلاً، ﴿مَا كَانُوا يفتَرُونَ(٢٤)﴾ من آلهة.

﴿ومنهم من يستمعُ إليك﴾ استماع الهائم حين تتلوا القرآن، ﴿وجعلنا عَلَى قلوبهم أكنَّة﴾ أغطيةً: جمع كِنَان، وَهُوَ الغطاء، وَهُوَ مَا يستر الشيء، وَهُوَ معنى صدِّهم عَن قبول مَا يستمعونه مِنْهُ، ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة، أن

---

١ - سورة المؤمنون: ١٠٧.

يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقلاً، يمنع مِنَ السمع، ﴿وإن يَرَوْا كُلَّ آية لاَ يؤمنوا بها﴾ يعتقدون أنـَّها ليست بِآيَةٍ، من قبل تعامِيهم عنها بالهوى، ﴿حتىَّ إِذَا جاءوك يجادلونك، يقول الذِينَ كَفَرُوا﴾: المعنى: أنـَّه بلغ تكذيبهم الآيات، إِلىَ أنـَّهم يجادلونك ويناكرونك، وفسَّر مجادلتهم بأنـَّهم يقولون: ﴿إن هَذَا﴾ مَا القرآن، أو مَا رأوا مِنَ الآيات ﴿إلاَّ أساطير الأولِينَ(٢٥)﴾ فيجعلون كلام [١٤٢] الله أكاذيب؛ والأساطير: الأباطيل، وأصله: السطر، بمعنى: الخط؛ وقيل: أسطورة، وهي (لَعَلَّهُ) السيرة.

﴿وَهُم ينهون عَنْهُ﴾ ينهون الناس عَن القرآن واتِّباعه، والإيمان بِهِ، (لَعَلَّهُ) أو عَن مَا رأوا مِنَ الآيات، ﴿وينأون عَنْهُ﴾ ويَبعدون عَنْهُ بأنفسهم، فيَضلُّون ويُضلُّون، ﴿وإن يهلكون إلاَّ أنفسهم﴾ أي: لاَ يتعدَّاهم الضرر، ﴿وَمَا يشعرُونَ(٢٦)﴾ أي: مَا يَعْلَمُونَ بإهلاكهم، لأنـَّهم يحسبون أنـَّهم عَلَى شيء.

﴿ولو ترى﴾، ولو ترى لشاهدت أمرا عظيمًا، ﴿إذ وُقفوا عَلَى النار﴾ أو يدخلونها فيعرفون مقدار عنائها، لرأيت أمرا مشنَّعا؛ ﴿فَقَالُوا: يا ليتنا نردُّ﴾ إِلىَ الدُّنْيَا، تمنَّوا الردَّ إِلىَ الدُّنْيَا ليؤمنوا، ﴿وَلاَ نكذِّب بِآيَاتِ رَبـنَا ونكون مِنَ المؤمِنِينَ(٢٧)﴾ واعدين الإيمان كأنـَّهم قَالُوا: ونحن نؤمن وَلاَ نكذِّب.

﴿بَل﴾ للإضراب عَن الوفاء بِمَا تمنَّوا، ﴿بدا لَهُم﴾ وقوله: ﴿بَل﴾ ردٌّ لقولهم، كقوله: ﴿كلاَّ﴾ أي: ليس عَلَى مَا قَالُوا: إنـَّهم لو ردُّوا لآمنوا، ﴿بَل بدا لَهُم﴾ ظهر لَهُم عقوبة، ﴿مَا كَانُوا يُخفون﴾ عَن الناس من نفاقهم ﴿من قبلُ﴾ فِي الدُّنْيَا، من قبائحهم وفضائحهم، ﴿ولو رُدُّوا﴾ إِلىَ الدُّنْيَا بعد

وقوفهم عَلَى النار؛ ﴿لعادوا لِمَا نُهُوا عَنْـهُ﴾ أي: كلٌّ مِنـهُم عاد إِلَى فعل مثل مَا كَانَ يفعله من قبل مِنَ الكفر، لأنَّ الطبع يقود، ﴿وَإنَّهُم لكاذبُونَ(٢٨)﴾ فيما وعدوا من أنفسهم لانَفُوْن [كذا].

﴿وَقَالُوا﴾ أي: ولو رُدُّوا لكَفَرُوا ولقالوا: ﴿إن هِيَ إلاَّ حياتنا الدُّنْـيَا﴾، كما كَانُوا يقولون قبل وقوفهم عَلَى النار؛ أو وقوفُهم عَلَى النار كناية لأحوال الموت، لأنَّهُ حين تنزع روحه يرى مَا يرى من أحوال القيامة، ﴿وَمَا نَحْنُ بمبعوثِينَ(٢٩)﴾ لأنَّهم كَانُوا قبل وقوفهم عَلَى النار لم يؤمنُوا بالبعث، وَهَذَا من أشدِّ العناد مِنَ العصاة، لأنَّهم وقفوا عَلَى النار، فلو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَقَالُوا: ﴿إن هِيَ إلاَّ حياتنا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بمبعوثين﴾.

﴿ولو ترى إذ وُقِفُوا عَلَى ربهم﴾ مجاز عَن الحبس للتوبيخ والسؤال، كما يُوقف العبد الجاني بين يدي سيِّده ليعاتبه، أو وُقِفوا عَلَى جزاء ربِّهم، أو عرفوه حقّ التعريف، أو وقفوا عَلَى حكمه وقضائه، وَهُوَ عند الموت، وَمَا بعده، لأنَّهم كَانُوا ﴿إذا قيل لَهُم اسجدوا للرحمن، قَالُوا: وَمَا الرحمن﴾؟[1]، ﴿قَالَ: أليس هَذَا﴾ البعث والجزاء ﴿بالْحَق﴾ بالكائن الموجود؛ وهذا (لَعَلَّهُ) تعيير لَهُم عَلَى التكذيب للبعث؛ ﴿قَالُوا: بلى وربنَا﴾ بالحَقِّ أقرُّوا، وأكَّدوا الإقرار باليمين، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فذوقوا العذاب بِمَا كُنتُم تكفرُونَ(٣٠)﴾ حكم الله عَلَيْهِم بالعذاب، بعد مَا أقام عَلَيهِم الحجَّة، فأقرُّوا بها.

---

١ - سورة الفرقان: ٦٠؛ وتمامها: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾.

﴿قد خسر الذِينَ كذَّبوا بلقـاء ا للهِ﴾ إذ فـاتهم النعيم، واستوجبوا العذاب المقيم، ولقاء ا لله البعث وَمَا يتبعه، ﴿حتَّى إِذَا جاءتهم الساعة﴾ أي: القيامة، لأَنَّ مـدَّة تأخُّرهـا مَـعَ تأبـُّد مـا بعدهـا كساعة، أو جـاءهم الموت فيِ تلك الســاعة ﴿بغتة﴾، قيل: بغتـتهم الساعة بغتة، وَهُوَ: ورود الشيء عَلَى صاحبه من غير علمه بوقته، ﴿قَالُوا: يا حسرتنا﴾ معناه: يا حسرةً احضُري فهـذا أوانـكِ، ﴿عَلَـى مَـا فرَّطنـا﴾ قصَّرنـا، ﴿فِيهَـا﴾ فيِ السـاعة، أي: قصَّرنـا فيِ شـأنها، وفيِ الإيمـان بهـا، ﴿وَهُـم يحملـون أوزارهـم﴾ آثـامهم، ﴿عَلَـى ظهورهـم﴾، خـصَّ الظهـر، لأَنَّ المعروف حمل الأثقال عليه، كما عرف الكسب بالأيدي، وَهُـوَ مجـاز عَـن الـلزوم عَلَى وجه لاَ يفارقهم؛ وقيل: إنَّ الكافر إِذَا [١٤٣] خرج من قـبره، استقبله أقبح شيءٍ صـورةً، وأخبثـه ريحـا، فيقـول: «أنـا عملـك السيِّئ، فطـال مَـا ركبتـني فيِ الدُّنـيَا، وأنا أركبك اليوم»، ﴿ألاَ ساء مَا يَـزِرُونَ(٣١)﴾ لبئـس شـيء يحملونـه، وأفاد «ألاَ» تعظيم مَا يذكر بعده، وقيل: أي: لبئس الحمل مَا حملوا.

﴿وَمَا الحياة الدُّنـيَا إلاَّ لعبٌ ولهوٌ﴾ أي: باطل وغرور، لا بقاء لها؛ أي: والحياة الدُّنـيَا تعبِّر هنا بالباطل، كما قَالَ: ﴿أُولَـئِكَ الذِيـنَ اشـتروا[1] الحيـاة الدُّنـيَا بـالآخرة فـلا يُخفـَّف عَنْـهُم العذاب﴾[2] (لَعَلَّـهُ) وعملهـا كاسمهـا، جواب لقولهم: ﴿إن هِيَ إلاَّ حياتنا الدُّنـيَا﴾. واللعـب: تـرك مَـا ينفـع لِمَـا لاَ ينفع، واللهو: الميل عَن الجدِّ إِلىَ الهزل؛ قيل: مَا أهل الحياة الدُّنـيَا إلاَّ أهـل لهـو

---

١ - فيِ الأصل: «يشترون»، وهو خطأ.

٢- سورة البقرة: ٨٦.

ولعب، وقيل: مَا أعمال الحياة الدُّنْـيَا إلاَّ لعب ولهـو، لأنـَّها لاَ تعقـب منفعـة كما تعقب أعمالُ الآخِرَة المنافعَ العظيمة، ﴿وللدَّار الآخِرَةُ﴾ قُـرِئَ: ﴿وَلَـدَار الآخِرَةِ﴾ عَلَى الإضافة، أضاف الدار عَلَى الآخِرَة، ويضـاف الشـيء إِلىَ نفسـه عند اختلاف اللفظين، كقولـه: ﴿وحَـبَّ الحصـدِ﴾[1]، وقولهـم: ربيـع الأوَّل، ومسجد الخليع. سَمـيِّت الدُّنْـيَا لدنوِّها، و(لَعَلَّهُ) قيل: لدناءتها ﴿خير للذين يَـتَّقون﴾ وفيه دليل عَلَـى أنَّ مَا سوى أعمـال المتَّـقين لعب ولهو. ﴿أفـلا تعقلُونَ(٣٢)﴾ دوام الآخِرَة وخلوص منافعها ولذاتهـا عَلَـى الدُّنْـيَا، وقولـه: ﴿للذين يتـَّقون﴾ عَلَى أن ليس من أعمال المتَّـقين لعب ولهو.

﴿قد نعلم إِنـَّهُ ليحزُنك الذِي يقولون﴾ مِنَ التكذيب والأقوال الكاذبـة، ﴿فإنَّهم لاَ يُكذِبونك ولكنَّ الظالمين بـآيَاتِ ا لله يَجحـدُونَ(٣٣)﴾ المعنـى: أنَّ تكذيبك أمر راجـع إِلىَ ا لله، لأنـَّك رسـوله المصـدِّق بـالمعجزات، فَهُـم لاَ يكذِّبونك فِي الحقيقة، وإنـَّما يكذِّبون ا لله، وتكذيب الرسُل تكذيب للمرسِـل، ﴿وَلَقَد كُذِّبت رسلٌ من قبلك﴾ تسلية لرسول ا للهﷺ، وَهُـوَ دليـل عَلَـى أنَّ قوله: ﴿فإنـَّهم لاَ يكذبونك﴾ ليس بنفي لتكذيبه، ﴿فصَبَروا عَلَى مَـا كُذِّبـوا وأوذوا﴾[2] فصبروا عَلَى تكذيبهم وإيذائهم؛ ﴿حَتَّى أتاهم نصرُنـا وَلاَ مبـدل لكلمات ا لله﴾ لِمَا حكم بِهِ، وقد حكم فِي كتابه بنصر أنبيائه، فقال: ﴿وَلَقَـد سبقت كلمتـُنا لعبادنـا المرسلين، إنـَّهم لَهُـم المنصـرون، وإنَّ جُندنـا لَهُـم

---

١ - سورة ق: ٩.

٢ - في الأصل: لم يذكر مقطع هَذِهِ الآية بل شرحها مباشرة وهو سهو من الناسخ.

الغالبون﴾[1] وَلاَ نقض لمواعيده، ﴿وَلَقَد جاءك من نبإ المرسلِينَ(٣٤)﴾ بعض أنبائهم وقصصهم، وَمَا كابَدوا من مصابرة المشركين؛ قيل: وكَانَ يكبر عَلَى النبيِّ ﷺ كفر قومه وإعراضهم، ويحبُّ مجيء الآيات ليسلموا فنزل:

﴿وإن كَانَ كَبُرَ عليك﴾ شقَّ عليك؛ ﴿إعراضُهم﴾ عَن الإسلام، ﴿فإن استطعت أن تَبتغيَ نَفَقًا﴾ منفذا تنفذ فِيهِ إِلىَ مَا تحت الأَرْض، حتّى تطلع لَهُم آية يُؤمِنُونَ بها ﴿فِي الأَرْض، أو سلّما فِي السَّمَاء فتأتيهم﴾ منها ﴿بآيَةٍ﴾، فافعل، والمعنى: أنّك لاَ تستطيع ذَلِكَ، والمراد بيان حِرصه عَلَى إسلام قومه، وأنَّهُ لو استطاع أن يَأتيهم بآية من تحت الأَرْض، أو من فوق السَّمَاء، لأتى بها رجاء إيمانهم، وقيل: فتأتيهم بِآيَةٍ أفضل مِمَّا أتيناهم بِهِ، يريد أَنَّهُ لاَ آية أفضل مِنْهُ، ﴿ولو شاء الله لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾ لجعلهم يَختارون الهدَى، ولكن لَمَّا علم منهم أَنَّهُمْ يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم عَلَى ذَلِكَ، كذا قَالَ أبو منصور؛ ﴿فلا تكوننَّ مِنَ الجاهلِينَ(٣٥)﴾ بالحرص عَلَى مَا لاَ يكون، والجزع فِي مواطن الصبر؛ فإنَّ ذَلِكَ من دأب [١٤٤] الجهلة.

ثُمَّ أخبر أنَّ حرصه عَلَى هدايتهم لاَ ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله: ﴿إنَّمَا يستجيب الذِينَ يسمعون﴾ إنَّمَا يجيب الذِينَ يسمعون دُعاءك إِلىَ الإسلام بفهم وتأمُّل، كما قَالَ: ﴿أو ألقَى السمعَ وَهُوَ شهيدٌ﴾[2]،

١- سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.

٢ - سورة ق: ٣٧.

﴿والموتى﴾ أي: الكفّار[1]، ﴿يبعثهم الله ثُمَّ إِلَيْـهِ يرجعُونَ(٣٦)﴾ فحينئذ يسمعون، وأمَّا قبل ذَلِكَ فلا.

﴿وَقَالُوا: لولا نُزِّل عليه﴾ هلاَّ أنزل عليه ﴿آية من ربِّه﴾ أي: آية مِمَّا اقترحوه، كما قَالَ: ﴿أو تكون لـك جـنَّة من نخيل وعِنَبٍ...﴾[2] الآيات؛ أو آية أُخرَى سوى مَا أنزل مِنَ الآيات المتكاثرة، لعدم اعتدادهم بها، ﴿قل: إنَّ الله قادر عَلَى أن ينزِّل آية﴾ بمَا اقترحوا، ﴿ولكنَّ أكثرهم لاَ يَعْلَمُونَ(٣٧)﴾ عَلَى أنَّ الله قادر عَلَى أن ينزل تلك الآية، أو لاَ يَعْلَمُونَ مَا عَلَيْـهِم فِي الآية مِنَ البلاء لو أُنزلت.

﴿وَمَا من دابَّة فِي الأَرْض وَلاَ طائر يطير بجناحيه إلاَّ أمم أمثالُكم﴾ فِي الخلق والموت، والاحتياج إِلَى مدبر يدبر أمر[3] مراشدها، وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، ﴿مَا فرَّطنا فِي الكتاب من شيء﴾ يحتاجون إِلَيْـهِ من أمر دين أو دنيا؛ فهو مشتمل عَلَى مَا يُحتاج إِلَيْـهِ، عبارة وإشارة، ودلالة واقتضاء، ﴿ثمَّ إِلَى ربِّهم يُحشرُونَ(٣٨)﴾ فيجب الجزاء لِكُل عامل حسب عمله؛ وحشرُ الدواب موتُها فيما قيل.

---

١ - الموتى لفظ عامٌّ، وتخصيصه بالكفَّار لا دليل عَلَيه.

٢ - سورة الإسراء: ٩٠- ٩٣. وتمامها: ﴿وقالوا لن نؤمنَ لكَ حَتَّى تفجر لنا من الأرض يَنبوعا، أو تكون لك جنَّة من نخيل وعِنَبٍ فتُفجر الأنهارَ خلالَها تفجيرا، أو تسقطَ السماءَ كما زعمتَ علينا كِسَفًا أو تأتيَ با لله والملائكة قبيلا، أو يكونَ لك بيتٌ من زُخرُفٍ أو ترقَى فِي السماءِ ولن نؤمنَ لرقيك حَتَّى تُنَزل علينا كتابا نقرؤه، قل سبحان ربي هل كنت إلاَّ بَشرا رسولاً﴾ا.

٣ - فِي الأصل: «أمرا»، وهو خطأ.

﴿وَالذِينَ كذّبوا بِآيَاتِنا صمٌّ﴾ لاَ يسمعون مثل هَذِهِ الآيات الدالّة عَلَى ربوبيَّته وكمال علمه وعظم قدرته، سماعاً تتأثّر بِهِ نفوسهم، ﴿وبُكْمٌ﴾ لاَ ينطقون بِالْحَق، خابطون ﴿فِي الظلمات﴾ أي: فِي ظلالات الجهل والحيرة والكفر، غافلون عَن تأمُّل ذَلِكَ والتفكُّر فِيهِ، ﴿من يَشأ ا لله يُضلِله﴾ من اختار مِنْهُم الكفرَ، ﴿ومن يشأ يَجعلْه عَلَى صِرَاط مُستَقِيمٍ(٣٩)﴾ من اختار مِنْهُم الإيمان.

﴿قل: أرأيتكم﴾ قل أرأيتم، و«الكاف» للتَّأكيد، يقول: أرأيتك إن فعلتُ كذا ماذا تفعل؟، ﴿إن أتاكم عذابُ ا لله﴾ فِي الدُّنْيَا قبل الموت أو عنده، ﴿أو أتتكم الساعة، أغير ا لله تدعون﴾؟ أي: تخصُّون آلهتَكم بالدعوة، متصرين بها فِي ذَلِكَ الحين؛ ﴿إن كُنتُم صادقِينَ(٤٠)﴾ فِي أنَّ الأصنام آلهة، فادعوها لتخلّصكم.

﴿بَل إيَّاه تدعون﴾ بَل تخصُّونه بالدعاء دون الآلهة فِي ذَلِكَ الحين، ﴿فيكشفُ مَا تدعون إلَيْهِ﴾ أي: تدعونه إلىَ السفه[1]، ﴿إن شاء﴾ إن أَرَادَ أن يتفضَّل عَلَيْكُم ﴿وتَنسَوْنَ مَا تُشركُونَ(٤١)﴾ وتتركون آلهتكم، أو لاَ تذكرون آلهتكم فِي ذَلِكَ الوقت.

﴿وَلَقَد أرسلنا إلىَ أممٍ من قبلك﴾ رسلا، فكذّبوهم، ﴿فأخذناهم بالبأساء والضرَّاء لَعَلَّهُم يتضرَّعُونَ(٤٢)﴾ يتذلَّلون ويتخشَّعون لربهم، ويتوبون عَن ذنوبهم؛ فالنفوس تتخشّع عند نزول الشدائد. والتضرُّع: السؤال بالتذلُّل.

١ - كذا فِي الأصل، كتبها الناسخ فوق كلمة مشطوبة «المشفعة»، ولعلَّ الصواب: «الشفقة».

﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرَّعوا﴾ أَي: هلاَّ تضرَّعوا بالتوبة!، ومعناه: نفي التضرُّع، كأنَّه قيل: فلم يتضرَّعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنَّه جاء بـ«لولا» ليفيد أنَّه لم يكن لَهُم عذر فِي ترك التضرُّع؛ ﴿ولكنْ قَسَتْ قلوبُهم﴾ فكان سبب منع التضرُّع إليه قسوة قلوبهم، ﴿وزيَّن لَهُم الشيطان مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٤٣)﴾ فصاروا معجَبين بأعمالهم، أو زيَّن لَهُم سوء أعمالهم فرأوه حسنا.

﴿فَلَمَّا نسوا مَا ذُكِّروا بِهِ﴾ مِنَ البأساء والضرَّاء، أَي: تركوا الاتعاظ بِهِ، ولم يزجرهم؛ ﴿فتحنا عَلَيْهِم أبوابَ كُلِّ شيء﴾ [١٤٥] مِنَ الصِحَّة والسعة وصنوف النعم؛ وَهَذَا فتح استدراج ومكر، أي: (لَعَلَّهُ) بدَّلنا مكَانَ البلاء والشدَّة، الرخاءَ والصِحَّةَ. ﴿حَتَّى إِذَا فرحوا بِمَا أُوتوا﴾ مِنَ الخير والنعم فرحًا، بمعنى الركون إِلَيْهِ، والاعتماد عليه والثقة بِهِ، والطمأنينة بوجوده، دون وعد الله؛ ﴿أخذناهم بغتة﴾ أَخْذ تعذيب فجاءةً، أمن مَا كَانُوا وأعجب مَا كَانَت الدُّنْيَا لَهُم[كذَا]، ﴿فإذا هم مبلسُونَ(٤٤)﴾ آيسون من كُل خير متحيرون، وأصله الإطراق حُزنا لِمَا أصابه، ندمًا عَلَى مَا فاته، قَالَ أبو عبيدة: «المُبلس: النادم الحزين، وأصل الإبلاس: الإطراق مِنَ الحزن والندم»؛ وروي عَن رسول الله ﷺ: *«إِذَا رأيتَ الله يعطي لأحد مَا يحبُّ، وَهُوَ مقيم عَلَى معصية، فإنَّما ذَلِكَ استدراج»، ثُمَّ تلا: ﴿فَلَمَّا نسوا مَا ذكِّروا بِهِ...﴾ الآية»*[1]؛ ﴿فقُطع دابرُ القوم الذِينَ ظَلَموا﴾ هُلِكوا عَن

١ - رواه أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الله يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله =

آخرهم، و لم يُـترك مِنـهُم أحـد، ﴿والحمـد لله ربِّ الْعَـالَمِينَ(٤٥)﴾ إيـذان لوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وَأَنـَّهُ من أجل النعَم، وأجزل القسم؛ ثُمَّ دلَّ عَلَى قدرته، وتوحيده بقوله:

﴿قل: أرأيتم إن أَخَذ ا لله سمعَكم وأبصارَكم﴾ بأن أصمَّكم وأعماكم، فلـم تسمعوا، و لم تُبصروا عواقب مَا يضرُّكـم وَلاَ ينفعكـم، ﴿وختـم عَلَى قلوبكـم﴾ فشلَّت العقول والتميز[1]. ﴿مَن إلـهٌ غيرُ ا للهِ يـأتيكم بـهِ؟ انظـر كيـف نصـرِّف الآيات﴾ نكررهـا تـارة مـن جهـة المقدمـات العقليـَّة، وتـارة مـن جهـة الـترغيب والـترهيب، وتـارة بالتنبيـه والتذكـير بـأحوال المتقدمـين، وقيـل: يُـبَيـنُ الآيـات والعلامات الدالَّة عَلَى التوحيد والنبوَّة، ﴿ثمَّ هم يصدفُـونَ(٤٦)﴾ يعرضـون عَـن الآيات بعد ظهورها؛ والصدف: الإعراض عَن الشيء.

﴿قل أرأيتَـكم إن أتاكم عذاب ا لله بغتـةً﴾ بـأن لم تظهـر أماراتـه، ﴿أو جهرة﴾ بِأن ظهرت أماراته، ﴿هل يُهلك إلاَّ القـوم الظالـمُونَ(٤٧)﴾؟ مَـا يهلك هلاك تعذيب وسخط، إلاَّ الذِينَ ظلموا أنفسهم بكفرهم. ﴿وَمَا نُرسـل المرسَلين إلاَّ مبشِّـرين﴾ المؤمنـين بالجـنَّة، ﴿ومنذِريـن﴾ الكَـافِرِينَ بـالعذاب،

=

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُل شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَـةً فَـإِذَا هُـمْ مُبْلِسُـونَ﴾. مسـند الشاميـين، رقـم ١٦٦٧٣. العالميـة: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «نسوا».

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «من التمييز»، أو: «فسلبَ العقولَ والتمييزَ».

﴿فمن آمن وأصلحَ﴾ دام عَلَى إيمانه؛ **﴿فلا خوفٌ عليهم﴾** مِنَ العذاب، **﴿وَلاَ هم يحزنُونَ(٤٨)﴾** بفوت الثواب.

﴿وَالذِينَ كذّبوا بِآيَاتِنا يمسُّهم العذاب﴾ فِي الدارين، جعل العذاب مَاسًّا كأنَّه حيٌّ يَفعل بهم مَا يُؤمر، **﴿بِمَا كَانُوا يفسقُونَ(٤٩)﴾** بسبب فسقهم، وخروجهم عَن الطاعة بالكفر.

﴿قل: لاَ أقول لكم عندي خزائن ا لله﴾ أي: قسمه بين الخلق وأرزاقه، نزل ذلك ـ فيما قيل ـ حين اقترحوا الآيات، وأمَره أن يقول لَهُم: **﴿لاَ أقول لكم: عندي خزائنُ ا لله﴾** أي: خزائن رزقه، فأعطيكم مَا تريدون، **﴿وَلاَ أعلمُ الغيبَ، وَلاَ أقولُ لكم: إِنِّي مَلَك﴾** لاَ أدَّعي مَا يُستبعَد فِي العقول، أن يكون لبشر مِن مُلكِ خزائن ا لله وعلمِ الغيوب، وَلاَ أنـّي من جنس المَلاَئِكَة، أو أقدر عَلَى مَا يقدرون عليه، وإنـّما أدَّعي مَا كَانَ لكثير مِنَ البشر، وَهُوَ النبوَّة والرسالة البشريـَّة، **﴿إِن أتـَّبع إِلاَّ مَا يُوحى إِليَّ﴾** تبرُّءًا من دعوى الألوهية والملكية، وأدَّعِي النبوَّة التِي هِيَ من كمالات البشر، **﴿قل: هل يستوي الأعمَى والبصيرُ﴾**؟ مَثل للعالم والجاهل؛ **﴿أفلا تتفكّرُونَ(٥٠)﴾**؟ فلا تكونوا ضالِّين، أشباه العميان.

﴿وأنذر بِهِ﴾ أي: خوفْ بِمَا يوحى إليك، **﴿الذِينَ يخافون أن يُحشَروا إِلَى ربِّهم﴾**، هم المؤمنون بالبعث ومَا بعده؛ وقيل: «يخافون» أي: يَعْلَمُونَ، لأَنَّ خوفهم إِنـَّمَا كَانَ من عِلمِهم، **﴿ليس لَهُم من دونه [١٤٦] وليٌّ وَلاَ**

شفيعٌ﴾، يَعْلَمُونَ ذَلِكَ علم حقيقي[1]، **﴿لَعَلَّهُم يتَّقُونَ(٥١)﴾** فينتهون عمَّا نُهوا عَنْهُ، وإنَّما نفى الشفاعة لغيره مَعَ أنَّ الأنبياء والأولياء يشفعون، لأنَّهم لاَ يشفعون إلاَّ بإذنه.

﴿وَلاَ تطرُدِ الذِينَ يَدْعُون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ﴾ أثنى عَلَيْهِم بأنَّهم يواصلون دعاء ربهم، أي: عبادته، ويواظبون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام، أي: فِي [أي] وقت كانوا، وعلى أي حال كانوا، أو معناه يصلُّونَ[2] صلاة الصبح والعصر، أو الصلوات الخمس، وَوَسَمَهم بالإخلاص فِي عبادتهم بقوله: **﴿يريدون وجهه﴾** فالوجه يعبر عَن ذات الشيء وحقيقته، قيل: نزلت فِي فقراء الـمُسْلِمِينَ. **﴿مَا عليك مِن حسابِهم من شيء﴾** إذ بواطنهم لم تطَّلع عليها، **﴿وَمَا من حسابك عَلَيْهِم من شيء﴾** قيل: إنَّ ذَلِكَ طعنوا فِي دينهم وإخلاصهم[3]؛ فقال: حسابهم عَلَيْهِم لازم لَهُم لاَ يتعدَّاهم إليك، كما أنَّ حسابك عليك لاَ يتعدَّاك إِلَيْهِم، **﴿فتطرُدَهم فتكونَ مِنَ الظالِمِينَ(٥٢)﴾**.

﴿وكذلك فتنَّا بعضَهم ببعضٍ﴾ ومثل ذَلِكَ الفتن العظيم، ابتلينا الأغنياءَ بالفقراء، والعلماءَ المحقِّين بالجهلة التاركين، فيسخروا مِنْهُم فتكون ذَلِكَ فتنة عليهم، **﴿ليقولوا: أهؤلاء مَنَّ ا لله عَلَيْهِم مِن بينِنا﴾** أي: أنعمَ ا لله عَلَيْهِم

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: «علما حقيقيًّا».

٢- في الأصل: + «يصلون»، وهو خطأ.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ذلك لأَنَّهُمْ طعنوا في دينهم وإخلاصهم».

بالإيمان، ونحن المقدَّمون والرؤساء وَهُم الفقراء، إنكاراً لأَن يكونوا عَلَى تلك المنزلة السيئة، وَهُم يقولون: إنَّهم من أراذلهم؛ فردَّ ا لله عَلَيْهِم فقال: **﴿أليس ا لله بأعلمَ بالشاكرِينَ(٥٣)﴾**؟! بمن يشكر نعمته ومن لاَ يشكرها.

﴿وإذا جاءك الذِينَ يُؤمِنُونَ بِآيَاتِنا، فقل: سلام عليكم﴾ الذِينَ يُؤمِنُونَ، هم الذِينَ يَدعون ربَّهم؛ وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج، بعدما وصفهم بالمواضبة عَلَى العبادة، وأمره بِأن يَبدأهم بالتسليم، أو يبلِّغهم سلام ا لله إِلَيْهِم، ويبشرهم بسعة رحمة ا لله وفضله، بعد النهي عَن طردهم، إيذانا بأنَّهم الجامعون لفضيلتيَ العلم والعمل، ومن كَانَ كذلك ينبغي أن يقرَّب وَلاَ يُطرد، ويُعزَّ وَلاَ يُذلَّ، ويُبشَّر مِنَ ا لله بالسلامة فِي الدُّنْيَا، والرحمة فِي الآخِرَة.

﴿كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نفسه الرحمَةَ﴾ من جملة مَا يقول لَهُم ليبشرهم بسعة رحمة ا لله وقبول التوبة مِنْهُ، ومعناه: وَعَدَكم بالرحمة وعدا مؤكّدًا، وقيل: ﴿كتبَ رَبُّكُم عَلَى نفسه الرحمةَ﴾ أي: عَلَى ذاته، لاَ عَلَى شيء سواه، وقيل: ﴿كتب رَبُّكُم عَلَى نفسه الرحمة﴾ يقول: حكم رَبُّكُم بالرحمة لمن أطاعه؛ **﴿أنَّه من عمل منكم سوءا﴾** ذنبًا، تسوء عاقبة راكبه؛ **﴿بجهالة﴾** قيل: لاَ يعرف حلال ذَلِكَ الشيء من حرامه، و لم تَقم عليه الحجَّة بذَلِكَ، فمن جهالته ركب ذَلِكَ الأمر، **﴿ثمَّ تاب من بعده وأصلح﴾** أي: طلب السؤال، ولو بالخروج مَعَ القدرة عَلَى ذَلِكَ، أو دان بالسؤال مَعَ العجز والتوبة من ذَلِكَ مَعَ القدرة، أو تاب فِي الجملة مَعَ العجز عَن التوبة مِنْهُ بعينه، ﴿ثمَّ تاب من بعده﴾ من بعد السوء أو العمل، وأصلح وأخلص توبته، **﴿فإنّه غَفُور رحيم(٥٤)﴾** لمن تاب قبل الموت.

﴿**وكذلك نفصِّل الآيــات**﴾ آيـات القـرآن فِي صفـة المطيعـين والمجرمـين، بالدلائل والعلامات والسمات، ﴿**ولتستبينَ سـبيلَ المجرمِـينَ(٥٥)**﴾ والمعنـى: ومثل ذَلِكَ التفصيل البيــن نفصـل آيـات القـرآن، ونلخِّصهـا فِي صفـة أحـوال المجرمين: من هُوَ مطبوع عَلَى طبعه لاَ تُرجى موافقتـه، ومـن يُرجـي إسـلامه؛ ولتستوضحَ سبيلهم، فتعامل كلاًّ مِنـْهُم بِمَـا [١٤٧] يجـب أن يُعـامل بـِهِ، أو لتحذِّره عَن أن يسلكه[1]، فصَّلنا ذَلِكَ التفصيل.

﴿**قل: إِنـِّي نُهيت أن أعبدَ الذِيـنَ تَدْعُـون مـن دونِ ا للهِ**﴾ أي: زُجِـرتُ وصُرِفتُ ـ بأدلَّـة العقل والسمع ـ عَن عبادة مَا تعبدون من دون ا للهِ، وَهُوَ فِي المعنى يتناول كلَّ معصية للهِ تعالى، بمَا تهواه النفس بغـير الحـق، بدليـل قولـه: ﴿**قل: لاَ أتَّبع أهواءكـم**﴾ أي: لاَ أجـري فِي طريقتكـم التِـي سـلكتموها فِي دينكم، من اتبـاع الهوى دون اتـــباع الدليـل، وَهُـوَ بيـان للسبب الـذِي مِنـْهُ وقعوا فِي الضلال، وفِي مضمون الآية دليل عَلَى أنـَّهم يعبـدون هـوى أنفسـهم بدليل قوله: ﴿قل: لاَ أتَّبع أهواءكـم﴾، ﴿**قـد ضللـت إذًا**﴾ أي: إن اتـَّبعت أهواءكم فأنا ضالٌّ ﴿**وَمَا أنا مِنَ المهتدِيـنَ(٥٦)**﴾ وَمَـا أنـا مـن أهـل الهـدى، يعني: إنـَّكُم كذلك، وإن فعلتُ ذَلِكَ فقد تركت سبيل الحق، وسلكت طريـق الهوى، وَلـَمَّا نَفَى أن يكون الهوى متَّبعـًا، نبَّه عَلَى مَا يجب اتـباعه بقوله:

﴿**قل: إِنـِّي عَلَى بيـِّنة من ربِّي**﴾ أي: إنـي عَلَى معرفة ربـي، وَإِنـَّهُ لاَ معبـود سواه، أي: على بيـنة من ربـي، أَي: عَلَى بصيرة وبرهان فيمـا أمر ونهى، عَلَـى

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «لنحذِّركَ عن أن تسلكه».

حجَّة واضحة، ﴿وكذَّبتم بِهِ﴾ حيث أشركتم بِهِ غيره، ﴿مَا عندي مَا تستعجلون بِهِ﴾ يعني: العذاب الذِي استعجلوه فِي قوله: ﴿فأمطر علينا حجارةً مِنَ السَّمَاء﴾[1]، ﴿إنِ الحكمُ إلاَّ لله﴾ فِي تأخير عذابكم. ﴿يقصُّ الحقَّ﴾ أي: يقول الحقَّ النافونَ [كَذَا]، يقضي الحقَّ، أي: القضاءَ الحقَّ فِي كُل مَا يقضي مِنَ التأخير والتعجيل، ﴿وَهُوَ خير الفاصلِينَ(٥٧)﴾ القاضينَ.

﴿قل لو أنَّ عندي﴾ أي: فِي قدرتي وإمكاني، ﴿مَا تستعجلون بِهِ﴾ مِنَ العذاب، ﴿لقُضيَ الأمرُ بيني وبينكم﴾ لأهلكتكم عاجلاً، غضبا لله، ﴿والله أعلمُ بالظالِمِينَ(٥٨)﴾ بأحوالهم فِي الدركات.

﴿وعنده مفاتحُ الغيب﴾ أي: خزائن الغيب ﴿لاَ يعلمُها إلاَّ هُوَ﴾ المفاتح جمع: مِفْتَحْ، وَهُوَ المفتاح، وهي خزائن العذاب والرزق، أو ما غاب عَن العباد مِنَ الثواب والعقاب والآجال والأحوال، جَعل للغيب مفاتح عَلَى طريق الاستعارة، لأَنَّ المفاتح يُتوصَّل بها إِلىَ مَا فِي المخازن المستوثق منها بالإغلاق والإقفال، ومن عَلم مفاتحها وَكَيفِيَّة فتحها توصَّل إِلَيْها؛ فأراد أنَّه هُوَ المتوصل إِلىَ المغيبات، وعاجدة [كَذَا] لاَ يَتوصَّل إِلَيْها غيره، ﴿ويعلم مَا فِي البرِّ﴾ مِنَ النبات والدواب، ﴿والبحرِ﴾ مِنَ الحيوان والجواهر وغيرهما، ﴿وَمَا تسقطُ من ورقة إلاَّ يعلَمها﴾ يريد ساقطة وثابتة[2]، يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده، ﴿وَلاَ حبَّة فِي ظلمات الأَرْض وَلاَ رطبٍ

---

١ - سورة الأنفال: ٣٢.

٢ - يمكن أن نقرأ: «ونابتة».

وَلاَ يابس﴾ قيل: هُوَ عبارة عَن كل شيء، ﴿**إلاَّ فِي كِتَاب مُبين(٥٩)**﴾ وَهُوَ علم ا لله، أو اللّوح.

﴿**وَهُوَ الذِي يتوفّاكم بالليل**﴾ أي: يقبض أنفسكم عَن التصرُّف بالتمام فِي المنام، ﴿**ويعلم مَا جرحتم بالنهار**﴾ خَصَّ الليل بالنوم، والنهار بالكسب، جريا عَلَى المعتاد، ﴿**ثمَّ يبعثكم فِيهِ**﴾ ثُمَّ يوقظكم فِي النهار، ﴿**ليقضى أجلٌ مسمًّى**﴾ ليوفِّر الآجال عَلَى الاستكمال، ﴿**ثمَّ إِلَيْهِ مرجعُكم، ثُمَّ ينبِّئكم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٦٠)**﴾ وقيل: الآية خطاب للكفرة، والمعنى: يُلقَون كالجيف بالليل، وكاسبون للأيَّام بالنهار [كَذَا]، كما قَالَ: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وَهُم نائمون، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحًى وَهُم يلعبون﴾[1] وليس هم مِنَ الدين فِي شيء[2].

﴿**وَهُوَ القاهر فوق عباده**﴾ لاَ يتحرَّك متحرك وَلاَ يسكن ساكن إلاَّ بمشيئته وإرادته، ﴿**ويرسل [١٤٨] عَلَيْكُم حَفَظَة**﴾ مَلاَئِكَة حافظين لأعمالكم وَهُم الكرام الكاتبون، ليكون ذَلِكَ أزجر للعباد عَن ارتكاب الفساد، إِذَا تفكّروا أن صحائفهم تُعرض عَلَيْهِم عَلَى رؤوس الأشهاد؛ ويحتمل: يحفظونكم عَن أن تزيغوا عَن مَا قدَّره ا لله لكم وعليكم من أمر الدين والدُّنْيَا، لأَنَّهُ لاَ رادَّ لقضائه وَلاَ معقِّب لحكمه، ويجب الاستسلام لقهره، والرجاء لعفوه، والخوف من عذابه، لأَنَّهُ القاهر فوق عباده، ﴿**حَتَّى إِذَا جاء**

---

١ - سورة الأعراف: ٩٧-٩٨.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وهم ليسوا من الدين في شَيْء».

أحدَكم الموتُ﴾ «حتّى» لغاية حفظ الأعمال، أي: ذَلِكَ دأب المَلاَئِكَة مَعَ المكلّف مدّة الحياة، إِلَى أن يأتيه الممات؛ يعني: أعوان مَلَك الموت، يقبضونه بأمر مَلَك الموت؛ فكان مَلَك الموت يؤتيه [كَذَا]، لأنّهم يقبضون عن أمره[1] لقوله: ﴿قل يتوفّاكم مَلَكُ الموتِ﴾[2]. ﴿**توفّته رُسُلُنا وَهُم لاَ يفرِّطُونَ(٦١)**﴾ لايجاوزون مَا حُدَّ لَهُم بزيادة أو بنقصان.

﴿**ثُمَّ ردُّوا إِلَى ا لله**﴾ إِلَى حكمه وجزائه، ﴿**مولاهم**﴾ مالكهم الذِي يلي أمورهم.﴿**الحقِّ**﴾ الثابت، العدل الذِي لاَ يحكم إِلاَّ بالْحق. ﴿**ألاَ لَهُ الحكمُ**﴾ ليس [هنالك] حكم مَعَ حكمه. ﴿**وَهُوَ أسرع الحاسبِينَ(٦٢)**﴾ لاَ يشغله حسابٌ عَن حسابٍ، وقيل: «الردُّ إِلَى من ربَّاك، خير مِنَ البقاء مَعَ من أذاك».

﴿**قل: من ينجيكم من ظلمات البرِّ والبحر**﴾ من مخاوفهما وشدائدهما وأهوالهما، ﴿**تدْعونه تضرُّعا**﴾ معلنين الضراعة، ﴿**وخُفيةً**﴾ أي: مسرين فِي أنفسكم خيفة حيث كَانَ، ﴿**لئن أنجانا**﴾ أي: أخلصنا[3] ﴿**مِن هَذِهِ**﴾ المحنة والظلمة، ﴿**لنكوننَّ مِنَ الشاكرِينَ(٦٣)**﴾ المطيعين لك، والشكر: هُوَ معرفة النعمة أنّها مِنَ ا لله، مَع القيام بحقّها.

﴿**قل: ا لله ينجيكم منها ومن كُلِّ كرب**﴾ غمٌّ وحزن، أي: لولا فضل ا لله ورحمتُه لترادفت عَلَيْهِم الكروب، والكرب: هُوَ غاية الغم الذِي يأخذ

---

١ - في الأصل: «عن مره».

٢ - سورة السجدة: ١١.

٣ - في الأصل: «أخلصنات»، وهو خطأ، وَلَعَلَّ الأصوب: «خلّصنا».

النفس؛ ﴿ثمَّ أَنتم تشركُونَ(٦٤)﴾ تكفرون وَلاَ تشكرون، يريد: أنـَّهم يُقرُّون أنَّ الذِي يدعونه[1] عند الشدَّة هُوَ الذِي ينجيكم؛ ثُمَّ إن كشفها عنكم تشركون معه الأصنامَ، التِي قد علمتم أنـَّها لاَ تضرُّ وَلاَ تنفع.

قوله تعالى: ﴿قل: هُوَ القادر﴾ هُوَ الذِي عرفتموه قادرًا، وَهُوَ الكاملُ القدرةِ ﴿عَلَى أن يبعث عَلَيْكُم عذابا مِن فوقكم﴾ كما أمطر عَلَى قوم لوط، وَعَلَى أصحاب الفيل الحجارةَ، ﴿أو من تحتِ أرجلكم﴾ كما أغرق فرعون، وخسفَ بقارون، وعن ابن عبَّاس: «يريد: من فوقكم السلاطين الظلمة، ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ أي: من كَانَ أسفل منكم». ﴿أو يُلبسَكم شِيَعا﴾ أو يُخلطكم فرقا مختلفين عَلَى أهواء شتىًّ، كلُّ فرقة منكم مشايعةٌ لإمامٍ، وذلك الافتراق هُوَ عين العذاب، ومعنى خلطهم: أن ينشب القتال بَيْنَهُم، فيختلطوا ويشتبكوا فِي ملاحم القتال، ﴿ويُذيقَ بعضَكم بَأسَ بعض﴾ يقتلَ بعضكُم بعضًا، والبأس: السيف؛ ﴿انظر كيف نصرِّف الآيات﴾ بالوعد والوعيد، ﴿لَعَلَّهُم يفقَهُونَ(٦٥)﴾ يتعلَّمون، فيعلَمون عواقبَ الأمور، وَمَا صرف ذَلِكَ عَنْهُم إلاَّ رحمته التِي وسِعت كلَّ شيء.

﴿وكذَّب بهِ قومك﴾ بالقرآن، ﴿وَهُوَ الحقُّ﴾ أي: الصدق، ﴿قل: لستُ عَلَيْكُم بوكيل(٦٦)﴾ بحفيظ وُكِّل إلىَ أمركم، إنـَّمَا [أنا] منذرٌ، ﴿لكلِّ نبإ﴾ لِكُل شيء تنبـَّأ بهِ؛ ﴿مستقرٌّ﴾ وقت استقرار، ﴿وسوف تَعْلَمُونَ(٦٧)﴾ مآل العاقبة، وفيه تهديد.

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «أنـَّكم تُقرُّون أنَّ الذِي تدعونه عند الشدَّة ينجيكم».

﴿وإذا رأيتَ الذينَ يخوضون فِي آياتنا﴾ بالباطل؛ ﴿فأعرضْ عَنْهُم﴾ فأعرض عَن باطلهم، ﴿حَتَّى يخوضوا فِي حديث غيره﴾ مِمَّا أباحه ا لله لهم، ﴿وَإِمَّا يُنسينَّك الشيطان﴾ يثقل عليك القيام من مجالسهم، (لَعَلَّهُ) ويُحلّيه لك، ﴿فلا تقعد بعدَ الذكرى مَعَ القوم الظالِمِينَ(٦٨)﴾ يعني: إذا جلست معهم تأسيا فَقُم مِن عندهم بعدما ذَكَرت، وفيه بيان النهي واقع عَن مجالستهم[1]؛ فلا تقعد معهم بعدَ الذكرى. ويجوز أن يُراد: وإن أنساكَ الشيطانُ قبلَ النهيِ قُبحَ مجالستهم فلا تَقعد معهم بعدَ أن ذكّرناك[2] قبحها، (لَعَلَّهُ) ونبّهناك عليه؛ ويخرج فِي المعنى إِذَا ذكّرك المُلهم فلا تُصغ إِلَى الوسواس الشيطاني.

﴿وَمَا عَلَى الذِينَ يتَّقون من حسابهم﴾ الذِينَ يخوضون فِي القرآن ﴿من شيء، ولكن﴾ عَلَيْهِم أن يذكّروهم ﴿ذكرى﴾ إِذَا سمعوهم يخوضون، ﴿لَعَلَّهُم يتَّقُونَ(٦٩)﴾ الخوضَ حياءً أو خوفًا مِنْهُم، أو مِنَ ا لله.

﴿وذَرِ الذينَ اتَّخذوا دينَهم﴾ الذِي كُلِّفوه ودُعوا إِلَيْهِ، وَهُوَ دين الإسلام، ﴿لعبا ولهوا﴾ أي: بَنَوا أمر دينهم عَلَى التشهي، ويَدينوا[3] بِمَا لاَ يعود عَلَيْهِم بنفع عاجلاً وآجلاً، واتَّخذوا دينهم الذِي كُلِفوه لعبا ولهوا، حيث سخروا بِهِ. واللهو: (لَعَلَّهُ) مَا يُشغلُ الإنسانَ مِن هوى أو طرب. ﴿وغرَّتهم الحياةُ الدُّنْيَا﴾ بظاهرها المزخرف، حيث لم يفكّروا فِي بواطنها،

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بيان أنَّ النهي واقع عَلَى مجالستهم».

٢ - في الأصل: «ادكرناك».

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ودانوا».

وَمَا تؤول إِلَيْهِ، ﴿وذكّر بِهِ﴾ وَعِظ بالقرآن ﴿أن تُبسلَ نفسٌ بِمَا كَسبت﴾ مخافة أن تُسلَم إِلىَ الهلكة، وترتهن سوء كسبها؛ و أصل الإبسال: المنع، وأبسله: أسلَمه للهلكة، وربه إلى نفسه وكله[كَذَا]. ﴿ليس لها من دون ا لله وليٌّ﴾ ينصرها بالقوَّة، ﴿وَلاَ شفيع؛ وإن تَعدل كلَّ عدل﴾ وإن تُفدِ كلَّ فداء، والعدل: الفدية، لأنَّ الفادي يعدل المَفديَ بمثله، ﴿لاَ يُؤخذْ منها﴾ لا يُقبل منها؛ ﴿أُولَئِكَ الذِينَ أُبسلوا بِمَا كسبوا﴾ أي: سُلِّموا إِلىَ العذاب بسبب أعمالهم القبيحة، وعقائدهم الزائغة، ﴿لَهُم شرابٌ من حميم﴾ أي: ماء حارٌّ، ﴿وعذاب أليم بِمَا كَانُوا يكفرُونَ(٧٠)﴾ والمعنى: هُم بَين ماءٍ يَتَجرجَر[1] فِي بطونهم، ونار تشتعل بأبدانهم.

﴿قل: أَندعو﴾ أنعبدُ ﴿مِن دون ا لله مَا لاَ ينفعنا﴾ مَا لايقدر عَلَى نفعنا إن دعوناه، ﴿وَلاَ يضرُّنا﴾ إن تركناه، ﴿ونُردُّ عَلَى أعقابنا﴾ راجعين مِنَ الإسلام إِلىَ الشرك ﴿بَعد إذ هَدانا ا لله﴾ للإسلام، وأنقذنا من عبادة الأصنام؛ ﴿كالذي استهوتهُ الشياطينُ﴾ كالذي ذهبت بِهِ مَردَةَ الجن، والعيلان[2] في المهامه[3]، وَهُوَ استفعال مِن "هوى فِي الأَرْض" إِذَا ذهب هاويًا فِي مَهَاوِيهَا،

---

١ - في اللسان: «جرجر: ضجَّ وصاح... وَفِي الحديث: "الذي يشرب في الإناء [كَذَا] الفضة والذهب إِنَّمَا يُجرجِرُ فِي بطنه نار جَهَنَّم" أي يَحدُر فيه، فجعل الشرب والجرع جرجرة، وَهُوَ صوت وقوع الماء في الجوف». ابن منظور: لسان العرب، ٤٣٨/١.

٢ - «العَيلان: الذَّكر من الضباع». ابن منظور: لسان العرب، ٩٤٥/٤.

٣ - «والمَهْمَهُ: المفازة البعيدة، والجمع: المَهَامِهُ... الليث: المهمهُ: الفلاة بعينها، لا ماء بها ولا أنيس». ابن منظور: لسان العرب، ٥٤٥/٥. مادَّة «مهه».

وقيل: ذهبت الشياطين بهواه وعمله، أو استوهمته وحيَّرته، أو زيَّنت لَهُ هواه؛ ﴿فِي الأَرْض﴾ فِي المَهْمَهِ[1]، ﴿حيران﴾ استهوته تائها ضالاً عَن الجادَّة لاَ يدري كيف يصنع، [و]لاَ يهتدي إِلىَ مخرج مِنْهُ. ﴿لَهُ﴾ لهذا المستهوَى ﴿أصحابٌ﴾ رفقاء، ﴿يدعونه إِلىَ الهدى﴾ إِلىَ أن يهدوه إِلىَ الطريق، ﴿ائتنا﴾ وقد تعسَّف للمَهْمَهِ تابعًا للجن، لاَ يجيبهم وَلاَ يأتيهم، وهذا مبنيٌّ عَلَى مَا يُقال: إنَّ الجنَّ تستهوي الإنسان، والعَيلان[2] تستولي عليه، فشبَّه بِهِ الضالَّ عَن طريق الإسلام، التابع لخطوات الشيطان؛ والمسلمون يدعونه إِلىَ الإسلام فلا يلتفت إِلَيْهِم. ﴿قل: إنَّ هُدى ا للهِ﴾ وَهُوَ الإسلام ﴿هُوَ الهُدى﴾ وَحدَه، وَمَا سواه ضلال، ﴿وأُمِرنَا لنُسلم لربِّ الْعَالَمِينَ(٧١)﴾ لِنذعن ونَنقَادَ إِلىَ حكمه وعبادته.

﴿وأن أقيموا الصلاة واتَّقُوه﴾ فيما أمر ونهى، ﴿وَهُوَ الذِي إِلَيْهِ تُحشَرُونَ(٧٢)﴾ ترجعون.

﴿وَهُوَ الذِي خلق السَّمَاوَات والأَرْض بالْحَقِّ﴾ بالحكمة، ﴿ويوم يقول: كن فيكون، قولُه الحقُّ﴾ أي: لا يكون شأنٌ مِنَ السَّمَاوَات والأَرْض، وسائر المكونات، إلاَّ عَن حكمةٍ وصواب. ﴿وَلَهُ الملكُ يَومَ يُنفَخ فِي الصور﴾ قيل: هُوَ القرن بِلُغة اليمن، أو جمع صورة، ﴿عالم الغيب﴾ السر، ﴿والشهادةِ﴾ والعلانيَّةِ، ﴿وَهُوَ الحكيم﴾ الذِي لاَ يخلق إلاَّ لِحكمةٍ[3]، ﴿الخبير(٧٣)﴾.

---

١ - في الأصل: «المهمة»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «الغيلان»، و لم نجد في اللسان معنى لهذه الكلمة غير أنَّه اسم لرجل.

٣ - في الحاشية: «بيان إلاّ لِحِكَمٍ».

﴿**وإذ قَالَ إبراهيمُ لأبيه آزَرَ: أتَتَّخِذُ أصناما آلهةً**﴾ استفهام توبيخ، أي: اتتَّخذها آلهة وهي لاَ [١٥٠] تستحقُّ الإلهيَّة، ﴿**إنِّي أراكَ**﴾ بعين البصيرة ﴿**وقومَك، فِي ضلال مُبِين(٧٤)**﴾ ظاهر الضلالة.

﴿**وكذلك**﴾ أي: وكما أريناه قُبح الشرك، ﴿**نُري إبراهيمَ ملكوتَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ**﴾ أي: عجائبها وبدائعها، وقيل: هُوَ ربوبيَّتها وملكها. والملكوت أبلغ مِنَ الملك، و"التاء" فِيهِ للمبالغة، وقيل: مُلكُها خَلقُها الظاهر، ومَلَكُوتها سرُّها الذِي خُلقت لأجله؛ فالملك يُرى بالبصر، والملكوتُ يُرى بالبصيرة، ولذلك اختصَّ بهِ إبراهيم وأمثاله دون غيرهم؛ ﴿**وليكون مِنَ الموقِنِينَ(٧٥)**﴾ لأَنَّ من تفكَّر فِي المخلوقات أيقن بالخالق.

﴿**فَلَمَّا جنَّ عليه الليلُ**﴾ أي: أظلم، ﴿**رأى كوكبا**﴾ قيل: وكَانَ أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم عَلَى الخطإ فِي دينهم، وأن يرشدهم إِلَى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أنَّ النَّظَر الصحيح مُؤدٍّ إِلَى تشابه المخلوقات، من أحوال [مَن] ليس بإله، لقيام دليل الحدوث فِيهَا، وَأَنَّ لها مُحدِثًا أَحدثها، ومُدبرًا دبَّر طلوعها وأُفولها، وانتقالها ومَسيرها وسائر أحوالها؛ فَلَمَّا رأى الكوكب الدُّريَّ الذِي كَانُوا يعبدونه، ﴿**قَالَ: هَذَا ربِّي**﴾ أي قَالَ لَهُم: هَذَا ربي فِي زَعمكم؛ ﴿**فَلَمَّا أَفَلَ، قَالَ: لاَ أُحبُّ الآفِلِينَ(٧٦)**﴾ أي: لاَ أُحبُّ عبادة الأرباب المتغيرين.

﴿**فَلَمَّا رأى القمر بازغا، قَالَ: هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أفلَ، قَالَ: لئن لم يَهدِنِي رَبِّي لأَكوننَّ مِنَ القوم الضالِّينَ(٧٧)**﴾ استعجز نفسه، واستعان بربه فِي دَرْك الحق، فإنَّه لاَ يهتدي إِلَيْهِ إلاَّ بتوفيقه.

﴿فَلَمَّا رأى الشمس بازغةً، قَالَ: هَذَا رَبِّي هَـذَا أكبر؛ فَلَمَّا أفلت، قَالَ: يا قوم إِنِّي بريء مِمَّا تشركُونَ(٧٨) إِنِّي وجهتُ وجهي﴾ خالصًا ﴿للذي فطَرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ حنيفا، وَمَا أنا مِنَ المشركِينَ(٧٩)﴾ أحدًا من خلقه؛ قَالَ أبو محمَّد: «يعني: أهل الزيغ، والاعوجاج عَن الحق».

﴿وحاجَّه قومُه﴾ فِي توحيد الله، ونفي الشركاء عَنْهُ. ﴿قَالَ: أتحاجُّوني فِي الله﴾ فِي توحيده، ﴿وقد هداني﴾ إِلَى التوحيد، ﴿وَلاَ أخاف مَا تُشركون بِهِ﴾ (لَعَلَّهُ) من أصنامكم، وينضمُّ تحت معنى هَذِهِ الآية الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، بَل يعمُّ مَا سوى الخالق، ﴿إِلاَّ أن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا﴾ إلاَّ أنَّ يقدر عليَّ أمرا، لأَنَّهُ لاحول ولاقوَّة إِلاَّ بِهِ، ﴿وسعَ رَبِّي كلَّ شيء علما﴾ أَي: عَلِم كلَّ معلوم، ﴿أفلا تتذكَّرُونَ(٨٠)﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وكيف أخافُ مَا أشركتم﴾ أي: المعنى كيف أخاف عاقبةَ معاص[1] فعلتموها ولم أفعلها، ﴿وَلاَ تخافون أَنَّكُم أشركتم با لله، مَا لم ينزِّل بِهِ عَلَيْكُم سلطانا﴾ حجَّةً، والمعنى: مَا تنكرون عَلَى الآمن فِي موضع الأمن، وَلاَ تُنكرون عَلَى أنفسكم الخوف فِي مَوضع الخوف، ﴿فأيُّ الفريقين﴾: الموحدين والمشركين، ﴿أحقُّ بالأمن﴾ (لَعَلَّهُ) أنا وأهل ديني أم أَنتُم؟ ﴿إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ(٨١)﴾ (لَعَلَّهُ) التَّمييز بين موضع الخوفِ والأمن.

﴿الذِينَ آمنوا ولم يَلبسوا إيمانَهم بظلمٍ، أُولَئِكَ لَهُمُ الأمنُ، وَهُم مهتدُونَ(٨٢)﴾ (لَعَلَّهُ) أوضح حجَّة الفريقين.

---

١ - في الأصل: «معاصي».

﴿**وتلك حجَّتنا آتيناها إبراهيمَ**﴾ بعد أن اختارها ﴿**عَلَى قومه**﴾ باختيارهم مَا سِواها؛ ﴿**نرفعُ درجاتٍ من نشاءُ**﴾ نرفع مَن نشاء بالعلم والعقل والفهم، ﴿**إنَّ ربَّكَ حكيم**﴾ يفعل الأمورَ المحكمة، ﴿**عليم(٨٣)**﴾ من هُوَ أهل للحكمة.

﴿**ووَهَبْنَا لَهُ إسحاق ويعقوبَ، كلاًّ هدينا، ونوحا هدينا من قبلُ، ومِن ذرِّيَّتِه داوودَ وسليمانَ وَأَيُّوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ، وكذلك نَجزِي المحسنِينَ(٨٤)**﴾ أي: هديناهم بإحسانهم، كذلك نجزي كلَّ محسن، كما جزينا من ذَكَرنا لأَنَّ جميع العباد معنا عَلَى منزلة وَاحِدَة [١٥١] (لَعَلَّهُ) إذ أنزلوا فِي حال واحد.

﴿**وزكريَّا ويحيى وعيسى وإلياس**﴾ قيل: هُوَ إدريس، وَلَهُ اسمان، مثل: يعقوب وإسرائيل، ﴿**كلٌّ مِنَ الصالحِينَ(٨٥)**﴾ الكاملين فِي الصلاح، وَهُوَ الإتيان بِمَا ينبغي، والتحرُّر عمَّا لاَ ينبغي.

﴿**وإسماعيلَ واليَسَعَ ويونسَ ولوطا، وكلاًّ فضَّلنا عَلَى العَالَمِينَ(٨٦)**﴾ عَلَى عالَمي زمانهم، باختيارهم عمل الفضائل.

﴿**ومِن آبائهم وذرِّياتهم وإخوانهم واجتَبَيْناهم**﴾ اخترناهم واصطفيناهم، ﴿**وهديناهم**﴾ لَمَّا أن اختاروا الهدَى ﴿**إلَى صِرَاط مُستَقِيم(٨٧)**﴾.

﴿**ذَلِكَ هُدَى ا للهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِن عباده**﴾ وأهل مشيئته من عباده من اختار مِنْهُم الهدَى، ﴿**ولو أشركوا**﴾ بشيء مِنَ المعاصي، الذِينَ سمَّاهم مَعَ فضلهم وتقدُّمهم، وَمَا رفع لَهُم مِنَ الدرجات، ﴿**لَحَبِط**﴾ لبطل وذهب ﴿**عَنهُم**

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٨٨)﴾ لبطُلت أعمالهم، لأَنَّ الحسنة وَالسَّيئَة ضدَّان، لاَ يستقيمان فِي شخص وَاحِد كقوله: ﴿لئن أشركتَ لَيَحبَطنَّ عملُك﴾[1].

﴿أولَـئِكَ الذِينَ آتيناهم الكتابَ والحُكمَ﴾ والحكمة[2] أو فَهْم الكتاب، **﴿والنبوَّة﴾** وهي أعلى مراتب البشر؛ **﴿فإن يَكفُرْ بها﴾** بِآيَاتِ القرآن، **﴿هؤلاء﴾** أي: قَومك؛ **﴿فقد وكَّلنا بها قوما﴾** هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم، بدليل قوله: ﴿أولَـئِكَ الذِينَ هَدَى ا للهُ، فبهداهم اقتده﴾ ومعنى: توكيلهم بها، أنَّهم وفِّقوا للإيمان بها، والقيام بحقوقها، كما يُوَكَّل الرجل بالشيء ليقوم بِهِ ويتعهَّده ويحافظ عليه، وفيه إيذان عَلَى أنَّ حجَّة ا لله لاَ تُعدم مِن قائم بها، **﴿ليسوا بها بكَافِرِينَ(٨٩)﴾**.

﴿أولَـئِكَ الذِينَ هَدَى ا للهُ﴾ أي: الأنبياء الذِينَ مَرَّ ذِكرُهم؛ **﴿فبهداهم اقتده﴾** فاختصَّ هداهم بالاقتداء، وَلاَ يقتدى إِلاَّ بهم، والمراد بـ"هداهم" طريقتهم فِي الإيمان با لله وتوحيده وأصول الدين، دون الشرائع والفروع والرأي والنوافل، لأنَّها مختلفة؛ فإنَّها ليست هدى مضافًا إِلَى الكل، ولا يمكن التأسي بهم فِيهَا جميعًا. **﴿قل: لاَ أَسأَلُكم عليه﴾**، عليَّ بتبليغ الوحي والدعاء إِلَى التوحيد **﴿أجرا﴾**، لأَنَّهُ مِنَ اللازم عليه تبليغه، **﴿إن هُوَ إِلاَّ ذكرى للعالَمِينَ(٩٠)﴾** مَا القرآن إِلاَّ عِظة للجن والإنس.

﴿وَمَا قدروا ا لله حقَّ قدرِه﴾ مَا عرفوه حقَّ معرفته فِي الرحمةِ عَلَى عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إِلَيْهِم، وذلك من أعظم رحمته؛ **﴿إذ قَالُوا مَا**

---

١ - سورة الزمر: ٦٥.

٢- فِي الأصل: «الحلمة»، وهو خطأ.

أَنزَلَ ا للهُ عَلَى بشرٍ مِن شيٍء﴾ أنكروا الرسلَ وَمَا جاءوا بِهِ، وإنكارهم لرسالة الرسل، إنكار فِي المعنى لوحدانيَّة ا لله. **﴿قل: مَن أَنزَلَ الكتابَ الذِي جاء بِهِ موسى نورًا وهدى للنَّاس، تجعَلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيرا﴾** بإبداء مَا تشتهونه وإخفاء مَا تكرهونه، **﴿وعُلِّمتم مَا لم تعلَموا أَنتُم وَلاَ آباؤكم﴾** من أمر دينكم ودنياكم، **﴿قلِ: ا للهُ﴾** أي: اِلزم توحيده وطاعته وعبادته؛ **﴿ثمَّ ذرهم﴾** أي: اتركهم وعبادتهم **﴿فِي خوضهم﴾** باطلهم، **﴿يلعبُونَ(٩١)﴾** اللعب مَا فِيهِ تَعَب النفوس، وعذابها فِي الدُّنْيَا، مَعَ العذاب الأكبر.

﴿وهذا كِتَابٌ أنزلناه مباركٌ﴾ كثير المنافع والفوائد التِي لاَ حدَّ لَهَا من دينٍ ودنيا، **﴿مصدِّق الذِي بين يديه﴾** مَا قبله مِنَ الكتب، **﴿ولتُنذر أمَّ القرى﴾** مكَّة، وسُميت أمَّ القرى لأنَّها سُرَّة الأَرْض وقبلة أهل القرى، وأعظمها شأنًا، ولأنَّ الناس يؤمُّونها، **﴿ومَن حولَها﴾** مَا سواها من أهل الأَرْض مِنَ المتعبدين، **﴿وَالذِينَ يُؤمِنُونَ بالآخِرَة﴾** يصدقون بالعاقبة، ويخافونها وأصل الدين: خوف العاقبة؛ **﴿يُؤمِنُونَ بِهِ﴾** فإنَّ من صدَّق بالآخِرَة خاف[١٥٢] العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله عَلَى النظر والتدبُّر، حتَّى يؤمن بالنبي والكتاب، **﴿وَهُم عَلَى صلاتهم يحافظُونَ(٩٢)﴾** خُصَّت الصلاة بالذكر لأنَّها عماد الدين؛ فمن حافظ عليها، حافظ عَلَى أخواتها ظاهرًا وباطنًا.

﴿ومَن أَظلَمُ مِمَّن افترَى عَلَى ا للهِ كَذِبا﴾ تأوَّل الكتاب عَلَى غير تأويله، أو عمل بما يخالفه، **﴿أو قَالَ: أُوحيَ إليَّ، ولم يوحَ إِلَيْهِ شيء﴾** قيل: هُوَ مسيلمة الكذَّاب وأمثاله، ويدخل فِي معنى هَذِهِ الآية: من جعل الوسوسة إلهامًا، وقال: إنَّها حقٌّ مِنَ ا للهِ، لأنَّ الإلهام يخرج فِي معنى الوحي، **﴿ومن قَالَ: سأُنزِلُ مِثلَ مَا**

أَنزَلَ ا للهُ. ولـو تَـرى إذِ الظـالمون فِي غَمَـرَاتِ المـوتِ﴾ شـدائده وسـكراته، مِـن "غَمَرَهُ الماءُ": إِذَا غشيه، (لَعَلَّهُ) لَرأيتَ أمرا فظيعا، وغَمرَةُ كـلِّ شـيء: معظمـه[1]، وأصلهـا الشـيء الـذِي يغمـر الأشـياء ويغطِّيهـا؛ **﴿والمَلاَئِـكَةُ باسـطُوا أيديهـم﴾** بالعذاب والضرب، **﴿أَخرِجوا أَنفسَكم﴾** أي: يَبسطون إِلَيْهِم أيديهـم، يقولـون: هـاتوا أرواحكـم، أخرجوهـا إلينـا مـن أجسـادكم، وَهُـوَ عبـارة عَـن التشـديد فِي الإزهاق من غير إمهال، أو أخرجوهـا مِمَّـا هِيَ فِيـهِ مِنَ العـذاب، توبيخًـا لَهُـم؛ **﴿اليومَ تُجزون عذابَ الهون﴾** أَرَادَ وقت الإماتة، ويعذَّبون بـهِ مـن شـدَّة النَّـزع، وقيل: يعذَّبون بضرب المَلاَئِكَة وجوهَهم وأدبارَهم، ويُلقـى إِلَـيْهِم عـذاب الهـون بأعمالهم، بدليل قوله: **﴿بمَـا كُنتـُم تقولـون عَلَـى ا للهِ غـيرَ الحق﴾** وكَـأنَّ هَـذَا العذابَ عند النزع مخصوصٌ بِهِ العُصاة دون المطيعين، لأنـَّهم لم يعصـوا فيسـتحقُّوا العذاب بسببه، **﴿وكنتم عَن آياته تستكبِرُونَ(٩٣)﴾** عَن قبولها.

﴿وَلَقَد جئتمونا فُرَادى﴾ بلا ثواب مِمَّا خوَّلوه، لأنـَّهم لم يريدوا بِهِ وجه ا لله، **﴿كمـا خلقنـاكم[2] أَوَّلَ مـرَّة﴾** عـراة مِمَّـا خُوِّلـوه؛ وكأنـَّهم لم ينعـم عَـلَيْهِـم بنعمـة، مـن حيـث إنـَّهم كفروهـا و لم يشـكروها، **﴿وتركتم مَـا خوَّلنـاكم﴾** لم يزدكـم قربـة، بَـل زادكـم بعـدًا وغضبًـا وخسـارًا **﴿وراء ظهوركم﴾** فِي الدُّنْـيَا لأهلها، و لم تـتزوَّدوا مِنـْهُ لهذا السفر، **﴿وَمَا نَرى معكم شُفعاءَكم الذِينَ زَعَمتم﴾** أي: ادَّعيتم، **﴿أنـَّهم فيكـم شُـركاء﴾** مُعـاونوكم

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مغطِّيـه».

٢- في الأصل: «خلقنا» وهو خطأ.

ومناصروكم مِن دوننا، وَهُوَ هواء أنفسهم وَمَا عبدوه من دون الله، ﴿لَقَد تقطَّع بينكم﴾ أي: وقع التقطُّع بينكم، أي: تقطَّع وصلكم؛ وذلك مثل قوله: ﴿وتقطَّعت بهم الأسباب﴾[1] أي: المواصلات والبَين، ﴿وضلَّ عنكم﴾ ضاع وبطُل، ﴿مَا كُنتُم تزعمُونَ(٩٤)﴾ أنَّها شفعاؤكم عند الله أو دونه.

﴿إنَّ الله فالقُ الحَب والنوى﴾ للنَّبت، ﴿يُخرج الحيَّ مِنَ الْمَيتِ﴾ النباتَ مِنَ الحَبِّ، ﴿ومُخرجُ الْمَيتِ مِنَ الحي﴾ الحَبَّ مِنَ النباتِ، أو المؤمنِ مِنَ الكافرِ، والكافرِ مِنَ المؤمنِ، ﴿ذلكم الله﴾ المحيي المُميت: هُوَ الله الذِي تحقُّ لَهُ الربوبيَّة لاَ الأصنام، ﴿فأنىَّ تؤفكُونَ(٩٥)﴾ فكيف تُصرفون عَنْهُ إِلىَ غيره، بعد وضوح الدليل.

﴿فالقُ الإصباح﴾ أي: شاقُّ عمودِ الصبح عَن سواد الليل، ﴿وجعل[2] الليلَ سَكَنا﴾ يسكن فِيهِ خلقه عَن كدِّ المعيشة، إِلىَ راحة الأجسام؛ ﴿والشمسَ والقمرَ حُسبانا﴾ أي: جعلهما عَلَمَي حُسبان، لأنَّ حساب الأوقات يُعلم بدورهما وسيرهما، ومعناه: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم، لاَ يجاوزانه حتَّى ينتهيا[3] إِلىَ أقصى منازلهما، ﴿ذَلِكَ تقديرُ العزيز﴾ الذِي قهرهما وسخَّرهما ﴿العليم(٩٦)﴾ بتدبيرهما وتدويرهما.

---

١ - سورة البقرة: ١٦٦.

٢ - في الأصل: «وجاعل»، كتبها برواية ورش، والملاحظ أنَّه اعتمد في تفسيره رواية حفص عموما.

٣- في الأصل: «ينتهيان»، وهو خطأ.

﴿وَهُوَ الذِي جَعَلَ لكم النجومَ﴾ [١٥٣] أي: خلقها لكم لاَ تتقدَّم وَلاَ تتأخَّر عَن منازلها وسيرها، ﴿لتهتدوا بها فِي ظلمات البر والبحر﴾ ظلمات الليل فِي البرِّ والبحر؛ ﴿قد فصَّلنا الآيات﴾ بيَّنَّاها فصلا فصلا ﴿لقوم يَعْلَمُونَ(٩٧)﴾ فإنَّهم المنتفعون بها.

﴿وَهُوَ الذِي أنشأكم من نفسٍ وَاحِدَة﴾ من آدم، ﴿فمستقرٌّ﴾ فوق الأَرْض، ﴿ومستودَع﴾ تحتها، ﴿قد فصَّلنا الآيات لقوم يفقهُونَ(٩٨)﴾ يتفكَّرون، فَيَسمون إِلَى درجة أهل الفقه.

﴿وَهُوَ الذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء ماءً؛ فأخرجنا بِهِ نباتَ كُل شيء﴾ نَبتَ كلِّ صنف؛ ﴿فأخرجنا مِنْهُ خَضِرا، نُخرج مِنْهُ حبًّا مُتراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان﴾ هُوَ العِذْقُ ﴿دانيةٌ﴾ مِنَ المجتَنِي قريبةٌ، ﴿وجنَّات من أعناب والزيتونَ والرمَّان، مُشتبها وغير مُتشابِهٍ﴾ طعمًا ولونًا وقدرًا. ﴿انظروا إِلَى ثَمَره إِذَا أَثْمَرَ﴾ إِذَا أخرج ثمره كيف نُخرجه ضعيفًا لاَ يُنتفع بِهِ، ﴿وينَعِهِ﴾ نُضجه، أي: انظروا إِلَى حال نُضجه، كيف يعود مُنتفَعًا بِهِ، ﴿إنَّ فِي ذلكم لآيات لقوم يُؤمِنُونَ(٩٩)﴾ أي: بالآيات عَلَى وجود القادر الحكيم[1] وتوحيده؛ فإنَّ حدوث الأجناس المختلفة، والأنواع المُفَنَّنة من أصل وَاحِد، ونَقلَها من حال إِلَى حال، لاَ يكون إِلاَّ بإحداث قادرٍ يعلم تفاصيلها عَلَى مَا تقتضيه حكمته، مِمَّا يكون من أحوالها، وَلاَ يعوقه عَن فعله نِدٌّ يعارضه، أو ضدٌّ يعانده؛ ولذلك عقَّبه بتوبيخ مَن أشرك بِهِ، والردِّ عليه.

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «يستدلُّون بالآيات عَلَى وجود القادر الحكيم».

﴿وجَعَلُوا للهِ شُركاءَ الجنَّ﴾ أي: أطاعوهم فيما سوَّلوا لَهُم من شركهم؛ فجعلوهم شركاء لله كما قَالَ: ﴿بِمَا أشركتُمُونِ من قبل﴾[1]. ﴿وخلقهم﴾ وخلق الله الجنَّ؛ فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه، ﴿وخرَّقوا لَهُ﴾ أي: اختلقوا، يقال: خَلَق الإفك واختلقَه وخرَّقه واخترقه: بمعنًى، (لَعَلَّهُ) والتخريق هُوَ الكذب، ﴿بنين﴾ (لَعَلَّهُ) كقول أهل الكتابين، ﴿وبنات﴾ كقول بعض العرب فِي المَلاَئِكَة ﴿بغير علم﴾ من غير أن يعلموا حقيقة مَا قَالُوا من خطإ أو صواب، ولكن رميًا بقول عَن جهالةٍ، وجهلا مِنْهُم بعظمة الله ﴿سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يصفُونَ(١٠٠)﴾ تنزيه لَهُ عَن الشريك والولد.

﴿بديعُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾ أي: مُبتدِعهما لا على [غير] مثالٍ سَبَق، ﴿أنَّى يكون لَهُ ولد﴾ من أين أن يكون لَهُ ولد ﴿ولم تكن لَهُ صاحبة﴾؟ والولد لاَ يكون إِلاَّ من صاحبة، وَلاَ صاحبة لَهُ، ولأنَّ الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام لاَ يكون جسما، حتَّى يكون والدا؛ ﴿و[2]خَلَقَ كلَّ شيء وَهُوَ بِكُل شيء عليمٌ(١٠١)﴾ أي: مَا من شيء إِلاَّ وَهُوَ خالقه وعالمه، ومن كَانَ كذلك كَانَ غنيًّا عَن كلِّ شيء.

﴿ذلكم الله رَبُّكُم لاَ إله إلاَّ هُوَ خالقُ كُل شيء، فاعبدوه﴾ أي: من استُجمعت لَهُ هَذِهِ الصفات، كَانَ هُوَ الحقيق بالعبادة؛ فاعبدوه وَلاَ تعبدوا مَن دونه من بعض خلقه. ﴿وَهُوَ عَلَى كُل شيء وكيل(١٠٢)﴾ أي: هُوَ مَعَ تلك الصفات، مالك لِكُلِّ شيء مِنَ الأرزاق والآجال رقيب عَلَى الأعمال.

---

١ - سورة إبراهيم: ٢٢.

٢ - في الأصل: - «و»، وهو خطأ.

﴿لاَ تُدركُه الأبصارُ﴾ لاَ تحُيط بِهِ أبصار مَن سَبق ذِكرُهم، **﴿وَهُوَ يُدرك﴾** لِلُطفِ إدراكِه للمدرَكات **﴿الأبصار، وَهُوَ اللطيف﴾** العالم بدقيق الأمور ومشكلاتها، **﴿الخبير(١٠٣)﴾** العليم بظواهر الأشياء وخفيَّاتها.

﴿قد جاءكم بصائرُ مِن ربكم﴾ البصيرة: نور القلب الذِي بِهِ يستبصر بِهِ القلب، كما أنَّ البصر نور العين الذِي تُبصر بِهِ، أي: جاءكم مِنَ الوحي أو الإلهام، والتشبيه: مَا هُوَ للقلوب كالبصائر؛ **﴿فمَن أبصرَ﴾** الحقَّ وآمن؛ **﴿فلنفسه﴾** أبصرَ، وَإِيَّاهَا نفعَ. [١٠٤] **﴿ومَن عَميَ﴾** تعامى عَنْهُ وضلَّ **﴿فعليها﴾**؛ لاَ يتعدَّى ضررُه إِلىَ غيره، **﴿وَمَا أنا عَلَيْكُم بحفيظ(١٠٤)﴾** أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها، إِنَّمَا أنا منذرٌ، والله هُوَ الحفيظ عليكم.

﴿وكذلك نُصرف الآياتِ، وليقولوا: دَرَستَ﴾ كُتُبَ أهلِ الكتاب، كما قَالُوا: «أساطيرُ الأوَّلين»، **﴿ولنبينه﴾** أي: القرآن **﴿لقوم يَعْلَمُونَ(١٠٥)﴾** الحقَّ مِنَ الباطل بتفكُّرهم وتدبُّرهم.

﴿اتَّبِعْ مَا أوحيَ إليك مِن ربك﴾ وَلاَ تتَّبع أهواءَهم، **﴿لاَ إله إلاَّ هُوَ﴾** أي: لاَ يستحقُّ العبادة إلاَّ هُوَ، **﴿وأعرضْ عَن المشركِينَ(١٠٦)﴾** وَمَا يعبدونه[1] من دون الله.

﴿ولو شاء الله﴾ إيمانهم، **﴿مَا أشركوا﴾** بيَّن أنَّهم لاَ يشركون عَلَى خلاف مشيئته؛ ولو علم مِنْهُم اختيار الإيمان لهداهم إِلَيْهِ؛ ولكن علم مِنْهُم

١ - في الأصل: «يعبدوه»، وهو خطأ.

اختيار الشرك فشاء شركهم، فأشركوا بمشيئته، ﴿**وَمَا جعلناك عَلَيْهِم حفيظًا**﴾ مُراعيا لأعمالهم، مأخوذا بإجرامهم، ﴿**وَمَا أنت عَلَيْهِم بوكيل(١٠٧)**﴾ بمسلّط.

قيل: وكَانَ المُسْلِمُونَ يسبُّون الآلهة؛ فنُهوا لئلاَّ يكون سبُّهم سببًا لسبِّ الله بقوله: ﴿**وَلاَ تسبُّوا الذينَ يدعون من دون الله، فيسبُّوا الله عَدْوًا**﴾ عدوانا ﴿**بغير عِلم**﴾ عَلَى جهَالة بالله، وبما يجب أن يُذكر، إذَا تعرَّضوا لسبِّ مَا يدعون من دون الله؛ فكأنَّهم فِي المعنى: سابِّين الله عدوًا، ﴿**كذلك**﴾ مثل ذَلِكَ التزيين ﴿**زيَّنا لِكُل أُمَّة**﴾ مِنَ الأمم ﴿**عَمَلَهم**﴾ أي: كما زيَّنا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان. ﴿كذلك زيَّنا لِكُلِّ أمَّة عملهم﴾ مِنَ الخير والشرِّ بإحداث مَا يُمكِّنهم مِنْهُ ويحمِلهم عليه، توفيقا وتخذيلاً؛ ﴿**ثمَّ إِلَى رَبِهم مرجِعُهم**﴾ مصيرهم؛ ﴿**فينبئُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٠٨)**﴾ فيجازيهم عليه.

﴿**وأقسَموا بالله جهدَ أيمانهم**﴾ أي: حلفوا بالله بأوكدَ مَا قدَروا عليه مِنَ الأيمان، ﴿**لئن جاءتهم آية**﴾ مقترَحة، بمَا تهوى أنفسهم ﴿**ليؤمننَّ بها؛ قل: إنَّمَا الآياتُ عند الله**﴾ ينزِّلها كيف يَشَاء؛ ﴿**وَمَا يُشعركم**﴾ قيل: كَانَ المؤمنون يطمعون فِي إيمانهم إذَا جاءتهم مثل تلك الآيات، ويتمنَّون مجيئَها، وَمَا يُدريكم ﴿**أَنَّهَا إِذَا جاءت لاَ يُؤمِنُونَ(١٠٩)**﴾ بها، يعني: أنَا أعلمُ أنَّها إِذَا جاءت لاَ يُؤمِنُونَ بها، وأنتم لاَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿ونُقَلِّب أفئدتَهم وأبصارَهم﴾ عَن قبول الحقِّ ورُؤيته، ﴿كما لم يؤمنوا بهِ أوَّلَ مرَّة﴾ كما كَانُوا عند نزول آياتنا أوَّلاً، لاَ يُؤمِنُونَ بها، لأَنـَّهُ يجب عَلَيْهِم الإيمان بِهِ عند نزوله معا كلمح البصر، فإمـَّا آمَن فيُوَفَّق، وَإمـَّا كفَرَ، فيُخْذَل؛ وتقليب الأفئدة والأبصار: مجاز عَن الخذلان، بدليل قوله: ﴿وندرهم﴾[1] ﴿في طغيانهم يعمهُونَ(١١٠)﴾ وندعهم متحيـِّرين، لاَ نهديهم بهداية المؤمنين مَا داموا سالكين طريق الضلال.

﴿ولو أنـَّنا نزَّلنا إلَيْهِم المَلاَئِكَة﴾ كما قَالُوا: ﴿لولا أنزل علينا المَلاَئِكَةُ﴾[2]، ﴿وكلَّمهم الموتى﴾ كما قَالُوا: ﴿فأتوا بآبائنا﴾[3]، ﴿وحَشَرْنا عليهم﴾ جمعنا ﴿كلَّ شيء قُبُلا﴾ كُفلاء بصِحَّة مَا بشَّرنا بِهِ وأنذرنا، جمع قَبيل، وَهُوَ الكفيل؛ وقيل: قِبلاً، أي: عَيانًا؛ ﴿مَا كَانُوا ليؤمنوا إلاَّ أن يَشَاء الله﴾ إيمانَهم، وَهَذَا جواب لقول المؤمنين: لَعَلَّهُم يُؤمِنُونَ بنزول الآيات، ﴿ولكنَّ أكثرهم يجهلُونَ(١١١)﴾ أنَّ هؤلاء لاَ يُؤمِنُونَ إِذَا جاءتهم الآية المقترحة، أوالذِينَ لم يُؤمنوا.

﴿وكذلك جعلنا لِكُل نبيٍّ عدوًّا﴾ كما جعلنا لك أعداءَ سببا لظهور الثبات والصبر، وكثرة الثواب والأجر؛ فلا تَضجر من معاداتهم، فليس بثابت[كَذَا] ذَلِكَ، [١٥٥] ولن يقدروا عَلَى مضرَّة لأحد مَعَ توفيق الله لَهُ.

١- كتب الناسخ في الحاشية «الجزؤا» من غَير إحالة لها في المتن.

٢ - سورة الفرقان: ٢١.

٣ - سورة الدخان: ٣٦.

﴿شياطين الإنس والجن﴾ ظاهرين وباطنين، ﴿يُوحِي بعضُهم إِلَى بعضٍ﴾ يُوسوس شياطين الجنِّ إِلَى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجنِّ إِلَى بعض، وبعض الإنس إِلَى بعض، وقال السَّلِيِّلاً: «*قُرناء السوء شرٌّ من شياطين الجن*»[1]، ﴿زُخرفَ القولِ﴾ الأباطيل المموّهة، مِن "زَخرَفَه" إِذَا زيَّنه، مِنَ القول والوسوسة والإغراء عَلَى المعاصي، ويدخل فِي ذَلِكَ كلُّ قول مشحون بنفاق؛ فظاهره كأنَّه نصيحة، وباطنه خُدعة؛ وَهُوَ قول مُمَوّه، مُزيّن مُزخرفٌ بالباطل لاَ معنى تحته. ﴿غُرورا﴾ خَدعًا وأخذًا عَلَى غِرَّة، وَهُوَ غَفلة، يعني: هؤلاء الشياطين يزيِّنُون الأعمَالَ القبِيحَةَ لبَنِي آدمَ يغرونَهُم؛ والغرور: القول بالباطل. ﴿ولو شاء رَبُّكَ مَا فعلوه﴾ أي: الإيحاء، بمعنى: ولو شاء الله لمنع الشياطين مِنَ الوسوسة؛ ولكنَّه امتحن بِمَا يعلم أنَّه أجزَل فِي الثواب، ويتضاعف[2] عَلَى الشياطين العذاب، ﴿فذرهم وَمَا يفترُونَ(١١٢)﴾ عليك وَعَلَى الله من قول ووسوسة، فإنَّ الله يجزيهم وينصرك.

﴿ولِتَصغَى إِلَيْهِ أفئدةُ الذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾ ولتميل[3] إِلَى زُخرف القولِ ووسوسةِ الشيطانِ قلوبُ الكفّار، (لَعَلَّهُ) بالهوى والعمى، ﴿وليَرضَوه﴾ لأنفسهم، ﴿وليقترفوا مَا هم مُقترِفُونَ(١١٣)﴾ (لَعَلَّهُ) مِنَ الآثام، بسبب الإصغاء إِلَى الوسوسة، وزخرف القول، (لَعَلَّهُ) يحكمون بغير حكم الله؛ فردَّ الله عَلَيْهِم بقوله:

---

١ - لم نعثر عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «ويُضاعف».

٣ - فِي الأصل: «والتميل»، وهو خطأ.

﴿**أفغير ا لله أبتغي حَكَمًا**﴾؟ أي: قل يا محمَّد، أفغير ا لله أطلب حاكِمًا يحكم بيني وبينكم، ويَفصِل الحقَّ مِنّا من المبطل، ﴿**وَهُوَ الذِي أَنزل إليكم الكتاب مفصَّلا**﴾ أَي: مبيـِّنا، فِيهِ الفصل بين الحقِّ والباطل، والشهادة لي بالصدق، وعليكم بالباطل والافتراء؛ ثُمَّ عَضدَ الدَّلاَلَة عَلَى أنَّ القرآن حقٌّ بعلم أهل الكتاب، لتصديقه مَا عندهم وموافقته لَهُ: ﴿**وَالذِينَ آتيناهم الكتاب يَعْلَمُونَ أَنـَّهُ مُنْزَلٌ من رَبكَ بِالْحق فلا تكونَنَّ مِنَ الممترِينَ(١١٤)**﴾ الشاكِّين فِيهِ، ويحتمل في ﴿الذِينَ آتيناهم الكتاب﴾ هُوَ القرآن، وَهُم المصدِّقون بِهِ.

﴿**وتَمَّت كلمةُ ربك**﴾ بلغت الغايةَ أخبارُه وأحكامُه ومواعيده، ﴿**صدقًا**﴾ فيما أخبر، ﴿**وعدلا**﴾ فيما قَضى وحَكم. ﴿**لاَ مبدل لكلماته**﴾ ليس لأحد تبديل شيء من كلماته؛ وكلماته: آياته، ﴿**وَهُوَ السميع العليم(١١٥)**﴾.

﴿**وإن تُطع أكثرَ من فِي الأَرْض يُضِلُّوك عَن سبيل ا لله**﴾ عَن الطريق الموصل إِلَيْهِ، فإنَّ الضالَّ فِي غالب الأمر لاَ يَأْمُرُ إلاَّ بِمَا فِيهِ ضلال، لأنَّ أكثر أهل الأَرْض كَانُوا عَلَى الضلالة، وفيه أنـَّه لاَ عِزَّة فِي معرفةِ الحقِّ (لَعَلَّهُ) بالكثرة؛ وإنـَّما الاعتبار بالحُجَّةِ. ﴿**إن يتـَّبعون إلاَّ الظنَّ**﴾ يريد دينَهم الذِي هم عليه ظنٌّ وهوى، لم يَبنُوه عَلَى بصيرة، والظنُّ: خلاف العلم، ﴿**وإن هم إلاَّ يخرصُونَ(١١٦)**﴾ يقدرون أنـَّهم عَلَى شيء[كَذَا]، والخرص: هُوَ القول بالغيب، وَهُوَ أخو الظنِّ.

﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلمُ من يضلُّ عَن سبيله**﴾ من هُوَ أهل للضلالة؛ ﴿**وَهُوَ أعلم بالمهتدِينَ(١١٧)**﴾ أي: يعلم الضالِّين مِنَ المهتدين.

﴿فكلوا مِمَّا ذُكر اسمُ ا لله عليه إن كُنتُم بِآيَاتِه مؤمنِينَ(١١٨)﴾ فإنَّ الإيمان يقتضي استباحة مَا أحلَّه ا لله، واجتناب مَا حرَّمه.

﴿وَمَا لكم ألاَّ تأكلوا مِمَّا ذُكر اسم ا لله عليه، وقد فصَّل لكم﴾ بيَّن لكم ﴿مَا حرَّم عليكم﴾ مِمَّا لم يحرِّم، ﴿إلاَّ مَا اضطُرِرتم إلَيْهِ؛ وإنَّ كثيرا ليُضِلُّون بأهوائهم بغير علم﴾ يحرِّمون ويحلِّلُون بأهوائِهم وشهواتهم من غير تَعلُّق بشريعة، أو يقودونَهم لِمَا تهواه أنفسهم مِنَ الباطل، [١٥٦] ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلم بالمعتدِينَ(١١٩)﴾ الذِينَ يجاوزون الحلال إِلىَ الحرام، ويَعتدُونَ (لَعَلَّهُ) الحدود.

﴿وذروا ظاهرَ الإثم وباطنَه﴾ مَا بالجوارح والقلب، ﴿إنَّ الذِينَ يكسبون الإثم﴾ الظاهر أو الباطن، ﴿سيُجزَونَ بِمَا كَانُوا يقترفُونَ(١٢٠)﴾ اقترف: اكتسب، والذنبَ أتاه وفعله.

﴿وَلاَ تأكلوا مِمَّا لم يُذكَر اسم ا لله عليه﴾ عند الذبح، ﴿وَإنَّهُ لَفِسقٌ﴾ والفسق فيِ ذَلِكَ [ذِكْرُ] اسم غير ا لله؛ ﴿وإنَّ الشياطين لَيُوحون إلَىَ أوليائهم﴾ مِنَ المنافقين والكَافِرِينَ، ﴿لِيُجادِلوكم﴾ وذلك ليستعينوا بهم عَلَى إضلالكم، ﴿وإن أطعتموهم﴾ فيِ معصية، ﴿إنَّكُم لَمشركُونَ(١٢١)﴾، لأنَّ من اتَّبع غير ا لله فيِ دينه، فقد أشرك بِهِ، فانظر فإنَّه يدخل فيِ تأويل هَذِهِ الآية جميعُ من عصى ا لله، كَانَ شركه بجحود أو نفاق.

﴿أومن كَانَ مَيتا فأحيَيناه﴾، أي: كافرًا فهديناه، لأنَّ الإيمان حياة القلوب، وجميع العصاة أموات فيِ الحقيقة، وإن كَانُوا أحياء فيِ الظاهر، فهي حياة وهميَّة، لأنَّه لم يتزوَّد للحياة الأبديَّة، وحياة الدُّنْيَا ليست بحياة، إذ

يعقبها الفناء؛ إلاّ المؤمنين، فإنّهم أحياء فِي الحياة وبعد الموت، وجميع الخلق المُتعبّدِينَ يُخلَقون أحياء، لأنّهم خُلِقوا عَلَى الفطرة والدين القيم، لكن يُميتُون[1] أنفسهم باقترافهم المعاصي، ﴿**وجعلنا لَهُ نورا يمشي بِهِ فِي الناس**﴾ مستضيئا بِهِ فيما يعمل ويعتقد ويقول، ﴿**كمن مَثَلُه فِي الظلمات**﴾ كمن صفته فِي الظلمات خابط فِيهَا، ﴿**ليس بخارج منها**﴾ لاَ يفارقها، وَلاَ يتخلّص منها، ﴿**كذلك**﴾ أي: كما زُين للمؤمن إيمانه، ﴿**زيِّنَ للكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٢٢)**﴾، فيحسبون أنّهم يحسنون صنعا[2].

﴿**وكذلك**﴾ وكما جعلنا فِي مكّة صناديد ليَمكُروا فِيهَا، ﴿**جعلنا فِي كُلِّ قرية**﴾ مِنَ القرى، ﴿**أكابر مجرميها ليمكروا فِيهَا**﴾ ليتجبّروا عَلَى الناس فِيهَا، ويعملوا بالمعاصي، وخصّ الأكابر ـ وَهُم الرؤساء ـ لأَنَّ مَا فِيهِم مِنَ الرئاسة والسعة، أدعى لَهُم إِلىَ المكر والكفر من غيرهم، دليله: ﴿ولو بسط الله الرزقَ لعباده لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾[3]. ثُمَّ سلّى رسولَه ﷺ، ووعد لَهُ بالنصرة، بقوله: ﴿**وَمَا يمكرون إلاّ بأنفسهم**﴾، لأنّ مكرهم يَحيق بهم، لاَ يتعدّاهم، (لَعَلَّهُ) كَأَنَّ غيرَهم يمكر بهم، ﴿**وَمَا يشعرُونَ(١٢٣)**﴾ أنّه يحيق بهم، مَا يقول لو مكر بك (لَعَلَّهُ) ماكر وأنت لاَ تشعر أنّه يمكر بك، أتسلَمُ من عاقبة مكره بك؟ (لَعَلَّهُ) كَانَ غيرهم يمكر بهم[4].

---

١ - فِي الأصل: «يميتوا»، وهو خطأ.

٢ - اقتباس من قوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا﴾. سورة الكهف: ١٠٤.

٣ - سورة الشورى: ٢٧.

٤ - كذا فِي الأصل، ونلاحظ أنَّ العبارة مكرَّرة، الأولى كتبت فِي الحاشية، والثانية فِي المتن.

﴿وإذا جاءتهم﴾ أي: الأكابرَ، **﴿آيةٌ﴾** مِنَ القرآن والعقل، **﴿قَالُوا: لن نؤمن حَتَّى نُؤتَى مثلَ مَا أُوتيَ رُسُلُ ا للهِ﴾** أي: يُوحى إلينا مِنَ الآيات مثلما أُوحيَ إِلَى الأنبيَاء، فأعلمَ ا للهُ تعالى أنَّه أعلمُ بمن يصلح للنبوَّة فقال: **﴿ا للهُ أعلمُ حيث يجعل رسالته﴾** يعلم موضع رسالته. **﴿سيصيب الذِينَ أجرَموا﴾** من أكابرها، **﴿صَغَارٌ﴾** ذلٌّ، وهو أن تُذِلَّه معاصيه وتخزيه فِي الدُّنْيَا مَعَ أهل الدين[كَذَا]. **﴿عند ا للهِ وعذابٌ شديد﴾** فِي الدارين، **﴿بِمَا كَانُوا يمكرُونَ(١٢٤)﴾** فِي الدُّنْيَا.

﴿فمن يُرِدِ ا للهُ أن يهديه يَشرَحْ صدرَه للإسلام﴾ يُوسعه ويُنور قلبه، قَالَ الطَّيْلاَ: *«إِذَا دخل النور القلب انشرح وانفسح، قيل: وَمَا علامة ذَلِكَ؟ قَالَ: الإنابة إِلَى دار الخلود، والتجافي عَن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»*[1]، **﴿ومن يُرِد أن يُضلَّه يجعل صدره ضيِّقا حَرجا﴾** بالغا فِي الضيق، يعني: يجعل قلبه ضيقا، حتَّى لاَ يدخله الإيمان، حتَّى [١٥٧] إِذَا سمع ذكر ا للهِ، اشمأزَّ قلبُه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأوثان ارتاح قلبه، **﴿كأنَّما يصَّعَّد فِي السَّمَاء﴾** كأنَّه كُلِّف أن يصعد إِلَى السَّمَاء، إِذَا دُعيَ إِلَى الإسلام من ضيق صدره، يعني يشقُّ عليه الإيمان، كما يشُقُّ عليه صعود السَّمَاء، وأصل الصعود المشقَّة، ومنه: **﴿سأرهِقُه صَعُودا﴾**[2]، أي: عقبة شاقَّة، والمعنى: كأنَّما يزاول أمراً غير ممكن، لأنَّ صعود السَّمَاء مَثَل فيما يبعد مِنَ الاستطاعة، وتضيق عَنْهُ

---

١ - لم نعثر عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

٢ - سورة المدَّثر: ١٧.

المقدرة، ﴿كذلك يجعلُ ا لله الرجسَ﴾ اللعنة فِي الدُّنْيَا، والعذاب فِي العقبى، ﴿عَلَى الذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ(١٢٥)﴾ إيمان حقيقي[1].

﴿وهذا صِرَاطُ ربِّك﴾ طريقه الذِي اقتضته الحكمة، وسنَّته فِي شرح صدر من أَرَادَ هدايته، وجعله ضيقا لمن أَرَادَ إضلاله. ومستقيما عَن الاعوجاج، لأَنَّهُ لاَ يُعوِجه باطل، ومعناه: وهذا طريق رَبكَ وعادته فِي التوفيق والخذلان، ﴿مستقيما﴾ عادلاً مطَّردا لا اعوجاج فِيهِ، ﴿قد فصَّلنا﴾ بَيَّنَّا، ﴿الآيات لقوم يذَّكَّرُونَ(١٢٦)﴾ يتَّعظون.

﴿لَهُم دارُ السلام﴾ دار السلامة من كُل كدر وآفةٍ، وهي الجنَّة، لأَنَّ كلَّ من دخلها سلم مِنَ البلايا والرزايا، ﴿عند رَبِّهم وَهُوَ وليُّهم﴾ محبُّهم وناصرهم عَلَى أعدائهم، أو متولِّيهم بجزاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٢٧)﴾ بأعمالهم.

﴿ويوم يحشرهم جميعا، يا معشر الجنِّ، قد استكثرتم مِنَ الإنس﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم مِنَ الإنس﴾ الذِينَ أطاعوهم: ﴿رَبَّنَا استمتع بعضُنا ببعضٍ﴾ أي: استمتع الإنس بالشياطين، حيث دلُّوهم عَلَى الشهوات، وَعَلَى أسباب التوصُّل إِلَيْهَا، واستمتع الجنُّ بالإنس، حيث أطاعوهم وساعدوهم عَلَى مرادهم فِي إغوائهم، ﴿وبَلَغْنَا أجلَنا الذِي أجَّلت لَنَا﴾ يعنون يوم البعث؛ وَهَذَا الكلام اعتراف بِمَا كَانَ مِنْهُم من طاعة الشياطين، واتباع

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «إيمانًا حقيقيًّا».

الهوى، والتكذيب بالبعث، والتحسُّر عَلَى حالهم، ﴿قَالَ﴾ ا لله: ﴿النار مثواكم﴾ منزلكم، ﴿خالدين فِيهَا، إلاَّ مَا شاء ا لله﴾ قبل الدخول، كأنَّه قيل: النار مثواكم أبدا، إلاَّ مَا أُمهلكم فِي الدُّنْيَا قبل الموت. وقيل: ﴿إلاَّ مَا شاء ا لله﴾ من أوقات حشرهم من قبورهم، ووقت محاسبتهم، ﴿إنَّ رَبَّكَ حكيم عليم(١٢٨)﴾ بأعمالهم؛ فيجزي كلاًّ عَلَى (لَعَلَّهُ) وفق عمله.

﴿وكذلك نولّي بعضَ الظالمين بعضا﴾ أي: ومثل ذَلِكَ نولّي بعض الظالمين بعضًا، نخلّيهم حتّى يتولّى بعضهم بعضا، يترأّس بعضهم عَلَى بعض، ﴿بِمَا كَانُوا يكسبُونَ(١٢٩)﴾ بسبب كسبهم.

ثُمَّ يقال لَهُم يوم القيامة عَلَى جهة التوبيخ: ﴿يا معشر الجنّ والإنس، ألم يأتكم رسل منكم﴾ بقيام الدليل من رسول أو رسُول الرسُول، كما قَالَ: ﴿ولّوا إِلَى قومهم منذِرين﴾[1]، ﴿يقصُّون عَلَيْكُم آياتي﴾ يقرؤون كتبي؛ هَذَا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله، وإِقْرَارهم بأنَّ حجَّة ا لله لازمة لَهُم، ﴿ويُنذِرونكم لقاء يومكم هَذَا، قَالُوا شهدنا عَلَى أنفسِنا﴾ بوجوب الحجَّة علينا، وتبليغ الرسل إلينا، ﴿وغرَّتهم الحياة الدُّنْيَا﴾ لعلّه بظاهرها المليح لأنَّهم لم يتفكّروا فِي عواقبها القبيحة، ﴿وشهِدُوا عَلَى أنفسهم أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ(١٣٠)﴾ ذمٌّ لَهُم عَلَى سوء نظرهم، وخطإ رأيهم، فإنَّهم اغترُّوا بالحياة الدنيويَّة واللّذات المجدبة[كَذَا]، وأعرضوا عَن الآخِرَة بالكلّية، حتّى كَانَت عاقبة أمرهم أن اضطرَّهم إِلَى الشهادة عَلَى أنفسهم بالكفر والاستسلام [١٥٨] للعذاب المخلّد، تحذيرا للسامعين من مثل حالهم.

---

١ - سورة الأحقاف: ٢٩.

﴿ذَلِكَ أن لم يكن رَبُّكَ مُهلك القرى﴾ أي: أهلها، ﴿بظلم﴾ معاملة من يريد ظلمهم، ﴿وأهلُها غافلُونَ(١٣١)﴾ المعنى: لم يكن رَبُّكَ مُهلِك القرى بظلم، بسبب ظلم أقدموا عليه، أو ظالما، عَلَى أنه لو أهلكَهُم وَهُم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب، لكَانَ ظلمًا، وَهُوَ متعال عَنْهُ.

﴿ولكُلّ﴾ مِنَ المكلّفين، ﴿درجات﴾ منازل، ﴿مِمَّا عملوا﴾ من جزاء أعمالهم، أي: مراتب من أعمالهم عَلَى حسب مَا يستحقّونه؛ وقيل: أَرَادَ (لَعَلَّهُ) درجات، ودركات من جزاء أعمالهم، فغلّب منازل أهل الجنّة، ﴿وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ(١٣٢)﴾ فلا يخفى عليه مقاديره.

﴿وربُّكَ الغنيُّ﴾ عَن عباده وعبادتهم، ﴿ذو الرحمة﴾ عَلَيْهِم بالتكليف، تكميلاً لهم، لنحييهم الحياة الأبديّة، خلافاً لبقيّة الحيوانات، وتمهيل عُصَاتِهِم لَعَلَّهُم يرجعون قبل الممات. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيُّها الظلمة، ﴿ويَستخلفْ مِن بعدِكم مَا يَشَاء﴾ مِنَ الخلق المطيع، ﴿كما أنشأكم من ذُرِّيَّة قوم آخرِينَ(١٣٣)﴾ من أولاد قوم آخرين، لم يكونوا عَلَى مثل صفتكم.

﴿إنَّ مَا توعدون لآت﴾ لكائن لاَ محالة، ﴿وَمَا أَنتُم بمعجزِينَ(١٣٤)﴾ بفائتين، كقولهم: من مات فات.

﴿قل: يا قوم اعملوا عَلَى مكانتكم﴾ يحتمل: اعملوا عَلَى تمكينكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا عَلَى جهتكم وحالكم التِي أنتُم عليها، ﴿إنّي عامل﴾ عَلَى مكانتي التِي أنَا عليها، أي: اثبتوا عَلَى

كفركُم وعداوتكم لي، فإنـي ثابت عَلَى الإسلام عَلَى مصـابرتكم، وَهُـوَ أمـر تهديد ووعيد، دليله قوله: ﴿**فسوف تَعْلَمُونَ**﴾ أيُّنا تكون لَهُ العاقبة المحمـودة، ﴿**من تكون لَـهُ عاقبـة الـدار**﴾ أي: فسـوف تَعْلَمُـونَ أيـُّنا تكـون لَـهُ العاقبـة المحمودة، وعاقبة الدار: العاقبة الحسنى التِـي خلـق ا لله هَـذِهِ الـدار لهـا، وَهَـذَا طريق لطيف فِي الانذار، ﴿**إِنَّهُ لاَ يفلح الظالمُونَ(١٣٥)**﴾ لأنـَّهم لم يسـلكوا طريق الفلاح (لَعَلَّهُ) معناه: لاَ يسعد الظالمون.

﴿**وجعلوا لله مِمَّا ذرأ**﴾ أي: خلق، ﴿**من الحرث والأنعام نصيبـا**﴾ أي: وللأصنـام نصيبـا، فـاكتفى بدلالـة قولـه: ﴿**فَقَـالُوا هَـذَا لله بزعمهـم وهــذا لشركائنا**﴾ بزعمهم، وَا لله لم يَـأْمُرْهم بذلك، وَلاَ شرعَ لَهُـم تلـك القسـمة، ﴿**فما كَانَ لشـركائهم فـلا يصـلُ إِلَى ا لله**﴾ أي: لاَ يصـل إِلَى الوجـوه التِـي كَانُوا يصرفونه إِلَـيْهِا مـن قِـرَى الضيفـان، والتصدُّق عَلَى المسـاكين؛ وسمَّـى الأوثان شركاءهم، لأنـَّهم أشركوهم فِي أموالهم وفي أنعامهم، ﴿**وَمَا كَـانَ لله فهو يصلُ إِلَى شركائهم**﴾ قيل: كَانُوا يعيـنون أشياء مـن حـرث ونتـاج لله، وأشياء منها لآلهتهم؛ فـإذا رأوا مَـا جعلـوه لله زاكيـًا ناميـاً، رجعـوا فجعلـوه للأصنام، وإذا زكـى مَا جعلوه للأصنام تركوه لها؛ وقَالُوا بأنَّ ا لله غنيٌّ، وإنـَّما ذَلِكَ لحبـهم آلهتـهم وإيثارهم بها عَلَى ا لله؛ وفي قوله: ﴿**مِمَّا ذرأ**﴾ إشـارة إِلَى أنَّ ا لله كَانَ أولى بِأَنَّ يجعل لَهُ الزاكي، لأَنــَّهُ هُـوَ الـذِي [١٥٩] ذرأه، ثـُمَّ ذمَّ صنيعهم بقوله: ﴿**سـاء مَـا يحكمُـونَ(١٣٦)**﴾ فِي إيثـارهم آلهتهـم عَلَـى ا لله، وعملهم عَلَى مَا لم يُشرع لَهُم.

﴿وكذلك زَيَّن لكثير مِنَ المشركين﴾ كما زيَّن لَهُم، ﴿قتل أولادهم شركاؤهم﴾ قيل: شياطينهم زيَّنوا وحسَّنوا لَهُم. سميت الشياطين شركاء، لأنَّهم أطاعوهم فِي معصية الله، ﴿ليُردُوهُم﴾ ليُهلِكُوهم بالإغواء، ﴿وليَلبِسوا عَلَيْهِم دينَهم﴾، وليَخلِطوا عَلَيْهِم، ويُشبهوه ودينهم مَا كَانُوا عليه من دين إسماعيل؛ ﴿ولو شاء الله مَا فعلوه﴾ وفيه دليل أنَّ الكائنات كلَّها بمشيئة الله، ﴿فذرهم وَمَا يفترُونَ(١٣٧)﴾ أمره أن يعتزلهم، وَمَا يفترونه.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أنعام وحرث﴾ للأوثان، ﴿حِجْرٌ﴾ حرام؛ كَانُوا إِذَا عيَّنوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قَالُوا: ﴿لاَ يَطعمها إلاَّ من نَّشاء بزعمهم﴾ الرجال دون النساء، والزعم: قول باطن يشوبه الكذب، ﴿وأنعام حُرِّمت ظهورُها﴾ قيل: هِيَ البحائر والسوائب والحوامي، ﴿وأنعام لاَ يذكرون اسم الله عليها﴾ حين الذبح، وإنَّما يذكرون عليها أسماء الأصنام، ﴿افتراء عليه﴾ أي: قسَّموا أنعامهم قِسمَ حِجرٍ لاَ يُركَب، وقسم لاَ يُذكر عليها اسم الله، ونسبوا ذَلِكَ إِلَى الله افتراء عليه، ﴿سيَجزيهم بِمَا كَانُوا يفترُونَ(١٣٨)﴾.

﴿وَقَالُوا: مَا فِي بطون هَذِهِ الأنعام خالصةٌ لذكورنا ومحرَّم عَلَى أزواجنا﴾ كَانُوا يقولون فِي أجنَّة البحائر والسوائب: مَا وُلد منها حيًّا فهو خالص للذكور، لاَ يأكل منها الإناث؛ وَمَا وُلد مَيتا، اشترك فِيهِ الذكور والإناث؛ ﴿وإن يكن مَيتة﴾ وإن يكن مَا فِي بطونها مَيتة ﴿فَهُم فِيهِ شُركاء﴾ فِيهِ سواء؛ ﴿سيَجزيهم وصْفَهم﴾ جزاءَ وصفِهم الكذب عَلَى الله فِي التحليل والتحريم، ﴿إنَّهُ حكيم﴾ فِي جزائهم، ﴿عليم(١٣٩)﴾ باعتقادهم.

﴿**قد خَسِر الذِينَ قَتَلـوا أولادهـم**﴾ كَـانُوا يَـئِدون بنـاتِهم مخافـةَ السـبيِ والفقر، ﴿**سَـفَهًا بغير علـم**﴾ لخفـةِ أحلامهـم وجهلهـم، بـأنَّ الله هُـوَ رازق أولادِهم لاَ هُم؛ ﴿**وحرَّموا مَا رَزَقهم الله**﴾ مِـنَ البحـائر والسـوائب وغيرهـا ﴿**افتراءً عَلَى الله**﴾ أنـَّه قد حرَّم ذَلِكَ، ﴿**قد ضلُّوا**﴾ عَن الهدى، ﴿**وَمَا كَانُوا مهتدِينَ(١٤٠)**﴾ إِلَى الصواب.

﴿**وَهُوَ الذِي أنشأ جَـنَّاتٍ معروشات، وغيرَ معروشات**﴾ قيل: المعـروش مَا رُفع، وغير المعروش مَا تُرك، ﴿**والنخلَ والزرعَ مُختلِفًا**﴾ فِي اللون والطعـم والحجم والرائحة، ﴿**أُكله، والزيتونَ والرمَّان متشابها وغـير متشـابه، كُلـوا من ثَمَره إِذَا أَثمر، وآتوا حقَّه يوم حِـصَاده**﴾ يريد بِهِ مَا كَانَ يتصدَّق بِهِ يـوم الحصاد، لاَ الزكاة المقدَّرة، وقيل: الزكاة؛ والأمر بإتيانها يوم الحصاد ليهتمَّ بِـهِ حتَّـى لاَ يؤخَّــر عَــن وقــت الأداء، وليعلــم أنَّ الوجــوب بــالإدراك لاَ بالتنـقـية[كَذَا]، ﴿**وَلاَ تُسرفوا**﴾ بإعطاء الكل، وتضييع العيال، ﴿**إِنَّهُ لاَ يحِبُّ المسرفِينَ(١٤١)**﴾ المتجاوزين للحدود.

﴿**ومِـن الأنعـام حمولـةً وفرشًـا**﴾ مَـا يَحمـل الثقـل، وَمَـا يُفـرش للذبـح، والحمولـة: الكبـار التِـي تصلـح للحمـل، والفـرش: الصغـار كـالفُصلان[1]

١ - أصل الكلمة من الفصال، أي الفطام، «والفصيل هو ما فُصِل عن اللبن من أولاد البقر؛ والفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمـه، والجمع فُصلان وفِصال... قال سيبويه: وقـالوا: فِصلان شبَّهوه بغراب وغِربان، يعني أنَّ حُكـم "فعيـل" يكسَّر عَلَى "فُعـلان" بـالضم، وحكم "فُعال" أن يكسَّر عَلَى "فِعلان"». ابن منظور: لسان العرب، ١١٠٢/٤.

والعجاجيل والغنم، لأنَّها دانية مِنَ الأَرْض، مثل الفرُش المفروش عليها، ﴿**كلوا مِمَّا رزقكم الله**﴾ أي: مَا أحلَّ الله لكم منها، وَلاَ تحرموها كما فِي الجاهلية، ﴿**وَلاَ تتَّبعوا خُطوات الشيطان**﴾ طُرُقه فِي التحليل والتحريم والنفاق والشرك، ﴿**إِنَّهُ لكم عدوٌّ مُبين(١٤٢)**﴾ ظاهر العداوة.

﴿**ثمانيةَ أزواج من [١٦٠] الضأنِ اثنين، ومنَ المعز اثنين**﴾ زوجين اثنين، يريد الذكر والأنثى، والوَاحِدُ إِذَا كَانَ معه غيرُه من جنسه: سميَ كلُّ وَاحِد منهما زوجًا، وهما زوجان بدليل قوله: ﴿خلقَ الزوجين الذكرَ والأنثَى﴾[1] ويدلُّ عليه ﴿ثمانيةَ أزواج﴾، ثُمَّ فسَّرها بقوله: ﴿من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين﴾. ﴿ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين؛ **قل: آلذكرين حَرَّمَ أم الأنثيين، أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين**﴾ للإنكار، والمراد بالذكرين: الذكر مِنَ الضأن، والذكر مِنَ المعز؛ وبالأنثيين: الأنثى مِنَ الضأن، والأنثى مِنَ المعز؛ والمعنى: إنكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومَعزها شيئًا من ذكورها وإناثها، وَلاَ مِمَّا تحمل الإناث، وذلك أنَّهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارةً وإناثها طورًا، وأولادها كيفمَا كَانَت ذكورًا أو إناثًا، ومختلطةً تارةً، وكَانُوا يقولون: قد حرَّمها الله، فأنكر ذَلِكَ عَلَيْهِم. ويروى عَن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ لبعض المشركين: «إِنَّكُم قد حرَّمتم أصنافًا مِنَ الغنم عَلَى غير أصل، وإنَّما خلق الله هَذِهِ الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها؛ فمن أين جاء هَذَا التحريم من قِبَل الذكرِ أم من قِبَل الأنثى؟» فسكتوا وتحيَّروا،

١ - سورة النجم: ٤٥.

ثُمَّ قَالَ: «فلو جاء هَذَا التحريم بسبب الذكورة وَجَب أن يحرِّم جميع الذكور، وإن كَانَ بسبب الأنوثة وجب أن يحرِّم جميع الإناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه، فينبغي أن يُحرِّم الكلُّ، لأَنَّ الرحم لاَ يشتمل إِلاَّ عَلَى ذكر أو أنثى؛ فأمَّا تخصيص التحريم بالولد الخامس والسادس، أو بالبعض دون البعض، فمِن أين؟». ﴿نبِّئوني بعلم﴾ من جهة ا الله، يدلُّ عَلَى تحريم مَا حرَّمتم ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ(١٤٣)﴾ فِي أنَّ ا الله حرَّمه.

﴿**ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، قل: آلذكرين**﴾ منهما ﴿**حرَّم أم الأنثيين**﴾ منهما ﴿**أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ أم كُنتُم شهداء إذ وصَّاكم ا الله بهذا**﴾؟ يعني: أم شاهدتم رَبَّكُم حين أمركم بهذا التحريم؟ ﴿**فمَن أظلمُ مِمَّن افترى عَلَى ا الله كذبا**﴾ فنسب إِلَيْهِ تحريم ما لم يحرم، ﴿**ليضلَّ الناس بغير علم، إنَّ ا الله لاَ يهدي القوم الظالِمِينَ(١٤٤)**﴾ مَا داموا مصرين عليه، غير نازعين عَنْهُ بتوبة.

﴿**قل: لاَ أجد فِي مَا أوحيَ إِلَيَّ**﴾ أي: فِي ذَلِكَ الوقت، أو فِي وحي القرآن، لأَنَّ وحيَ السنَّة قد حرَّم غيره فِي بعض الرأي، ﴿**محرَّما عَلَى طاعم يَطعَمُه، إِلاَّ أن يكون مَيتة، أو دَما مسفوحا**﴾ مهراقا سائلا، قيل: مَا جُرح مِنَ الحيوان وهي أحياء، ﴿**أو لحمَ خنزير، فَإِنَّهُ رجس، أو فسقا**﴾ إِنَّمَا سمَّى مَا ذُبح عَلَى الصنم فِسقا، لتوغُّله فِي الفسق، ﴿**أُهلَّ لغير ا الله بِهِ؛ فمن اضطرَّ غير باغ وَلاَ عادٍ**﴾ متجاوزٍ قدر حاجته من تناوله، ﴿**فإنَّ رَبَّكَ غَفُور رحيم(١٤٥)**﴾.

﴿**وعلى الذِينَ هادوا حرَّمنا كُلَّ ذي ظُفُـر**﴾ قيـل: كـلَّ ذي ظفـر، كـلّ ذي مخلب وحافر؛ وسمي الحافر ظُفُرا مجازا؛ وقيـل: كُـلُّ ذي ظُفـر أي: مـا لـه إصبع من دَابـَّة أو طائر، ويدخل فِيهِ الإبل والنعام. ﴿**ومن البقر والغنم حرَّمنـا عَـلَـيْـهِـم شحومهما**﴾ أي: لم يحرم مِـنَ البقـر والغنـم إلاَّ الشـحوم، ﴿**إلاَّ مَـا حملت ظهورهما**﴾ إلاَّ مَا اشتمل عَلَى الظهور و الجنوب مِنَ السـحفة[1]، ﴿**أو الحوايا**﴾ أو مَا اشتمل عَلَى الأمعاء، وَاحِدُه: حَويـَّة، ﴿**أو مَا اختلـط بِعَظْـم**﴾ وَهُوَ الإلية أو المخّ، ﴿**ذَلِكَ جزيناهم ببغيهم وَإِنـَّا لصادقُونَ(١٤٦)**﴾.

﴿**فإن كذَّبوك**﴾ فيما أوحينا إليك من هَذَا، ﴿**فقـل: رَبـُّكُم ذو رحمـة واسعة**﴾ فلا تغترُّوا [١٦١] بإهماله، وذو رحمة واسعة لمن أطاعه، وذو بأس شـديد لمـن كـذَّب وكَذَبَ، لأَنـَّهُ قَالَ: ﴿**وَلاَ يُردُّ بأسه عَن القوم المجرمِينَ(١٤٧)**﴾.

﴿**سيقول الذِينَ أشركوا**﴾ إخبار بِمَا سيقولونه: ﴿**لـو شـاء ا لله مَـا أشـركنا وَلاَ آباؤنا، وَلاَ حرَّمنا من شيء**﴾ ولكن شاء، فهـذا عذرنـا، يعنـون أنَّ شِـركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم مَا أحلَّ ا لله بمشيئة ا لله، ولولا مشيئته لم يكن شـيءٌ من ذَلِكَ؛ فعيَّرهم ا لله بذلك من حيث إنـَّه لم يجبرهم بذلـك، ولـو ثبـت الجبر لَبطُل العقاب والثواب و لم يكن ثَمَّ اختيار، ولو كَانَ كذلك لكَانَ العقاب والثواب عَلَى فعله لاَ عَلَى فِعالهم، كلاَّ، بَل ليس عذر لعاصي[2]، وقد قَالَ: ﴿**كذلك[3] كـذَّب**

---

١ - في المنجد: السحفَة جمع سِحَاف: وهي الشحمَة التي عَلَى الظهر. يقال: ناقـة سـحوف: ناقة ذهب شحمها، والعكس ناقة كثيرة السحائف.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «بل ليس عذرًا للعاصي».

الذينَ من قبلهم﴾ أي: كتكذيبهم إيَّاكَ كَانَ تكذيبُ المتقدمين رسلَهم، وتشبَّثوا بمثل هَذَا فلم ينفعهم ذَلِكَ، **﴿حتىَّ ذاقوا بأسنا﴾** حتَّى ذاقوا (لَعَلَّهُ) تحسَّوا الموت، **﴿قل: هل عندَكم من عِلمٍ﴾** من أمر معلوم، حتَّى يصحَّ الاحتجاج بِهِ فيما قلتم: إنَّ الله جبَركم عَلَى فِعالكم، **﴿فتخرجوه لَنَا﴾** فتظهروه وتبينوه لَنَا؛ **﴿إن تتَّبعون إلاَّ الظنَّ، وإن أنتُم إلاَّ تخرصُونَ(١٤٨)﴾** تكذبون عَلَى الله وفيه دليل عَلَى المنع باتباع الظن سيما فِي الأصول.

﴿قل: فَلِلَّهِ الحجَّةُ البالغة﴾ عَلَيْكُم بأوامره ونواهيه، وَلاَ حجَّة لكم عَلَى الله بمشيئته، **﴿فلو شاء هداكم أجمعِينَ(١٤٩)﴾**.

﴿قل: هَلُمَّ شهداءكم﴾ هاتوهم، **﴿الذِينَ يَشهَدون أنَّ الله حرَّم هَذَا﴾**، هَذَا راجع إِلىَ مَا تقدَّم من تحريمهم الأشياءَ عَلَى أنفسهم، ودَعوَاهم أنَّ الله أمرهم بِهِ، والشهداء: يعني قدوتهم فِيهِ، استحقرهم ليُلزمهم الحجَّة، ويُظهر بانقطاعهم ضلالتَهم، وَأَنَّهُ لاَ مستمسَك لَهُم كمن يقلِّدهم، ولذلك قيل: الشهداء بالإضافة، ووصفهم بِمَا تقتضي العهدة بهم، **﴿فإن شهدوا فلا تَشهد معهم﴾** فلا تسلِّم لَهُم مَا شهدوا بِهِ، وَلاَ تصدقهم؛ لأَنَّهُ إِذَا سلَّم لَهُم فكأنه شَهِدَ معهم بمثل شهادتهم، وكَانَ وَاحِدا مِنـْهُم، **﴿وَلاَ تَتَّبِع أهواء الذِينَ كذَّبوا بِآيَاتِنا﴾** لأَنَّ المكذِّب بِآيَاتِ الله متَّبع للهوى، إذ لو يتَّبع الدليل لم يكن إلاَّ مصدقا بالآيات موحدا لله، **﴿وَالذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بالآخِرَة﴾** هم المشركون، **﴿وَهُم بربِّهم يعدلُونَ(١٥٠)﴾** يجعلون لَهُ عديلا.

=

٣ - فِي الأصل: - «كذلك»، وهو سهو.

﴿قل﴾ للذين حرَّموا الحرث والأنعام: ﴿تعالوا أتلُ مَا حَرَّم رَبُّكُم عليكم﴾ (لَعَلَّهُ) حقًّا يقينا، لاَ ظنًّا وَلاَ كذبا كما تزعمون، ﴿ألاَّ تُشركوا بِهِ شَيْـئًا﴾ وَهُوَ يقتضي ترك جميع المعاصي لله، وإيجاب الطاعة لَهُ، ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ والدلالة عَلَى ترك الإساءة فِي شأنهما غيرُ كافٍ، بخلاف غيرهما؛ فكيف إِذَا لم يحسن وأساء. ﴿وَلاَ تقتلوا أولادكم من إملاقٍ﴾ من أجل فقر، ﴿نَحْنُ نرزقكُم وإيَّاهم﴾ لأَنَّ رزق العبيد عَلَى مواليهم. ﴿وَلاَ تقربوا الفواحش مَا ظهر منها﴾ جميع المعاصي الظاهرة، ﴿وَمَا بطن﴾ يعمُّ جميع المعاصي الباطنة؛ ﴿وَلاَ تقتلوا النفس التِي حَرَّم ا لله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلكم وصَّاكم بِهِ لَعَلَّكُم تعقلُونَ(١٥١)﴾.

﴿وَلاَ تقربوا مال اليتيم إِلاَّ بالتي هِيَ أحسن﴾ وهي حِفظُه وإصلاحُه، ﴿حتَّى يبلغ أشدَّه﴾ حتَّى يبلغ قواه وعقله، ويستوي رجلا كاملا حافظا للمال غير أبله فِيهِ، ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالتسوية والعدل، ويدخل فِي ذَلِكَ المعاملة بين ا لله والخلق، وبين الخلق فِي بعضهم بعض، ﴿لاَ نُكلِّف نفسا إِلاَّ وسعها﴾ إِلاَّ طاقتها أو دينها، ﴿وإذا قلتم، فاعدلوا﴾ فاصدقوا وَهُوَ [١٦٢] يقتضي التَّكَلُّم بالقول الْحَق ومجانبة الكذب، ﴿ولو كَانَ ذا قربى، وبعهد ا لله﴾ أي: مَا عَهِد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع، ﴿أوفوا، ذلكم﴾ أي: مَا مَرَّ، ﴿وصَّاكم بِهِ لَعَلَّكُم تذكرُونَ(١٥٢)﴾ أي: (لَعَلَّهُ) أمركم بِهِ لتتَّعظوا؛ قَالَ ابن عبَّاس: «هَذِهِ الآيات محكمات فِي جميع الكتب، لم ينسخهنَّ شيء، وهنَّ محرَّمات عَلَى بني

آدم كلّهم، وهنَّ (لَعَلَّهُ) أمُّ الكتاب لأَعْلَى مِن سواهم[1]، مَن عمل بهنَّ دخل الجنَّة، ومن تركهنَّ دخل النار».

﴿وأنَّ هَذَا صراطي مستقيما﴾ أي: ماذكر من قوله: ﴿قل: تَعالوا...﴾ هُوَ صراطه المُسْتَقِيم، ﴿فاتَّبعوه وَلاَ تتَّبعوا السبل﴾ الأديان المختلفة، أو الطرق التابعة للهوى؛ فإن مُقتضى الحجَّة وَاحِدٌ، ومُقتضى الهوى مُتعدد[2] لاختلاف الطبائع والعادات، ﴿فتَفَرَّقَ بكم عَن سبيله﴾ عَن صراطه المُسْتَقِيم، ﴿ذلكم وصَّاكم بِهِ لَعَلَّكُم تتَّقُونَ(١٥٣)﴾ التفرُّقَ عَن الحق والضلال. ذَكَر أوَّلاً «تعقلون» ثُمَّ «تذَّكّرون» ثُمَّ «تتَّقون»، لأنَّهم إِذَا عقلوا تفكَّروا فتذكَّروا، أي: اتَّعظوا، فاتَّقَوا المحارم.

﴿ثُمَّ آتينا موسى الكتاب تماما﴾ للكرامة والنعمة، ﴿عَلَى الذِي أحسَنَ﴾ عَلَى مَن أَحسَنَ القيام بِهِ، ﴿وتفصيلا لِكُلِّ شيء﴾ وبيانا مفصَّلا لِكُل مَا يحتاجون إِلَيْهِ من أمر دينهم ودنياهم، ﴿وهُدَى﴾ وهُدًى عَن الضلالة، ﴿ورحمة﴾ مِنَ العذاب، ﴿لَعَلَّهُم بلقاءِ رَبِّهم يُؤمِنُونَ(١٥٤)﴾ يصدقون.

﴿وهذا﴾ أي: القرآن، ﴿كِتَابٌ أنزلناه مبارَكٌ﴾ كثير الخير، ﴿فاتَّبعوه واتَّقُوا﴾ مخالفته، ﴿لَعَلَّكُم﴾ لكي، ﴿تُرحَمُونَ(١٥٥)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مِن سواهنَّ»، وَلَعَلَّهُ يقصد بقوله: «أعلى» أي هنَّ أمُّ الكتاب، وعليها يُحمل المتشابه، وَإِلاَّ فليس في القرآن آية أعلى من آية، وا لله أعلم.

٢ - في الأصل: «معتدد»، وهو خطأ.

﴿أن تقولوا﴾ لئلاً تقولوا: **﴿إنَّمَا أُنزِل الكتابُ عَلَى طائفتين مِن قَبلِنا﴾** أهل التَّوْرَاة وأهل الإنجيل، **﴿وإن كُنـَّا عَـن دراستهم﴾** عَـن تـلاوة كتُبهـم، **﴿لَغافلِينَ(١٥٦)﴾** لاَ علم لَنَا بشيء من ذَلِكَ؛ والمراد إثبات الحجَّة عَـلَيْـهِـم بإنزال القرآن عَلَى محمَّد ﷺ، لئلاً يقولوا يوم القيامـة: إنَّ التـَّوْرَاة والإنجيـل أُنزل عَلَى الطائفتين مِن قَبلِنا، وكنـَّا غافلين عمـَّا فِيهَا.

﴿أو تقولوا﴾ أو كراهة أن تقولوا: **﴿لو أنـَّا أُنـزل علينـا الكتـابُ لكُنـَّا أهدَى مِنـْهُم﴾** بحدَّة أذهاننا، وثَقابَـة أفهامنـا، وغـزارة حفظنـا، أَي: لـو أُنـزل علينا كما أُنزل عَلَى اليهود والنصارى لكنـَّا خيرا مِنـْهُم؛ **﴿فقد جاءكم بيِّـنة من ربِّكم﴾** إن صَدَقتم فيما كُنتُـم تعدُّون من أنفسكم، فقد جـاءكم مَـا فِيـهِ البيان الساطع والبرهان القاطع، **﴿وهدًى ورحمةٌ﴾** لمن تأمَّله وعمل بِهِ، **﴿فمن أظلمُ مِمـَّن كذَّب بـآيَاتِ الله﴾** بعدمَا عرف صدقها وصحَّتهـا، **﴿وصَـدَفَ عنهـا﴾** أَي: أعـرض عنهـا، **﴿سنَجزي الذِيـنَ يَصدِفـون عَـن آياتنــا ســوءَ العذاب﴾** وَهُوَ النهاية فِي النكاية **﴿بِمَا كَانُوا يَصدِفُونَ(١٥٧)﴾** بإعراضهم.

﴿هل ينظرون﴾ أَي: أقمنا حجج الوحدانية، وثبوتَ الرسالة، وأبطلنا مَـا يعتقدون مِـنَ الضلالـة، فمـا ينظـرون فِي تـرك الإيمـان بعدهـا **﴿إلاَّ أن تـأتيهم المَلاَئِـكَة﴾** لقبض أرواحهم، **﴿أو يأتي ربُّك﴾** أَي: أمـره، وَهُـوَ العـذاب، أو القيامة، **﴿أو يأتيَ بعضُ آيات ربِّك﴾** أَي: أشراط الساعة، **﴿يومَ يأتي بعضُ آياتِ رَبِّكَ، لاَ ينفع نفسا إيمانُها لم تكن آمنت مِن قبلُ﴾** قيل: هِيَ المشركة التِي لم تؤمن، **﴿أو كسبت فِي إيمانها خيرا﴾** أَي: توبة؛ قيل: النفـس المنافقـة

إن لم تتب قبل ذَلِكَ الحين، فلا تنفعها التوبة حين وقوع النزع. قَالَ أبو سعيد فِي تأويل هَذِهِ الآية: «فإذا جاء أمر ا لله للعبد بالهلاك ونزل بِهِ أمر الهلاك ببعض آيات ا لله التِي يُعاين بها أمر الموت، والانتقال [١٦٣] من أمر الدنيا إِلىَ الآخرة، ذهب حكم العمل فِي الدنيا وحصل أمر ما هو عليه فِي الآخرة».

ومعي أنَّهُ قيل: ﴿**لا ينفعُ نفسا إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ**﴾ أنَّهُ المشرك الذي لم يكن آمن فلا ينفعه إيمانه حين ذلك. ﴿**أو كسبت في إيمانها خيرا**﴾ أنَّهُ المقرُّ بالإيمان، (لَعَلَّهُ) المصرُّ عَلَى شيء من العصيان عَلَى صغير أو كبير لم يتب منه حتّى عاين آيات ا لله أو بعض آياته. ﴿**قل انتظروا إنَّا منتظرون(١٥٨)**﴾ بكم.

﴿**إنَّ الذين فرَّقوا دينهم**﴾ بدَّدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. ﴿**وكانوا شِيَعا**﴾ فرقا، كُلُّ فرقة تشيع إمامها. ﴿**لستَ منهم في شيء**﴾ أي: أنت منهم بريء، وهم براء منك، يقول: إني فعلت لك كذا، ولست مني ولست منك، أي: كلُّ واحد منَّا بريء من صاحبه. ﴿**إنَّما أمرهم إِلىَ ا لله ثُمَّ ينبِّئهم بما كانوا يفعلون(١٥٩)**﴾ فيجازيهم عليه.

﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ تقديره: عشر حسنات أمثالها، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة[١]، وبغير حساب[٢]، ولذلك قيل: المراد بالعشر

---

١ - إشارة إِلىَ قَوله تَعَالىَ: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فِي سبيل ا لله كمَثَلِ حبَّة أنبتت سبع سنابلَ فِي كُلِّ سنبلة مائة حبَّة، وا لله يضاعف لمن يشاء وا لله واسع عليم﴾. سورة البقرة: ٢٦١.

الكثرة دون التحديد. ﴿ومن جاء بالسيِّئة فلا يُجزَى إِلاَّ مثلَها﴾ من السـوء. ﴿وهم لا يظلمون(١٦٠)﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

﴿قل إنَّني هداني ربِّي إِلىَ صراط مستقيم دينا قيِّمًا﴾ لا عوج له، لأَنَّ العوج ينافي الحقَّ، لأَنَّهُ كاللعب واللهو، والله لا يأمر به؛ ولا يفعله أهل الحق. ﴿ملَّة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين(١٦١)﴾ الشرك الخفيُّ والجليُّ. ومن كان كذلك كان مخلصا خالصا لله دينه وحياته ومماته، ولذلك قال:

﴿قل: إنَّ صلاتي ونُسكي﴾، قيل: النسك: الذبيحة في الحج والعمرة، وقيل: جملة الحج، وقيل: جملة الدين. ﴿ومحياي ومماتي﴾ ومـا أنـا عليـه في حيـاتي، أقيـمُ عليه وأثبتُ إِلىَ أن أموت عليه من الإيمان والطاعـة والخـيرات المضافـة إِلىَ الممـات كالوصيَّة، والتدبير والبشارة [كذا]، ﴿لله ربِّ العالمين(١٦٢)﴾ خالص لوجهه، لا شريك له في شيء من ذَلِكَ، أي: لا أعمل شيئا لغيره.

﴿وبذلك﴾ الإخلاص ﴿أُمرتُ وأنا أوَّل المسلمين(١٦٣)﴾ لأَنَّ إسـلام كُل نبيٍّ متقدم عَلَى أمـَّته.

﴿قل: أغير الله أبغي ربـًّا﴾ جواب عن دعائهم له إِلىَ عبادة أهوية أنفسـهم، والهمزة للإنكار، أي: منكر أطلب ربـًّا[1] غيره. ﴿وهـو ربُّ كُـلِّ شـيء﴾ وكـلُّ

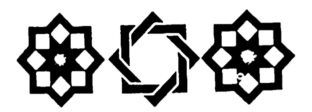
---

٢ - إشارة إِلىَ مثل قَوله تَعَالىَ: ﴿ليجزيَهم الله أحسنَ ما عملوا ويزيدهـم مـن فضلـه، والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾. سورة النور: ٣٨.

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «منكِرٌ أن أطلب ربـًّا غيرَه»، أو «منكرًا طلب ربٍّ غيرِه».

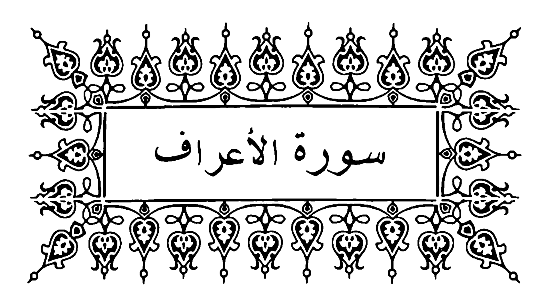
من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبيَّة غيره. ﴿**ولا تكسب كلُّ نفس إلاَّ عليها**﴾ جواب عن قولهم: ﴿اتَّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾[1]. ﴿**ولا تَزِرُ وازِرَة وِزْرَ أخرى ثُمَّ إِلَى ربِّكم مرجعكم فينبِّئكم بما كنتم فيه تختلفون(١٦٤)**﴾ بتبيين الرشد من الغيِّ، والمحقِّ من المبطل.

﴿**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**﴾ لأنَّ بعض الخلق يخلف بعضا، وهكذا سنَّة الله في خلقه، وكلُّ من جاء مِن بعدِ مَن مَضَى يخلُفُه فيما يعمل، فَهُوَ خليفة له. ﴿**ورفع بعضَكم فوقَ بعض**﴾ في الشرف والرزق والعلم وغير ذَلِكَ. ﴿**درجات**﴾ لا لعبا ولا عبثا ولكن ﴿**ليبلوَّكم فيما آتاكم**﴾ فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال والعلم وقوَّة الأجسام والغرائز، فينظر كيف تشكرون تلك النعم. ﴿**إنَّ ربَّك سريع العقاب**﴾ في الدنيا والآخرة لمن كَفَر نعمته. ﴿**وَإِنَّهُ لغفور رحيم(١٦٥)**﴾ لمن قام بشكرها. ووصف العقاب بالسرعة لأنَّ الخذلان يحيط بالكافر حينَ الكُفر لا قَبلُ ولا بَعدُ، فجدير أن يحذر؛ أو لأنَّ ما هو آت قريب، ﴿وما أمرُ الساعةِ إلاَّ كلَمحِ البصرِ أو هو أقربُ﴾[2].



١ - سورة العنكبوت: ١٢.

٢ - سورة النحل: ٧٧.



سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**المص(١) كتاب**﴾ أي: (لَعَلَّهُ) هَذَا كِتَاب ﴿**أُنـزِل إليـك فـلا يَكُـن في صدرِك حَرَجٌ منه**﴾ شكٌّ [١٦٤] منه، وَسُمِّيَ الشكُّ حَرجا لأَنَّ الشاكَّ ضيــِّق الصدر حرِجُه، كما أنَّ المتيقِّن منشرح الصدر منفسحه، أي: لا تشكَّ في أنــَّهُ منزل من ا لله، أو تقصِّر في القيام بِحَقِّه، أو معنـاه الإقبـال إليـه والإدبـار عَمــَّا سـواه، لقولـه: ﴿اتــَّبعوا مـا أنـزل إليكـم مـن ربــِّكم ولا تتــَّبعوا مــن دونــه أولياء﴾[1]؛ أو حرج من تبليغه، لأَنــَّهُ (لَعَـلَّهُ) كان يخاف قومـه وتكذيبــَهم لـه وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأذى، فأمــَّنه ا لله (لَعَـلَّهُ) منه، ونهاه عن المبالاة بهم. ﴿**لِتـُنذِرَ به**﴾ أي: أنزل إليــك لإنـذارك بـه أو بـالنهي، لأنــَّهم إذا لم يخَفْهم أنذَرَهم، وكذا إذا أيقن أَنــَّهُ مِن عندِ ا لله شجَّعه اليقين عَلَـى الإنـذار، لأَنَّ صـاحب اليقـين جسـور ومتوكّـل عَلَـى ربــِّه. ﴿**وذكـرى للمؤمنين(٢)**﴾ لا لغيرهم، لأَنــَّهُ لهم شفاء، ولغيرهم مرض فوق مرضهم.

﴿**اتــَّبعوا ما أُنزِلَ إليكم من ربـكم**﴾ من القرآن والسنــَّة وحجــَّة العقـل. ﴿**ولا تتــَّبعوا مِن دونِه**﴾ من دون ا لله. ﴿**أولياءَ**﴾ أي: لا تتولَّوا مَن دونه مـن

---

١ - سورة الأعراف: ٣.

شياطين الإنس والجنّ، فيحملوكم عَلَى عبادة الأوثان والأهواء والبدع، ومعناه: لا تطيعوا أحدا في معصية الخالق. ﴿**قليلا ما تذكّرون(٣)**﴾ حيث تتركون دينه وتتّبعون غيره، ومعناه تتذكّرون تذكُّرا قليلا، حيث تتركون دين الله وتتّبعون غيره.

﴿**وكم من قرية أهلكناها**﴾ أردنا إهلاك أهلها، وأهلكناها بالخذلان. ﴿**فجاءها بأسنا**﴾ أي: عذاب الموت. ﴿**بَيَاتا أو هُم قائلون(٤)**﴾ كأنّهم عَلَى حال غفلة البيات أو القيلولة، لا يقودهم قائد، ولا يسوقهم سائق، ولا يردعهم رادع عن ذَلِكَ، والمعنى أَنَّهُ جاءهم الموت وهم في فيحال الأمن بعد من محيه[1] في ذَلِكَ الحين غير متوقّعين لِذَلِكَ، وظاهر الآيَة يَعُمُّ الجماعة، وَهُوَ خاصٌّ في كُلِّ نفس جاءها أمر الله وهي عَلَى حال الغفلة.

﴿**فما كان دعواهم**﴾ (لَعَلَّهُ) معناه: لم يقدروا عَلَى ردِّ الموت، وكان حاصل أمرهم، ﴿**إذ جاءهم بأسنا**﴾ لمـّا جاء أوّل العذاب، (لَعَلَّهُ) عذاب الموت، ﴿**إلاّ أن قالوا إنّا كنّا ظالمين(٥)**﴾ (لَعَلَّهُ) ما كانوا يدّعون من دينهم إلاّ اعترافهم ببطلانه، وقوله: ﴿إنّا كنّا ظالمين﴾ فيما كانوا عليه الاعتراف[2] بالظلم على أنفسهم حين لا ينفع الاعتراف.

١ - كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «وهم في حال الأمن مِن بُعدِ مجيئه».

٢ - كذا في الأصل، وفي العبارة خلل في التركيب، ولَعَلَّ صواب العبارة: «فما كان منهم إلاّ الاعتراف بالظلم على أنفسهم حين لا ينفع الاعتراف».

﴿فلَنَسأَلَنَّ الذين أُرسِل إليهم﴾ وهم الأمم عَمَّا أجابوا به رسلَهم، أوهو من التوبيخ لا سؤال استعلام، يعني يسألهم عَمَّا عملوا. ﴿ولنسألنَّ المرسَلين(٦)﴾ عَمَّا أجيبوا به.

﴿فلنقصَّنَّ عليهم﴾ على الرسل والمرسَل إليهم ما كان منهم ﴿بعِلمٍ﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة. ﴿وما كُنَّا غائبين(٧)﴾ عنهم وعمَّا وُجِد منهم، وهو وعد وبشارة للرُّسل ومتَّبعيهم، ووعيد وتهدُّد[1] على من خالفهم.

﴿والوزن﴾ أي: وزن الأعمال بالتمييز بين الثقيل والخفيف، ﴿يومئذ الحقُّ﴾ والقضاء يومئذ العدل، وَهُوَ عبارة عن القضاء السويِّ والحكم العدل. ﴿فمن ثَقُلَت موازينُه﴾ أي: غُفِرت سيِّئاته وتُقُبِّلت حسناته. ﴿فأولئك هم المفلحون(٨)﴾ الناجون.

﴿ومن خفَّت موازينه﴾ بإحباط حسناته وإثبات سيِّئاته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث قصَّروا عن تكميلها وتزكيتها؛ ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون(٩)﴾ يجحدون، والظلم بها: وضعها غير موضعها إلى[2] جحودها وترك الانقياد منها لربِّها.

﴿ولقد مكَّنَّاكم في الأرض﴾ أقدرناكم على التصرُّف فيها، ﴿وجعلنا [١٦٥] لكم فيها معايش﴾ ما يعاش به من المطاعم والمشارب. ﴿قليلا ما

---

١ - التهدُّد والتهديد بمعنى واحد، انظر: ١/٦٠ من هَـذَا التفسير. وقد كتب الناسخ هكذا: «تهديـد د».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «آلَ إِلَى جحودها».

تشكرون(١٠)﴾ أي: قليل منكم الشاكر، أو تشكرون شكرا قليلا غير خالص ولا نافع.

﴿**ولقد خلقناكم ثُمَّ صوَّرناكم**﴾ لعبادتنا، ﴿**ثُمَّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ قدِّموا أمرَه، وعظِّموا شأنه، واعرفوا قدره، وانقادوا له، وأذعِنوا له وأئتمُّوا به. ﴿**فسَجدوا إِلاَّ إبليسَ لم يكن من الساجدين(١١)**﴾ انظر ما جرى منه وجرى عليه بعدما عَبَدَ غير الله!.

﴿**قال ما مَنَعَكَ ألاَّ تسجُدَ**﴾ أي: شيء منعك من السجود ﴿**إذ أمرتُك، قال أنا خير منه**﴾ كأنَّه قال: إنِّي خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، وأمَّا الملائكة تواضعت لآدم عن الاستكبار انقيادا لأمر الله، و لم تقل كما قال إبليس اللعين ﴿قال: أنا خير منه **خلقتني من نار وخلقته من طين(١٢)**﴾ تعليل لفضله عليه، وقد غلط في ذلك بِأن رأى الفضل كلّه باعتبار العنصر، وغفل عَمَّا يكون باعتبار الفاعل، وكان في الاعتبار فضل آدم عَلَى إبليس قبل استكباره، من حيث أَنَّهُ أُمر أن يسجد له تفضيلا عليه بأحوال يعلمها الله فيه، فحسده لِذَلِكَ، فلمَّا أن قطع اللعين بالخيرة لنفسه، فكأنَّه فِي المَعْنَى جهَّل الله، وجعل نفسه عالما، لقوله: «أنا خير منه».

﴿**قال فاهبط منها**﴾ من السماء فيما قيل، لأنَّها لم تخلق مستقرًّا للعصاة، بدليل قوله: ﴿**فما يكون لك أن تتكبَّر فيها**﴾ وتعصي، ﴿**فاخرج إنَّك من الصاغرين(١٣)**﴾ من أهل الصغار والهوان عَلَى الله وَعَلَى أوليائه.

﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون(١٤)﴾ أمهلني إِلَى يوم البعث وَهُوَ وقت النفخة الأخيرة. ﴿قال إنَّك من المنظَرين(١٥)﴾ إِلَى النفخة الأولى، وإنَّما أجيب إِلَى ذَلِكَ لما فيه من الابتلاء عليه وَعَلَى غيره ما دام وقت التعبُّد باقيا، فَإِذَا انقضى وقت التعبُّد حلَّ وقت الجزاء.

﴿قال فبما أغويتني﴾ أضللتني، تقديره: فبسبب إغوائك أقسم ﴿لأقعدنَّ لهم صراطك[1] المستقيم(١٦)﴾ لأتعرَّضنَّ لهم عَلَى طريق الإسلام، مترصِّدا للردِّ، متعرِّضا للصدِّ، كما يعترض العدوُّ عَلَى الطريق، ليقطعه عَلَى السابلة في خفية من المقطوع له.

﴿ثمَّ لآتينَّهم من بين أيديهم﴾ أشكِّكهم في الآخرة، ﴿ومن خلفهم[2] وعن أيمانهم﴾ من قِبل الحسنات أَنـَّهَا مقبولة مع التخليط، ويحسبون أَنـَّهُم يحسنون صنعا[3]. ﴿وعن شمائلهم﴾ من قِبَل السيِّئات أَنـَّهَا مغفورة لهم وإن أصرُّوا، ويحتمل أن يقال: «مِن بينِ أيديهم»: من حيث يعلمون، عَلَى معنى التجاهل، و«مِن خلفِهم»: من حيث لا يعلمون، فيقع بهم من قِبل الجهل وَقِلَّة العلم. ﴿ولا تَجِدُ أكثرَهم شاكرين(١٧)﴾ مؤمنين. قاله ظنًّا فأجاب، لقوله: ﴿ولقد صَدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه﴾[4].

---

١ - في الأصل: «صراط المستقيم». وَهُوَ خطأ.

٢ - في الأصل: - ﴿ومن خلفهم﴾، وَهُوَ سهو.

٣ - اقتباس من الآية الكريمة: ﴿قل هل ننبِّئكم بالأخسرين أعمالا؟ الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أَنـَّهُم يحسنون صنعا﴾. سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.

٤ - سورة سبأ: ٢٠.

﴿قال اخرج منها مذءوما﴾ معيبا مخذولا، ﴿مدحورا﴾ مطرودا مبعدا من رحمة الله. ﴿لَمن تبعك منهم﴾ فيما آتاهم فيه من معصية أو معاصي، لقوله: ﴿لآتينّهم من بين أيديهم...﴾ إِلَى تمامها. ﴿لأملأنّ جَهَنّم﴾ لأنّي ما خلقتها عبثا. ﴿منكم﴾ منك ومنهم، ﴿أجمعين(١٨)﴾.

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجُك الجنّةَ﴾ اتّخِذاها مسكنا، ﴿فكُلاَ﴾ منها ﴿من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ الشهوانيّة، ﴿فتكونا من الظالمين(١٩)﴾ فتصير[ا] من الذين ظلموا أنفسهم فتجرّمهلماأعدلها[1] عَلَى الطاعة.

﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ وسوس إذا تكلّم كلاما خفيًّا يكرِّره، وقيل: الوسوسة حديث النفس يلقيه الشيطان في قلب ابن آدم، ﴿ليُبدِيَ لهما﴾ أي: ليظهرَ لهما ما غُطِّي وسُتر عنهما، [١٦٦] ﴿ما ووري[2] عنهما من سَوْآتهما﴾ من عوراتهما، وفيه دَلِيل عَلَى أنَّ كشف العورة[3] من عظائم الأمور، وَأنَّهُ كان مستقبحا في الطباع والعقول، وليس شيء أَشَدَّ من عورة الكفر، ثُمَّ بيّن الوسوسة فقال: ﴿وقال ما نهاكُما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا مَلَكَينِ﴾ عَلَى صورة مَلَك من جنس من الملائكة، وَهُوَ حجّة لمن قال: إنَّ الملائكة أفضل من المؤمنين من بني آدم. ﴿أو تكونا من الخالدين(٢٠)﴾ من الذين لا يموتون، ويبقون في الجنّة ساكنين لا يفارقونها أمنا من الفناء.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «فنحرمهما مِمَّا أُعِدَّ لهما عَلَى الطاعة».

٢ - في الأصل: «ما أوري». وَهُوَ خطأ.

٣ - في الأصل توجد عبارة: «من الملائكة» فوق السطر، ولا ندري أين محلُّها من النصّ.

﴿وقاسَمَهُما﴾ أقسم لهما، ﴿إني لَكُما لَمِن الناصحين(٢١)﴾ والناصح ضِدُّ الغَرور.

﴿فدلاَّهما بغُرور﴾ (لَعَلَّهُ) مِن تدلية الدلو، وَهُوَ إرسالها[١] في البئر، أي: يزلُّهما إِلىَ الأكل من الشجرة، بما غرَّهما به من القَسَم با لله، وإنَّما يُخدع المؤمن با لله. وعن ابن عمر: «من خدعنا با لله انخدعنا له». ﴿فلمَّا ذاقا الشجرةَ﴾ وجدا طعمَها، آخذين في الأكل منها، ﴿بَدَت لهما سَوْآتُهما﴾ بانحلال الكسوة عنهما، فانظر لمَّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما لم تتأخَّر بدوُّها و لم تتقدَّم[٢]، لأنَّهُ لا يكون طائعا عاصيا في حال أبدا، ولأنَّ ا لله سريع العقاب؛ واحذر من مقارفة الطغيان عن أن ينسلخ منك لباس التقوى، لتبدو منك عورات الكفر لمن يعلم منك ذَلِكَ، فتكون في الظاهر عند العميان عن الدين كأنَّك مستتر، وعند ا لله وعند ملائكته وكتبه ورسله وجميع خلقه (لَعَلَّهُ) لمحقين[٣] مكشوف العورة منسلخ اللباس وَهُوَ لباس التقوى. ﴿وطفِقَا﴾ وجعلا، ﴿يَخصِفان﴾ يغلِّفان ﴿عليهما من ورق الجنَّة وناداهما ربُّهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ هَذَا عتاب من ا لله وتنبيه عَلَى الخطإ. وروي أنَّهُ قال لآدم: «ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنَّة

---

١ - الدلو تذكَّر وتؤنَّث، «والتأنيث أعلى وأكثر، والجمع أَدْلٍ في أقلِّ العدد... والكثير دِلاَء ودُلِيٌّ». ابن منظور: لسان العرب، ١٠٠٨/٢، مادَّة «دلو».

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «لم يتأخر بدوُّها و لم يتقدَّم» بالتذكير.

٣ - «(لَعَلَّهُ)» كتبت فوق كلمة «لمحقين»، وَهَذِهِ الكلمة فعلاً غامضة في هَذَا السياق، وَلَعَلَّ الصواب: «المـُحِقِّين».

مندوحة عن هذه الشجرة؟»، فقال: «بلى». ﴿وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدوٌّ مبين(٢٢)﴾: ظاهر العداوة.

﴿قالاَ ربَّنا ظَلَمْنا أنفسَنا﴾ حقـَّها. ﴿وإن لم تغفر لنا وترحَمْنـا لنَكونـنَّ من الخاسرين(٢٣)﴾ الدنيا والآخرة. ﴿قال اهبطوا بعضُكـم لبعـضٍ عـدوٌّ﴾ أي: متعادين، يعاديهما ويعاديانـه إن استقاما. ﴿ولكـم في الأرض مسـتقرٌّ﴾ موضع استقرار، ﴿ومتـاع﴾ وانتفـاع بعيـش، ﴿إلى حـين(٢٤)﴾ إلىَ انقضـاء آجالكم. ﴿قال فيها تَحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون(٢٥)﴾ للجزاء.

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا﴾ أي: خلقناه لكم بتدبيرات متفاوتـة وأسـباب نازلـة، ونظـيره: ﴿وأنزلنـا الحديـد فيـه بـأس شـديد﴾[1]. ﴿يـواري سوآتكم﴾ يسـتر عوراتكـم الـتي قصـد الشـيطان إبداءهـا، ﴿وريشـا﴾ لبـاس الزينة، استعير من ريش الطير لأنَّهُ لباسه وزينته، وقيـل: هـو المـال، ﴿ولبـاس التقوى﴾ لباس الورع الذي يسـتر عـورة الكفـر، ويقـي جميـع المكروهـات في الدنيا والآخرة، وقيل: لباس التقوى هو السمت الحسن. ﴿ذلك خير﴾ المعنى: لباس التقوى خـير لصاحبـه إذا اسـتعمله مِمـَّا خُلـق لـه مـن اللبـاس والتجمُّـل الطاهر. ﴿ذلك من آيات الله﴾ الدالَّة عَلَى فضله ورحمتـه عَلَـى عبـاده، يعـني إنزال اللباس. ﴿لعلَّهم يذَّكَّرون(٢٦)﴾ فيعرفـوا عظـم المنعمـه فبـه[2]. وهـذه الآية واردة عَلَى سبيل الاستطراد عقب ذكر بـدوِّ السـوآت، وخصـف الـورق

---

١ - سورة الحديد: ٢٥.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «المنعم به»، أو «النعمةِ فيه»، أي: النعمة التي في اللباس.

عليها، إظهارًا للمنَّة فيما خلق من اللباس، ولما في العري من الفضيحة، وإشعارًا بِأنَّ التستُّر من التقوى خير لصاحبه، لأَنَّهُ إذا تستَّر بالتقوى تستَّر باللباس، وإن لم يتستَّر [١٦٧] به لم يستره لباسه، وبدت سوآته.

﴿يا بني آدم لا يَفتِننَّكم الشيطانُ كما أَخرَجَ أبويكم من الجنَّة﴾ لا يخدعنَّكم ولا يضلنَّكم عن دخول الجنَّة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها، وحرمهما ما أبيح لهما بسبب مخالفتهما، وفيه إيجاب الاعتبار بهما وبمن مضى. ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ أي: لا تتَّبعوه فيفتنكم، ﴿ليريهما سوآتهما إنَّه يراكم هو وقبيله﴾ أي: يرى أحوال قلوبكم عَلَى ما هي عليه من إيمان أو كفر، و«قبيله»: مثله، بمعنى المقابلة في المعنى والخفية والوسوسة والمعصية والعداوة والطبع للتزيُّن، وا لله المستعان. ﴿من حيث لا ترونهم﴾ حسًّا ولا صورة، وَلَكِنَّهُم يُرون بالمعنى الباطن إذا دَعَوا إِلَىَ شيء من الباطل، ولا تظنَّنَّ أنَّهُم يفارقون قلبك ما دامت روحك في جسدك، وَأَنَّهُم يوسوسون الليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون ولا ييأسون، إلاَّ إذا كنت نائما، فاستعذ با لله منهم. ﴿إنَّا جعلنا الشياطينَ أولياءَ للذين لا يؤمنون(٢٧)﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب، أو بإرسالهم عليهم، وتمكينهم من خذلانهم، وحملهم عَلَى ما سوَّلوا لهم.

﴿وإذا فَعلوا فاحشةً﴾ ما يتبالغ في قبحه من الذنوب، ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا وا للهُ أَمَرَنا بها﴾ أي: إذا فعلوها كان اعتذارهم بِأَنَّ آباءهم كانوا يفعلونها، فاقتدَوْا بهم، وأنَّ ا لله أمرهم بأن يفعلوها حيث قالوا: ﴿لو[1] شاء ا لله ما أشركنا

---

١ - في الأصل: «ولو». وَهُوَ خطأ.

ولا آباؤُنا ولا حرَّمنا من شَيء﴾[1]، وكلُّ ذَلِكَ من أمر الشيطان من حيث لا يعلمون. ﴿**قل إنَّ الله لا يأمر بالفحشاء**﴾ لأنَّ الله تَعَالَىٰ لا يامر إلاَّ بالحسن، وإن كان هو عَلَى مراتب عَلَى ما عُرف في أصول الفقه؛ وَالمـُرَاد بالفاحشة ما يأباه العقل والشرع، وينفر عنه الطبع، ويستنقصه العقل. والقسط: العدل، وَهُوَ الوسط من كُلِّ أمر، المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط. ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون(٢٨)**﴾؟! استفهام إنكار وتوبيخ.

﴿**قل: أَمَرَ ربي بالقسطِ**﴾ وَهُوَ ضِدُّ الفحشاء، ﴿**وأقيموا وجوهَكم عند كُل مسجد**﴾ وقل: أقيموا وجوهكم، أي: قوِّموا أنفسكم في عبادته، مستقيمين إليها غير مائلين عنها إِلَىٰ شَيء من الأديان، في كُلِّ وقت سجود، أو في كُلِّ مكان سجود، ﴿**وادعوه**﴾ واعبدوه، ﴿**مخلِصين له الدينَ**﴾ أي: الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا. ﴿**كما بَدَأَكم تعودون(٢٩)**﴾ كما أنشأكم ابتداء للعبادة يعيدكم فيجازيكم عَلَى أعمالكم، فأخلصوا له العبادة.

﴿**فريقا هَدَى**﴾ أي: هداهم الله، ﴿**وفريقا حقَّ**﴾ وجب، ﴿**عليهم الضلالة**﴾ عن طريق السلامة بإرادته السابقة. ﴿**إنَّهم اتَّخذوا الشياطين أولياءَ مِن دون الله**﴾ بسبب اتِّخاذهم الشياطينَ أولياء من دونه، ﴿**ويحسبون أنَّهُم مهتدون(٣٠)**﴾ بما خيَّل لهم الشيطان، و لم يتَّبعوا في دينهم الكِتَاب والسنَّة والإجماع، بل بنوا دينهم عَلَى أصل الهوى.

---

١ - سورة الأنعام: ١٤٨.

﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم**﴾ لباسَ زينتِكم، ﴿**عند كُل مسجد**﴾ كما[1] صلّيتم، ﴿**وكُلُوا واشربوا**﴾ عَلَى معنى الإباحة؛ ﴿**ولا تسرفوا**﴾ بالشروع في الحرام، أو في مجاوزة الشبع. ﴿**إنَّه لا يحِبُّ المسرفين(٣١)**﴾. عن ابن عبَّاس: «كُلْ والبَسْ ما شئتَ ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة». وكان للرشيد طبيب حاذق...[2] فقال لعليٍّ: «ليس في كتابكم من علم الطبِّ شَيء، والعِلم علمان: عِلم الأبدان وعلم الأديان» فقال له عليٌّ: «قد جمع الله الطبَّ كلّه في نصف آيَة من [١٦٨] كتابه، وَهُوَ قوله: ﴿وكلوا[3] واشربوا ولا تسرفوا﴾»، فقال النصرانيُّ: «ولم يَرِد من رسولكم شَيء من الطبِّ»، فقال: «قد جمع رسولنا الطبَّ في ألفاظ يسيرة، وَهُوَ قوله: "المعدة بيت الداء، والحِمية راس كُلِّ دواء، وأعط كلَّ بدن ما عوَّدته"[4]». فقال النصرانيُّ: «ما ترك كتابكم ولا نبيُّكم لجالينوس طبًّا».

﴿**قل من حَرَّم زينةَ الله**﴾ من النبات وكلِّ ما يتجمَّل به، ﴿**التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ التي أحلَّها الله، ﴿**قل هي للذين آمنوا في الحياةِ الدنيا**﴾ غير خالصة لهم، لأنَّ المشركين شركاؤهم فيها، وهم لا

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «كُلَّما».

٢ - كذا في الأصل، ويبدو أنَّ في العبارة سقطا فالسياق يوهم أنَّ الحوار دار بين طبيب الرشيد وعليٍّ، وشتَّان بين عصري الشخصيتين، وَلَعَلَّهُ يقصد بعليٍّ غيرَ عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه.

٣ - في الأصل: «فكلوا». وَهُوَ خطأ.

٤ - لم نعثر عليه في الربيع ولا في الكتب التسعة ولا في الجامع الصغير وزياداته.

يؤجرون بها في الآخرة، لأنَّهم لم يريدوا بها وجهه، ﴿**خالصةً يومَ القيامة**﴾ للمؤمنين في الدنيا بالتمتُّع بها، وفي الآخرة بالثواب عليها، لأنَّهم أرادوا بها وجه الله. ﴿**كذلك نفصل الآيات**﴾ بتمييز المنتفع والمتمتِّع، ﴿**لقوم يعلمون(٣٢)**﴾ بتعلُّمهم ذَلِكَ.

﴿**قل إنَّما حرَّم ربي الفواحش**﴾ ما تفاحش قبحه، أي: تزايد[1]، وَهُوَ جميع ما أمر به الشيطان. ﴿**ما ظهر منها**﴾ ما عملته الجوارح، ﴿**وما بطن**﴾ ما أسرَّته القلوب، ﴿**والإثمَ**﴾ كلُّ ذنب، ﴿**والبغيَ**﴾ والظلم والكبر، ﴿**بغير الحق، وأن تشركوا با لله**﴾ من أي: الشرك كان، ﴿**ما لم ينزل به سلطانا**﴾ حجَّة، ﴿**وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون(٣٣)**﴾ وأن تتقوَّلوا عليه وتفتروا الكذب.

﴿**وَلِكُل أُمَّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يَستقدِمون(٣٤)**﴾ قيل: بساعة لأنَّها أقلُّ ما يستعمل في الإمهال.

﴿**يا بني آدم إمَّا يأتينَّكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي**﴾ يقرأون عليكم كتبي، ﴿**فمن اتَّقَى**﴾ الشرك ﴿**وأصلح**﴾ العمل ﴿**فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون(٣٥)**﴾.

﴿**والذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها**﴾ تعظَّموا عن الإيمان بها، ﴿**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٣٦) فمن أظلم مِمَّن افترى على**

---

١ - في الأصل: «تزائد»، وَهُوَ خطأ.

ا لله كذبا أو كذَّب بآياته أولئك يَنَالُهم نصيبُهم من الكتاب﴾ ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والنعمة وضدِّها. ﴿حَتَّى إذا جاءتهم رسلنا﴾ «حَتَّى»: غاية لنيلهم نصيبهم، واشتهائهم إيَّاه، أي: إِلىَ وقت وفاتهم، ﴿يتوفَّونهم﴾ مَلَك الموت وأعوانه. ﴿قالوا﴾ أي: قالت الملائكة لهم، ﴿أين ما كنتم تَدْعون﴾ أي: أين الآلهة التي تعبدونها، ﴿من دون ا لله﴾ ليذبُّوا عنكم؟ ﴿قالوا ضلُّوا عنَّا﴾ غابوا عَنَّا فلا ينفعونا. ﴿وشَهِدوا على أنفسِهم﴾ اعترفوا عند معاينة العذاب، ﴿أَنَّهُم كانوا كافرين(٣٧)﴾ اعترفوا بكفرهم.

﴿قال﴾: أي: قال ا لله لِلكُفَّارِ يوم القيامة، ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي: كائنين في جملة أمم وَفيِ غمارهم مصاحبين لهم، والمعنى: ادخلوا في النار مع أمم، ﴿قد خلت من قبلكم﴾ وتقدَّم زمانُهم زمانَكم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كُلَّمَا دخلت أُمَّةٌ لَعَنت أُختَها﴾ شكلها في الدين، أي: التي ضَلَّت بالاقتداء بها لأَنَّهَا[1] لا تتابعها إلاَّ إذا كانت مثلها، كما قال: ﴿تشابهت قلوبهم﴾[2]. ﴿حَتَّى إذا ادَّاركوا فيها﴾ أصله: "تداركوا" أي: تلاحقوا، لحق آخرهم أوَّلهم، واجتمعوا في النار، ﴿جميعا قالتْ أخراهم﴾ منزلةً، وهم الأتباع والسفلة، ﴿لأولاهم﴾ منزلة، وهم القادة والرؤوس، ﴿ربَّنا هؤلاء أَضلُّونا فَآتِهم عذابا ضِعفا﴾ مضاعفا، نسبوا[3] لنا الضلال

---

١ - عند هَذِهِ الكلمة أحال الناسخ إِلىَ الهامش وكتب: «لعلَّه». و لم يَتَبَيَّن ما محلُّها من النصِّ.

٢ - سورة البقرة: ١١٨.

٣ - في الأصل: «نسبنوا»، وَهُوَ خطأ.

فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا، لأَنَّهُم ضلُّوا وأضلُّوا، وفيه إشعار بشدَّة عذاب المتَّبعين[1] حَتَّى ظنُّوا أَنَّهُ ليس أحد بِأَشَدَّ عذابا منهم، فلذلك دعوا الله أن يزيد الذين أضلُّوهم ضعف عذابهم بإضلالهم لهم سخطا عليهم. ﴿من النار، قال لِكُلٍّ ضِعفٌ﴾ للقادة بالغواية والإغواء، وللأتباع [١٦٩] بالكفر ﴿ولكن لا تعلمون(٣٨)﴾ أي: لا تعلمون [أيُّها] الأتباع ما للمتبوعين من تضعيف العذاب عن أن تكون لهم راحة، لأَنَّهُم إذا رأوا أحدا أَشَدَّ عذابا منهم كأنَّهم استروحوا، وكان ذَلِكَ نعمة في حقِّهم، والنعمة محرَّمة عليهم، والله أعلم بتأويل كتابه.

﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضلٍ﴾ أي: قد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وَإِنَّا متساوون في استحقاق الضِّعف، **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون(٣٩)﴾** بكسبكم وكفركم.

﴿إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ عن الإيمان بها، **﴿لا تُفَتَّح لهم أبوابُ السماء﴾** لقبول دعائهم وأعمالهم كما تفتح لأعمال المؤمنين، أو لا يفتح لهم فتوح رحمة لأَنَّهُم عن الرحمة مبعدون، وَفِي العذاب (لَعَلَّهُ) هم خالدون. **﴿ولا يَدخُلون الجنَّة حَتَّى يلج الجملُ في سم الخياط﴾** حَتَّى يدخل البعير في ثقب الإبرة، **﴿وكذَلِكَ﴾**[2]: ومثل ذَلِكَ الجزاء الفظيع[3] الذي وصفنا، **﴿نجزي المجرمين(٤٠)﴾** أي: الكافرين المباشرين للجرائم.

---

١ - الكلمة غير واضحة فِي الأصل، رسمها: «المطبغين». وأثبتناها حسبما يقتضيه السياق.

٢ - في الأصل: «ولذلك». وَهُوَ خطأ.

٣ - في الأصل: «الفضيع»، بالضاد، وَهُوَ خطأ.

﴿لهم من جَهَنّم مِهادٌ﴾ فراش، ﴿ومن فوقهم غواشٍ﴾ أغطية، يعني ما غشاهم وغطّاهم، يعني إحاطة النار بهم من كُلِّ جانب، جمع غاشية. ﴿وكذلك نجزي الظالمين(٤١)﴾ أنفسَهم بالكفر.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفسا إلاّ وسعها﴾ طاقتها، والتكليف إلزام ما فيه كلفة، أي: مشقّة. ﴿أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون(٤٢)﴾.

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ﴾ حقد كان في الدنيا، وَهُوَ الطبيعيُّ، فلم يبق بينهم إلاّ التوادد والتعاطف. ﴿تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا﴾ لما هو وسيلة إِلَى هَذَا الفوز العظيم، وَهُوَ الإيمان. ﴿لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا ا لله﴾ أي: وما كان يَصِحُّ أن نكون مهتدين لولا هداية ا لله. ﴿لقد جاءت رُسُلُ ربنا بِالحَق﴾ وكان لنا لطفا وتنبيها عَلَى الاهتداء؛ يقولون ذَلِكَ سرورا بما نالوا، وإظهارا لما اعتقدوا. ﴿ونودوا أن تلكم الجنّة﴾ إِذَا رأوها من مكان بعيد، أو بعد دخولها، ﴿أورثتموها﴾ أعطيتموها بسبب أعمالكم. ﴿بما كنتم تعملون(٤٣)﴾.

﴿ونادى أصحاب الجَنّة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وَعدَنا ربُّنا حَقًّا فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حَقًّا﴾ تقديره: وعدكم ربُّكم، وَإِنَّمَا قالوا لهم ذَلِكَ شماتة بأصحاب النار، واعترافا بنعم ا لله. ﴿قالوا نعم فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة ا لله على الظالمين(٤٤) الذين يصدُّون عن سبيل ا لله ويبغونها عوجا﴾ يطلبون لها الاعوجاج والتناقض. ﴿وهم بالآخرة كافرون(٤٥)﴾.

﴿**وبينهما حجاب**﴾ قيل: هو السور المذكور في قَوله: ﴿فضُرب بينهم بسور﴾[1]. ﴿**وعلى الأعراف**﴾ وَعَلَى ذَلِكَ السور، ﴿**رجال**﴾ قيل: هم أصحاب اليمين من أهل الجَنّة، وبعضٌ من المسلمين وقف عن القطع فيهم لإبهام أمرهم، وَقِيلَ: مَن آخرهم دخولا في الجَنّة وهم الضعفاء من المؤمنين. ﴿**يَعرفون كلاًّ بسيماهم**﴾ بعلامتهم. ﴿**ونادَوا أصحابَ الجَنّة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون(٤٦)**﴾ في دخلوها.

﴿**وإذا صُرِفَت أبصارهم**﴾ وفيه دَلِيل أَنَّ صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا. ﴿**تلقاء**﴾ أي: ناحية، ﴿**أصحاب النار**﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب، ﴿**قالوا ربّنا لا تجعلْنا مع القوم الظالمين(٤٧)**﴾ فاستعاذوا بالله وفزعوا إِلَى رحمته أن لا يجعلهم معهم، وكذلك ينبغي للمؤمن إذا رأى أحدا في الدنيا يعمل بغير رضى الله أن يستعيذ بالله من[2] عمله، ويسأله النجاة من عمله، [١٧٠] كما قالت امرأة فرعون: ﴿ربِّ ابنِ لي عندك بيتا فِي الجَنّة، ونجِّني من فرعون وعمَلِه ونجِّني من القوم الظالمين﴾[3].

﴿**ونادى أصحابُ الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم**﴾ من رؤساء الكفرة، ﴿**قالوا ما أغنى عنكم جمْعُكم وما كنتم تستكبرون(٤٨)**﴾ وَهُوَ كَذَلِكَ لا يغني عن أهل النّار مال ولا جمع.

---

١ - سورة الحديد: ١٣.

٢ - في الأصل: + «من».

٣ - سورة التحريم: ١١. فِي الأصل: «ربِّ نجّني من فرعون...» وَهُوَ خطأ.

﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ حلفتم في الدنيا، والمشار إليهم فقراء المؤمنين الذين سخروا منهم في الدنيا واستهزأوا بهم. ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ في الدارين لتنكير الرحمة، لأنَّ العاصي بمعزل من الرحمة في الدارين، وَذَلِكَ لأنَّهم يحتقرونهم لفقرهم وخمولهم وعزلتهم[1]، قال الله: ﴿وإذا رأوهم قالوا إنَّ هؤلاء لَضالُّون﴾[2]، أي: كان أهل الضلال في الدنيا يستهزئون بهم[3] بالمسلمين، ويحلفون: لا ينالهم الله برحمة، و...[4] الضلال في دينهم وفعالهم. ﴿ادخلوا الجَنَّة﴾ وَذَلِكَ بعد أن نظروا إِلَى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا. ﴿لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزَنون(٤٩)﴾.

﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجَنَّة أن أفيضوا علينا من الماء أو مِمَّا رزقكم الله قالوا إنَّ الله حرَّمهما على الكافرين(٥٠) الذين اتَّخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرَّتهم الحياة الدنيا﴾ الذين اغترُّوا بما خوِّلوا. ﴿فاليوم ننساهم﴾ نتركهم في العذاب ترك المنسيِّ كما تركناهم في الدنيا، ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ (لَعَلَّهُ) و لم يذكروه. ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون(٥١)﴾ أي: كَنِسْيَانِهم وجحودهم، والجاحد ضِدُّ المقرِّ.

---

١ - لا ينبغي أن نفهم من هَذَا أنَّ الخمول والعزلة السلبيَّة من صفات المؤمن، بل عليه أن يسعى ويكدَّ لتمكين دين الله فِي الأرض بِكُلِّ الوسائل المشروعة، وَهَذَا من باب قَوله تَعَالَىَ: ﴿وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل﴾ (سورة الأنفال: ٦٠).

٢ - سورة المطفِّفين: ٣٢.

٣ - كذا في الأصل، والصواب حذف «بهم».

٤ - كلمة غير واضحة، رسمها: «ويبحلونهم»، ولا معنى لها فِي هَذَا السياق.

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصَّلناه﴾ ميَّزنا حلاله من حرامه ومواعظه ومن[1] قصصه، ﴿على علم﴾ عالمين بكيفية تفصيل أحكامه. ﴿هدى ورحمة﴾ أي: جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة، ﴿لقوم يؤمنون(٥٢)﴾ لأنَّهم هم المنتفعون به دون من سواهم.

﴿هل ينظرون﴾ ينتظرون، ﴿إلاَّ تأويله﴾ إلاَّ عاقبة أمره، وما يؤول إليه من تبيين صحَّة صدقه، وظهور صحَّة ما نطق به من الوعد والوعيد، ومعناه: هل ينظرون إلاَّ ما يؤول إليه أمرهم من العذاب، وَقِيلَ: هل ينظرون إلاَّ بيانه ومعانيه وتفسيره، ﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوه وأعرضوا عنه، ﴿قد جاءت رسل ربنا بِالحَق﴾ إقرارا منهم بِصِحَّةِ ما جاءت به رسل ربِّهم، وَأَنَّهُ[2] عَلَى الحقِّ، فأقرُّوا حين لا ينفعهم الإقرار، ﴿فهل لنا من شفعاء فَيَشفَعوا لنا أو نُرَدُّ فنعمَلَ غيرَ الذي كُنَّا نعملُ قد خسِروا أنفسَهم﴾ أهلكوها بالعذاب، ﴿وضلَّ عنهم﴾ بطل ﴿ما كانوا يفترون(٥٣)﴾ ما كانوا يعبدونه من الأصنام.

﴿إنَّ ربَّكم الله الذي خلق السماوات والأرض في سِتَّة أَيَّام ثُمَّ استوى﴾ (لَعَلَّهُ) استولى، ﴿على العرش﴾، قيل عن بعض العلماء أَنَّهُ قال في هَذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: «أقرُّوها كما جاءت بلا كيف». ﴿يغشي﴾ يغطِّي، ﴿الليلَ النهارَ يطلبه حثيثا﴾ سريعا، ﴿والشمسَ

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب حذف «مِن» أو حذف واو العطف.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وَأَنَّهُمْ».

والقمرَ والنجومَ﴾ أي: وخلقَ الشمسَ والقمـرَ والنجـومَ **﴿مسـخَّراتٍ﴾** أي: خلق هَذِهِ الأشياء مذلّلات، منافعَ للمتعبِّدين **﴿بأمره؛ ألاَ لـه الخلـقَ والأمـرُ﴾** لأَنـَّهُ خلق الخلقَ، ولَه الأمـرُ، يـأمرُ في خلقـه مـا يشـاء. **﴿تبـارك ا للهُ﴾** كَثـُر خيرُه، أو دام برُّه، من البركـة: وهـي النمـاء، أو مـن البروك: الثبـات، ومنـه البِركَة: الحوض، أو تَعَالَى ا للهُ: أي: نعظِّم **﴿ربُّ العالمين(٥٤)﴾**.

﴿ادعوا ربـَّكم تضرُّعا وخُفيَة﴾ التضرُّع: "تَـفَـعُّل" مـن الضراعـة، وهـي الذلُّ، أي: تذلُّلا وتملُّقا. قال أبو عثمـان: «التضـرُّع في الدعـاء: أن تقـدِّم إليـه افتقارك وعَجْزَك وضروراتك، وَقِلَّة حيلتك». قال الواسطيُّ: «التضـرُّع: بـذلُّ العُبُـودِيَّة، وخلعُ الاستطالة». **﴿إنـَّه لا يحِـبُّ المعتديـن(٥٥)﴾** المجـاوزين مـا أمروا به في كُلِّ شَيء من الدعاء وغيره.

﴿ولا تُفسِدوا في الأرضِ بعدَ إصلاحِها﴾ أي: خلقت صالحـة للصـالحين غير ناقصةٍ [١٧١] فتحتاجُ إِلَى الزيادة، ولا فاسدة فتَحتاجُ إِلَى الإصـلاح، بـل آلة للمطيعين، فلا تُفسدوا فيها بمعصيةٍ بعد الطاعة، أو بشرك بعـد توحيـد، أو بكفر بعد إيمان. **﴿وادعوهُ خوفا وطَمَعا﴾** أي: خائفين مـن الـردِّ، طـامعين في الإجابـة. **﴿إنَّ رحمـةَ ا للهِ قريـبٌ مِـن المحسـنين(٥٦)﴾** لمـن تقـرَّب منهـا بالإحسانِ، لأَنـَّهَا لا تُنال إلاَّ به.

﴿وهو الذي يُرسِلُ الرياحَ بُشْـرًا بَـين يَـدَي رحمتِـه﴾ أمـام نعمتـه، وَهُـوَ الغيث الذي هو من أجَلِّ النعَمِ، **﴿حتَّى إذا أقلَّت﴾** حَمَلت ورَفعت **﴿سحابا ثِقَالا سُقنَاه لِبلَدٍ ميـت﴾** لأجل بلـد قـلَّ مـاؤه أو ذهـب؛ **﴿فأنزلنـا بـه المـاء،**

فأخرجنا به من كل الثمرات؛ كذلك﴾ أي: مثل ذَلِكَ الإخراج، وَهُوَ إخراج الثمراتِ بعدَ موتِها **﴿لَعَلَّكم تذكَّرون﴾**، فيؤدِّيكم التذكُّر إِلَىَ أَنَّهُ لا فرق بين الإخراجين، إذ لِكُلٍّ واحد منهما إعادةٌ (لعله) للشَّيء بعد إنشائه؛ **﴿نخرج الموتى لَعَلَّكم تذكَّرون(٥٧)﴾** فيؤدِّيكم التذكُّر إِلَىَ الإيمان بالبعث؛ إذ لا فرق بين الإخراجين، لأَنَّ كلَّ واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه[1].

﴿والبلدُ الطَّيبُ﴾ الأَرضُ الطَّيِّبَة التُّربَ[2]، **﴿يَخرجُ نباته بإذن ربه﴾** بتيسيره، **﴿والذي خَبُثَ﴾** أي: والبلد الخبيث، **﴿لا يخرج﴾** أي: نباته، **﴿إلاَّ نكدا﴾** [النكد:] الذي لا خير فيه؛ وَهَذَا مَثلٌ لقلب المؤمن لمن ينجع فيه الوعظ، ولمن لا يؤثِّر فيه شَيء من ذَلِكَ، وَهُوَ الكافر. **﴿كذلك﴾** مثل ذَلِكَ التصريف، **﴿نصرف الآيات﴾** نردِّدها ونكرِّرها، وَقِيلَ: نُبيِّنها، **﴿لقوم يشكرون(٥٨)﴾** نعمة الله، وهم المؤمنون، ليفكِّروا فيها، ويعتبروا بها.

﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أي: ما لكم من إله غيره فتعبدوه. **﴿إني أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيم(٥٩)﴾**.

﴿قال الملأ﴾ أي: الأشراف والسادة، لأَنَّهُم يملأون العيون رواء والقلوب مهابة. **﴿من قومه: إِنَّا لَنَراك في ضلالٍ مبين(٦٠)﴾** في ذهاب عن طريق الصواب الذين[3] سلكوه واعتقدوه، ومعناه خطأً وزوال عن الحقِّ، «مبين»: بيِّن.

١ - كذا في الأصل، وفيه تكرار لنفس الكلام ونفس المعنى كما هو واضح.

٢ - كذا في الأصل بفتح الباء، ولعلَّ الأصوب: «التراب»، أو «التربة».

٣ - في الأصل شطِّب على «الذي»، وكتب «الذين»، والصواب ما شطِّب عليه.

﴿قال يا قوم ليس بي ضَلالة﴾ في ديني، و لم يقل: ضلال، كما قالوا لأنَّ الضلالة أخصُّ من الضلال، فكانت أبلغَ في نفي الضلال عن نفسه، كأنَّه قال: ليس بي شَيء من الضلال، ثُمَّ استدرك لتأكيد نفي الضلال فقال: ﴿ولكني رسولٌ من رب العالمين(٦١)﴾ لأَنَّ كونه رسولا من ا لله مبلِّغا لرسالاته في معنى كونه عَلَى الصراط المستقيم، وكان في الغاية القصوى من الهدى.

﴿أبلِّغكم رسالاتِ ربي﴾ ما أوحي إِليَّ في الأوقات المتطاولة[1]، أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنواذر. ﴿وأنصَحُ لكم﴾ وأقصد صلاحكم بإخلاص، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مِمَّا تريده لنفسك، أو النهايةُ في صدق العنايةِ. ﴿وأعلَمُ من ا لله ما لا تعلمون(٦٢)﴾ أي: مِن صفاته، يعني: قدرته الباهرة، وَشِدَّة بطشه عَلَى أعدائه.

﴿أوعجبتم﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عَلَيهِ محذوف، كَأَنَّهُ قيل: أكذبتم وعجبتم، ﴿أن جاءكم ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿من ربكم على رجلٍ منكم﴾ عَلَى لسان رجل منكم، وَذَلِكَ أَنَّهُم كانوا يتعجَّبون من نبوَّة نوح، ويقولون: ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأَوَّلِينَ﴾[2] يعنون إرسال البشر، ﴿ولو شاء ربُّنا لأنزل ملائكة﴾[3]. ﴿لِيُنذِرَكم﴾ ليحذِّركم عاقبة الكفر إن

---

١ - فِي الحاشية + «المتطاولة».

٢ - سورة المؤمنون: ٢٤.

٣ - سورة المؤمنون: ٢٤. وكان الأولى للمصنِّف أن يبدأ فِي إيراد هَذِهِ الآيَة بما بدأ ا لله به، فالمقطع الثاني سابق عَلَى الأَوَّل.

لم تـؤمنوا. ﴿**ولتـتـَّقوا**﴾ ولتسلكوا سبيل التقوى، وهي [١٧٢] الخشية بسبب الإنذار، ﴿**وَلَعَلَّكم ترحمون(٦٣)**﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم.

﴿**فكذَّبوه**﴾ فنسبوه إِلىَ الكذب، ﴿**فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذَّبوا بآياتنا، إِنـَّهُم كانوا قوما عمين(٦٤)**﴾ عن الحقِّ، يقال: "أعمى" في البصر، و"عَـمٍ" في البصيرة، عميت قلوبهم عن معرفة الحقائق.

﴿**وإلى عاد أخاهم**﴾ واحدا منهم، لأَنـَّهُم إذا كان عن رجل منهم أفهم، فكانت الحـُجَّة عليهم ألزم؛ ﴿**هودا، قال: يا قومِ اعبُدوا ا لله، ما لكم من إلهٍ غيرُه أفلا تـتـَّقون(٦٥)**﴾ أفلا تخافون فتـتـَّقون نقمته.

﴿**قال الملأ الذين كفروا من قومه: إِنـَّا لنراك في سفاهة**﴾ في خفَّـة حلم وسخافة عقل وحمق وجهالة، حيث تهجر دين قومك إِلىَ دين آخر لا نعرفه. ﴿**وَإِنـَّا لنظنـُّك من الكاذبين(٦٦)**﴾ في ادِّعائك الرسالة.

﴿**قال يا قوم ليس بي سفاهة**﴾ في ديني ﴿**ولكنـي رسولٌ من رب العالمين(٦٧)**﴾ والسفاهة في الدين تنافي الرسالة بالدين.

﴿**أبلِّغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين(٦٨)**﴾ ناصح أدعوكم إِلىَ التوبة، أمين عَلَى الرسالة؛ ففي إجابة الأنبياء عَلَيهِم السَّلاَمُ مَن نَسَبَهم إِلىَ الضلال والسفاهة ـ بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأَنَّ خصومهم أضلُّ الناس وأسفههم ـ أدبٌ حسنٌ، وخلقٌ عظيم، وإخبار ا لله تَعَالَى ذَلِكَ تعليمٌ لعباده كيف يخاطبون

السفهاء، وكيف يغضُّون ويُسبِلون أذيالهم عَلَى ما يكون منهم فيه هضم النفس، وحسن المجادلة بالتي هي أحسن، وهكذا ينبغي لِكُلِّ ناصح، وَفِي قوله: ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ تنبيه عَلَى أَنَّهُم عرفوا بالأمرين.

﴿أَوَعَجِبتم أن جاءكم ذِكرٌ من ربكم على رجلٍ منكم ليُنذِرَكم واذكروا إذ جعلكم خلفاءَ مِن بعدِ قومِ نوح﴾ أي: خلفتموهم في الأرض أو في مساكنهم، تحذير وتذكير لهم عن أن يُستخلَف من بعدهم قوم آخرون إن عصوا، كما استُخلِفوا هم من بعد قوم عصاة ماضين. **﴿وزادكم في الخَلق بسطةً﴾** طولا، قيل: كان أقصرهم سِتِّينَ ذراعا، وأطولهم مائة ذراع. **﴿فاذكروا آلاء الله﴾** في استخلافكم وبسطه أجرامكم، وما سواهما من عطاياه (لَعَلَّهُ) واحدٌ[1]؛ وآلاء الله: نعمه، وواحدها: أَلاَءٌ وإِلًى، مثل: مِعًا وأمعاء، ونظيرها: آناء الليل واحدها أناء وإِنىً. **﴿لَعَلَّكُم تفلحون(٦٩)﴾**.

﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتِّخاذ الأصنام شركاء معه حبًّا لما نشأوا عليه وما ألفته نفوسهم. **﴿فأتنا بما تَعِدُنا إن كنتَ من الصادقين(٧٠)﴾** أنَّ العذاب يحلُّ بنا إن خالفنا.

﴿قال قد وَقَعَ عليكم﴾ قد وجب أو نزل عليكم، فجعل المتوقَّع بمنزلة الواقع. «رجس»: أي: عذاب، من الارتجاس، (لَعَلَّهُ) وَهُوَ الاضطراب، **﴿من**

---

١ - في الأصل: + «و».

ربكم رجس﴾ عذاب، من الارتجاس[1]، كَأَنـَّهُم قد ارتجسوا بالإثم. **﴿وغَضَبٌ﴾** سخط. **﴿أتجادلونني في أسماء سمَّيتموها﴾** في أشياء ما هي إلاَّ أسماء وصور ليس تحتها مسمَّيات، لأَنـَّكُم تسمُّون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الأُلُوهِيـَّة، (لَعَلَّهُ) كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ما هَـذِهِ التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾[2]، وكقول (لَعَلَّهُ) موسى عليه السلام: ﴿إنَّ هؤلاء متبَّر مَا هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾[3]. **﴿أنتم وآباؤكم ما نزَّل ا لله بها من سلطان﴾** حجَّة متَّبعة، **﴿فانتظِروا﴾** لَمـَّا وضح الحقُّ وأنتم مصرُّون عَلَى [١٧٣] العناد نزولَ العذاب، **﴿إني معكم من المنتظِرين(٧١)﴾** لنزوله بكم ذَلِكَ.

﴿فأنجيناه والذين معه﴾ أي: من آمن بهِ؛ **﴿برحمة مِنـَّا﴾** بفضل مِنـَّا؛ **﴿وقطعنا دابرَ الذين كذَّبوا بآياتنا﴾** الدابر الأصل، والكائن خلف الشَّيء، وقطعُ دابرهم: استئصالُهم وتدميرهم عن آخرهم. **﴿وما كانوا مؤمنين(٧٢)﴾**.

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا ا لله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بَينَة من ربكم؛ هذه﴾ آيَة ظاهرة شاهدة عَلَى صِحَّة نبوَّتي، وهي: **﴿ناقة ا لله لكم آية﴾** أضافها إِلىَ ا لله عَلَى التفضيل والتخصيص، كما يقال: بيت ا لله. **﴿فذَروها تأكلْ في أرض ا لله﴾** أي: الأَرض أَرض ا لله، والناقة ناقة ا لله، فذروها تأكل في أَرض ربـِّها، من نبات ربـِّها، فليس عليكم

١ - كذا في الأصل، وَفِي العبارة تكرار واضح.

٢ - سورة الأنبياء: ٥٢.

٣ - سورة الأعراف: ١٣٩.

مؤنتها، ﴿ولا تمسُّوها بسوء﴾ بضرب ولا عقر ولا طرد ولا إضمار [كذا] بسوء إكراما لآية الله. ﴿فيأخذكم عذاب أليم(٧٣)﴾.

﴿واذكروا إذ جَعَلَكم خُلَفاءَ من بعدِ عادٍ﴾ يذكّرهم نعمة الله ليشكروها، ﴿وبوّأكم﴾ أسكنكم ونزّلكم، ﴿في الأرض تتّخذون من سهولها قصورا﴾ غرفا للصيف، ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ للشتاء، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي: نعمة الله في ذَلِكَ وغيره، ﴿ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين(٧٤)﴾.

﴿قال الملأ الذين استكبروا﴾ أي: تعظّموا وأنِفوا في اتّباع الرسول، ﴿من قومِه للذين استُضعِفوا﴾ للذين استضعفوهم واستذلّوهم، ﴿لمن آمن منهم: أتعلمون أنَّ صالحا مُرسَلٌ من ربه؟ قالوا إنَّا بما أُرسل به مؤمنون(٧٥)﴾.

﴿قال الذين استَكبَروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون(٧٦) فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ والعتوُّ العلوُّ في الباطل، ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين(٧٧)﴾.

﴿فأخذتهم الرجفةُ﴾ الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها، ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين(٧٨)﴾ ميّتين قعودا، يقال: الناس جثم، أي: قعود لا حراك بهم ولا يَتَكَلّمُون، ﴿فتولّى[1] عنهم﴾ لمّا عقروا الناقة، ﴿وقال يا قوم﴾ عند فراقه لهم، ﴿لقد أبلغتُكم رسالةَ ربي ونصحتُ لكم ولكن لا تحبُّون الناصحين(٧٩)﴾ الآمرين بالهدى لاستجلاء الهوى،

---

١ - في الأصل: «فتولَّ». وَهُوَ خطأ.

والنصيحة منيحة، بدراء الفضيحة، وَلَكِنهَا وخيمة تورث السخيمة[1]، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله: ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربِّي ونصحتُ لكم﴾ بعدما أهلكوا بالرجفة؟ قيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خَلَفهم.

﴿ولوطا إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة﴾ أتفعلون السَّيِّئَة المتمادية في القبح؟! **﴿ما سَبَقَكُم بها من أحدٍ﴾** ما عملها قبلكم **﴿من العالمين(٨٠) إِنَّكُم[2] لتأتون الرجال شهوةً من دونِ النساء﴾** فسَّر تلك الفاحشة، يعني أدبار الرجال أشهى عليكم من فروج النساء!، **﴿بل أنتم قوم مسرفون(٨١)﴾** الإسراف: تجاوز الحدود.

﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إِنَّهُم أناس يتطهَّرون(٨٢)﴾ يدَّعون الطهارة وبدَّعوا فعلنا الخبيث، عابوهم بما يُتمدَّح به.

﴿فأنجيناه وأهله إِلاَّ امرأته كانت من الغابرين(٨٣)﴾ من الباقين في العذاب الذين عليهم الغَبَرَة. **﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾** وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا، قيل: أمطر الله عليهم الكبريت والنار، **﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين(٨٤)﴾**.

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ يقال له: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، **﴿قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قد جاءتكم بَينَة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾** ولا تنقصوهم

---

١ - «السخيمة: الحقد والضغينة والموجدة في النفس، وَفِي الحديث: "اللهمَّ اسلل سخيمة قلبي"». ابن منظور: لسان العرب، ١١٥/٣، مادَّة «سخم». والعبارة غير واضحة.

٢ - في الأصل: «أينكم». وَهُوَ خطأ.

حقوقهم ولا تظلموهم (لَعَلَّهُ) إيّاهَا، ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ أي: لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون [١٧٤] من الأنبياء والأولياء، وكلُّ نبيٍّ أو عالم يرسل إلَى قوم فهو صلاحهم. ﴿**ذلكم**﴾ الذِي ذكرت لكم وأمرتكم به، ذَلِكم ﴿**خير لكم**﴾ في الإنسانيّة، وحسن الأحدوثة ﴿**إن كنتم مؤمنين(٨٥)**﴾ مصدقين لي في قولي.

﴿**ولا تقعدوا بِكُلِّ صراط**﴾ أي: عن كُل صراط، ﴿**توعدون**﴾ (لَعَلَّهُ) تهدون[1] من آمن بشعيب بالعذاب، ﴿**وتصدُّون عن سبيل الله**﴾ عن دينه، ﴿**من آمن به وتبغونها**﴾ تطلبون لسبيل الله، ﴿**عوجا**﴾ أي: تصفونها للناس بِأنّهَا سبيل معوجّة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها، معناه: تطلبون الاعوجاج في الدين، والعدل عن المقصد (لَعَلَّهُ القصد)[2]. ﴿**واذكروا إذ كنتم قليلا**﴾ عَلَى جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم، ﴿**فكثّركم**﴾ الله، ووفّر عددكم، ويجوز: إذ كنتم فقراء مقلّين فجعلكم أغنياء مكثرين، ﴿**وانظروا**[3] **كيف كان عاقبة المفسدين(٨٦)**﴾ أمرنا بالنظر والتأمُّل في عاقبة من أفسد في دينه ودنياه مِمَّن تَقَدَّمَهم[4]، فَإِنَّهُ عبرة لمن استبصر ولم يَتَعَامَ[5].

---

١ - كذا في الأصل، ويبدو أنَّ الناسخ هنا قد أخطأ في الاحتمال الذي وضعه، فالصواب: «تهددون».

٢ - عبارة: «لَعَلَّهُ القصد» يبدو أنَّها من إضافة الناسخ لذلك وضعناها بين قوسين.

٣ - في الأصل: «وانظر»، وَهُوَ خطأ.

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تقدَّم»، أو «تقدَّمَنا».

٥ - في الأصل: «يتعامَى» وَهُوَ خطأ، فهو مجزوم بحذف حرف العِلّة.

﴿**وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسِلتُ به وطائفةٌ لم يؤمنوا فاصبروا حَتَّى يحكمَ ا للهُ بيننا**﴾ بأن ينصر المحقّين عَلَى المبطلين، ويظهرهم عليهم، وَهَذَا وعيد للكافرين بانتقام ا لله تَعَالىَ منهم، أو هو حثٌّ للمؤمنين عَلَى الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إِلىَ أن يحكم ا لله بينهم وينتقم لهم؛ أو هو خطاب للفريقين. ﴿**وهو خير الحاكمين(٨٧)**﴾ لأَنَّ حكمه حقٌّ وعدل، ولا يخاف منه الجور.

﴿**قال الملأ الذين استكبروا مِن قومِه**﴾ يعني الرؤساء الذين تعظّموا عن الإيمان با لله، ﴿**لَنُخرِجَنَّك يا شعيبُ والذين آمنوا معك مِن قريتنا**﴾ إخراجهم من قريتهم إجلاؤهم منها فِي الظاهر، ومن حيث المعنى: إخرجهم من الرأي والتدبير فيما أمروا به، ودليله: ﴿لئن اتّبعتم شعيبا إِنّكُم إذن لخاسرون﴾[1]. ﴿**أو لَتعودُنَّ في مِلَّتنا قال: أَوَلَوْ كُنَّا كارهين(٨٨)**﴾ يعني لو كُنَّا كارهين فتجبروننا عليه.

﴿**قد افترينا على ا لله كَذِبا إن عُدْنا في ملَّتكم بعد إذ نجَّانا ا لله منها وما يكون لنا أن نعودَ فيها إِلاَّ أن يشاء ا للهُ ربُّنا**﴾ إِلاَّ أن يكون سبق فِي مشيئته أنَّا نعود فيها، فيمضي قضاء ا لله فينا، وينفذ حكمه علينا. ﴿**وسِعَ ربُّنا كلَّ شيء علما**﴾ تمييز، أي: أحاط علمه بِكُلِّ شَيء؛ ﴿**على ا لله توكَّلنا ربَّنا افتح بيننا وبين قومِنا بِالحَق**﴾ أي: أظهر حال عاقبة المحقِّ من المبطل مِنَّا ومنهم، ﴿**وأنت خير الفاتحين(٨٩)**﴾ والفاتح: المظهر لعاقبة الأمور المنغلقة المبهمة.

---

١ - سورة الأعراف: ٩٠.

﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه: لئن اتَّبعتم شعيبا إِنَّكُم إذًا لَّخاسرون(٩٠)﴾ ما تهواه أنفسكم من غير عوض ولا جزاء، لأنَّهُم لم يصدِّقوا به، ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين(٩١)﴾ ميِّتين.

﴿الذين كذَّبوا شعيبا كَأَنْ لم يَغْنَوا فيها﴾ كأن لم يقيموا فيها، وَكَأَنَّهُم لم يُخلقوا عليها، لأنَّهم صاروا إِلىَ ما كانوا عليه من حال العدم؛ غني بالمكان: أقام. ﴿الذين كذَّبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين(٩٢)﴾.

﴿فتولىَّ[1] عنهم﴾ بعد أن نزل بهم العذاب، ﴿وقال يا قوم لقد أَبلَغْتُكم رسالات ربي ونَصحتُ لكم فكيف آسى﴾ أحزن ﴿على قوم﴾ ليسوا بأهل للحزن عليهم، لكفرهم واستحقاقهم للعذاب، ﴿كافرين(٩٣)﴾.

﴿وما أرسلنا في قرية من نبيٍّ إلاَّ أخذنا أهلها بالبأساء والضرَّاء﴾ قيل: البأساء فيِ المال، والضرَّاء فيِ النفس؛ وَقِيلَ: البأساء البؤس والفقر[2]، والضرَّاء: الضرُّ والمرض. ﴿لعلَّهم يضَّرَّعون(٩٤)﴾[3]، لأنَّهُم إذا لم يتضرَّعوا عند البأساء لم يتضرَّعوا عند النعماء، وَذَلِكَ [١٧٥] بيان لفائدة الضرَّاء، وَأَنَّهَا نعمة فيِ حقِّ من تضرَّع.

﴿ثمَّ بدَّلنا مكان السَّيئَةِ الحسنةَ﴾ ابتلاء لهم بالأمرين، ﴿حتَّى عَفَوا﴾ كثروا ونموا فيِ أنفسهم وأموالهم، من قولهم: عفا النبات إِذا كثر؛ ﴿وقالوا﴾ من

---

١ - في الأصل: «فتولَّ». وَهُوَ خطأ.

٢ - في الأصل كلمة رسمها: «البقر»، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه.

٣ - في الأصل: «يتضَّرَّعون» وَهُوَ خطأ.

غرّتهم[1] وغفلتهم بعد ما صاروا إِلَىَ (لَعَلَّهُ) الرخاء، ﴿**قد مَسَّ آباءنا الضرَّاء والسرَّاء**﴾ أي: قالوا: هَذِهِ عادة الدهر: تعاقب فِي الناس بين الضرَّاء والسرَّاء، وقد [مسَّ] آباءنا نحو ذَلِكَ وما هو بعقوبة الذنب، فكونوا عَلَى ما أنتم عليه؛ ﴿**فأخذناهم**﴾ بالهلاك، ﴿**بغتة**﴾ فُجَاءة، عبرة لمن بعدهم، ﴿**وهم لا يشعرون(٩٥)**﴾ بنزول العذاب، لأَنَّهُ ولو تَقَدَّمَت نُذره ورسله فلم يطابطنوا أنَّهَا أنَّهَا[2] رسل الموت، لفرط طول الأمل وحبِّ الدنيا ونسيان الآخرة.

﴿**ولو أنَّ أهل القرى**﴾ إشارة إِلَىَ القرى التِي دَلَّ عليها: ﴿وما أرسلنا فِي قرية من نبيٍّ﴾، كَأَنَّهُ قال: ولو أَنَّ أهل تلك القرى الذين كذَّبوا وأُهلِكوا ﴿**آمنوا**﴾ بدل كفرهم ﴿**واتَّقوا**﴾ الشرك مكان ارتكابه، ﴿**لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾ لآتيناهم بالخير الدينيِّ والدنياويِّ من كُلِّ مكان، ﴿**ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون(٩٦)**﴾.

﴿**أَفَأَمِنَ أهلُ القرَى أن يأتيَهم بأسُنا بياتا وهم نائمون(٩٧) أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون(٩٨)**﴾ أي: ساهون لاهون عن العواقب، فهم بين حالين: بين النوم واللعب، لأَنَّ جميع كدحهم يؤَوَّل عَلَى معنى اللعب أن لو اعتبروا، لا حاصل له إلاَّ التعب والتحسُّر[3]، وهم مع ذَلِكَ لا يتفكَّرون فِي عواقب الأمور، ولا يتخوَّفون (لَعَلَّهُ) عن أن يبدِّلوا مكان (لَعَلَّهُ) الحسنات سيِّئات، وأن تقطع عنهم (لَعَلَّهُ) الأمداد السماويَّة.

---

١ - يمكن أن نقرأ: «عزتهم».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «فلم يظنُّوا أنَّهَا».

٣ - يمكن أن نقرأ: «والتحيُّر».

﴿أفأَمِنوا مَكْرَ ا للهِ﴾ أخذه العبد من حيث لا يشعر، ﴿فلا يَأمَنُ مكْرَ ا لله إلاَّ القومُ الخاسرون(٩٩)﴾ فلا يحذرون المعاصي، ويرتكبون ما يثمر لهم المكر الخفيَّ، لأَنَّهُ إذا أَمِنَ أَنَّهُ لا يعصي فيما يستقبل فقد حكم بالغيب، ومن حكم بالغيب فقد أحاط به الخسران من حيث لا يشعر.

﴿أولم يَهْدِ﴾ أي: يُبَيِّن، ﴿للذين يرثون الأرض من بعد﴾ هلاك ﴿أهلها﴾ الذين كانوا مختلفين ﴿أن لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم﴾ كما أصبنا من قبلهم، فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين؛ ﴿ونطبَعُ﴾ أي: نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون(١٠٠)﴾ سماع تفهُّم واعتبار، ويدلُّك ذَلِكَ عَلَى أَنَّ إصابةَ العبد بدينه الطبعُ عَلَى قلبه، ويصير كَأَنَّهُ أصمُّ وأعمى ولا عقل له، فينغمس فِي المعاصي من حيث لا يشعر، وَذَلِكَ إذا آثر هواه عَلَى ما اتَّضح له من الحقِّ ولو فِي حرف واحد.

﴿تلك القرى﴾ أي: هَذِهِ القرى الذي[1] ذكرت لك أمر أهلها، ﴿نقصُّ عليك من أنبائها﴾ بعض أنبائها، لأَنَّ لها أنباء غيرها لم نقص، عبرة للمعتبرين؛ ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بِالبَينَاتِ فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيء الرسل بِالبَيِّنَاتِ، ﴿بما كذَّبوا من قبل﴾ بما كذَّبوا من آيات ا لله الأرضيَّة والسماويَّة قبل مجيء الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إِلىَ آخر أعمارهم بما كذَّبوا به أَوَّلاً حين جاءتهم الرسل، أي: استمرُّوا عَلَى التكذيب، من لدن مجيء الرسل إليهم إِلىَ أن ماتوا مصرِّين مع تتابع الآيات. ﴿كذلك﴾ مثل ذَلِكَ

١ - كذا في الأصل، والصواب: «التي».

الطبع الشديد ﴿**يطبع ا لله على قلوب الكافرين(١٠١)**﴾ بما علم منهم أنـهُم يختـارون الكفر.

﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد**﴾ يعني أنَّ أكثر النَّاس ينقضون عهد ا لله وميثاقه فِي الطاعة، لأنـهُم كـانوا إذا عـاهدوا ا لله فِي ضرٍّ ومخافـة قـالوا: لئن أنجيتنـا لنؤمننَّ، ثُـمَّ لَمـَّا نجَّـاهم نكثـوا. ﴿**وإن وجدنـا أكـثرهم [١٧٦] لفاسقين(١٠٢)**﴾ خارجين عن الطاعة؛ والوجودُ[١] بمعنى العلم.

﴿**ثُمَّ بَعَثنا مِن بعدِهم موسى بآياتنا إلى فرعونَ ومَلَئِه فَظَلَموا بهـا**﴾ فكفـروا بآياتنا، والظلم: وضع الشـيء فِي غـير موضعـه، وظلمهـم وضعهـم الكفـر موضـع الإيمـان، جـرى الظلـم مجرى الكفـر لأنـهُما مـن واد واحـد، لأَنَّ الشـرك لظلـم عظيم[٢]، أو فظلموا النـاس بسببها حين آذوا مـن آمـن بهـا، أو لأَنـَّهُ إذ أوجَبَ الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بهـا ظلمـا حيـث وضعـوا الكفـر غـير موضعه وَهُوَ موضع الإيمان. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(١٠٣)**﴾.

﴿**وقال موسى يا فرعون**﴾ يقال لملوك مصر: الفراعنة، كمـا يقـال للملـوك فارس: الأكاسرة، فَكَأَنـَّهُ قال: يـا ملـك مصـر، واسمـه قـابوس، أو الوليـد بـن مصعب فيما قيل. ﴿**إنـي رسول من رب العالمين(١٠٤)**﴾.

﴿**حقيق على أن لا أقول على ا لله إلاَّ الحقَّ**﴾ أي: أنا حقيق عَلَى قول الحقِّ، أي: واجب عَلَى قول الحقِّ أن أكون قابله، والقائم به، وَقِيلَ: حريـص عَلَـى أن لا

---

١ - فِي الأصل: «ولوجود».

٢ - اقتباس من قَوله تَعَالَى: ﴿يا بنيَّ لا تشرك با لله إنَّ الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان: ١٣).

أقول عَلَى الله إلاَّ الحقَّ؛ ﴿قد جئتكم ببَينَة من ربكم فأرسِلْ معي بني إسرائيل(١٠٥)﴾ فخلِّهم يذهبوا معي راجعين إلَى وطنهم، أو فاتركم (لَعَلَّهُ) فاتركهم[كذا] في أرض الله، ولا تمسَّهم بسوء، وَذَلِكَ أنَّ يوسف عليه السلام لَمَّا توفي غلب فرعون نسل الأسباط واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى.

﴿قال: إن كنتَ جئتَ بآية فأت بها إن كنت من الصادقين(١٠٦)﴾ فِي دعواك؛ ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين(١٠٧)﴾ أي: ثعبان حقيقيَّة لا وهميَّة ولا سحريَّة، كما تنقلب المعادن وتستحيل عن حالتها وصورتها عَمَّا كانت؛ ﴿ونزع يده﴾ من حينه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين(١٠٨)﴾.

﴿قال الملأ من قوم فرعون إنَّ هذا لساحر عليم(١٠٩)﴾ يعنون أنَّهُ لَيَأخذُ أعينَ الناس حَتَّى يخيل إليهم العصا حيَّة، والأدم أبيض. قيل: قاله هو وأشراف قومه عَلَى سبيل المشاورة فِي أمره. ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ فتصيروا مملوكين بعد أن كنتم مالكين، كما قال: ﴿وتكون لكما الكبرياء فِي الأَرض﴾[1] ﴿فماذا تأمرون(١١٠)﴾؟.

﴿قالوا أرجه﴾ أي: أخِّر أمره ولا تعجل، أو كَأنَّهُ همَّ بقتله. ﴿وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين(١١١)﴾ جامعين ﴿يأتوك بكُل ساحر عليم(١١٢) وجاء السحرة فرعون قالوا إنَّ لنا لأجرا إن كُنَّا نحن

---

١ - فِي الأصل سقط: «الأرض». وتمام الآية عَلَى لسان فرعون وملئه لموسى وأخيه هارون: ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عَمَّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فِي الأَرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾. يونس: ٧٨.

الغالبين(١١٣) قال نعم وإنَّكم لمن المقرَّبين(١١٤)﴾ لَمَّا وعدهم بالتقريب أغناهم عن الأجر المعيَّن.

﴿قالوا يا موسى إمَّا أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين(١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ أروها بالحيل والشعوذة، وخيَّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه. روي أَنَّهُم ألقوا حبالا غلاظًا، وخشبا طوالا، فَإِذَا هي أمثال الحيَّات قد ملأت الأرض. **﴿واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم(١١٦)﴾**.

﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقَّف﴾ تبتلع **﴿ما يأفكون(١١٧)﴾** ما يأفكونه، أي: يقلبونه عن الحقِّ إِلىَ الباطل، لأَنَّ الحقيقة خلاف ما رأوا ويزوِّرونه. روي أَنَّهَا تلقَّفت ملء الوادي من الخشب والحبال، ورفعها موسى فرجعت عصىً كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة، أو فرَّقها أجزاء لطيفة عَلَى حالها.

﴿فوقع الحقُّ﴾ فحصل وثنيـ[1]، وَقِيلَ: ثبت[2]. **﴿وبطل ما كانوا يعملون(١١٨)﴾** أي: ذهب عملهم، كَأَنَّهُ لم يكن. **﴿فغُلِبوا هنالك وانقلبوا صاغرين(١١٩)﴾** صاروا أذلاَّء مبهوتين، فقال السحرة: لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقت حبالنا وعصيُّنا، فَلَمَّا فقدت علموا [١٧٧] أَنَّ ذَلِكَ من أمر الله تَعَالَى. **﴿وألقي السحرة ساجدين(١٢٠)﴾** ذليلين مبهوتين

---

١ - كذا في الأصل، والكلمة غير واضحة.

٢ - هَذِهِ الكلمة ذات ثلاث نبرات غير منقوطة ـ كما في غالب الكتاب ـ أثبتناها حسب فهمنا، ولا شَكَّ أَنَّهَا ليست تكرارا للكلمة السابقة.

مستسلمين لله ولموسى، تائبين آيبين راجعين من دينهم وضلالهم إِلَى دين الله، وخرُّوا سجَّدًا لله، كَأَنَّهُم ألقاهم ملق لشدَّة خرورهم، و لم يتمالكوا مِمَّا رأوا، فكأنَّهم أُلقوا، فكانوا أَوَّل النهار كُفَّارًا سحرة، وَفِي آخره شهداء بررة، نسأل الله أن يرزقنا مَا رزقهم.

﴿**قالوا آمنَّا برب العالمين(١٢١) رب موسى وهارون(١٢٢) قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إنَّ هذا لمكر مكرتموه فِي المدينة لتخرجوا**[١] **منها أهلها**﴾ أي: فيصير أهلها مملوكين أذلاَّء بعد أن كانوا مالكين أعزَّاء. ﴿**فسوف تعلمون(١٢٣) لأقطِّعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثُمَّ لأصلِّبنَّكم أجمعين(١٢٤) قالوا إِنَّا إلى ربنا منقلبون(١٢٥)**﴾ فلا نبالي بما توعَّدتنا به لانقلابنا إِلَى لقاء ربِّنا ورحمته.

﴿**وما تنقم مِنَّا إِلاَّ أن آمنَّا بآيات ربنا لَمَّا جاءتنا**﴾ وما تعيب مِنَّا إِلاَّ الإيمان بآيات الله. ﴿**ربَّنا أفرغ علينا صبرا**﴾ اصبب صبًّا ذريعا، والمعنى: هب لنا صبرا واسعا ثابتا إِلَى الممات، لا تميل عنه أنفسنا، ﴿**وتوفَّنا مسلمين(١٢٦)**﴾ ثابتين عَلَى الإسلام.

﴿**وقال الملأ من قوم فرعون أَتَذَرُ موسى وقومَه ليفسدوا فِي الأرض**﴾ وأراد[٢] بالإفساد فِي الأرض دعاءهم الناس إِلَى مخالفة فرعون فِي عبادته. ﴿**ويذرك وآلهتك**﴾ أي: عبادتك وطاعتك، لأَنَّ فرعون يُعبد ولا يَعبد. ﴿**قال**

---

١ - فِي الأصل: «لتخروجوا». وَهُوَ خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وأرادوا».

سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ بتركهنَّ أحيـاء للاستعباد والاستخدام؛ **﴿وَإِنَّا فوقهم قاهرون(١٢٧)﴾**.

﴿قال موسى لقومه استعينوا با لله واصبروا﴾ قال لهم ذَلِكَ حين جزعـوا من قول فرعون تسليةً لهم ووعدا بالنصر عليهـم. **﴿إنَّ الأرض لله يورثهـا[١] من يشاء من عباده﴾** وَهُوَ مالكها يملِّك منها من شـاء بمـا يشـاء؛ **﴿والعاقبـة للمتَّقين(١٢٨)﴾** كانوا مـالكين أو مملوكـين، أغنيـاء أو فقـراء، بشـارة بـأَنَّ الخاتمة المحمودة للمتَّقين.

﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسـى ربُّـكم أن يهلـك عدوَّكـم ويسـتخلفكم في الأرض﴾ مـن بعـده **﴿فينظـر كيــف تعملون(١٢٩)﴾** فحقَّق ا لله ذَلِكَ فأغرق فرعون واستخلف بـني إسـرائيل فِي ديارهم وأموالهم، فعبدوا العجل.

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ سني القحط؛ تقول العرب: مسـَّتهم السنـة، أي: قحط السنة. **﴿ونقص من الثمرات لَعَـلَّهُم يذَّكَّرون(١٣٠)﴾** يبتلي ا لله عباده بما يشاء، ابتلى هؤلاء بما ذكر، وقال فِي غيرهم: **﴿فَلَمَّا نسـوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كُلِّ شَيء﴾**[٢]؛ وكذلك يبتلـي أهـل الطاعـة بهذا وَهَذَا، والعاصين بمثل ذَلِكَ، لأَنَّهُ العالم بـأحوال خلقـه، الحكيـم فِي جميـع أفعاله أفعاله[٣].

---

١ - فِي الأصل: «يرثها». وَهُوَ خطأ.

٢ - سورة الأنعام: ٤٤.

٣ - كذا فِي الأصل، «أفعاله» مكرَّرة.

﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾ أي: أُعطِيناها باستحقاقنا عَلَى العادة الجارية علينا فِي سعة أرزاقنا، ولم يروها تفضُّلا من الله ليشكروا عليها. ﴿وإن تصبهم سيئة يطَّيَّروا بموسى ومن معه﴾ تشاءموا بهم، وقالوا: هَـٰذِهِ بشؤمهم لما أصابتنا، وَهَـٰذَا إغراق فِي وصفهم بالغباوة والقساوة، قيل: إنَّ الشدَّة ترقو[1] القلوب وترغِّبها فيما عند الله، فإنَّ الشدائد ترقوا[كذا] القلوب وتذلِّل العرايك، وتزيل التماسك، سيما بعد مشاهدة الآيات، وهي لم تُؤثـِّر فيهم، بل ازدادوا عندها عتوًّا. ﴿ألاَ إنَّمَا طائرهم﴾ سبب خيرهم وشرِّهم ﴿عند الله﴾ فِي حكمه ومشيئته، أو سبب شؤمهم عند الله هو أعمالهم المكتوبة عنده، فَإِنـَّهَا التي ساقت إليهم ما يسوءهم. ﴿ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون(١٣١)﴾ أنَّ الذي أصابهم من عند الله.

﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين(١٣٢)﴾ أي: كُلُّ آيَة أتيتنا بها فِي [١٧٨] الماضي أو تأتينا بها فِي المستقبل فهي كذب، فما نصدِّقك فيها، وكانوا قد صمَّموا عَلَى تكذيبه.

﴿فأرسلنا[2] عليهم الطوفان﴾ ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل؛ قيل: طفا الماء فوق جروبهم[3]، وَذَلِكَ قيل: إنـَّهُم مُطروا ثمانية أيـَّام فِي ظلمة

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «تُرِقُّ».

٢ - فِي الأصل: «وأرسلنا». وَهُوَ خطأ.

٣ - لم أجد هَذَا الجمع للمعنى الذي يوافق السياق، و«الجريب من الأَرْض: مقدار معلوم الذراع والمساحة، وَهُوَ عشرة أقفزة... والجمع أجربة، وجُربان، وَقِيلَ: الجريب المزرعة، =

شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا، ولا يقدر أحد أن يخرج من داره؛ وَقِيلَ: دخل الماء فِي بيوت القبط حَتَّى قاموا فِي المـاء إِلَىَ تراقيهم، فمن جلس غرق، و لم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم؛ وَقِيلَ: هو الجدريُّ أو الطاعون أو الموت. ﴿والجرادَ﴾ فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم و لم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شَيء. (وابتلى الله الجراد بالجوع فكانت لا تشبع؛ وَقِيلَ: مكتوب عَلَى كُلِّ جرادة: "جند الله الأعظم")[1]. ﴿والقمَّل﴾ وهي الدبا[2] وَهُوَ أولاد الجراد؛ قيل: بنات[كذا] أجنحتها، أو البرغيث[3]، أو كبار القردان، وَقِيلَ: السوس الذي يخرج من الحنطة، فلم يصابوا ببلاء كان أَشَدَّ عليهم من القمَّل، وأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم كالجذريِّ

عن كراع. والجِربة بالكسر: المزرعة... وقال مرَّة: الجربة كلُّ أرض أُصلحت لزرع أو غرس... والجمع جِرْبٌ، كسدرة وسدر. الليث: الجريب: الوادي، وجمعه أجربة، والجربة: البقعة الحسنة النبات، وجمعها جِرب». ونلاحظ أنـَّهَا كلَّها تليق بالسياق، وليس من بينها ما يجمع على حروب. راجع: ابن منظور: لسان العرب، ٤٢٨/١، مادَّة: «جرب».

١ - ما بين قوسين مكتوب عَلَى حاشية الكِتَاب، و لم يضع الناسخ إشارة إليه فِي المتن، فوضعناه فيه حسب اجتهادنا.

٢ - كذا فِي الأصل، قال فِي اللسان: «والقمَّل صغار الذَّرِّ والدبي»، ثُمَّ أورد مختلف الأقوال فِي تفسير معنى القمَّل فِي الآيـَة. للتوسُّع انظر: ابن منظور: لسان العرب، ١٦٥/٥، مادَّة: «قمل».

٣ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «البراغيث».

عليهم، ومنعهم النوم. ﴿والضفادعَ﴾ وكانت تقع فِي طعامهم وشرابهم، حَتَّى إذا تكلّم الرجل وقع فِي فيه، فلقوا منها أذى شديدا. ﴿والدم﴾ أي: الرعاف، وَقِيلَ: مياههم انقلبت دما، حَتَّى إنَّ القبطيَّ والإسرائيليَّ إذا اجتمعا عَلَى إناء فيكون ما يلي الإسرائيليَّ ماء، وما يلي القبطيَّ دمًا؛ وَقِيلَ: سال عليهم السيل دما. ﴿آياتٍ مُفصّلات﴾ مبيِّنات ظاهرا لا تشكل عَلَى عاقل أنَّهَا من آيات الله، أو مفرّقات بين كُلِّ اثنين شهر[1]. ﴿فاستكبروا﴾ فلم يعتبروا بالآيات، ﴿وكانوا قوما مجرمين(١٣٣)﴾.

﴿وَلَمَّا وقع عليهم الرجز﴾ العذاب المذكور واحدًا بعد واحد، والطاعون، ﴿قالوا يا موسى ادعُ لنا ربَّك بما عهد عندك﴾ أي: بعهده عندك من إجابة دعوتك، ﴿لئن كشفتَ عَنَّا الرجزَ لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل(١٣٤)﴾.

﴿فلَمَّا كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ إِلَى حدٍّ من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذّبون فيه، لا ينفعهم ما تَقَدَّمَ لهم من الإمهال وكشف العذاب إِلَى حلوله؛ ﴿إذا هم ينكثون(١٣٥)﴾ بنقض العهد.

﴿فانتقمنا منهم﴾ هو ضدُّ الإنعام، كما أنَّ العقاب ضدُّ الثواب. ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ البحر الذي لا يدرك قعره ﴿بأنَّهُم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين(١٣٦)﴾ أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها، وَقِلّة فكرهم فيها.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «شهرًا»، عَلَى أَنَّهُ تمييز، ومع ذلك فالعبارة غير واضحة.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعَفون﴾ هم بنو إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون وقومه بالاستخدام والقتل؛ ﴿مشارقَ الأرض ومغاربَها﴾ التي أورثهم إيـَّاهَا، ﴿التي باركنا فيها﴾ بالخصب وسعة الأرزاق، وكثرة الأنهار والأشجار. ﴿وتمَّت كلمة ربك الحسنى﴾ وهي نعمته، ﴿عَلَى بني إسرائيل﴾ هو قَوله: ﴿عسى ربُّكم أن يهلكَ عدوَّكم ويستخلفكم فِي الأرض﴾[1]. ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم، وحسبك به حثـًّا عَلَى الصبر، ودالاًّ عَلَى أَنَّ من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه، ومن قابله بالصبر ضمن الله له بالفرَج. ﴿ودمَّرنا﴾ أهلكنا ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من العمارات وبناء القصور، ﴿وما كانوا يعرشون(١٣٧)﴾ من الجنَـّات، أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيَّدة. وَهَذَا آخر قصَّة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله، ثُمَّ أتبعه قصَّة بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر وغير ذَلِكَ، تسليةً [١٧٩] لِرَسُولِ اللهِ مِمَّا رأى من بني إسرائيل بالمدينة.

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ يواظبون عَلَى عبادتها كما يعبدون[2] أبناء زمانك أهويةَ أنفسهم بلا حجَّة، كلٌّ منهم نصب هواه صنما له يعبده من دون الله، لا يردعهم عن ذَلِكَ كِتَاب ولا سنَّة ولا إجماع ولا حجَّة عقل، ويقول: إن رُدِدتُ إِلَى ربـِّي

---

١ - سورة الأعراف: ١٢٩.

٢ - كذا في الأصل، والأصوب: «يعبدُ».

لأجدنَّ خيرا من هَذَا منقلبا[1]، فزيَّن لهم الشيطان سوء أعمالهم. ﴿**قالوا يا موسى اجعل لنا إلها**﴾ صنما نعكف عَلَيْهِ، وَفِي المـَعْنَى كَأَنـَّهُم طلبوا شيئا (لَعَلَّهُ) مِمـَّا تهواه أنفسهم بغير حقٍّ. ﴿**كمَا لَهُم آلهة**﴾ أصنام يعكفون عليها. قال يهوديٌّ لعليٍّ: اختلفتم بعد نبيِّكم قبل أن يجفَّ ماؤه، فقال: قلتم: اجعل لنا إلها و لم تجفَّ أقدامكم. وقد صدق اليهوديُّ فِي هَذَا، لأنـَّه[2] إذا وسوس الشيطان لأحد فِي شَيء من الباطل فاتـَّبعه فِي وسوسته فَكَأَنـَّما نصب ذَلِكَ الشيء صنما يعبده من دون ا لله، وقد قال ا لله: ﴿أ لم أعهد إليكم يا بني آدم ألاَّ تعبدوا[3] الشيطان إِنـَّهُ لكم عدوٌّ مبين، وأن اعبدوني هَذَا صراط مستقيم﴾[4]، وقال: ﴿أفرأيت من اتـَّخَذَ إلهه هواه﴾[5]، وليس من نصب صنما من الخشب والحجارة يعبده من دون ا لله بأَشَدَّ عجبا مِمَّن نصب هوى نفسه يعبده من دون ا لله. ﴿**قال إِنـَّكُم قوم تجهلون(١٣٨)**﴾ تعجَّب من قولهم عَلَى إثر ما رأوه من الآية العظمى، فوصفهم بالجهل المطلق وأكَّده.

﴿**إنَّ هؤلاء**﴾ يعني عبدة تلك التماثيل والصور التي صوَّروها بأهويتهم، ﴿**متبَّر**﴾ مهلك، من التبار، ﴿**ما هم فيه**﴾ أي: يتبِّر ا لله ويهدم دينهم الذي

---

١ - اقتباس من قصَّة صاحب الجَنـَّة الظالم لنفسه، الذي قال ا لله تَعَالَىٰ عَلَى لسانه: ﴿وما أظنُّ الساعة قائمة، ولئن رُددت إِلَىٰ رَبِّي لأجدنَّ خيرا منهما منقلبا﴾ (سورة الكهف: ٣٦).

٢ - هَذَا التعليل الذي ذكره المؤلِّف تعليقا عَلَى قصَّة عليٍّ مع اليهوديِّ غير مناسب، وَلَعَلَّ فِي العبارة سقطا.

٣ - فِي الأصل: «يا بني آدم لا تعبدوا...»، وَهُوَ خطأ.

٤ - سورة يس: ٦٠-٦١.

٥ - سورة الجاثية: ٢٣.

هم عليه. ﴿**وباطل ما كانوا يعملون(١٣٩)**﴾ أي: ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحلٌّ.

﴿**قال أغير الله أبغيكم إلها**﴾ أغير المستحقِّ للعبادة أطلب لكم معبودا؟! ﴿**وهو فضَّلكم على العالمين(١٤٠)**﴾ عَلَى سائر الموجودات، أو عَلَى عالَمي زمانكم.

﴿**وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب**﴾ يبغونكم شدَّة العذاب، من السلعة إذا طلبها، وَهُوَ يذكِّرهم نعمته. ﴿**يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم**﴾ أي: فِي الإنجاء، أو العذاب، ﴿**بلاء من ربكم عظيم(١٤١)**﴾.

﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ لإنزال التوراة، ﴿**وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي**﴾ كن خليفتي فيهم، ﴿**وأصلِح**﴾ ما يجب أن يصلح من أمر البلاد والعباد، ﴿**ولا تتَّبع سبيل المفسدين(١٤٢)**﴾ الصلاح ضِدُّ الفساد، لأنَّ الصلاح من الطاعة والفساد من المعصية.

﴿**وَلَمـَّا جاء موسى لميقاتنا**﴾ الذي وقَّتناه له، ﴿**وكلَّمه ربُّه**﴾ أوحى إليه بما شاء، ﴿**قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه**﴾ بقي عَلَى حاله، ﴿**فسوف تراني فَلَمَّا تجلَّى ربُّه للجبل**﴾ قيل: ما تجلَّى من عظمة الله للجبل إِلاَّ مثل سمِّ الخياط حَتَّى صار دكًّا، أي: مستويا بالأرض، ﴿**جعله دكًّا**﴾ مدكوكا مفتَّتا، ﴿**وخرَّ موسى صعقا**﴾ مغشيًّا عليه. قيل: إنَّ موسى كان عالما بِأَنَّ الله لا يرى ولكن طلب

قومه أن يريهم ربَّهم، كما قال مخبرا عنهم بقَولِهِ: ﴿لن نؤمنَ لك حَتّى نرى الله جهرة﴾[1] فطلب الرؤية لِيُبَيِّنَ الله تَعَالَىٰ أَنَّهُ ليس بمرئيٍّ. ﴿فَلَمَّا أفاق﴾ موسى من صعقته، وثاب[2] ورجع إِلَىٰ عقله، وعرف أَنَّهُ سأل أمرا لا ينبغي له، ﴿قال سبحانك تُبتُ إليك﴾ من السؤال، ﴿وأنا أوَّل المؤمنين(١٤٣)﴾ بعظمتك وجلالك، وأنَّك لا ترى فِي الدنيا ولا فِي الآخرة.

﴿قال يا موسى إِنِي اصطفيتك على الناس﴾ اخترتك عَلَى أهل زمانك، وَهُوَ يذكِّره نعمته التِي اختصَّه بها دون [١٨٠] النَّاس، ﴿برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك﴾ أعطيتك من شرف النبوَّة والحكمة فاعلمه واعمل به، ﴿وكن من الشاكرين(١٤٤)﴾ للنعمة بأن تطيع الله بها ولا تكفرها.

﴿وكتبنا له فِي الألواح﴾ ألواح التوراة، فالله أعلم بصفتها وعددها، ﴿من كُل شَيء﴾ يحتاجون له من أمر دينهم ودنياهم، لأَنَّهُ لا يجوز عَلَى الله أن يخلق خلقا خلقا[3]، ويتعبَّدهم بالطاعة، ويتركهم بغير هدى. ﴿موعظة﴾ بما تردعهم عن المعاصي، وترغِّبهم فِي الطاعة، ﴿وتفصيلا لِكُل شيء﴾ لما يحتاجون إليه. ﴿فخذها بقوَّة﴾ بجدٍّ واجتهاد وعزيمة؛ وَقِيلَ: بقوَّة القلب وصحَّة العزيمة، لأنَّه إذا أخذه بضعف النية أدَّاه فِي الفتور[4]، وإذا كان مَن أمثال موسى ويحيى لا ينال فهمها وحفظها إِلاَّ

---

١ - سورة البقرة: ٥٥.

٢ - يمكن أن نقرأ: «وتاب»، بالتاء المثنَّاة.

٣ - كذا فِي الأصل، مكرَّر.

٤ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «فِي فتور».

بِقُوَّةٍ مع زهدهم للدنيا، ورغبتهم للآخرة، وتوفيق الله لهم، أيطمع من هو أقلُّ منهما فهمًا وغريزة[كذا] وحفظا، وأقلُّهم رغبة فِي الآخرة إِلَى فهم الحكمة وأخذها بغير اجتهاد؟ كلاَّ! بل البلوغ عَلَى قدر الاجتهاد. ﴿وَأْمُرْ قومَكَ يأخذوا بأحسنها﴾ أي: بأعدلها وأقربها من الحقِّ، وأبعدها من الباطل. ﴿سأريكم دار الفاسقين(١٤٥)﴾ فرعون وقومه، أو منازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف خلت منهم، لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم، فتعاقبون مثل ما عوقبوا، أو جَهَنَّم.

﴿سأصرف عن آياتي﴾ عن التدبُّر فيها، أو عن فهمها. قال ذو النون قدَّس الله سرَّه: أبى الله أن يكرم قلوب البطَّالين بمكنون حكمة القرآن. ﴿الذين يتكبَّرون﴾ بالطبع عَلَى قلوبهم، فلا يتفكَّرون فيها ولا يعتبرون بها، وَقِيلَ: سأصرفهم من إبطالها وإن اجتهدوا؛ وَقِيلَ: سأصرفهم عن أن يتفكَّروا فيها ويعتبروا بها؛ وَقِيلَ: سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم؛ وَقِيلَ: سأحجب قلوبهم. ﴿فِي الأرض بغير الحق﴾ أي: يتكبَّرون بما ليس بحقٍّ، وَهُوَ دينهم الباطل. ﴿وإن يروا كُلَّ آية﴾ من الآيات المنزلة عليهم، وما كان من تأويلها والتِي ألهموها، ﴿لا يؤمنوا بها﴾ لعنادهم واختلال عقلهم[1] بسبب انهماكهم فِي الهوى والتقليد. ﴿وإن يروا سبيل الرشد﴾ صلاح الأمر وطريق الهدى، ﴿لا يَتـَّخِذُوه سبيلا﴾ لا يسلكوه، لاستيلاء الشيطنة عَلَيهم، ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ الضلال، ﴿يَتـَّخِذُوه سبيلا﴾ يقيموا عليه، ﴿ذَلِكَ﴾ الصرف، ﴿بِأَنـَّهُم كذَّبوا بآياتنا﴾ بسبب تكذيبهم، ﴿وكانوا عنها غافلين(١٤٦)﴾ غفلة عناد وإعراض، لا غفلة سهو وجهل.

---

١ - فِي الأصل: «علقهم»، وَهُوَ خطأ.

﴿والذين كذَّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجـزون إلا مـا كانوا يعملون(١٤٧)﴾.

﴿وَاتـَّخَذَ قومُ موسى مِن بعده﴾ من بعد ذهابه إِلىَ الطور، ﴿من حُليـهم عجلا جسدا له خوار﴾ وَهُـوَ صـوت البقـر، قيـل: صاغـه بنـوع مـن الحيـل، فيدخل الريح جوفه فتصوِّت، ثُمَّ عجب من عقولهم السخيفة فقال: ﴿ألم يـروا أنـَّهُ لا يكلِّمهـم﴾ دَلِيـل عَلَـى أَنَّ خـواره ليـس تكليمـا لهـم. ﴿ولا يهديهـم سبيلا﴾ لا يقدر عَلَى كلام ولا عَلَى هداية سبيل حَتَّى يختـاروه عَلَـى مـن لـو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد بعض كلماته[1]، وَهُوَ الـذي هدى الخلق إِلىَ سبيل الحقِّ بما ركَّز فِي العقول من الأَدِلَّة، وبما أُنزل فِي الكتـب، ثُـمَّ ابتـدأ فقـال: ﴿اتـَّخَذوه﴾ إلهـا، فـأقدموا عَلَـى هَــذَا المنكـر، ﴿وكـانوا ظالمين(١٤٨)﴾ باتـِّخاذهم الربوبيَّة (لَعَلَّهُ) لمربوب.

﴿وَلَمـَّا سُقط فِي أيديهـم﴾ وَلَمـَّا اشتدَّ ندمهـم عَلَـى عبـادة العجـل، ﴿ورأوا أنـَّهُم قد ضلُّوا﴾ تبيـَّنوا ضلالهم، كَأَنـَّهُم أبصروه بعيونهم، وبان لهـم الحقُّ بعدما أزاحوا عن قلوبهم الهوى الذي هـو كالحجـاب عَلَـى نـور العقـل، ﴿قالوا لئن لم يرحمنا [١٨١] ربُّنا ويغفر لنا لنكوننَّ من الخاسرين(١٤٩)﴾ المغبونين فِي الدنيا والآخرة.

---

١ - إشارة إِلىَ قوله تَعَالَى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات رَبِّي لنفد البحرُ قبلَ أن تنفَـدَ كلماتُ رَبِّي ولو جئنا بمثله مَدَدا﴾ سورة الكهف: ١٠٩.

﴿ وَلَمَّا رجع موسى﴾ من الطور ﴿إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي: حزينا، ﴿قال بئسما خلفتموني﴾ قمتم مقامي، وكنتم خلفائي، ﴿من بعدي﴾ والخطاب لعبدة العجل من السامريِّ وأشياعه، أو لهارون ومن معه من المؤمنين، وَيَدُلُّ عليه قَوله: ﴿اخلُفني في قومي﴾[1]، والمعنى: بئسما خلفتموني حيث عُبِد العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم يكفُّوا عن عبادة غير الله؛ ﴿أعجلتم﴾ أسبقتم بعبادة العجل ﴿أمر ربكم﴾ وَهُوَ إتياني لكم بالتوراة. ﴿وألقى الألواح﴾ عندما سمع خوار العجل، أو رآهم عاكفين عليه، أو عند مخاطبته لقومه غضبا لله، وكان في نفسه شديد الغضب؛ ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ غضبا عليه حيث (لَعَلَّهُ) ظنَّ به أَنَّهُ لم يمنعهم عن عبادة العجل، مع القدرة، ﴿يجرُّه إليه﴾ عتابا عليه. ﴿قال ابن أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ أي: أنِّي لم آلُ جهدا في كفِّهم بالوعظ والإنذار، وَلَكِنَّهُم استضعفوني وهمُّوا بقتلي، ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ السامريَّ وأشياعه الذين عبدوا العجل، أي: لا تفعل بي ما هُو أمنيتهم من الاستهانة بي، والإساءة إِليَّ، ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين(١٥٠)﴾ أي: لا تجعل منزلتي منزلتهم؛ فَلَمَّا اتَّضح له عذر أخيه،

﴿قال رب اغفر لي﴾ ما فرط مِنِّي في حقِّ أخي، ﴿ولأخي﴾ أن فرَّط في حسن الخلافة، ﴿وأدخلنا[2] في رحمتك﴾ فِي عصمتك فِي الدُّنْيَا، وجنَّتك فِي الآخِرَة، ﴿وأنت أرحم الراحمين(١٥١)﴾ فأنت أرحم بنا من أنفسنا.

---

١ - سورة الأعراف: ١٤٢.

٢ - في الأصل: «ودخلنا»، وَهُوَ خطأ.

﴿**إنَّ الذين اتَّخَذُوا العجل**﴾ إلها ﴿**سَيَنَالُهُم غضبٌ من ربـهم**﴾ قيل: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة، ﴿**وذلّة في الحياة الدنيا**﴾ خروجهم من ديارهم، فالغربة تذلُّ الأعناق، أو ضرب الجزية عليهم، ﴿**وكذلك نجزي المفترين(١٥٢)**﴾ أي: نجزي كلَّ مفترٍ عَلَى الله بالغضب والذلّة فِي الحياة الدنيا، وبالعذاب فِي الآخرة.

﴿**والذين عملوا السَّيئَات**﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿**ثُمَّ تابوا**﴾ رجعوا إِلَى الله، ﴿**من بعدها وآمنوا**﴾ أخلصوا الإيمان، ﴿**إن ربَّك من بعدها**﴾ أي: السَّيِّئَات، أو التوبة، ﴿**لغفور**﴾ لسَتور عليهم، ﴿**رحيم(١٥٣)**﴾ منعم عليهم بالجنَّة بعد ما وقع منهم من العبادة لغيره حين تابوا.

﴿**وَلَمَّا سكت**﴾ أي: سكن، وقرئ به. ﴿**عن موسى الغضب أخذ الألواح**﴾ التِي ألقاها، ﴿**وفي نسختها**﴾ اختلفوا فيه، قيل: المُرَاد به الألواح، لأنَّها نسخت من اللوح المحفوظ، وَقِيلَ: إنَّ موسى ألقى الألواح فتكسَّرت، فنسخ نسخة أخرى. ﴿**هدى**﴾ من الضلالة، ﴿**ورحمة**﴾ ورحمة من العذاب، ﴿**للذين هم لربهم يرهبون(١٥٤)**﴾ أي: الخائفين من ربِّهم؛ وَقِيلَ: أراد من ربِّهم يرهبون.

﴿**واختار موسى قومه**﴾ أي: من قومه، ﴿**سبعين رجلا**﴾ من أفضلهم، ﴿**لميقاتنا فَلَمَّا أخذتهم الرجفة**﴾ لأَنَّهُم قالوا: ﴿لن نؤمن لك حَتَّى نرى الله جهرة﴾. ﴿**قال رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإيَّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء مِنَّا**﴾ سؤال استغفار، أي: لاتهلكنا، ﴿**إن هي إلا فتنتك**﴾ ابتلاؤك

من الخير والشرِّ قلَّ أو كثر، صغر أو كبر، ﴿تضلُّ بها من تشـاء﴾ مـن اختـار منهم الضلال تزيده إضلالا وإبعادًا، ﴿وتهـدي من تشـاء﴾ مـن علمـت منـه اختيار الهدى تزيده هدى وقربة، ﴿أنت وليُّنا﴾ متـوليِّ أمورنـا، ﴿فـاغفر لنـا وارحمنا[1] وأنت خـير الغـافرين(١٥٥)﴾ فـالمغفرة هـي سـتر الذنـوب، كمـا يقال: مِغْفَرٌ عَلَى رأسه إِنَّمَـا هـو سَتَر رأسـه، [و]تغطّى بغطائـه، والمغفـر[ة] ستر، وغفران الذنوب سترها.

﴿واكتب لنا في هَـذِهِ الدنيـا حسـنة﴾ حيـاة طيِّـبة توصلنـا بهـا إلىَ دار الكرامة، [١٨٢] ﴿وفي الآخرة﴾ أي: اكتب لنا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَـا وَفِي الآخِـرَة حسنة، ﴿إنَّا هُدنا إليك﴾ أي: تُبنا. ﴿قال: عذابي أُصيبُ به مَن أشاء﴾ مَن اختارَ الكفرَ، ﴿ورحمتي وَسِعت كلَّ شيء﴾ أي: من صفة رحمتي أَنَّهَا واسـعةٌ تبلـغ كـلَّ شَـيء؛ مـا مـن مسـلم ولا كـافر إلاَّ وعليـه أثـرُ رحمـتي فِي الدنيـا. ﴿فسأكتبها﴾[2] أي: هَذِهِ الرحمة أكتب ثوابهـا فِي الآخـرة، ﴿للذيـن يتـَّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون(١٥٦)﴾.

﴿الذيـن يتبعـون الرسـول النبـي الأمـي الـذي يجدونـه مكتوبـا﴾ نعتـه ﴿عندهم[3] في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف﴾ بخلع الأنداد، والانصـاف العباد[كذا]. ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ وَهُوَ ترك عبادة سوى ا لله. ﴿ويحلُّ لهـم

١ - في الأصل: - «وارحمنا».

٢ - في الأصل: «فأكتبها»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: - «عندهم».

الطَّيِّبات ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم قيل: التكاليف الصعبة، كقتل النفس فِي توبتهم، وَقِيلَ: ذنبهم الذي عملوه فيضعه عنهم بغفرانه لهم؛ **﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾** هي الأحكام الشاقَّة التي كانت عليهم فِي دينهم، **﴿فالذين آمنوا به﴾** بالنبي الأمي، **﴿وعزَّروه﴾** وعظَّموه، أو منعوه من العدو، حَتَّى لا يقوى عليه، **﴿ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾** هو القرآن، **﴿أولئك هم المفلحون(١٥٧)﴾** الفائزون بِكُل خير فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، والناجون من كُل شرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

﴿قل يا أَيُّهَا الناس إِنِّي رسول الله إليكم﴾ قيل: بعث كلُّ رسول إِلَىَ قومه خاصَّة، وبعث محمَّد ﷺ إِلَىَ كافَّة الإنس والجن، **﴿جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾** المعنى: مَن مَلَكَ العالم كان هو الإله عَلَى الحقيقة، وَفِي «يحيي ويميت» بيان لاختصاصه بالإلهيَّة، إذ لا يقدِر عَلَى الإحياء والإماتة غيره، ولا يستحقُّ العبادة سواه، **﴿فآمنوا بالله ورسوله النبيِّ الأمِّيِّ الذي يؤمن بالله وكلماته﴾** أي: الكتب المنزَّلة، **﴿واتَّبعوه لَعَلَّكم﴾** أي: لكي، **﴿تهتدون(١٥٨)﴾**.

﴿ومن قوم موسى أُمَّة يهدون بِالحَقِّ﴾ أي: يأمرون بِالحَق، **﴿وبه يعدلون(١٥٩)﴾** وبالحق يعدلون، أي: ينهون عن ضده وَهُوَ المنكر.

﴿وقطَّعناهم﴾ وصيَّرناهم فرقا، **﴿اثنتي عشرة أسباطا﴾** قيل: الأسباط القبائل، واحدها سبط، **﴿أمما﴾** لأنَّ كلَّ سبط كان أُمَّة عظيمة، وكلُّ واحدة كانت تؤمُّ خلاف ما تؤمُّه الأخرى. **﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه**

قومه﴾ أي: سألوه أن يستقيهم، وكان ليس معه ماء، **﴿أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾** عَلَى قدر الأسباط لِكُل سبط عين، وَذَلِكَ ليريهم الله قدرته الباهرة، إذا نبع لهم من حجر صمٍّ ماء عذبا سائغا للشاربين بضربة عصًا. **﴿قد علم كل أناس مشربهم وظلَّلنا[1] عليهم الغمام﴾** جعلناه ظليلا عليهم فِي التيه عن حر الشمس فيما قيل. **﴿وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى﴾** يذهب به عنهم كَلَب[2] الجوع. **﴿كلوا من طَيِّبَات ما رزقناكم﴾** فما شكروا هَذِهِ النعم، بدليل قَوله: **﴿وما ظلمونا﴾** وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم، **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون(١٦٠)﴾** ولكن كانوا يضرُّون أنفسهم، ويرجع وبال ظلمهم عليهم.

﴿وإذ[3] قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ليعبدوا الله فيه وحده. **﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا[4] حطَّة وادخلوا الباب سجَّدا نغفر لكم خطيئاتكم[5] سنزيد المحسنين(١٦١)﴾** وعدا من الله لِكُل محسن ليزاد عَلَى قدر إحسانه.

---

١ - فِي الأصل: «وضلَّلنا». وَهُوَ خطأ.

٢ - «والكَلَب أنف الشتاء وحدَّته... قال أبو حنيفة: الكُلْبة كلُّ شدَّة من قِبل القحط والسلطان وغيره، وَهُوَ فِي كُلبة أي فِي قحط وشدَّة من الزمان». ابن منظور: لسان العرب، ٢٨٣/٥، مادَّة: «كلب».

٣ - فِي الأصل: «وإذا». وَهُوَ خطأ.

٤ - فِي الأصل: «وكلوا حيث شئتم، وقالوا». وَفيها خطآن اثنان.

٥ - فِي الأصل: «خطاياكم»، وَهُوَ خطأ.

﴿فبدَّل الذين ظلموا منهم قولا﴾ خارجا عن الطاعة، ﴿غير الـذي قيـل لهـم﴾ وَهُوَ قوله: حطَّة. ﴿فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون(١٦٢)﴾.

﴿واسألهم عن القرية التي [١٨٣] كانت حـاضرة البحـر إذ يعـدون في السبت﴾ بتجاوزهم حدَّ الله فيه، وَهُوَ اصطيادهم، وقد مضت قصَّتهم، ﴿إذ تأتيهم حيتانُهم يومَ سَبْتِهِم شُرَّعا ويومَ لا يَسْبِتُون لا تأتيهم كَذَلِـكَ نبلوهـم بمـا كـانوا يفسـقون(١٦٣)﴾ بسـبب فسـقهم يسـَّر الله عَلَيْـهِم العسـرى، وأغلق عليهم باب اليسرى.

﴿وإذ قـالت أمـَّة منهـم﴾ جماعـة مـن صلحـاء القريـة الذيـن أيسـوا مـن وعظهم عظهم[1] بعدمـا ركبـوا الصَّعـبَ والذّلـول فِي موعظتهـم الآخريـن، لا يقلعون عن وعظهـم، ﴿لِـمَ تعظـون قومـا الله مهلكهـم﴾ باستئصالهم، ﴿أو معذِّبهم عذابـا شـديدا﴾ مـا دون الهـلاك، ﴿قـالوا معـذرة إلى ربـّكم﴾ أي: موعظتنا إبلاء[2] عذر الله، لِئَلاَّ ينسب فِي النهي عن المنكـر إِلىَ التفريـط، أي: وعظناهم للمعذرة. ﴿ولعلَّهم يتـَّقون(١٦٤)﴾ فيتركون ما هم عليه.

﴿فلَـمَّا نسوا ما ذكّروا به﴾ (لَعَـلَّهُ) أي: أهـل القريـة لَمـَّا تركـوا مـا ذكَّرهم به الصالحون. ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الموعظـون عـن العـذاب الشـديد، ﴿وأخذنـا الذيـن ظلمـوا﴾ الذيـن تركـوا مـا وعظـوا بـه، ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد، ﴿بما كانوا يفسقون(١٦٥)﴾.

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: - «عظهم».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «إبلاغ».

﴿فَلَمَّا عتوا عَمَّا نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين(١٦٦)﴾ مبعدين. والعذاب البئيس قيل: هو المسخ، قيل: صار الشباب قردة، والشيوخ خنازير، وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يَتَكَلَّمُون؛ والجمهور عَلَى أنـَّهَا ماتت بعد ثلاث؛ وَقِيلَ: مسخت قلوبهم لا أبدانهم، وجميع من عصى ا لله فهم مثل الأنعام والقردة بل أضلُّ وأعقل.

﴿وإذ تأذَّن ربُّك﴾ أي: علم، ﴿ليبعثنَّ عليهم﴾ أي: كتب عَلَى نفسه ليسلِّطنَّ عليهم، ﴿إلى يوم القيامة من يسومهم﴾ من يوليهم، ﴿سوء العذاب إنَّ ربـَّك لسريع العقاب﴾ لِلكُفَّارِ بالخذلان، ﴿وَإِنـَّهُ لغفور رحيم(١٦٧)﴾ للمؤمنين.

﴿وقطَّعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾ ومنهم ناس دون ذَلِكَ الوصف، منحطُّون عنه، وهم الفسقة. ﴿وبلوناهم بالحسنات وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنعم والنقَم ﴿لَعَلَّهُم يرجعون(١٦٨)﴾ يذَّكَّرون، فيحملهم التذكُّر إِلَى الرجوع إِلَى الحق.

﴿فخلف من بعدهم خلْف﴾ الخلْف بدل السوء، بخلاف الخلَف وَهُوَ الصالح، ﴿ورثوا الكتاب﴾ وقفوا عَلَى ما فيها و لم يعملوا بها، ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ حطام الدنيا وما يتمتَّع به منها، ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ لا يؤاخذنا ا لله بما أخذنا، ويتمنَّون عَلَى ا لله الأباطيل. ﴿وإن يأتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه﴾ كَأَنـَّهُم لا يتورَّعون عن عرض دنياويٍّ تناله أيديهم، وَهَذَا إخبار عَلَى حرصهم عَلَى الدنيا وإصرارهم عَلَى الذنوب، نقول: إذا أشرف لهم شَيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما، ويتمنَّون عَلَى ا لله المغفرة. ﴿ألم

يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ﴾ أي: بأن لا يقولوا، وَالمـُرَاد توبيخهم عَلَى القطع بالمغفرة مع عدم التوبة، والدلالة عَلَى أَنَّهُ افتراء عَلَى الله، وخروج عن ميثاق الكِتَاب، وليس فِي التوراة ميعاد المغفرة عَلَى الإصرار. **﴿ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير﴾** من ذَلِكَ العرض الخسيس، **﴿للذين يتّقون أفلا تعقلون(١٦٩)﴾** أَنَّهُ كَذَلِكَ.

﴿والذين يمسّكون بالكتاب﴾ التمسُّك: الاعتصام والتعلّق بالشيء، **﴿وأقاموا الصلاة﴾** خصَّ الصلاة مع أَنَّ التمسُّك بالكتاب يشتمل عَلَى كُل عبادة لأَنَّهَا عماد الدين. **﴿إنّا لا نضيع أجر المصلحين(١٧٠)﴾**.

﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ أي: قلعناه ورفعناه، كقوله: **﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾**[1]، **﴿كَأَنَّهُ ظلّة﴾** هي كلُّ ما أظلّك [١٨٤] من سقيفة أو سحاب، **﴿وظنّوا أنّه واقع بهم﴾** قيل: وَذَلِكَ لأَنَّهُم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها، فرفع الله الطور عَلَى رؤوسهم مقدار عسكرهم، وَقِيلَ لهم: إن قبلتموها عَلَى ما فيها وَإِلاَّ ليقعنَّ عليكم، فَلَمَّا نظروا إِلَى الجبل خرَّ كلُّ رجل منهم ساجدا عَلَى حاجبيه. **﴿خذوا ما آتيناكم بِقُوَّةٍ﴾** بجدٍّ وعزيمة، ولا تنسوه **﴿واذكروا ما فيه﴾** من النواهي والأوامر، **﴿لَعَلَّكُم تتقون(١٧١)﴾** قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق المؤدية إِلَى النَّار.

﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا﴾ هَذَا من باب التمثيل، ومعنى ذَلِكَ

---

١ - سورة البقرة: ٦٣.

أَنَّهُ نصب لهم من الأَدِلَّة عَلَى ربوبيَّته ووحدانيَّته، وشهدت بها عقولهم الـتِي ركَّبها فيهم، وجعلها مميزة بين معرفة الرب والمربوب، وَكَأَنَّهُ فِي المعنى عَلَى هَذَا القول: أشهدهم عَلَى أنفسهم وقرَّرهم، وقال لهم: «ألست بربكم»، فَكَأَنَّهُم قالوا: «بلى، أنت ربُّنا شهدنا عَلَى أنفسنا، وأقررنا بوحدانيَّتك». ﴿**أن تقولوا**﴾ أي: فعلنا ذَلِكَ من نصب الأَدِلَّة الشاهدة عَلَى صحَّتها العقول كراهة أن تقولوا ﴿**يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عن هذا غافلين(١٧٢)**﴾ لم نُنَبَّه عليه. فإن قيل: كيف يلزم الحُجَّة واحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل عَلَى وحدانيَّته وصدق رسله فيما أخبر، فإن أنكر كان اذى[1] ناقضًا للعهد، ولزمته الحُجَّة، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

﴿**أو تقولوا**﴾ أو كراهة أن تقولوا، ﴿**إِنَّمَا أشرك آباؤنا من قبل وَكُنَّا ذرِّيَّة من بعدهم**﴾ فاقتدينا بهم، لأَنَّ نصب الأَدِلَّة عَلَى التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم فِي الإعراض عنه والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم فِي الشرك وأدلَّة التوحيد منصوبة لهم، لأَنَّ التقليد عند قيام الدليل، والتمكُّن من العلم به لا يصلح عذرا. ﴿**أفتهلكنا بما فعل المبطلون(١٧٣)**﴾ أي: كانوا السبب فِي شركنا، لِـتَأسِيسِهِم الشركَ، وتركهم سنَّه لنا، وَهُوَ شبيه قوله: ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾[2].

---

١ - كذا فِي الأصل، والصواب: «إِذَنْ».

٢ - سورة المائدة: ١٩. فِي الأصل: «ما وجدنا من بشير». وَهُوَ خطأ.

﴿وكذلك﴾ ومثل ذَلِكَ التفصيل البليغ، ﴿نفصِّل الآيات﴾ نبينها لهم ﴿وَلَعَلَّهُم يرجعون(١٧٤)﴾ عن شركهم، بفضلها، إِلىَ هَذَا ذهب المُحَقِّقُونَ من أهل التفسير، وذهب جمهور المُفَسرِين إِلىَ أَنَّ الله تَعَالىَ أخرج ذريَّة آدم مثل الذر، وأخذ عليهم الميثاق أَنَّهُ ربُّهم بقوله: «ألست بربكم»؟ فأجابوه بـ«بلى»، قالوا: وَهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها[1].

وقال ابن عَبَّاس: أخرج الله من ظهر آدم ذريَّة، وأراهم أباهم كهيئة الذر، وأعطاهم من العقل، وقال: هؤلاء ولدك ولدك[2]، آخذ عليهم الميثاق؛ (لَعَلَّهُ) أو خلقهم محتملين للتكليف.

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ أوتي علم بعض كتب الله، ﴿فانسلخ منها﴾ فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره، ﴿فأتبعه الشيطان﴾ فلحقه الشيطان، وأدركه وأحاط به، وصار قرينا له عند انسلاخه من الآيات، وكذلك يتبع كلٌّ من تصامم عن حُجَّة قامت عليه من حجج الله تبارك وتعالى. ﴿فكان من الغاوين(١٧٥)﴾ فصار من الضالِّين الكافرين.

﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ إِلىَ منازل الأبرار من العلماء، ﴿بها﴾ أي: رفعنا منزلته ودرجته بتلك الآيات، ﴿وَلَكِنَّهُ أخلد إلى الأرض﴾ سكن إِلىَ الدنيا ورغب فيها، ﴿واتَّبع هواه﴾ انقاد لما دعا إِلَيْهِ الهوى، من إيثار الدنيا

---

١ - إشارة إِلىَ قَوله تَعَالىَ: ﴿فأَقمْ وجهَكَ للدينِ حنيفا، فطرَةَ اللهِ التي فطرَ الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذَلِكَ الدين القيِّم ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون﴾. سورة الروم: ٣٠.

٢ - كذا في الأصل، مكرَّر.

ولذّاتها[1] عَلَى الآخرة ونعيمها. ﴿**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه**﴾ أي: تزجره وتطرده، ﴿**يلهث [١٨٥] أو تتركه**﴾ غير مطرود ﴿**يلهث**﴾ قيل: معناه هو ضالٌّ وُعظ أو تُرك، ويخرج معناه أَنَّهُ معذّب بلهثه، حُمل عليه أو طُرد، وَقِيلَ: إن زجرته لم ينزجر، وَإن تركته لم يهتدِ. قال الغزالي: سواء عليه أتيته بالحكمة أو لم تؤته فلا يدع شهوته. قال القتيبيُّ: كُلُّ شَيء يلهث من إعياء إِلاَّ الكلب، فَإِنَّهُ يلهث فِي حال الكلال أو فِي حال الراحة. ﴿**ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا**﴾ وَذَلِكَ مثل لِكُل من كذّب بشيء من آيات الله قامت عليه من كِتَاب أو سنّة أو حُجَّة عقل. ﴿**فاقصص القصص**﴾ أي: قصص القرآن لأمّتك، ﴿**لَعَلَّهُم يتفكّرون(١٧٦)**﴾ فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته.

﴿**ساء مثلا القوم**﴾ أي: بئس مثلُ القومِ ﴿**الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون(١٧٧)**﴾ فكان هَذَا مثلا لِكُل من كذّب بشيء من آيات الله، وظلم نفسه بِذَلِكَ.

﴿**من يهدِ[2] الله فهو المهتدي ومن يضلل**﴾ تصريح بِأَنَّ هداية الله تختصُّ ببعض دون بعض، وَأَنَّها مستلزمة للاهتداء، والمعنى تنبيه عَلَى أَنَّ المهتدي واحد لاتحاد طريقهم، بخلاف الظالمين، وَعَلَى أَنَّهُ فِي نفسه كمال جسيم، ونفع عظيم، لو لم يحصل له غيره لكفاه، وَأَنَّهُ المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعاجلة. ﴿**فأولئك هم الخاسرون(١٧٨)**﴾.

---

١ - في الأصل: «والذاتها».

٢ - في الأصل: «يهدي». وَهُوَ خطأ.

﴿**ولقد ذرأنا**﴾ أي: خلقنا ﴿**لجهنَّم كثيرا من الجنِّ والإنس**﴾ هم الكُفَّار من الفريقين، المعرضون عن تدبُّر آيات ا لله، وا لله علم منهم اختيار الكفر، فكان منهم ما كان، وكان مسيرهم وسعيهم وعملهم إليها، كُلَّمَا مضى عليهم وقت من أعمارهم قربوا منها، ولا ينافي[1] بين هَذَا وبين قَوله: ﴿وما خلقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إلاَّ ليعبدون﴾[2]. ثُمَّ وصف علاماتهم فقال:

﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ الحقَّ من الباطل، إذ لا يلقونها إِلَىٰ معرفة الحق والنظر فِي الأَدِلَّة، ﴿**ولهم أعين لا يبصرون بها**﴾ طريق الجَنَّة من طريق النار، ولا ينظرون إِلَىٰ ما خلق ا لله نظر اعتبار، ﴿**ولهم آذان لا يسمعون بها**﴾ الآيات والمواعظ، سماع تأمُّل وتذكُّر. ثُمَّ ضرب لهم مثلا فِي الجهل والاقتصار عَلَى الأكل والشرب والباءة فقال: ﴿**أولئك كالأنعام**﴾ فِي عدم الفقه والإبصار للاعتبار، وَفِي أَنَّ مساعدهم[3] وقواهم متوجه[4] إِلَىٰ أسباب التعيُّش والتشهي، مقصورة عَلَى ذَلِكَ؛ ﴿**بل هم أضلُّ**﴾ ما يمكن لها أن تدرك من المنافع وتجتهد فِي جذبها ودفعها غاية جهدها، وهم ليسوا كَذَلِكَ، بل أكثرهم يعلم أَنَّهُ معاند ليقدم عَلَى النَّار. ﴿**أولئك هم الغافلون(١٧٩)**﴾ الكاملون فِي الغفلة. فالآدميُّ روحانيٌّ شهوانيٌّ، سماويٌّ أرضيٌّ، (لَعَلَّهُ) فإن غلب روحُه هواه فاق ملائكة السماوات، وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض.

---

١ - كذا فِي الأصل، والصواب: «ولا تَنافِيَ».

٢ - سورة الذاريات: ٥٦.

٣ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «سواعدهم».

٤ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «متوجِّهة».

﴿و لله الأسماء الحسنى﴾ لأنَّها دالَّة عَلَى معاني هي أحسن المعاني، وَالمـُرَاد بها الألفاظ، وَقِيلَ: الصفات، فمنها ما يستحقُّه بحقائقه كالقديم قبل كُل شَيء، والباقي بعد كُل شَيء، والقادر عَلَى كُل شَيء، والعالم بِكُل شَيء، والواحد الذي ليس كمثله شَيء؛ ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها، كالغفور الرحيم، والشكور والحليم؛ ومنها ما يوجب النحلوبه[1] كالفضل والعفو؛ ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال، كالسميع والبصير والمقتدر، ومنها ما يوجب الإجلال كالتعظيم والتكبير؛ ومنها ما يوجب الهيبة كالقهَّار ونحوه. ﴿فادعوه بها﴾ فسمُّوه بتلك الأسماء، ونزهوه عَمَّا لا يليق به، والمعنى: فَكُلُّ [١٨٦] اسم من أسماء الله تبارك تَعَالىَ يوجب إجلالا فيعظَّم به، وكلُّ اسم منها يوجب تنزيها فيُنزَّه به، وكلُّ اسم منها يوجب هيبة فيهاب منه، وكلُّ اسم منها يوجب رحمة فيرجى به، وكلُّ اسم منها يوجب معنى من المعاني فيعبد (لَعَلَّهُ) بدلالة ذَلِكَ الاسم (لَعَلَّهُ) الدال عَلَى ذَلِكَ المعنى. ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمُّونه بغير الأسماء الحسنى، بما لا تجوز عليه، والإلحاد: العدول عن القصد. ﴿سيجزون ما[2] كانوا يعملون(١٨٠)﴾.

﴿وَمِمَّن خلقنا﴾ للجنَّة، لأَنَّهُ فِي مقابلة: ﴿ولقد ذرأنا لجهنَّم﴾. ﴿أمَّة يهدون بِالحَقِّ وبه يعدلون(١٨١)﴾ ذكر ذَلِكَ بعدما بيَّن أَنَّهُ خلق للنار

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «التحَلِّي به».

٢ - في الأصل: «بما». وَهُوَ خطأ.

طائفة ضالِّين ملحدين عن الحق للدلالة عَلَى أنَّهُ خلق أيضًا للجنَّة أُمَّة هادين بالحق، عادلين فِي الأمر، واستدلَّ به عَلَى صِحَّة الإجماع، لأنَّ المـُرَاد منه أنَّ فِي كُل قرن طائفة بِهَذِهِ الصفات: *«لا تزال أمَّتي قائمة بأمر الله، لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حَتَّى يأتي أمر الله، وهم عَلَى ذَلِكَ»*[1].

﴿والذين كذَّبوا بآياتنا سنستدرجهم﴾ سنستدبُّهم قليلا قليلا من الطاعة إِلَى المعاصي عَلَى غير علم منهم بِذَلِكَ، لقوله: ﴿من حيث لا يعلمون(١٨٢)﴾ ما يراد بهم، وَذَلِكَ أن يزيِّن له سوءُ عمله فيراه حسنا؛ واستدرجَه: خدعه وأدناه، كدرَّجه وأقلقه حَتَّى تركه يدرج عَلَى الأرض. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرَّج إِلَى الشيء فِي خفية قليلا قليلا، فلا يباغت ولا يجاهر ومنه...[2]

﴿وأملي لهم﴾ أردف لهم النعم وأمهلهم؛ ﴿إنَّ كيدي متين(١٨٣)﴾ أخذي شديد، سمَّاه كيدا لأنَّهُ شبيه بالكيد من حيث إنَّهُ فِي الظاهر إحسان، وَفِي الحقيقة خذلان. وَلَمَّا نسبوا النبيَّ ﷺ إِلَى الجنون فنزل[3]:

---

١ - متَّفق عَلَيْهِ رواه الشيخان وأحمد عن معاوية، وورواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن ثوبان. انظر حديث رقم ٧٢٨٩، و٧٢٩٠ فِي صحيح الجامع. (برنامج سلسلة كنوز السنَّة: الجامع الصغير وزياداته).

٢ - هنا إحالة إِلَى الهامش ولم يكتب الناسخ فيه شيئا، وَفِي العبارة سقط واضح.

٣ - الصواب حذف الفاء.

﴿أولم يتفكّروا ما بصاحبهم﴾ بمحمّد ﷺ ﴿من جِنّة﴾ من جنون، ﴿إن هو إلاّ نذير مبين(١٨٤)﴾ منذر من الله، موضح إنذاره، ثُمَّ حثّهم عَلَى النظر المؤدي إِلىَ العلم فقال:

﴿أولم ينظروا﴾ نظر استدلال ﴿في ملكوت السماوات والأرض﴾ الملكوت: الملك العظيم؛ وَقِيلَ: الملكوت هو كُلُّ ما غاب عن العوام وما لم يدرك إلاّ بنور البصيرة فهو من الملكوت؛ ومعاني جملة القرآن من الملكوت، ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وفيما خلق الله مِمَّا يقع عليه اسم الشَّيْء من أجناس لا يحصرها العدد (لَعَلَّهُ) لما خلق له ليدلّهم عَلَى كمال قدرة صانعها، وتوحيد مبدعها، وعظم شأن مالكها ومتولّي أمرها، ليظهر لهم صِحَّة مَا يدعوهم إِلَيْهِ. ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ وَلَعَلَّهُم يموتون عَمَّا قريب فيسارعون إِلىَ النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب. ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: بعد القرآن، ﴿يؤمنون(١٨٥)﴾ بِأي كِتَاب غير ما جاء مُحَمَّد[1] ﷺ يؤمنون إذا لم يؤمنوا به، كَأَنَّهُ قيل: لَعَلَّ أجلهم قد اقترب، فما لهم لا يبادرون [إِلىَ] الإيمان بالقرآن قبل الفوت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأي حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا، ولكنَّ الحاصل من معناهم:

﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ لعدم هداية الله إِيَّاهُم، ﴿ويذرهم في طغيانهم يعمهون(١٨٦)﴾ يتحيّرون.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «ما جاء مُحَمَّدًا»، أو «ما جاء به مُحَمَّدٌ».

﴿يسألونك عن الساعة﴾ وهي من الأسماء الغالبة، كـالنجم للثريـًا، وَسميَـت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنـَّهَا عند الله طولها كساعة من الساعات [١٨٧] عند الخلق؛ أو لأنـَّهَا تأتي فِي ساعة من الساعات. ﴿أيـَّان﴾ بمعنى: متى، ﴿مرساها﴾ إرساؤها أو وقت إرسائها، أي: إثباتهـا، وَالمـَعْنَى: متى يرسيها الله؟ ﴿قل إِنـَّمَا علمها عند ربي﴾ أي: عِلـم وقـت إرسـائها عنـده قـد استأثر به، لم يخبر به أحدا، من ملك مقرَّب ولا نـبيٍّ مرسـل، ليكـون ذَلِـكَ أدعـى للطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أخفـى الأجـل الخـاصَّ للمخلـوق، وَهُـوَ وقـت الموت. ﴿لا يجلِّيها لوقتها إلاَّ هو﴾ لا يظهر أمرها، ولا يكشف خفـاء علمهـا إلاَّ هو وحده، ﴿ثقلت فِي السماوات والأرض﴾ أي: كـلُّ مـن أهلهـا مـن الملائكـة والثقلين أهمَّه شأن الساعة خوفا من عـذاب الله، ويتمنـَّى أن يتجلَّـى لـه علمهـا، وشـقَّ عليـه خفاؤهـا، وثقـل عليـه؛ أو ثقلـت هـي، لأنَّ أهلهـا يخـافون شـدائدها وأهوالها. ﴿لا تأتيكم إلاَّ بغتة﴾ فجـأة عَلَـى غفلـة، كمـا قـال ﷺ: «إنَّ السـاعة تهيج بالناس، والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقوم سـلعته فِي سوقه، والرجـل يرفـع ميزانـه ويخفضـه»[1]. ﴿يسـألونك كأنـَّك حفـيٌّ عنهـا﴾ كَأَنـَّكَ عالم بها، وحقيقتُه كَأَنـَّكَ بليغ فِي السؤال عنهـا، لأنَّ مـن بـالغ فِي المسـألة عن الشَّيْء والتنقير[2] عنـه استحكم علمـه منهـا. ﴿قـل إِنـَّمـا علمهـا عنـد الله ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون(١٨٧)﴾ إِنـَّهُ المختصُّ بالعلم بها.

---

١ - فِي الأصل: «يخفظه». وَهُوَ خطأ.

٢ - «وانتقر الشيءَ، وتنقَّره ونقَّره ونقَّر عنه، كـلُّ ذلـك: بَحـث عنـه، والتنقـير عـن الأمـر: البحث عنه». ابن منظور: لسان العرب، ٦/٧٠٢، مادَّة «قلب».

﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضَرًّا إِلاَّ ما شاء ا لله﴾ إظهارًا للعبودية، وبراءة عَمَّا يَخْتَصُّ بالربوبيَّة من علم الغيب، أي: أنا عبد ضعيف، لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرٍّ كما كان للمماليك، إلاَّ ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عَني؛ **﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسَّني السوء﴾** أي: لكانت حالي عَلَى خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء، حَتَّى لا يَمَسَّني منها شَيء؛ وَقِيلَ: الغيب: الأجل، والخير: العمل، والسوء: الوجل؛ ويحتمل الغيب فِي الأمور والاختيارية[كذا][1] المبهمة عليه، فيما يُخَصُّ من أمر دينه ودنياه، **﴿إن أنا إِلاَّ نذير وبشير﴾** إن أنا إِلاَّ عبد أرسلت بشيرا ونذيرا؛ وما من شأني أن أعلم الغيب، **﴿لقوم يؤمنون(١٨٨)﴾** (لَعَلَّهُ) بالغيب.

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ ليطمئنَّ إليها ويميل، **﴿فَلَمَّا تغشَّاها حملت حملا خفيفا﴾** وهي النطفة، **﴿فمرَّت به﴾** فاستمرَّت به، وقامت وقعدت، **﴿فَلَمَّا أثقلت﴾** حان وقت ثقل حملها، **﴿دعَوَا ا لله ربَّهما لئن آتيتنا صالحا﴾** لئن وهبت لنا ولدا سويًّا قد صلح بدنه، أو ولدا ذكرا، لأنَّ الذكورة من الصلاح، أو ولدا (لَعَلَّهُ) نبيًّا. **﴿لنكوننَّ من الشاكرين(١٨٩)﴾** أي: لنطيعك به.

﴿فَلَمَّا آتاهما صالحا﴾ ما طلبا، وَهُوَ ولد مطيع، **﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾** (لَعَلَّهُ) لم يجعله ا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خالصا، وَالمَعْنَى: لم يطع ا لله سُبحَانَهُ

---

١ - كذا في الأصل، ويمكن أن نقرأ: «ويَحتمِل الغيب فِي الأمور، والاختبار به المبهمة عَلَيْهِ»، وَلَعَلَّ الصواب حذف واو العطف.

به، ﴿فتعالى ا لله عَمَّا يشركون(١٩٠) أيشركون ما لا يَخلق شيئا وهم يُخلقون(١٩١)﴾ يعني الأصنام والرؤساء والسلاطين والقدماء [كذا]. ﴿ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون(١٩٢)﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها.

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون(١٩٣) إنَّ الذين تدعون[1] من دون ا لله عباد أمثالكم فادعوهم﴾ لجلب نفع، أو دفع ضرٍّ، ﴿فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين(١٩٤)﴾ أنَّهُم مستحقُّوا العبادة من دون ا لله.

﴿أَلَهُم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها﴾ الحقَّ، ﴿أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم﴾ واستعينوا بهم فِي عداوتي، [2] ﴿ثُمَّ كيدون﴾[3] جميعا، فبالغوا فيما تقدرون عليه أنتم [١٨٨] وشركاؤكم، ﴿فلا تنظرونِ(١٩٥)﴾ فلا تمهلوني فَإِنِّي لا[4] أبالي بكم.

﴿إن وليي﴾ وناصري عليكم ﴿ا لله الذي نزَّل الكتاب وهو يَتَوَلَّى الصالحين(١٩٦)﴾ لا غير، لأَنَّ من سنَّته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم.

---

١ - فِي الأصل: «يدعون»، وَهُوَ خطأ.

٢ - كتبت عبارة فِي الهامش بخطِّ نفس الناسخ، ولا يوجد ما يثبت أَنَّهَا للمؤلِّف أم من إضافة الناسخ، ولم توجد فِي المتن أي: إحالة إِلَيْهِ، وأثبتناها فِي سياقها باجتهادنا، وَهَذَا نصُّها: «نفى عنهم هَذِهِ القوى لأَنَّها إن كانت جمادا فهي خالية من ذَلِكَ، فِي الظاهر والباطن، وإن كانت حيوانا فلا تنفعهم بتلك القوى، فكانت فِي المعنى كالمعلومة منها».

٣ - فِي الأصل: «كيدوني»، وَهُوَ خطأ.

٤ - فِي الأصل: «فإنِّي الا أبالي».

﴿**والذين تدعون**[1] **من دونه لا يستطيعون نصركم**﴾ لا يدفعون عنكم شَيئا، ﴿**ولا أنفسهم ينصرون(١٩٧)**﴾ ولا يدفعون عنها شيئا يضرُّها، ﴿**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون(١٩٨)**﴾ وجوه الصلاح.

﴿**خذ العفو**﴾ اهو [كذا] ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم، والدنيا وما فيها، ولا تطلب منهم الجهد وما يشقُّ عليهم حَتَّى لا ينفروا، كقوله ﷺ: «يسروا ولا تُعسروا». ﴿**وأمر بالعرف**﴾ هو كل خصلة يرتضيها العقل، ويقبلها الشرع، ﴿**وأعرض عن الجاهلين(١٩٩)**﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عنهم، أو لا تعمل كعملهم، وفسَّرها جبريل ﷺ بقوله: «*صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمَّن ظلمك، ولا تخن من خانك*»[2]. وعن الصادق: «أمر الله نبيَّه بمكارم الأخلاق»، وليس فِي القرآن آيَة مفسرة أجمع لمكارم الأخلاق منها، وما سواه ينافي الحكمة، لأنَّ

---

١ - فِي الأصل: «يدعون»، وَهُوَ خطأ.

٢ - لم نعثر عَلَيه بهذا اللفظ، وَإِنَّمَا وجدنا:

- رواية الترمذيِّ عن أبي هريرة بلفظ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. كتاب البيوع، رقم ١١٨٥. وروى نحوه: أبو داود: كتاب البيوع، رقم ٣٠٦٧، ٣٠٦٨. أحمد: مسند المكيِّين، رقم ١٤٨٧٧. الدارمي: كتاب البيوع، رقم ٣٤٨٤.

- رواية أحمد بلفظ: «أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ»، مسند المكيِّين، رقم ١٥٠٦٥.

من أراد الإنصاف من الناس فِي معاملتهم طلب ما لا يدرَك وتعب. ويوجد عن أبي سعيد فيما أرجو فِي تأويل هَذِهِ الآيَة قال: فتأوَّل ذَلِكَ المسلمون بالرواية عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «صِل من قطعك، وأعط من منعك، وأنصف من ظلمك، واعف عَمَّن شتمك»[1]، وَهَذَا كلُّه من الحق، وبالحق، وللحق. وقد قال من قال من المسلمين: من عصى الله فينا، أطعنا الله فيه، فلا يكون إلاَّ هكذا، والله الموفِّق للصواب.

﴿وَإِمَّا ينزغنَّك من الشيطان نزغ﴾، وما[2] ينخسنَّك منه نخس، بأن يحملك بوسوسته عَلَى خلاف ما أمرت به، وَهُوَ أن تغضب لغير الله، ولا يخرجْكَ غضبك من الحق، ﴿فاستعذ بالله﴾ ولا تطعه، والنزغ: النخس، كَأَنَّهُ ينخس النَّاس حَتَّى يغرَّ بهم عَلَى المعاصي، ﴿إِنَّهُ سميع﴾ لنزغه، ﴿عليم(٢٠٠)﴾ بدفعه.

﴿إنَّ الذين اتَّقوا إذا مَسَّهم طائف من الشيطان﴾ هي الوسوسة، وَهَذَا تأكيد لما تَقَدَّمَ من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وإنَّ عادة المُتَّقِينَ إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان، وإلمام بوسوسته، ﴿تذكَّروا﴾

---

١ - رواه أحمد بلفظ: «...قَالَ عُقْبَةُ ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الأَعْمَالِ، فَقَالَ: "يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ"». أحمد مسند الشاميِّين، رقم ١٦٦٩٦، ورقم ١٦٨١٠.

٢ - كذا في الأصل، والصواب: «وَإِمَّا».

أي: رجعوا إِلَىٰ نور العلم، فامتثلوا ما أمر ا لله به، وانتهوا عَمَّا عنما[1] نَهَى عنه فيما دعاهم إِلَيْهِ. ﴿فإذا هم مبصرون(٢٠١)﴾ أي: انكشف لهم الإشكال فأبصروا الحقَّ فاتَّبعوه، ودفعوا وسوسته، وحقيقة ذَٰلِكَ أن يفرُّوا منه إِلَىٰ ا لله، فيزدادوا بصيرة من ا لله وبا لله.

﴿وإخوانهم﴾ وَأَمَّا إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإنَّ الشياطين من الجن ﴿يمدُّونهم في الغي﴾ يكونون مَدَدا لهم فيه، ويعضدونهم، يمدُّونهم: من الإمداد مدبي[كذا]، وَقِيلَ: لِكُل كافر أخٌ شيطانيٌّ. ﴿ثُمَّ لا يقصرون(٢٠٢)﴾ ثُمَّ لا يمسكون عن إغوائهم، حَتَّى يصرُّوا ولا يرجعوا. وجاز أن يراد: بالإخوان: الشياطين، ويرجع الضمير المُتَعَلِّق به إِلَى «الجاهلين»، وَالأَوَّل أوجَه، لأَنَّ «إخوانُهم» فِي مقابلة: «الذين اتَّقوا»، وَإِنَّمَا جمع الضمير فِي «إخوانُهم» والشيطان[2]، لأَنَّ المُرَاد به الجنس.

﴿وإذا لم تأتهم بآية﴾ مقترحة، ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ هلاَّ اخترتها، أي: اختلقتها كما اختلقت ما قبلها. ﴿قل إِنَّمَا أتَّبع ما يوحى إِلَيَّ من رَبي﴾ ولست بمقترح لها. ﴿هذا بصائر من ربكم﴾ هَذَا القرآن [١٨٩] بصائر القلوب، بها تبصر الحقَّ، وتدرك الصواب، ﴿وهدى﴾ يهدي إِلَىٰ الحق، ﴿ورحمة﴾ ينال الرحمة من اتَّبعه، ﴿لقوم يؤمنون(٢٠٣)﴾ به.

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لَعَلَّكُم ترحمون(٢٠٤)﴾ ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن فِي الصلاة وغيرها،

---

١ - كذا في الأصل، والصواب: - «عنما».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وأفردَه فِي "الشيطان"».

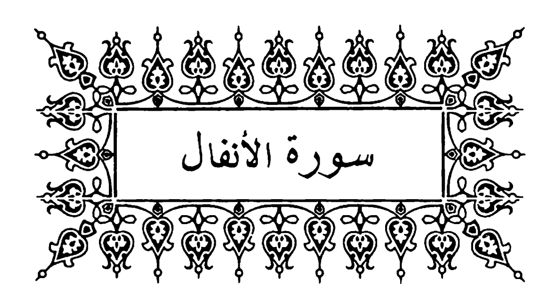
وَقِيلَ: معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا لـه، والجمهـور عَلَى أنَّ[1] فِي استماع المؤتم. وإذا كان الاستماع واجبا عَلَى المؤتم فما ظنُّك فِي الإمام أو المصلّي وحده إذا قرأ وَهُوَ ساهي القلب!.

﴿واذكر ربَّك في نفسك﴾ قيل: عامٌّ فِي الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذَلِكَ، ﴿تضرُّعا وخيفة﴾ متضرعا وخائفا. ﴿ودون الجهر من القول﴾ ومتكلّما كلاما دون الجهر، لأَنَّ الإخفاء أدخل فِي الإخلاص، وأقرب إِلَى حسن التفكُّر، ﴿بالغدو والآصال﴾ لفضل هذين الوقتين، وَقِيلَ: المـُرَاد: إدامة الذكر باستقامة الفكر، وَمَعْنَى «بالغدو» بأوقات الغدو، وهي الغداة، والآصال جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، وَهُوَ العشيُّ، ويمكن أن يريد بذَلِكَ الصلاةَ، لأَنَّ الذكر صلاة. ﴿ولا تكن من الغافلين(٢٠٥)﴾ من الذين يغفلون عن ذكر الله، ويلهون عنه، فتصير مصيدا للشيطان، لأَنَّ الشيطان يخنس عند الذكر.

﴿إن الذين عند ربك﴾ مكانةً ومنزلةً لا مكاناً منزلا، يعني الملائكة، ومن اقتدى بهم من الإنس، ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ لا يتعظّمون، ولا يستنكفون، ﴿ويسبحونه﴾ وينزهونه عَمَّا لا يليق به، ﴿وله يسجدون(٢٠٦)﴾ يخصُّونه بالعبادة ولا يشركون به غيره، وَهُوَ تعريض للاقتداء بهم حسب الطاقة، لا فِي وقت دون وقت، ولا فِي حال دون حال. وَذَلِكَ من مباهاة الله بالملائكة عباده المؤمنين.



١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أنَّه».



سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**يسألونك عَن الأنفال، قل: الأنفال لله والرسول**﴾ النفل: الغنيمة، لأنَّها من فضلِ الله وعطائه، والأنفال: الغنائم، سُئل عَن قَسْمِها، فقال لَهُ: إنَّ حكمها مختصٌّ بالله ورسوله، يَأْمُرُ الله بقسمتها رسوله عَلَى مَا تقتضيه حكمته، ﴿**فاتَّقُوا الله**﴾ فِي الاختلاف والتخاصم، وكونوا مُتَآخين فِي الله، ﴿**وأصلحوا ذاتَ بينِكم**﴾ أحوال بينكم، يعني: مَا بينكم مِنَ الأحوال، حَتَّى تكون أحوالَ أُلفةٍ ومحبَّة واتفاق. وقال الزجَّاج: مَعْنَى «ذات بينكم» حقيقة وَصلِكم، والبَيْن الوصل، أَي: فاتَّقُوا الله، وكونوا مجتمعين عَلَى مَا أمر الله ورسوله بِهِ، ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كُنتُم مؤمنِينَ(١)**﴾ فإنَّ الإيمان يقتضي ذَلِكَ، لأَنَّ من اختلَّ مِنْهُ الإيمان الحقيقيُّ لاَ تتأتَّى مِنْهُ النيات الخالصة، وَلاَ الأعمال الصالحة، ولا[1] الأقوال الصادقة. يقول: ليس المؤمن الذِي (لَعَلَّهُ) كذَّب الله ورسوله، إِنَّمَا المؤمن الصادق، وعلامة صدقه كما قَالَ:

---

١ - في الأصل: «والا»، وهو خطأ.

﴿إنَّمَا المؤمنون﴾ صفة كاملي الإيمان، ﴿الذِينَ إِذَا ذُكر ا لله وجلَت قلوبهم﴾ فزعت لذكره استعظاما لَهُ، وترغيبا لما عنده، وتهيُّبا من جَلاله وعزه وسلطانِه، وإذا خُوف با لله انقاد خوفا من عقابه، ورجاءً لثوابه، ﴿وإذا تُليت عَلَيْهِم آياتُه﴾ القرآنُ وتأويله، ﴿زادتهم إيمانا﴾ ازدادوا بها يقينا واطمئنانيَّة، لأَنَّ تظاهرَ الأَدِلَّة أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدَمه، أو زادتهم إيمانا بتلك الآيات، لأَنَّهم لم يقفوا عليها بعدُ، ولمعرفتهم لأحكامها زيادة إيمان مَعَ إيمانهم. ويروى عَن عمر بن حبيب أَنَّهُ قَالَ فكانت لَهُ صحبة[كَذَا]: «إنَّ للإيمان زيادة ونقصانا»، قيل: فما زيادته؟ قَالَ: «إِذَا ذكرنا ا لله وحمدناه، فَذَلِكَ زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فَذَلِكَ نقصانه». وَقِيلَ: كتب عمر بن عبد العزيز إِلَى عديّ بن [١٩٠] عديٍّ: «إنَّ الإيمان فرائض وشرائع، وحدود وسننٌ[1]، فمن استكملها استكمل الإيمان»، ﴿وعلى ربِّهم يتوكَّلُونَ(٢)﴾ يعتمدون؛ وَلاَ يفوضون أمورهم إِلَى غير ربهم، لاَ يخشون وَلاَ يرجون إِلاَّ ربَّهم.

﴿الذِينَ يُقيمون الصلاة، وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ(٣)﴾ جمَع بين أعمال القلوب مِنَ الوجل والإخلاص والتوكُّل، وبين أعمال الجوارح مِنَ الصدقة والصلاة، لأَنَّ أعمال الجوارح لاَ تتأتَّى وَلاَ تستقيم إِلاَّ باستقامة أعمال القلوب؛ لأَنَّ القلب هُوَ السلطان. ﴿أُولَئِكَ هُمُ المؤمنون حقًّا﴾ لأَنَّهُم حقَّقوا إيمانهم، وشهدَ لَهُمُ الدَّلِيل أَنَّهُم عَلَى الحق والصدق؛ ﴿لَهُم درجات﴾ مراتب بعضها فوق بعض، عَلَى قدر الأعمال، ﴿عند ربِّهم ومغفرة﴾ وتجاوز لسيئاتهم، ﴿ورزق كريم(٤)﴾ صافٍ عَن كد الاكتساب، وخوف الحساب.

---

١ - في الأصل: «حلودا وسننا»، وهو خطأ. ، أو: «أنَّ للإيمان فرائضَ وشرائعَ، وحدودًا وسننًا».

﴿كما أخرجك رَبُّكَ من بيتك﴾ يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها، لأَنَّهَا مَهجره ومَسكنه، ﴿بالْحَقِّ﴾ إخراجا مُلتبسا بالحكمة والصواب. ﴿وإنَّ فريقا مِنَ المؤمنين لكارهُونَ(٥)﴾ قيل: إنَّهُم منافقون كرهوا ذَلِكَ اعتقادا، ويحتمل أن يكونوا مخلصِينَ[1]، ويكون ذَلِكَ كراهة طبع، لأَنَّهُم غير متأهبين لَهُ. ﴿ يُجادلونَك فِي الحقِّ﴾ الحقّ الذِي جادلوا فِيهِ رسول الله، تلقّي العير عَلَى تلقّي النفير لإيثارهم عليه. ﴿بعد مَا تَبيَّنَ﴾ بعد إعلام رسول الله بأَنَّهُم يُنصرون، وجدالُهم قولهم: مَا كَانَ خروجنا إلاَّ للعير، وهلاَّ قلت لَنَا لنستعدَّ، وَذَلِكَ لكراهتهم القتال عَلَى مَا قيل. ﴿كَأَنَّمَا يُساقون إِلَى الموت وَهُم ينظرُونَ(٦)﴾ شبَّه حالهم فِي فرط فزعهم، وَهُم يُسَار بِهم إِلَى الظفر والغنيمة بحال من يُقاد إِلَى القتل، ويُساق إِلَى الصغار إِلَى الموت، وَهُوَ مشاهد لأسبابه، ناظر إِلَيْهِا لاَ يشكُّ فِيهَا.

﴿وإذ يَعِدُكم الله إحدى الطائفتين أَنَّهَا لكم﴾ وهما العير والنفير، ﴿وتودُّون أنَّ غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ أي: العير، وذات الشوكة ذات السلاح، والشوكةُ كَانَت فِي النفير لعَدَدهم وعدَّتهم، أي: تتمنَّون أن تكون لكم العير لأَنَّهَا الطائفة التِي لاَ سلاح لها، وَلاَ تريدون الطائفة الأخرى. ﴿ويريدُ الله أن يحقَّ الحقَّ﴾ أي: يثبته، ويُلقِيه ﴿بكلماته﴾ بِآيَاتِه المنزلة فِي محاربة ذات الشوكة، وبما أمر المَلاَئِكَة من نزولهم للنصرة، وبما قضى فِي قتلهم، ولِيَبلو بعضكم ببعض، لتعظيم الأجر، ﴿ويَقطَعَ دابِرَ

---

[1] - فِي الأصل: «مخصلين»، وهو خطأ.

﴿الْكَافِرِينَ(٧)﴾ آخرهم، والدبُرَ: الآخر، وقطعُ الدبر عبارة عَن الاستئصال. يعني: أنَّكُم تريدون الفائدة العاجلة، وسفساف الأمور، وَا للهُ تَعَالَى يريد معاليَ الأمور ونصرة الحق، وعلوَّ الكلمة، وشتَّان مَا بين المـُرَادين، وِلِذَلِكَ اختار لكم الطائفةَ ذات الشوكة، وكَسرَ قوَّتهم بضعفكم، وأعزَّكم وأذلَّهم.

﴿ليحقَّ الحقَّ﴾ ليثبت الإسلام، ﴿ويبطل الباطل﴾ ويُذهب الباطل، أي: مَا أمركم بقتال الطائفة ذات الشوكة إلاَّ لإظهار الحق وإثباته، وإبطال الكفر ومَحقِه. ﴿ولو كَره المجرمُونَ(٨)﴾ المشركون.

﴿إذ تَستَغِيثون ربَّكم﴾ لَمـَّا علموا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ القتال طَفِقوا يدعون ا لله، يقولون: «رب انصرنا عَلَى عدوك»، ﴿فاستجاب لكم﴾ فأجاب: ﴿أنّي ممدُّكم﴾ أي: مُمدُّكم[كَذَا] ﴿بألف مِنَ المَلاَئِكَة مُردِفِينَ(٩)﴾ بكسر الدال وبفتحها عَلَى أَنَّهُ أردفَ كلَّ ملَك ملَكا آخر.

﴿وَمَا جعله ا لله﴾ أي: الإمداد الذِي دَلَّ عليه «مُمِدُّكم»، ﴿إلاَّ بُشرى﴾ إلاَّ بشارةً لكم بالنصر، كما جعل المال فِي اليد سببا للرزق، ﴿ولتطمئنَّ [١٩١] بِهِ قلوبكم﴾ لأَنَّ طَبعَ النفوس تطمئن وتسكن إِلَى مَا تراه عين اليقين، وكقول إبراهيم: ﴿ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾[1]. ﴿وَمَا النصرُ إلاَّ مِن عندِ ا لله﴾ أي: وَلاَ تَحسبوا النصر مِنَ المَلاَئِكَة، فإِنَّ الناصر هُوَ ا لله لكم وللمَلاَئِكَة، أو مَا النصر بالمَلاَئِكَة وغيرهم مِنَ الأسباب إلاَّ مِن عند ا لله،

١ - سورة البقرة: ٢٦٠.

واختُلِف فِي قتال المَلاَئِكَة، فقيل: إنّهم كَانُوا يقاتلون بأيديهم، نَزلوا فِي صُوَرُ الرجال، عَلَيْهِم ثياب بِيض وعمائم بيض، قد أَرخُوا أذيالها بين أكتافهم؛ وقيل: أنّهم لم يقاتلوا، وإنّما كَانُوا يُكثّرون السواد، ويُثبتون المؤمنين، كقوله: ﴿فثبتوا الذِينَ آمنوا﴾، وَإلاّ فَمَلَك وَاحِد كاف فِي إهلاك أهل الدُّنْيَا. ﴿إنّ الله[1] عزيز﴾ ينصرُ أولياءه، ﴿حكيم(١٠)﴾ يقهر أعداءه.

﴿إذْ يُغشِيكم[2] النعاس﴾ النوم، والفاعل هُوَ الله عَلَى القِراءتين[3]. ﴿أمَنَة﴾ بمعنى أمنا، فالنوم يُزيح الرعب، ويُريح النفس؛ قيل النعاس فِي القتال أمنةٌ، ﴿مِنْه﴾[4] مِنَ الله، وفي الصلاة مِنَ الشيطان، ﴿وينزّل عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاء ماء ليطهّركم بِهِ، ويُذهب عنكم رجزَ الشيطان﴾ طاعته وعبادته، ﴿وليربطَ عَلَى قلوبكم، ويثبّت بِهِ الأقدام(١١)﴾ بالربط، لأنَّ القلب إِذَا تمكّن فِيهِ الصبر يُثبت الأقدام فِي مواطن القتال.

﴿إذ يُوحي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَة أَنّي معكم﴾ بالنصر، ﴿فثبّتوا الذِينَ آمنوا﴾ بالإلهام بالبشرى بالنصر، أو الجنّة، و قيل: بالمعونة. ﴿سأُلقي فِي قلوب الذِينَ كَفَرُوا الرعبَ﴾ هُوَ امتلاء القلب مِنَ الخوف، وعدم الثبات[كَذَا] مِنَ المَلاَئِكَة لَهُم، لأنَّ الذِي يثبتهم وهُوَ الشيطان ﴿إِذَا تراءت

---

١ - فِي الأصل: - «الله»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصل: «يغشاكم»، وهو خطأ.

٣ - فِي الأصل: «والفاعفل هو الله عَلَى القراتين».

٤ - فِي الأصل: - «منه»، وهو خطأ.

الفئتان نكصَ عَلَى عَقِبَيه، وقال: إِنِي بريء منكم إِني أرى مَا لاَ ترون...﴾[1] الآية. ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أي: أعالي الأعناق التِي هِيَ المذابح، تطييرا للرؤوس، أو إرادة الرؤوس[2]، لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهَامِ، ﴿واضربوا مِنهُم كُلَّ بَنَانٍ(١٢)﴾ هِيَ الأصابع يريد الأطراف، والمَعنَى: فاضربوا المَقَاتل.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إِلَى مَا أصابهم مِنَ الضرب والقتل والعقاب العاجل؛ ﴿بأنَّهم شاقُّوا الله ورسولَه﴾ أي: ذَلِكَ العقاب وقع بسبب مُشاقَّتهم، أَي: مخالفتهم، وهي مشتقّة مِنَ الشق، كلُّ المتعادين فِي شقٍّ خلافَ شق صاحبه، وكذا المعاداة والمخاصمة، لأَنَّ هَذَا فِي عُدوة[3] وخصم، أَي: جانب، وَذَا فِي عداوة وخصم. ﴿ومن يُشَاقِقِ الله ورسوله، فإنَّ الله شديدُ العقاب(١٣)﴾ أَي: يُعاقب المشاقِقَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة.

﴿ذلكم فذوقوه وأنَّ للكَافِرِينَ عذابَ النار(١٤)﴾ أَي: ذوقوا العاجل مَعَ الآجل الذِي لكم فِي الآخِرَة.

---

١ - سورة الأنفال: ٤٨؛ وتمامها: ﴿وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس، وَإِنـي جارٌ لكم، فَلَمَّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال: إِنـي بريءٌ منكم، إِنـي أرى ما لا تَرَون إِنـي أخاف الله والله شديد العقاب﴾.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أو أَرَادَ الرؤوسَ».

٣ - «والعِدَى والعُدوة والعِدوة، والعَدوة، كلُّه: شاطئ الوادي». ابن منظور: لسان العرب، ٤/٧١٤، مادَّة «عدا».

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِذَا لَقِيتم الذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ الزحف: الجيش الدَّهْمُ[1] الذِي يُري لكثرته كأنَّه يَزحف، أَي: يدبُّ دبيبا، من "زَحَفَ الصبيُّ" إِذَا دبَّ عَلَى أُستِه قليلا قليلا. ﴿فلا تُولُّوهم الأدبار(١٥)﴾ فلا تنصرفوا عَنْهُم منهزمين إِذَا لقيتموهم للقتال.

﴿ومن يولِّهم يومئذ دُبُره إِلاَّ متحرِّفا﴾ مائلا ﴿لقتال﴾ وَهُوَ الكرُّ بعد الفر، يخيلُ عدوَّه أنَّه مُنهزم، ثُمَّ يعطف عليه، وَهُوَ مِن خُدع الحرب، ﴿أو متحيِّزا﴾ مُنضمًّا ﴿إِلَى فئة﴾ إِلَى جماعة أُخْرَى مِنَ المُسْلِمِينَ، ﴿فقد باء بغضب مِنَ ا لله ومأواه جهنَّم وبِئْسَ المصير(١٦)﴾.

﴿فلَمْ تَقتُلوهُم ولكنَّ ا لله قَتَلَهم﴾ إن افتخرتم بقتلهم، فأنتم لم تقتلوهم، ولكن ا لله قتلهم؛ لأَنَّ فِي الحقيقة لاَ فاعل إِلاَّ ا لله، وَمَا سواه أفعال وهمية، وهذه الآيَة ناعية للمُعجَبين بأعمالهم، ﴿وَمَا رَمَيتَ إِذ رمَيتَ ولكنَّ ا لله رَمَى﴾ يحتمل إذ رمَيت مجازا ولكنَّ ا لله رَمَى [١٩٢] فِي الحقيقة، وفي الآيَة بيان أنَّ فِعلَ العبد مُضاف إِلَيْهِ كَسبًا، وإلى ا لله تعالى خلقا، ومعناه قد عَفَر فِي وجوه المشركين بكف رمل حين أَخَذ أصحابُه القتال، فكَانَ ذَلِكَ سبب هزيمة أعداء ا لله. ﴿ولِيُبلِيَ المؤمنين مِنْهُ بلاءً حسنا﴾ لأَنَّ مآل جزائهم بالإحسان، ضدَّ مَا يُبلي غيرهم وَهُوَ العذاب الأدنى، ﴿إِنَّ ا لله سميعٌ﴾ لدعائهم، ﴿عليم(١٧)﴾ بأحوالهم.

---

١ - الدَّهْمُ: الكثير. قال «الأزهريُّ: وَلَـمَّا نزل قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل: "ما تستطيعون يا معشر قريش وأنتم الدَّهم أن يغلب كلُّ عشرة منكم واحدًا منهم" أي وأنتم كثير. وجيش دَهْم: أي كثير». ابن منظور: لسان العرب، ١٠٢٧/٢.

﴿ذلكم﴾ إشارة إِلَىَ البلاء الحسنِ. ﴿وأنَّ ا لله موهنٌ كيد الْكَافِرِينَ(١٨)﴾ إذ لاَ أساس[1] لَهُ وَلاَ مَدَدَ؛، لأَنـَّهُ مبنيٌّ عَلَى غرور الشيطان.

﴿إن تَستفتِحوا، فقد جاءكم الفتحُ﴾ إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم؛ قيل: هُوَ خطاب لأهل مكّة، لأنـَّهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة، وَقَالُوا: «اللهمَّ إن كَانَ محمَّد عَلَى حقٍّ فانصره؛ وإن[2] كُنـَّا عَلَى حقٍّ فانصرنا»، وقيل: «إن تستفتحوا» خطاب للمؤمنين. ﴿وإن تنتهوا﴾ أيـُّها الْكَافِرُونَ عَن عداوة رسول ا لله ﷺ، ﴿فهو خير لكم، وإن تَعُودوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصرته عليكم، ﴿ولن تُغنِي عنكم فئتُكم﴾ جمعكم ﴿شَيْئًا ولو كثرت﴾ عددا، ﴿وأنَّ ا لله مَعَ المؤمنِينَ(١٩)﴾ بالنصر.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا أطيعوا ا لله ورسوله وَلاَ تولَّوا عَنْهُ﴾ عَن رسول ا للهِ ﴿وأنتم تسمعُونَ(٢٠)﴾ آيات ا لله.

﴿وَلاَ تكونوا كالذين قَالُوا: سمعنا﴾ أي: ادَّعوا السماع، ﴿وَهُم لاَ يَسمَعُونَ(٢١)﴾ لأنـَّهم ليسوا بمصدقين، وكأنـَّهم غير سامعين، والمعنى: أنـَّكُم تصدقون بالقرآن والنبوَّة، فإذا تولَّيتم عَن طاعة الرسول فِي بعض الأمور أشبه سَمَاعُكم سماعَ من لاَ يُؤْمِنُ، ثُمَّ قَالَ:

﴿إنَّ شرَّ الدوابِّ﴾ أي: شرُّ من دبَّ عَلَى وجه الأَرْض من خَلقِ ا لله، ﴿عند ا لله الصمُّ البكم﴾ عَن الحق، فلا يسمعونه وَلاَ يقولونه، ﴿الذِينَ لاَ

---

١ - في الأصل: «ساس»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «ون»، وهو خطأ.

يعقلُونَ(٢٢)﴾ أَمْرَ ا لله، أنَّ شرَّ من يدبُّ عَلَى وجه الأَرْض، أو أنَّ شرَّ البهائم الذِينَ هم صمٌّ عَن الحق لاَ يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثُمَّ جعلهم أشرَّ منها؛ لأنـَّهم عاندوا الحقَّ وكابروا العقل.

﴿ولو عَلِمَ ا لله فِيهِم﴾ فِي هؤلاء الصم البكم **﴿خيرا﴾** صدقا ورغبة، **﴿لأَسمَعَهم﴾** لَجعَلهم سامعين حتَّى يسمعوا سماع المصدقين، **﴿ولو أسمَعَهم﴾** بعد أن علم أن لاَ خير فِيهِم، مَا انتفعوا بِهِ، **﴿لتولَّوا﴾** عَنْهُ، ولو أسمعهم وصدَّقوا لارتدُّوا بعد ذَلِكَ ولم يستقيموا، أو ولو فهَّمهم معانيَ آياته لتولَّوا عَن العمل بها، **﴿وَهُم معرضُونَ(٢٣)﴾** عَن الإيمان والعمل بمقتضاه.

﴿يَا أَيـُّهَا الذِينَ آمنوا استَجِيبُوا لله وللرَّسول﴾ للطاعة **﴿إِذَا دعاكم﴾** وَالمُرَاد بالاستجابة: الطاعة والامتثال، وبالدعوة: البعث والتحريض. **﴿لِمَا يُحيِيكم﴾** الحياة الأبديَّة، من علوم الديانات والشرائع، لأَنَّ العلم حياةٌ، كما أنَّ الجهلَ موتٌ، **﴿واعلموا أنَّ ا لله يَحول بين المرءِ وقلبه﴾** أوجب عَلَى[1] المبادرة إِلىَ إخلاص القلوب، وتصفيتها قبل أن يَحول ا لله بينه وبين قلبه بالموت وغيره، فَيُمِيته، فتفوته الفرصة التِي هُوَ واجدها، وهي التمكُّن من إخلاص القلب، فاغتنموا هَذِهِ الفرصةَ وأخلصوا قُلوبَكم لطاعته، لأَنَّ القلوب تحيا وتموت، **﴿وأنَّه إِلَيْهِ تحشرُونَ(٢٤)﴾**.

﴿واتَّقُوا فتنةً لاَ تصيبنَّ الذِينَ ظلموا منكم خاصَّة﴾ واتَّقُوا فتنة، أَي: معصية ظهرت بين أظهركم من فاعلها، اتَّقُوها بالنهي لفاعلها، وأمروه

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: - «على».

بضدها وَهُوَ المعروف، فَإنَّكُم إن لم تفعلوا أصابتكم عاقبةَ الفتنـةِ الذِيـنَ أتوهـا أَنتُم وإيَّاهم، فَهُم استحقُّوا العقوبة بفعلهم لها، وأنتم بترَكِكُم الأمرَ بالمعروف والنهيَ عَـن المنكـر. ﴿واعلمـوا أنَّ ا لله شـديد العقـاب(٢٥)﴾ لمـن ارتكـب المعاصي [١٩٣] ولمن ترك الأمرَ بالمعروف والنهيَ عَن المنكر.

﴿واذكروا إذ أَنتُم قليلٌ مُستَضعَفُونَ فِي الأَرْض﴾ قيل: أرضُ مكَّـة قبـل الهجرة، ﴿تخافون أن يَتَخَطَّفَكم الناسُ﴾ لأنَّ الناس كَانُوا لهم أعـداءً مضـادين ﴿فـآواكم﴾ إلىَ المدينـة، ﴿وأيـَّدَكم بنصـرِه﴾ بمظـاهرة الأنصـار، وبـإمداد المَلاَئِكَة، ﴿ورزقَكُـم مِنَ الطَّيِّبَـات﴾ مِـنَ الغنـائم، أو رزقكـم أطيـب مِمَّـا هاجرتم عَنْـهُ، ﴿لَعَلَّكُم تَشكرُونَ(٢٦)﴾ نِعَمَ ا لله التِي أوجدها لكم.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تخونوا ا لله﴾ بـأَنَّ تُعطِّلـوا فرائضـه، ﴿والرسـول﴾ بِأن لاَ تستنُّـوا بسنَّته، ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ فيما بينكم بِأن لاتحفظوها، ﴿وأنتـم تَعْلَمُونَ(٢٧)﴾ أنَّها أمانةٌ، أو تَبِعة ذَلِكَ وَوَبالَه، أو ﴿وأنتـم تَعْلَمُـونَ﴾ أنَّـكُم تخونون، ومعنى الخون: النُّقص، كما أنَّ معنى الوفاء: التمام.

﴿واعلموا أَنَّمَا أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾ أي: سببُ الوقوع فِي الفِتنـة، وهي الإثـم والعـذاب، أو محنـةٌ مِـنَ ا لله ليبلوكـم كيـف تحـافظون فِيهِـم عَلَـى حـدوده، ﴿وأنَّ ا لله عنـده أجـر عظيـم(٢٨)﴾ إِذَا امتـثلتُم فِي فتنـةِ أموالكـم وأولادكم أمرَ ا لله فيما ابتلاكُم بِهِ.

﴿يَا أَيـُّهَا الذِيـنَ آمنـوا إن تتـَّقوا ا لله يَجعَـلْ لكـم فرقانـا﴾ هدايـة فِي قلوبكم تفرقون بهـا بـين الحـق والبـاطل، ومخرجًـا مِـنَ الشـبهات، وشـرحا فِي

الصدور، وذَلِكَ إِذَا طهَّرتم قلوبكم مِن الهوى والمرض مخافة عقوبته، أبصرتم بعين البصيرة الميزَ بَين الحق والباطل، لقوله تعالى: ﴿ومن يتَّق ا لله يجعل لَهُ مَخرجًا ويرزقْه من حيث لاَ يَحتسِبُ﴾[1] أي: إن اتَّقيتم ا لله يجعل لكم مخرجًا مِنَ الشبهات. ﴿ويكفِّر عنكم سيِّئاتكم﴾ أي: الصغائر، ﴿ويَغفِر لكم﴾ ذنوبكم أي: الكبائر، ﴿وا لله ذو الفضل العظيم(٢٩)﴾ لمن اتَّقَاه، فجعل ا لله تعالى فُرقانه وتكفيرَه للسيئات وغفرانَه للذُّنوب بملازمة تقواه لاَ غير، فلا مطمع فِي الارتقاء فِي تلك المنازل السَّنيَّة، إلاَّ بملازمة تقواه بفعل مَا أَمَر بِهِ وتَرك مَا نهى عَنْهُ.

﴿وإذْ يمكر بك الذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: لـمَّا فتح ا لله عليه ذكَّرَه مَكْر قريش بِهِ حين كَانَ بمكَّة، ليشكر نعمة ا لله فِي نجاته من مكرهم، واستيلائه عليهم، ﴿ليُثبتوك﴾ ليحبسوك ويوثقوك، ﴿أو يقتلوك﴾ بسيوفهم، ﴿أو يُخرجوك﴾ من مكَّة، ﴿ويَمكرون﴾ ويخفون المكائد لَهُ، ﴿ويَمكُرُ ا للهُ﴾ ويُخفي ا لله مَا أعدَّ لَهُم حتَّى يأتيهم بغتةً من حيث لاَ يشعرون، ﴿وا لله خير الماكرِينَ(٣٠)﴾ أي: مَكْرُه أبعد من مكرهم وأبلغ تأثيرا؛ لأنَّ مكره عَلَى قدر عظمته، وعظمتُه ليست متناهيةً إِلىَ حدٍّ، ومكرُ ا لله: التدبير بِالْحَق.

﴿وإذا تُتلَى عَلَيْهِم آياتنا﴾ أي: القرآن، ﴿قَالُوا: قد سمعنا لو نشاء لقُلنَا مثل هَذَا، إن هَذَا إلاَّ أساطير الأولِينَ(٣١)﴾ وذلك من تعاظُم وقاحتِهم، لأنَّهم دُعوا إِلىَ أن يأتوا بسورة مِن مِثل القرآن، فلم يأتوا بها.

---

١ - سورة الطلاق: ٢-٣.

﴿وإذ قَالُوا: اللَّهُمَّ إن كَانَ هَذَا هُوَ الحقَّ من عندك، فأمطر علينا حجارةً مِنَ السَّمَاء﴾ روي أن النضر بن الحارث لمَّا قَالَ: ﴿إن هَذَا إلاَّ أساطير الأوَّلين﴾[1] قَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: *«ويلك إنَّ هَذَا كلام الله»* فرفع النضرُ رأسه إِلَى السَّمَاء وقال: ﴿إن كَانَ هَذَا هُوَ الحقَّ من عندك، فأمطِر علينا حجارةً مِنَ السَّمَاء﴾[2] أي: إن كَانَ القرآن هُوَ الحقُّ، فعاقبنا عَلَى إنكاره بالسجيل كما فعلتَ بأصحاب الفيل، **﴿أو ائتِنَا بعذاب أليم(٣٢)﴾** بنوع آخر، فقيل: إِنَّهُ قتل يوم بدرٍ صبرًا.

﴿وَمَا كَانَ الله ليعذِّبَهم وأنتَ فِيهِم﴾ الدلالة عَلَى أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مُسْتَقِيم، لأنَّك بُعثت رحمةً للعالمين؛ وسنَّته أن لاَ يعذِّب قومًا عذابَ استئصال، ما دام بَيْنَهُم بين أظهُرِهم، وفيه إشعار بأنَّهم مُرصَّدون بالعذاب إِذَا هاجر عَنْهُم، **﴿وَمَا كَانَ الله مُعذِّبهم [١٩٤] وَهُم يستغفرُونَ(٣٣)﴾** معناه نفى الاستغفار عَنْهُم، أي: ولو كَانُوا مِمَّن يُؤْمِنُ

---

١ - سورة الأنعام: ٢٥.

٢ - قائل هَذَا هو أبو جهل لا النضر بن الحارث عند البخاري ومسلم، فقدر روى البخاريُّ، عَنْ عَبْدِالْحَمِيدِ هُوَ ابْنُ كُرْدِيدٍ صَاحِبُ الزيَادِي سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ أَبو جَهْلٍ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ الآيَةَ. البخاري: كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٢٨١، ٤٢٨٢. مسلم: كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، رقم ٥٠٠٤.

ويستغفر مِنَ الكفر لَمَا عذّبهم، أو معناه: وَمَا كَانَ ا لله معذّبهم وفيهم من يستغفر، وَهُم المُسْلِمُونَ بين أظهرهم مِمَّن تخلّف عَن رسول ا لله مِنَ المستضعفين لعذر.

﴿وَمَا لَهُم ألاّ يعذّبهم ا لله﴾ أي: وما كان ا لله ليعذّبهم وأنت فيهم، وهو معذّبهم إذا فارقتهم ﴿وَمَا لَهُم ألاّ يعذّبهم ا لله وَهُم يصدُّون عَن المسجد الحرام﴾ وكيف لاَ يُعذّبون وحالُهم أنّهم يصدُّون عَن المسجد الحرام، أي: يمنعون المؤمنين الطواف بالبيت، وكَانُوا يقولون: نَحْنُ ولاّة البيت والحرَم، فنصدُّ من نشاء ونُدخل من نشاء، فقيل: ﴿وَمَا كَانُوا أولياءه﴾ وَمَا استحقّوا مَعَ إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاّة أمر الحرم، ولعلّهم يظنُّون أنّهم أولياؤه بمخالفتهم لأوليائه وَهُم المتّقون، كما قَالَ: ﴿إنْ أولياؤُه إلاّ المتّقون ولكنّ أكثرهم لاَ يَعْلَمُونَ(٣٤)﴾ ذَلِكَ من قلّة تدبُّرهم، فوُلاّة أمور الإسلام كلّها مَن اتّقى ا لله إلاّ مَا خُصَّ بِهِ غيرهم مِمَّا جعلوا فِيهِ أولياء.

﴿وَمَا كَانَ صلاتُهم عند البيت إلاّ مُكاءً﴾ صفير كصوت المكاء، وَهُوَ طائر مليح الصوت أبيض، يكون بالحجاز لَهُ صفير فيما قيل؛ ﴿وتصديَة﴾: وتصفيقا، كَانُوا يفعلون نحو ذَلِكَ إِذَا قرأ رسول ا للهﷺ فِي صلاته يخلطون عليه فيما قيل؛ ﴿فذوقوا العذاب﴾ عذاب القتل والأسر، أو عام العذاب[1] الأدنى. ﴿بمَا كُنتُم تكفرُونَ(٣٥)﴾ بسبب كفركم.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أو عامٌّ للعذاب».

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنـفِقُون أموالهـم لِيَصُدُّوا عَن سبيل ا لله﴾ أي: كَـانَ غرضهم فِي الإنفاق الصدُّ عَن اتباع محمَّد ﷺ، وَهُوَ سبيل ا لله، **﴿فسيُنفِقونها، ثُمَّ تكون عَلَيْهِـم حسرةً﴾** ثُمَّ تكون عاقبة إنفاقهم ندما وحَسرَة؛ لأَنَّ كلَّ نفقةٍ وعملٍ لغير ا لله تكون حسرة عَلَى فاعله. **﴿ثـمَّ يُغلَبـون﴾** آخر الأمر، وإن كَـانَ الحربُ سجالا قبل ذَلِكَ؛ وَهُوَ من دلائـل النبوَّة، لأنـه أُخبر عَنْـهُ قبـل وقوعـه، فكَانَ كما أُخبر. **﴿وَالذِينَ كَفَرُوا إِلَىَ جهنَّم يُحشَرُونَ(٣٦)﴾**.

﴿لِيَمِيزَ ا لله الخبيثَ مِنَ الطيِّب﴾ ليميز الكافرين مِنَ المؤمنين، **﴿ويجعل الخبيثَ بعضَه عَلَى بعضٍ فيركُمَه﴾** فيجمعه، ومنـه السحاب المركـوم: وَهُـوَ المجتمع الكثيف، **﴿جميعـا، فيجعلـه فِي جهنَّـم﴾** فِي الآخِـرَة، أو فِي طريقهـا فِي الدُّنْـيَا، كما قَالَ: **﴿وَلاَ لِيهدِيَهُم طريقا إِلاَّ طريقَ جهنَّم﴾**[1]. **﴿أُولَـئِكَ هُـمُ الخاسِرُونَ(٣٧)﴾** الكـاملون فِي الخسـران، لأنـهم خسـروا الدُّنْـيَا والآخِـرَة بذهاب رأس المال والربح، لأَنَّ تجارتهم قد بَارَت، فلا يُرجى لها نَفاق.

﴿قل للذين كَفَرُوا: إن ينتهوا﴾ عمَّا هم عَلَيْـهِ **﴿يَغفِرْ لَهُـم مَا قـد سَلَفَ﴾** مِنْهُم مِنَ العداوة، وَمَا عَملوه، وَهُوَ وعدٌ لِكُل تـائب بالتوبـة، والقبـول إِذَا صحَّـت؛ وقيل: مخصوصة للمتدينين أن لاَ غُرم عليهـم؛ **﴿وإن يعـودوا﴾** لِـمَا كَـانُوا عليـه مِنَ الكفر، **﴿فقَد مَضَت سنَّة الأوَّلِينَ(٣٨)﴾** بالإهلاك فِي الدُّنْـيَا والعذابِ فِي العقبى.

---

١ - سورة النساء: ١٦٨- ١٦٩.

﴿وقاتلوهم حتّى لاَ تكونَ فتنةٌ﴾ حتّى لاَ يبقى مِنْهُم إلاّ مسلم أو مستسلم، و لم توجد فِيهِم معصيةٌ ظاهرة يجب إنكارها، بدليل قوله: ﴿ويكون الدينُ كلُّه لله﴾ ويضمحلّ عَنْهُم كلُّ دين باطل، ويبقى فِيهِم دين الإسلام وحده، ﴿فإن انتهوا﴾ عَن الكفر وأسلموا، ﴿فإنَّ ا لله بِمَا يَعْمَلُونَ بصير(٣٩)﴾ يثبتهم عَلَى إسلامهم.

﴿وإن تولّوا﴾ أعرضوا عَن الإيمان، و لم ينتهوا، ﴿فاعلموا أنَّ ا لله مولاكم﴾ ناصرُكم ومعينكم، فثِقوا بوَلاَيته ونُصرَته؛ ﴿نِعمَ المولى﴾ لاَ يضيع من تولاّه، ﴿ونِعمَ النصير(٤٠)﴾ لاَ يُغلب من نَصَرَه.

﴿واعلموا أنّما غَنِمتم من شيء فأنَّ لله خُمُسَه وللرسولِ ولذي القربَى واليتامى [١٩٥] والمساكين وابن السبيل إن كُنتُم آمنتم با لله﴾ فاعملوا بِهِ، وارضوا بهذه القسمة، فالإيمان يُوجب الرضى بالحكم، والعمل بالعلم، ﴿وَمَا أنزلنا﴾ أي: إن كُنتُم آمنتم با لله وبالمنزَل ﴿عَلَى عبدِنا يوم الفرقانِ﴾ يوم بدر، لأَنَّهُ فرَّق فيه بين الحق والباطل، ﴿يوم التقى الجمعان﴾ الفريقان مِنَ الـمُسْلِمِينَ والْكَافِرِينَ، وَالمُرَاد: مَا أُنزل عليه مِنَ الآيات والمَلاَئِكَة والفتح، لأَنَّ عَلَى المؤمن أن يُؤْمِنُ بجميع مَا يرى مِنَ الآيات، ﴿وا لله عَلَى كُلِّ شيء قدير(٤١)﴾ يقدر عَلَى أن ينصر القليل عَلَى الكثير.

﴿إذ أَنتُم بالعُدوَة﴾ شطُّ الوادي وشفير الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ القربى إِلَى جهة المدينة، تأنيث الأدنى، ﴿وَهُم بالعدوة القُصوى﴾ البُعدَى عَلَى المدينة تأنيث الأقصى، ﴿والركبُ﴾ أي: العير، أبا سفيان وأصحابه، وَهُوَ جمع

راكب فِي المعنى، ﴿أسفلَ منكم﴾ وفائدتها الدلالة عَلَى قوّة العدو، واستظهارهم بالركب، وحرصهم عَلَى المقاتلة عنها، وتوطين نفوسهم عَلَى أن لا تخلو مراكزهم، ويبذلوا منتهى جهدهم، وضعف شأن الـمُسْلِمِينَ؛ وكذا ذكر مراكز الفريقين، فإنَّ العدوة الدُّنْيَا ـ قيل ـ كَانَت رخوة تسوخ[1] فِيهَا الأرجل، بخلاف العدوة القصوى. ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتُم وأهل مكّة، وتواضعتم بينكم عَلَى موعد تلتقون فِيهِ للقتال؛ ﴿لاختلفتم فِي الميعاد﴾ لخالف بعضكم بعضا، فثبّطكم قلّتكم وكثرتهم مِنَ الوفاء بالموعد، وثبّطهم مَا فِي قلوبهم من تهيُّب رسول الله والمسلمين، فلم يتّفق لكم مِنَ التلاقي، ﴿ولكن﴾ جمع بينكم بلا ميعاد، ﴿ليقضيَ الله أمرا كَانَ مفعولا﴾ من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته، ونصر أوليائه، وإهلاك أعدائه، وَمَا أَرَادَ كونَه فهو مفعول لاَ محالة. ﴿ليَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بيّنة﴾ عَن حجّة، ﴿ويحيَا مَن حييَ عَن بيّنة﴾ استعير الهلاك للكفر والحياة للإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عَن وضوح بينة لاَ عَن مخالجة شبهة، حتّى لاَ يبقى عَلَى الله حجّة، ويصدر إسلام من أسلم عَن يقين وعلم بأنّه دين الحق الذِي يجب الدخول فِيهِ

---

١ - «ساخت بهم الأَرْض تَسُوخ سَوْخًا وسُووخا وسَوَخانا: إذا انخسفت، وكذلك الأقدام تسوخ فِي الأَرْض وتسيخ: تدخل فيها وتغيب، مثل ناخت، وَفِي حديث سُراقة والهجرة: "فساخت يد فرسي"، أي غاصت فِي الأَرْض، وَفِي حديث موسى عَلَى نبينا وعليه الصلاة والسلام: "فساخ الجبل وخرَّ موسى صعقا"، وَفِي حديث الغار: "فانساخت الصخرة"، كذا روي بالخاء، أي غاصت فِي الأَرْض، قال: وَإِنَّمَا هو بالحاء المهملة... وساخت الرجْل تسيخ كذلك مثل ناخت». ابن منظور: لسان العرب، ٢٣٣/٣.

والتمسُّك بِهِ، وذلك أنَّ وقعة بدر مِنَ الآيات الواضحة التِي مَن كفر بعدها كَانَ مكابرا لنفسه مغالطا لها، ولهذا ذكر فِيهَا مراكز الفريقين، وَأَنَّ العير كَانَت أسفلَ مِنْهُم، مَعَ أنَّهم قد عملوا ذَلِكَ كلَّه مشاهدة، ليَعلم المحقُّ أنَّ النصر والغلبة لاَ تكون بالكثرة والأسباب، بَل با لله تعالى؛ وذلك أنَّ العدوة القصوى التِي أناخ بها المشركون كَانَ فِيهَا الماء، وكانت أرضا لاَ ناس بها وَلاَ ماء، بالعدوة الدُّنْيَا، وهي خَبَار[1] تسوخ فِيهَا الأرجل، وَلاَ تمشى فِيهَا إلاَّ بتعب، وكَانَ العير وراء ظهور العدو، مَعَ كثرة عددهم وعدَّتهم، وقِلَّة المُسْلِمِينَ وضعفهم، ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ. ﴿وإنَّ ا لله لسميع﴾ لأقوالهم، ﴿عليم(٤٢)﴾ بكفر مَن كفر، وإيمان من آمن.

﴿إذ يُرِيكَهم ا لله﴾ أي: يعلم المَصَالح إذ يقلِّلهم فِي عينك، ﴿فِي منامك قليلا﴾ أي: رؤياك، وذلك أنَّ ا لله عزَّ وجلَّ أراهم إيَّاه فِي رؤياه قليلا، فأخبر بذلك أصحابه، فكَانَ ذَلِكَ تشجيعا لَهُم عَلَى عدوهم، وقيل: فِي منامك أي: فِي عينك، لأنَّ العين موضعُ النوم، ﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لَجُبُنتُم وهِبتُم الإقدام، ﴿ولتنازعتم فِي الأمر﴾ (لعلَّه) أمرُ القتال، وتردَّدتم بين الثبات والفرار؛ ﴿ولكنَّ ا لله سَلَّم﴾ عَصَمَ، وأنعم بالسلامة مِنَ الفشل والتنازع والاختلاف. ﴿إنَّهُ عليم بذات الصدور(٤٣)﴾ يعلم مَا سيكون منها مِنَ الجُرأة [١٩٦] والجبن والصبر والجزع، وقيل: مَا فِي صدركم مِنَ الحب لله.

١ - «والخَبَارُ من الأَرْض: ما لانَ واسترخى، وكانت فيه جِحَرة». ابن منظور: لسان العرب، ٢/٧٨٤.

﴿وإذ يُريكُمُوهُم إذِ التقيتم﴾ وقت اللقـاء ﴿فِي أعينكـم قليـلا﴾ وإنـّما قلّلهم فِي أعينهم تصديقا لرؤيا رسول ا الله ﷺ، وليعاينوا مَا أخبرهم بِهِ فيزداد يقينهم ويجدُّوا ويثبتوا، ﴿ويقلّلُكم فِي أعينِهم﴾ عينهم، قيـل: حتّـى قَـالَ قـائل مِنْهُم: إنـّمَا هم أكلةُ جَزُورٍ، ويجوز فِي حكمـة ا الله أن يبصـروا الكثير قليـلا، والكثير مِنَ الأمور صغـيرا، والعظيـم حقـيرا (لعلّـه) مـن أمـر الديـن والدُّنْـيَا، وكذلـك بـالعكس حتّـى يـَنفُذ علمُـه فِي خلقـه، فيَثبـُتَ الحـقُّ، وتضمحـلَّ الوهميّـات، وَإِلاَّ فمتى هـان عـذاب ا الله للكَـافِرِينَ معهـم، (لعلّـه مِنـْهُم)، فِي جهنـّم إِلاَّ كما قَالَ: ﴿وتحسـبونه هيـنا وَهُـوَ عنـد ا الله عظيـم﴾[1]، وكذلـك ثواب ا الله فِي قلب من كفر، (لعلّه) تحقير مَعَ تعظيم ا الله لـه، فـلا رادَّ لقضائـه، يحكم فِي خلقه بِمَا يَشَـاء قسطا وعـدلا، وانظر فِي تعظيـم النـاس للدُّنيـا مَـعَ حقارتها عند ا الله، وَهَذَا حال يتّسع فِيهِ النظر والفكر لأولي الألباب. ﴿ليقضيَ ا الله أمرا كَانَ مفعولا﴾ وَهَذَا مِمَّا يعظّم الخـوف فِي قلـوب أوليـاء ا الله، خوفـا مِنْهُم من تَقلّـب الأحـوال بهـم؛ لأَنَّ السـعيد فِي علـم ا الله سـعيدٌ لاَ محـال[2]، والشقيُّ فِي علم ا الله شقيٌّ لاَ محـال[2مكرر]، ﴿وإلى ا الله تُرجـع الأمـور(٤٤)﴾ فيحكم فِيهَا بِمَا يريد.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِذَا لَقِيتُـم فِئـةً﴾ إِذَا حـاربتم جماعـةً مِـنَ الكفّـار؛ وتَرَك وصفها، لأَنَّ المؤمنين مَا كَانُوا مَا يَلقَون إِلاَّ الكفار، واللقاء اسـم غـالب

---

١ - سورة النور: ١٥.

٢، ٢مكرر- كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «محالة».

للقتال، ﴿فاثبُتوا﴾ لقتالهم وَلاَ تفرُّوا، ﴿واذكروا ا لله كثيرا﴾ أي: وأكثروا ذكر ا لله بالتكبير والتهليل عند النزال والقتال، أي: اذكروا ثوابه لمن ثبت وصبر، وعقابه لمن تولّى ودبر، واثقين بوعده أنَّ النصر مَعَ الصبر، ﴿لَعَلَّكُم تفلحُونَ(٤٥)﴾ تَظفرون بمرادكم مِنَ النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأنَّ عَلَى العبد أن لاَ يَفتُر عَن ذِكر ربه أشغل مَا يكون قلبا، وأكثر مَا يكون همًّا؛ وأن تكون نفسه فِي الحقيقة مجتمعة لذلك، وإن كَانَ فِي الظاهر متوزعة عَن غيره.

﴿وأطيعوا ا لله ورسوله﴾ فِي الأمر بالجهاد، والثبات مَعَ العدو وغيرهما، ﴿وَلاَ تَنازَعوا فتفشلوا﴾ فتَجبُنوا، ﴿وتَذهبَ رِيحكم﴾ أي: دولتكم، يقال: هبَّت رِياح فلان، إِذَا دالت لَهُ الدولة، وأنفذ أمره، ﴿واصبروا﴾ عَلَى جميع مَا أمر ا لله بِهِ ونهى عَنْهُ، ﴿إِنَّ ا لله مَعَ الصابِرِينَ(٤٦)﴾ بالحفظ والمعونة.

﴿وَلاَ تكونوا كالذين خَرجوا مِن ديارهم بَطرا ورئاء الناس﴾ البَطَر: أن يشغله (لعلّه) ذكر كفر النعمة عَن شكرها، وَهُوَ الفخر والأشر؛ وقيل البَطَر: الطغيان فِي النعمة؛ والرياء: إظهار الجميل لِيُرى، وسَتر القبيح. ﴿ويصدُّون عَن سبيل ا لله﴾ عَن دينه، ﴿وا لله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحيط(٤٧)﴾ عالم وَهُوَ وعيد.

﴿وإذ زيَّن لَهُمُ الشيطان أعمالهم، وقال: لاَ غالبَ لكم اليومَ مِنَ الناس﴾ تلك مقالة نفسانيَّة، والمَعنَى أنَّه: ألقى فِي روعهم الظنَّ الكاذب، وخيَّل إِلَيْهِم أنَّهم لاَ يُغلبون، وَلاَ يُطاقون لكثرة عَددهم وعُددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إيَّاه فيما يظنُّون أنَّها قُربات مجير لَهُم، بدليل قوله: ﴿وإنّي جارٌ لكم؛ فَلَمَّا تراءت الفئتان﴾ مَعَ ظهور الحق وزهوق الباطل، ﴿نكَص عَلَى

عَقِبيه﴾ أي: بَطُلَ كيدُه، وعاد مَا خَيَّل لَهُم أنَّه مجيرهم بسبب هلاكهم، ﴿وقال: إِنِّي بريء منكم، إِنِّي أرى مَا لاَ تَرَون إِنِّي أخاف ا لله﴾ أي: تبرَّأ مِنهُم، وخاف [١٩٧] عليهم[1]، وأَيِس من حالهم [لَمَّا] رأى إمداد ا لله الـمُسْلِمِينَ بالمَلاَئِكَة، ورؤيته للإمداد بالمَلاَئِكَة (لعلّه) إمَّا بالبصر وَإِمَّا بالبصيرة، أو بهما جميعا، وَهُم (لعلّه) معدمون من رؤية الحالين باتباعهم إيَّاه، ﴿وا لله شديد العقاب(٤٨)﴾ لمن كفر فِي الدُّنْيَا والآخِرَة.

﴿إذ يقول المنافقون وَالذِينَ فِي قلوبهم مرض﴾ هُوَ من صفة المنافقين، أو أريدَ الذِينَ هم عَلَى حرفٍ ليسوا بثابتِي الأقدام فِي الإسلام: ﴿غرَّ هؤلاء دينُهم﴾ يعنون أنَّ الـمُسْلِمِينَ اغترُّوا بدينهم، فخرجوا وَهُم فيما قيل: ثلاثمائة وبضعة عشر إِلَى زَهَاء ألف، ثُمَّ قَالَ جوابا لَهُم: ﴿ومن يَتَوَكَّلْ عَلَى ا لله﴾ يَكِلُ إِلَيْهِ أمره، ﴿فإنَّ ا لله عزيز﴾ غالب يسلِّط القليلَ الضعيفَ عَلَى الكبير القوي، ﴿حكيم(٤٩)﴾ لاَ يسوي بين وليه وعدوه.

﴿ولو تَرَى﴾ ولو عاينتَ وشاهدتَ، ﴿إذ يتوفَّى الذِينَ كَفَرُوا﴾ يقبض أرواحَهم، ولو كَانُوا فِي الظاهر مقتولين بالسيف، (لعلّه) فإنَّ أوَّل مَا يلاقيهم ضَرب المؤمنين بالسيف أو مَا يشبهه، ثُمَّ تضربهم ﴿المَلاَئِكَة﴾ يتوفَّونهم المَلاَئِكَة ﴿يضربون وجوههم﴾ إِذَا أقبلوا، ﴿وأدبارهم﴾ إِذَا انهزموا؛ لرأيت أمرا عظيما وعذابا شديدا، ﴿وذوقوا﴾ ويقولون لَهُم: ذوقوا ﴿عذاب الحريق(٥٠)﴾، أي: مقدمةَ عذابَ النار، أو ذوقوا عذابَ الآخِرَة، بشارة لَهُم بِهِ.

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «خاف منهم».

﴿**ذَلِكَ بِمَا قدَّمت أيديكم**﴾ أي: كسبت، أي: ذَلِكَ العذاب بكفركم ومعاصيكم، ﴿**وأنَّ الله ليس بظلاَّم للعبيد(٥١)**﴾ لأنَّ تعذيب الكفَّار مِنَ العدل وقيل: «ليس بظلاَّم» لنفي أنواع الظلم.

﴿**كَدَأبِ**[1] **آلِ فِرعون**﴾ أي: دَأبُ هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودَأبُهم: عادتهم وعملهم الذِي دأبوا فِيهِ، أي: داموا عليه، ﴿**وَالذِينَ مِن قبلهم**﴾ من قبل قريش أو قبل آل فرعون ﴿**كَفَرُوا**﴾ تفسيرٌ لدأب آل فرعون ﴿**بآيَاتِ الله، فأخذهم الله بذنوبهم، إنَّ الله قويٌّ شديد العقاب(٥٢)**﴾ والمَعنَى جَرَوا عَلَى عادتهم فِي التكذيب، فأجرَى عَلَيْهِم مثل مَا فَعَلَ بهم فِي التعذيب.

﴿**ذَلِكَ**﴾ العذاب والانتقام، ﴿**بأنَّ الله لم يَكُ مغيِّرا نعمةً أنعمها عَلَى قوم حَتَّى يغيِّروا مَا بأنفسهم**﴾ بسبب أنَّ الله لم يصحَّ فِي حكمته أن يغير نعمته عند قوم، حَتَّى يغيروا مَا بهم مِنَ الحال؛ لأنَّ الله تعالى أوجدهم مِنَ العدم إِلَى الوجود، وجعل لَهُمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ والقوى، والسَّمَاء والأَرْض، وَمَا فيهمَا نعمةً مِنَ الله ليشكروها، ويستعينوا بها فِي طاعته؛ و لم يكن ثَمَّ من سنَّته أن يغيرها عَلَيْهِم، إلاَّ أن يغيروا مَا بأنفسهم، وتغييرهم لها: إهمالهم لها، وعدم استعمالهم لها، وكفرانهم إيَّاهَا، ﴿**وأنَّ الله سميعٌ**﴾ وعدٌ لمن لم يغير و لم يبدل، ووعيد لمن غيَّر[2] وبدَّل، ﴿**عليم(٥٣)**﴾ بِمَا يفعلون.

---

١ - في الأصل: «كدب»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: + «غير».

﴿كدأب آل فرعون﴾ تكرير للتأكيد، أو لأنَّ الأولى الأخذ بالذنوب بلا...[1] ذَلِكَ، وهنا بَيَّن ذَلِكَ هُوَ الإهلاك والاستئصال [كَذَا]. ﴿وَالذِينَ مِن قَبلِهِم كذَّبوا بِآيَاتِ ربهم﴾ فِي قوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِم﴾ زيادة دلالة عَلَى كفرانِ النعَم، وجحود الحقِّ؛ ﴿فأهلكناهم بذنوبهم، وأغرقنا آل فرعون وكلٌّ﴾ مِن غَرْقَى آل فرعون وقتلى قريش ﴿كَانُوا ظالِمِينَ(٥٤)﴾ أنفسَهم، من حيث أنَّهم غيَّروا مَا بها مِنَ النعَمِ فاستبدلوا بها النقم.

﴿إِنَّ شرَّ الدواب عند ا لله الذِينَ كَفَرُوا فَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ(٥٥)﴾ و(لعلَّه) إخبار عَن قوم مطبوعين عَلَى الكفر، أنَّهم لاَ يُؤْمِنُونَ.

﴿الذِينَ عاهدتَ مِنْهُم﴾ بدلٌ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا، أي: الذِينَ عاهدتَهُم من [١٩٨] الذِينَ كَفَرُوا جَعَلَهم شرَّ الدوابِّ، ﴿ثُمَّ ينقضُون عهدهم فِي كُل مرَّة﴾ فِي كُلِّ معاهدة، ﴿وَهُم لاَ يتَّقُونَ(٥٦)﴾ لاَ يخافون عاقبة الغدر، وَلاَ يُبالون مَا فِيهِ العار والنار.

﴿فإمَّا تَثقفَنَّهم فِي الحرب﴾ فإمَّا تصادفنَّهم وتظفرنَّ بهم، ﴿فشرد بهم مَن خَلفَهم﴾، ففرِّق عند عَن[2] محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرَّ قتلة، والنكاية فيهم مَن وراءَهم[3] مِنَ الكفرة؛ حتَّى لاَ يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارًا بهم واتِّعاظًا بحالهم ﴿لَعَلَّهُم يذَّكرُونَ(٥٧)﴾ لعلَّ المشرَّدين من ورائهم يتَّعظون.

---

١ - طمس في الأصل قدر كلمة، رسمها: «للـا».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «عن».

٣ - يمكن أن نقرأ: «مِن ورائِهم».

﴿وإمَّا تخافنَّ مِن قومٍ﴾ معاهدين ﴿خِيانَـةً﴾ نَكثًا بأمـارات تلوحُ لـك؛ ﴿فانبذ إِلَـيْهِم﴾ فاطرح إِلَـيْهِم العهد ﴿عَلَى سواءٍ﴾ أي: أَعلِمهم قبل حربـكَ إيَّـاهم، أنَّـك قد فسخت العهد الذِي بينك وبينهم؛ فِي العلم أنت وَهُم بنقـض العهد سواءٌ؛ فلا يتوهَّمـوا أنـَّك نقضـت العهـد بِنَصب الحرب، ﴿إنَّ ا لله لاَ يحبُّ الخائنِينَ(٥٨)﴾ الناقضين للعهود.

﴿وَلاَ يحسبنَّ الذِينَ كَفَرُوا سَبقوا﴾ فاتوا وأفلتوا من أن يُظفر بهـم، قيـل: نزلـت فِي المنهزمين، ﴿إِنَّهُمْ لاَ يُعجزُونَ(٥٩)﴾ أي: إِنَّـهُم لاَ يُعجزُونني وَلاَ يفوتونني.

﴿وأعدُّوا لَهُم﴾ للكَافِرِينَ ﴿مَا استطعتم مِن قوَّة﴾ من كُلِّ مَا يتقوَّى بِـهِ فِي الحـرب، مـن عُدَدِهـا، والإعـداد: اتـِّخَاذ الشـيء فِي مَهـلٍ لوقـت الحاجـة، ﴿ومن رِباطِ الخيلِ﴾ رَبطها واقتيادها للعدوِّ، خَصَّ الخيلَ من بـين مَـا يُتقـوَّى بِهِ، كقوله: ﴿جبريل وميكال﴾[1]. ﴿تُرهبون بِهِ﴾ بِمَا استطعتم، ﴿عـدوَّ ا لله وعدوَّكـم﴾ كُـلُّ مـن كَـانَ لله والمسـلمين حربـًا وعـدوًّا، ﴿وآخريـن مـن دونهم﴾ قيل: هُمُ المنافقون، ﴿لاَ تعلمونَهم﴾ لأنـَّهم معكم يقولون: لاَ إله إِلاَّ ا لله، وقيل: هم كفَّارُ الجنِّ. روي أنَّ صهيل[2] الخيل تُرهـب الجـنَّ، وإذا كَـانَ ذلـك كذلـك (لَعَلَّـهُ) فكُـتُب ا لله وأنبيـاؤه ورسـلُه وسـننهم ومَلاَئِـكَةُ ا لله والعلماء وآثارهم أرهب لَهُم من ذَلِكَ وأغيظ، لأنَّ ذَلِكَ أقوى عُـدَّة للإسـلام

---

١ - سورة البقرة: ٩٨؛ فِي الأصل: «وميكـائيل»، عَلَى قـراءة ورش. وتمامهـا: ﴿مـن كـان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن ا لله عدوٌّ للكافرين﴾.

٢ - فِي الأصل: «سهيل»، وهو خطأ.

وأهله؛ ولذلك قيل: «إنَّ العالم الوَاحِد [أشدُّ] عَلَى الشيطان، من ألف عابد»[1]. ﴿لاَ تعلونهم﴾ لاَ تعرفونهم بأعيانهم، ﴿ا لله يعلمُهم. وَمَا تُنفقوا من شيء فِي سبيل ا لله﴾ فِي طاعته، ﴿يوفَّ إليكم﴾ ليوفَّرَ عَلَيْكُم جزاءه ﴿وأنتم لاَ تظلمُونَ(٦٠)﴾ فِي الجزاء.

﴿وإن جَنَحوا﴾ مالوا ﴿للسلم﴾ للصلح، ﴿فاجنحْ لها﴾ فَمِل إِلَيْهِا ﴿وتوكَّل عَلَى ا لله﴾ وَلاَ تخف من إبطانِهم المكر فِي جُنوحِهم إِلَى السلم، فإنَّ ا لله كافيك وعاصمُك مِن مكرهم، ﴿إنَّهُ هُوَ السميع﴾ لتبييتهم المكر بك، ﴿العليم(٦١)﴾ بِمَا يُضمِرونه مِنَ المخادعة.

﴿وإن يُريدوا أن يَخدعوك﴾ يمكرون ويغدرون؛ ﴿فإنَّ حسبَك ا لله﴾ أي: كافيك، ﴿هُوَ الذِي أيَّدك﴾ قوَّاك، ﴿بنصره وبالمؤمنِينَ(٦٢)﴾ جميعًا، أو بالأنصار.

﴿وألَّف بين قلوبهم﴾ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ العصبية والحمية والضغينة فِي أدنى شيء، والتهالُك عَلَى الانتقام، بحيث لاَ يكاد يأتلف فِيهِ قلبان، حتَّى صارت قلوبُهم كقلب وَاحِد لتشابُهِها، وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه. ﴿لو أنفقت مَا فِي الأَرْض جميعا مَا ألَّفت بين قلوبهم﴾ أي: بَلَغَت عداوتُهم وتَفَرُّق قلوبِهم مَا لوْ أنفقَ مُنْفِقٌ ـ فِي إصلاح ذات بَيْنِهُم ـ مَا فِي الأَرْض من أموال

١ - روى الترمذيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ: «فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» قَالَ أَبو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ. كتاب العلم، رقم ٢٦٠٥. ورواه ابن ماجه في كتاب المقدمة، رقم ٢١٨.

لم يَقدِر عليه؛ ﴿ولكنَّ ا لله ألَّف بَيْـنَـهُم﴾ بفضله ورحمته ورأفته، وجمع بـين كلمتهم بقدرته، وأحدث بَيْـنَـهُمُ التحَابَّ والتوادَّ، وأمَـاطَ عَـنْـهُم التباغـُضَ والتماقتَ، ﴿إنَّهُ عزيزٌ﴾ لاَ يُعجزه ذَلِكَ، ﴿حكيـم(٦٣)﴾ حيث جمع بعد التفرقَةِ والتباعدِ.

﴿يَـا أَيـُّهَا النبيُّ حسبُك ا لله ومـن اتـَّبَعَك مِـنَ المؤمنِـينَ(٦٤)﴾ أي: كفاك تُبـَّاعك مِنَ المؤمنين ا للهُ ناصرًا.

﴿يَـا أَيـُّهَا النبيُّ حرض المؤمنين عَلَى [١٩٩] القتال﴾ التحريض: المبالغة فِي الحثّ عَلَى الأمر، ﴿إن يَكن منكم عشـرون صـابرون يغلبـوا مِـائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا مِنَ الذِينَ كَفَرُوا﴾[1] هَذِهِ عِـدَةَ مِـنَ ا لله وبشـارة بأنَّ الجماعة مِنَ المؤمنين، إن صبروا غَلَبوا عشرةَ أمثالِهِم مِـنَ الكفَّـار بعـون ا لله وتأييده، ﴿بأنـَّهم قوم لاَ يفقهُونَ(٦٥)﴾ بسبب أنَّ الكفَّار قوم جهلة يقاتلون عَلَى غير احتسابٍ، وَلاَ طلبِ ثـواب كالبهـائم، فيقـلُّ ثبـاتهم لجهْلهِـم بـا لله [و]نصرتِـه، خلاف مَا يُقاتل ذو بصيرة، وَهُوَ يرجو النصر مِنَ ا لله. قيل: كَـانَ عَـلَيْـهِـم أن لاَ يفرُّوا، وثبت الوَاحِد للعشرة مِمَّ ثقل عَـلَـيْـهِـم ذَلِكَ[2]، فنسـخ وخفَّف بمقاومة الوَاحِد اثنين، بقوله:

---

١ - فِي الأصل لم يذكر من الآيَة هَذَا الجزء: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين و﴾.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «كَانَ عَـلَيْـهِـم أن لاَ يفرُّوا، ويثبتَ الوَاحِد للعشـرة، ثُمَّ ثقل عَـلَـيْـهِـم ذَلِكَ فنسخ».

﴿**الآنَ خفَّف ا لله عنكم وعَلِم أنَّ فيكم ضعفا**﴾ قيل: ضعف البدن، وقيل: ضُعف القلب، وَهُوَ الأصحُّ مَعَنا[1]؛ لأنَّهم وأعداؤهم متشابهون فِي خَلق الأجسام، وليس قُلوبهم متَشابهة بدليل قوله: ﴿**بأنَّهم قوم لاَ يفقهون**﴾، وكقوله: ﴿**إذ يوحِي رَبُّكَ إِلىَ المَلاَئِكَة...**﴾ الآيَة إِلىَ قوله: ﴿**...سأُلقِي فِي قلوب الذِينَ كَفَرُوا الرعبَ**﴾[2] والجسمُ لاَ جدوى لَهُ مَعَ عدم الإيمان وضُعفِه، ﴿**فإن يكن منكم مائة صابرةٌ يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن ا لله، وَا للهُ مَعَ الصابرينَ(٦٦)**﴾.

﴿**مَا كَانَ لنبيٍّ**﴾ مَا صحَّ لَهُ وَلاَ استقام ﴿**أن يكون لَهُ أسرى حَتَّى يُثخِن فِي الأَرْض**﴾ الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فِيهِ، مِنَ الثخانة: وهي الغلظ والكثافة، يعنِي: حتَّى يذلَّ الكفر بإشاعة القتل فِي أهله، ويعزَّ الإسلام بالاستيلاء والقهر؛ ثُمَّ الأسر بعد ذَلِكَ. رُوى أنَّ رسول ا لله ﷺ أوتي سبعين أسيرًا، فاستشارَ أبا بكر فِيهِم، فقال: «قومك وأهلك، اِستبَقِهم لعلَّ ا لله يتوب عليهم، وخُذ مِنْهُم فِدية تقوِّي بها أصحابك». وقال عمر: «كذَّبوك وأخرجوك فقدِّمهم واضرب اعناعنقاقهم (لَعَلَّهُ أعناقهم)[3]؛ فإنَّ هؤلاء أيمَّة الكفر، وإنَّ ا لله أغناك عَن الفداء؛ ثُمَّ قَالَ لَهُم رسول ا لله ﷺ: *«إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فادَيتموهم»*، واستشهد منكم بعدبهم [كَذَا]، فَقَالُوا: «بَل نأخذ الفداء»؛ فاستشهدوا بأحد،

---

١ - كذا في الأصل، ويمكن أن نقرأ: «معنًى».

٢ - سورة الأنفال: ١٢.

٣ - كذا في الأصل، والصواب: ما أثبته الناسخ لَمَّا شكَّ في العبارة فقال: (لَعَلَّهُ...

فَلَمَّا أخذوا الفداء، نزلت الآية: ﴿**تُريدُون عَرَضَ الدُّنْيَا**﴾ متاعها، يعني: الفداء، سمَّاه عرضًا لقلَّة بقائه وسُرعة فنائه، لأنَّهُ يزول كما عَرَضَ؛ ﴿**وا لله يُريد الآخِرَة**﴾ أي: مَا هُوَ سبب الجنَّة من إعزازِ الإسلام بالإثخان فِي القتل، ﴿**وا لله عزيز**﴾ يقهر الأعداء، ﴿**حكيم(٦٧)**﴾ يعلم مَا يليق لِكُلِّ حال، ويخصُّه بِها كما أمر بِالإثخان، ومَنَعَ غِلَّ الفداء[1] حين كَانَت الشوكة للمشركين، وخيَّر بينه وبين المنِّ، لـمَّا تحوَّلت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين.

﴿**لولا كِتَابٌ مِنَ ا لله**﴾ لولا ﴿**سَبَقَ**﴾ أن لاَ يُعذِّب أحدًا عَلَى العمل بالاجتهاد، وكَانَ هَذَا اجتهادا منهم، لأنَّهم نظروا فِي أَنَّ استبقاءهم ربَّما كَانَ سببًا فِي إسلامهم، وأنَّ فداءهم يُتقوَّى بِهِ عَلَى الجهاد، وخَفيَ عَلَيْهِم أنَّ قتلهم أعزُّ للإسلام وأهيب لمن وراءهم، أو مَا كتب ا لله فِي اللوح أن لاَ يعذِّب أهل بدر، وأن لاَ يُوَاخِذ قبل الإنذار. ويحتمل: لولا كتابُ ا لله من سبق[2] بتأخير آجالكم لاستأصلكم بالعذاب، كما قَالَ: ﴿ويستعجلونك بالعذاب، ولولا أجل مسمًّى لجاءهم العذاب﴾[3]، ﴿**لمسَّكم فيما أخذتُم**﴾ من فداء الأُسارى ﴿**عذاب عظيم(٦٨)**﴾.

روي أنَّهم أمسكوا عَن الغنائم ولم يَمدُّوا أيديهم إِلَيْهِا، فنزلت: ﴿**فكلوا مِمَّا غنمتم**﴾ [٢٠٠] وقيل: هُوَ إباحة للفداء، لأنَّهُ من جملة الغنائم ﴿**حلالا**﴾

---

١ - فِي الأصل: «لفداء»، وهو سهو.

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «لولا كتاب من ا لله سبق».

٣ - سورة العنكبوت: ٥٣.

مطلقًا عَن العتاب والعقاب، مأخوذ مِن "حَلَّ العقالَ". ﴿طيبا﴾ حلالاً بالشرع، طيِّبًا بالطبع، ﴿واتَّقُوا ا لله﴾ فلا تُقدِموا عَلَى شيء لم يعهد إليكم فِيهِ، ﴿إنَّ ا لله غَفُور﴾ لمن تاب، ﴿رحيم(٦٩)﴾ لاَ يُعاجل بالعقوبة لمن عصاه.

﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ، قل لمن فِي أيديكم مِنَ الأسرَى[1]: إن يعلم ا لله فِي قلوبكم خيرا﴾ خُلوصَ إيمان وصِحَّةَ نيَّةٍ ﴿يؤتكم خيرا مِمَّا أُخِذَ منكم﴾ مِنَ الفداء، إمَّا أن يُخلفكم فِي الدُّنْيَا أضعافه، أو يُثِيبكم فِي الآخِرَة ﴿ويَغْفِر لكم، وَا لله غَفُور رحيم(٧٠)﴾.

﴿وإن يريدوا خيانَتَك﴾ يعني الأُسارى، نَكْثُ مَا بايعوك عليه مِنَ الإسلام بالرِّدَّة، أو منع ما ضمنوا مِن الفداء؛ ﴿فقد خانوا ا لله مِن قبل﴾ فِي كفرهم بِهِ، ونَقْضِ مَا أخذ عَلَى عاقل من ميثاقه. ﴿فأمكن مِنْهُم﴾ فأمكنك منهم، أي: أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر، فَسَتُمكَّن مِنْهُم إن عادوا[2] الخيانة، ﴿وا لله عليم﴾ بالمآل، ﴿حكيم(٧١)﴾ فيما حكم بِهِ فِي الحال.

﴿إنَّ الذِينَ آمنوا وهاجروا﴾ أوطانهم وشهواتِ أنفسِهم، حبًّا لله ولرسوله، ﴿وجاهَدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ باعوها ﴿فِي سبيل ا لله﴾ فِي طاعة ا لله، من جهاد أو أمر بمعروفٍ ونهيٍ عَن منكرٍ، أو طلب علم أو ترك شهوة لله تعالى، وَهُم المهاجرون. ﴿وَالذِينَ آووا ونَصروا﴾ أي: آووهم إِلَى ديارهم، ونصروهم عَلَى أعدائهم وَهُم الأنصار. ﴿أولَئِكَ بعضهم أولياء

---

١ - في الأصل: «الأسارى»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «عاودوا الخيانة» أو «عادوا للخيانة».

بعض﴾ أي: يتولى بعضهم بعضًا بالمؤازرة عَلَى الطاعة، وبالمواصلة عَلَى القطيعة. **﴿وَالذِينَ آمنوا ولم يُهاجروا مَا لكم من وَلايتهم من شيء حَتَّى يُهاجروا﴾** لأنَّ الهجرة كَانَت فريضة، فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة؛ فمن ذَلِكَ لم تجز وَلايتهم لَهُم؛ **﴿وإن استنصروكم فِي الدين﴾** (لَعَلَّهُ) بعدما يُهاجروا، **﴿فعليكم النصر﴾** إن طلبوا معونتكم؛ فواجب عَلَيْكُم نصرتهم عَلَى الْكَافِرِينَ، **﴿إلاَّ عَلَى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** فَإِنَّهُ لاَ يجوز لكم نصركم عليهم، لأَنَّهُ لاَ يبتدئون بالقتال، إذ الميثاق مَانع من ذَلِكَ، **﴿وا لله بِمَا تَعْمَلُونَ بصير(٧٢)﴾** تحذير عَن تعدِّي حدِّ الشرع.

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ معناه نهي المسلمين عن موالاة الكُفَّار، وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقارب، **﴿إلاَّ تفعلوه﴾** أي: إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين، وتولِّي بعضهم بعضا، تفضيلا لنسبة الإسلام عَلَى نسبة القرابة، **﴿تكنْ فتنةٌ فِي الأرض وفسادٌ كبير(٧٣)﴾** تحصيل[1] فتنة فِي الأَرْض، ومفسدة عظيمة، لأَنَّ المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة عَلَى الشرك كان الشرك ظاهرا، والفساد زائدا.

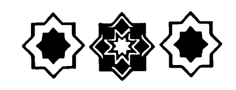
﴿وَالذِينَ آمنوا وهاجروا وجاهدوا فِي سبيل ا لله وَالذِينَ آووا ونصروا أُولَـئِكَ هُمُ المؤمنون حقًّا﴾ أي: لاَ مِريَةَ وَلاَ ريب فِي إيمانهم، لأَنَّهم صدَّقوا إيمانهم وحقَّقُوه بتحصيل مقتضياته، من هجرة الوطن ومُفارَقَة الأهل والسكن، وبالانسلاخ مِنَ المال والدُّنْيَا، لأجل الدين والعقبى، **﴿لَهُم مغفرة**

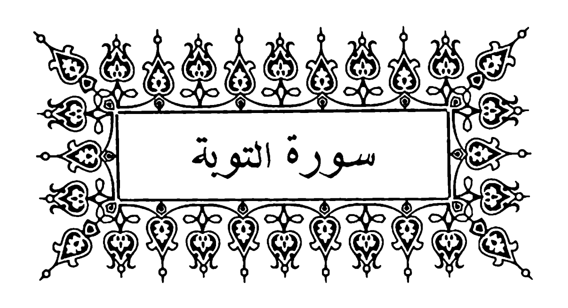
---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «تَحصُلُ».

ورزقٌ كريم(٧٤)﴾ لاَ منَّة فِيهِ، وَلاَ تنغيص وَلاَ تكرار؛ لأنَّ هَذِهِ الآية واردة للثناء عَلَيْهِم مَعَ الموعد الكريم؛ والأُولى للأمر بالتواصل.

﴿وَالذِينَ آمنوا مِن بعدُ﴾ يريد اللاّحقين بعد السابقين إلىَ الهجرة، **﴿وهاجَروا وجاهَدوا معكم، فأولئك منكم﴾** جعلهم مِنْهُم تفضُّلاً وترغيبًا، **﴿وأُولو الأرحامِ بعضُهم أَولىَ ببعض﴾** وأولو [٢٠١] القرابات أولى بالتوارث، وَهُوَ نسخ للتّوارث بالهجرة والنصرة، **﴿فِي كِتَاب الله﴾** فِي حُكمِهِ وقِسمتِه، أو فِي اللوح أو فِي القرآن، وَهُوَ آية المواريث، **﴿إنَّ الله بِكُل شيء عليم(٧٥)﴾** يقضي بين عباده بِمَا شاء من أحكامه.





سورة التوبة

﴿براءةٌ مِنَ ا للهِ﴾ أي: هذه براءة من ا لله ﴿ورسولِه إلىَ الذِينَ عاهدتم مِنَ المشركِينَ(١)﴾ المعنى: أنَّ ا لله ورسولَه قد بَرِئَا مِن العهد الذِينَ عاهدتم بِهِ المشركين، وأنّه مَنبُوذٌ إِلَيْهِم.

﴿فسيحوا فِي الأَرْض أربعةَ أشهر﴾ فسيروا فِي الأَرْض كيف شئتم، والسَّيْحُ: السير عَلَى مهلٍ. رُوِيَ أنَّهم عاهدوا المشركين مِن أهل مكّة وغيرهم مِنَ العرب فَنكثوا، إلاَّ نَاسًا مِنْهُم، فَنبُذ العهدُ إِلىَ الناكثين، وأُمروا أن يَسيحوا فِي الأَرْض أربعة أشهر آمنين أينَ شَاءوا، مُقبلين ومُدبرين لاَ يُتعرَّض لَهُم، وهي الأشهر الحُرُم فِي قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحُرُم مِنَ القتل والقتال فِيهَا. ﴿واعلموا أنَّكُم غيرُ مُعجِزي ا للهِ﴾ لاَ تَفوتُونَه وإن أمهَلَكم؛ قِيل: هَذَا تَأجيل مِنَ ا لله للمشركين؛ فمن كَانَ مُدَّة عهده أقلَّ مِن أربعة أشهر رفعه إِلىَ أربعة أشهر، ومن كَانَت مُدَّته أكثر من أربعة أشهرٍ حَطَّهُ إِلىَ أربعة أشهر؛ ثُمَّ هُوَ حَربٌ بَعد ذَلِكَ لله ورسوله، يُقتَل حيثُ أُدرِك ويُؤسر إلاَّ أن يتوب، وابتداءُ هَذَا الأجلِ يوم الحج الأكبر، ومَن (لَعَلَّهُ) لم يكن لَهُ عهد؛ فإنَّما أجله انسلاخ أشهر الحرم ﴿وأنَّ ا للهَ مُخزي الكَافِرِينَ(٢)﴾ مدَّ لَهُم فِي الدُّنْيَا بالقتل وغيره، وفي الآخِرَة بالعذاب.

﴿وأذانٌ مِنَ ا لله ورسولِه إلَى النـاسِ﴾ الأذان: بمعنـى الإيـذان، وَهُـوَ الإعلام، ومنه الأذان للصـلاة، يقـال: أذنتـه فـأذِن، أعلمتـه فعلـم؛ وأصلـه مِـنَ الأُذُن، أي: أوقعت فِي أُذنه، والفرق بين الجملة الأولى والثانية، الأولى: إخبـار بثبوت البراءة، والثانية: إخبار بوجوب الإعلام بِمَا ثبت؛ وإنَّما عُلِّقت الـبراءة بـالذين عُوهِـدوا مِـنَ المشـركين، وعُلِّـق الأذان بالنـاس، لأنَّ الـبراءة مختصَّـة بالمعاهدين والناكثين مِنْهُم، وَأَمَّا الأذان فعامٌّ لجميع الناس، مَن عاهد ومـن لم يعاهد، ومن نكث مِنَ المعاهدين ومن لم ينكـث. ﴿يـومَ الحـجِّ الأكـبرِ﴾ يـومَ عرفة، لأنَّ الوقوف بعرفة مُعظَمُ أفعالِ الحج، أو يوم النحر، لأَنَّ فِيهِ تمـام الحـج مِنَ الطواف والحلق والرمي؛ ووصفَ الحجَّ بالأكبر، لأَنَّ العمـرة تسـمَّى الحـجَّ الأصغر، أو لِعِظَم حُرمَتِه مَعَ عظم الاجتماع، قيل: مَا يجتمـع خلـق فِي الدُّنْـيَا كما يجتمع فِي يوم عشية[1] عرفة.

﴿أَنَّ ا لله بريءٌ مِنَ المشركين ورسولُه، فـإن تُبتُـم﴾ رَجَعتُـم مِـنَ الكفـر والغدر، وأخلصتم التوحيـد، ﴿فهـو خـيرٌ لكـم﴾ مِـنَ الإصـرار عَلَـى الكفـر؛ ﴿وإن تولَّيتم﴾ عَـن التوبـة أو ثبتُّـم عَلَـى التـولي والإعـراض عَـن الإسـلام، ﴿فاعلموا أَنَّكُم غـير مُعجـزي ا لله﴾ لاَ تفوتونـه طلبـا، وَلاَ تعجزونـه هربـا، ﴿وبشِّر الذِينَ كَفَرُوا بعذاب أليم(٣)﴾ مكَانَ بشارةِ المؤمنين بنعيم مُقيم.

﴿إلاَّ الذِينَ عاهدتـُّم مِنَ المشـركين﴾ استثناء مـن قولـه: ﴿فسـيحوا فِي الأَرْض﴾ والمعنـى: بـراءةٌ مِـنَ ا لله ورسـولِه إِلَى الذِيـنَ عـاهدتُّم مِـنَ المشـركين

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «عشيَّة»، أو - «يوم».

فقولوا لَهُم: سِيحوا، إلاَّ الذِينَ عاهدتُّم مِنْهُم. ﴿ثمَّ لم ينقصُوكم شَيْئًا﴾ من شروط العهد، أي: وَفَّوا بالعهد و لم ينقضوه، ﴿ولم يظاهروا عَلَيْكُم أحدا﴾ و لم يُعاونوا [٢٠٢] عَلَيْكُم عدوًّا؛ ﴿فأتِمُّوا إِلَيْهِم عَهْدَهم﴾ فأدُّوا إِلَيْهِم تمامًا كَملاً ﴿إلَى مدَّتهم﴾ والاستثناء: بمعنى الاستدراك، كأنَّه قيل: بعد أن أُمروا فِي الناكثين لكنَّ الذِينَ لم ينكثوا فأتِمُّوا إِلَيْهِم عهدَهم، وَلاَ تجروهم مجراهم، وَلاَ تجعلوا الوافي كالغادر، ﴿إنَّ ا لله يحِبُّ المتَّقِينَ(٤)﴾ أي: إنَّ قضيَّة التقوى أن لاَ تُسوي بين من أوفى بِمَا عاهد عليه وبين الناقض.

﴿فإذا انسلخَ الأشهر الحرُمُ﴾ التِي أُبيح فِيهَا للناكثين أن يسيحوا، سُميت أشهر الحرم[1]، لأَنَّهُ يحرم فِيهَا عَلَى المؤمنين دماء المشركين، ﴿فاقتلوا المشركين﴾ الذِينَ نقصوكم وظاهروا عَلَيْكُم، ﴿حيث وجدتُّمُوهم، وخذوهم﴾ وأسِروهم ﴿واحصروهم﴾ وقيدوهم، وامنعوهم مِنَ التصرُّف فِي البلاد، ﴿واقعدوا لَهُم كُلَّ مرصد﴾ كلَّ مَمَرٍّ ومجتازٍ ترصدونهم بِهِ؛ ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فخلُّوا سبيلهم﴾ فأطلقوا عَنْهُم بعد الأسر والحصر؛ أو فكفُّوا عَنْهُم وَلاَ تتعرَّضوا لهم، فإنَّه مَا يُراد بقتلهم وأسرهم وحصرهم إلاَّ التوبةُ وأداءُ الحقوق، ﴿إنَّ ا لله غفُور﴾ لمن تاب، ﴿رحيم(٥)﴾ لاَ يُعاجل بالعقوبة.

﴿وإنْ أَحدٌ مِنَ المشركين استجارك فأجِره﴾ المعنى: وإن جارك أحدٌ مِنَ المشركين بعد انقضاء الأشهر لاَ عهدَ بينكَ وبينه، واستأمنك ليسمع مَا تدعو إِلَيْهِ مِنَ التوحيد والقرآن فأمنهُ، ﴿حتىَّ يسمعَ كلامَ ا لله﴾ ويتدبـَّره ويطَّلع

[1] - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «أشهرًا حرمًا»، أو «الأشهر الحرم».

عَلَى حقيقته ومكنون سره، ويسمع ما لَـه و[مـا]عليـه مِـنَ الثـواب والعقـاب؛ ﴿ثمَّ أَبْلِغه﴾ بعد ذَلِكَ ﴿مَأمَنَه﴾ داره التِـي يأمن فِيهَا أن يَسلَم؛ ثُـمَّ قاتلـه إن لم يَنجع فِيهِ كلامُ ا لله، وثَبت عَلَـى شركه؛ وفيـه دليـل عَلَـى أنَّ الـمُؤتَمِن لاَ يُؤذَى، وليس لَهُ الإقامة فِي دارنا، ويُمكَّن مِنَ العَودَة إِلَى مَأمَنِه؛ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر بالإجارة؛ ﴿بأنَّـهم قومٌ لاَ يَعْلَمُـونَ(٦)﴾ بسـبب أنـَّهم قـومٌ جهلـة، لاَ يَعْلَمُونَ مَا الإسلام، وَمَا حقيقة مَا يدعـو إِلَيْـهِ، وَلاَ ديـن ا لله، وَلاَ توحـيده، فـلا بدَّ من إعطائهم الأمان، حتَّى يسمعوا ويفهموا الحقّ.

﴿كيـف يكـونُ للمشـركين عهـدٌ عنـد ا لله وعنـد رسـوله﴾؟ «كيـف» استفهام فِي معنى الاستنكار، أي: مستنكر أن يَثبُت لهؤلاء عهدٌ، فـلا تطمعـوا فِي ذَلِكَ، وَلاَ تتعجَّبوا من نقـض العهـد منهـم، لأَنـَّهُم جهلـةٌ لا يعلمـون ثمـرةَ الإسلام، ولا ما يُثمِر لهم شركهم؛ ولكن تعجَّبوا من وفائهم وتمامهم للعهـد، وَلأنـَّهم قوم جُبِلُوا عَلَى النقـد مـن حيـث أنَّ ذَلِـكَ مـن طِبـاعهم، وشـهواتهم المركَّبة فِيهِم، وليس شَيْء يُزعِجُهم[1] ويُنهِضُهم عَن ذَلِكَ إِلَى الوفاء مِن خوفِ ا لله وَلاَ عارٍ مِـنَ النـاس؛ ﴿إلاَّ الذِيـنَ عاهدتُـم﴾ أي: وَلكـنَّ الذيـن عـاهدتم مِنـْهُم ﴿عند المسجد الحرام﴾ و لم يَظهر مِنـْهُم نَكْـث، فَتربـَّصوا أمرهـم وَلاَ تقاتلوهـم. ﴿فما استقاموا لكم﴾ فما أقاموا عَلَـى وفـاءِ العهـدِ؛ ﴿فاسـتقيموا لَهُم﴾ عَلَى الوفاء، ﴿إنَّ ا لله يُحِبُّ المتقِينَ(٧)﴾ يعـني: أنَّ التربـُّص بهـم مـن أعمال المتَّـقين.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصحّ: «يرجعهم».

﴿كيف وإن يَظهَروا عليكم﴾ تكرارا لاستبعاد ثباتِ المشركين عَلَى العهدِ، وحُذفَ الفعلُ لكونه معلوما، أي: كيفَ يكونُ لَهُم عهدٌ وحالُهم أنَّهم إن يظهروا عَلَيْكُم، أي: يظفَروا بكم بوجدان الفرصة بعد مَا سبق لَهُم من تأكيد الأيمان والمواثيق. ﴿لاَ يرقبوا فيكم إلاًّ﴾ لاَ يراعوا، وَلاَ يحفظوا حِلفًا أو قرابة، ﴿وَلاَ ذمَّةً﴾ عهدًا؛ ﴿يُرضونكم [٢٠٣] بأفواههم﴾ بالوعد بالإيمان، والوفاء بالعهد، وَهُوَ كلام مبتدأ فِي وصف حالهم من مخالفة الظاهرِ الباطنَ، مقرر لاستبعاد الثبات مِنْهُم عَلَى العهد، ﴿وتأبى قُلوبُهم﴾ الإيمانَ والوفاءَ بالعهد، ﴿وأكثرُهم فاسقُونَ(٨)﴾ ناقضون العهد، أو متمردون فِي الكفر، لاَ مروءة تَزَعُهم عَن الأدب، وَلاَ شمائل تَردَعُهم عَن النكث.

﴿اشتروا﴾ استبدلوا ﴿بآيَاتِ الله﴾ بالقرآن أو بما قام عَلَيْهم به مِنَ الحجج، ﴿ثمنا قليلا﴾ عَرَضا يَسِيرا، وَهُوَ اتباع الأهواء والشهوات، ﴿فصدُّوا عَن سبيله﴾ فَعَدَلُوا عَنْهُ، وصرفوا غيرهم؛ ﴿إنَّهم ساء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩)﴾ أي: بئس الصنيعُ صنيعهم.

﴿لاَ يَرقُبون فِي مُؤمِن إلاًّ وَلاَ ذمَّة وأُولَئِكَ هُمُ المعتدون(١٠)﴾ المجاوزون الغاية فِي الظلم والشرارة.

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة، فإخوانكم فِي الدين﴾ لاَ فِي النسب؛ ﴿ونفصِّل الآيات﴾ ونبينُها ﴿لقوم يَعْلَمُونَ(١١)﴾ يفهمون، فيتفكّرون فِي أسرارها، وهذا اعتراض، كأنّه قيل: وإنَّ من تَأمَّلَ تفصيلها فهو العالم، تحريضا عَلَى تَأمُّل مَا فصَّل من أحكامِ المشركين المعاهدين، وَعَلَى المحافظة عليها.

﴿**وإن نكثُوا أَيمانَهم من بعدِ عهدِهم**﴾ أَي: نقضـوا العهـود المؤكَّدة بأيمـان، ﴿**وطَعَنوا فِي دِينكم**﴾ أي: (لَعَلَّهُ) قَدَحوا فِيـهِ [و]عـابوه؛ ﴿**فقـاتِلوا أئمـَّة الكفـر إنـَّهم لاَ أَيمان لَهُم**﴾ عَلَى الحقيقة، ويحتمل أن لاَ أَيمان لَهُم بعد نقضهم، أَي: فلَـم تبقَ لهم عَلَى الـمُسْلِمِينَ يمين بعد حلِّهم إِيَّاها، و لم تقع بَيْنَــهُم وبـين الـمُسْلِمِينَ معاهدة، ﴿**لَعَلَّهُم ينتهون**﴾ أَي: ليكن غرضُكم فِي مُقَـاتَلتهم انتهـاؤهم عمـَّا هـم عليه، بعدما وُجد مِنْهُم مِنَ العظائم، وهذا من غايةِ كرَمِهِ عَلَـى المسـيء، وأنـَّه لاَ يُعاجِل بعقوبة الاستئصال قبل بلوغ الكتاب أجله.

ثُمَّ حرَّض عَلَى القتال، فقال: ﴿**أَلاَ تُقَاتِلون قَومـا نَكثـوا أَيمـانهم**﴾ التِـي خلَفوها فِي المعاهدة، ﴿**وهمُّوا بإخراجِ الرسول**﴾ من مكَّة، ﴿**وَهُـم بَدَءُوكُـم أَوَّلَ مرَّة**﴾ بالقتـال، والبـادئ أظلـم؛ فمـا يمنعكـم مـن قتـالهم؟ وبَّخهـم بـترك مقاتلتهم، وحضهم عليها؛ ثُمَّ وصفهـم بِمَـا يوجـب الحضَّ عليهـا مـن نكـث العهدِ، وإخراج الرسـول، والبـدءِ بالقتـال مـن غـير موجـب. ﴿**أتخشَـونَهم**﴾ تخـافونهم، فتـتركون قتـالهم؟ توبيـخ عَلَـى الخشية مِنْهُم؛ ﴿**فـا لله أحـقُّ أن تَخشَـوه**﴾ بـأن تخشـوه فتقـاتلوا أعـداءه، وتمتَـثِلوا أمـره، ﴿**إن كُنتـُـم مؤمنِينَ(١٣)**﴾ أَي: إنَّ قضية الإيمـان الكـامل: أن لاَ يخشـى المؤمـن إلاَّ ربـَّه، وَلاَ يُبالي بمن سواه.

وَلَـمَّا وبَّخَهـم الله عَلَـى تـرك القتـال حَـرَدَ[1] لَهُـمُ الأمـر بـِهِ بقولـه: ﴿**قَـاتِلُوهم**﴾ وَوَعَدَهـم النصرَ لتثبـيت قلوبهـم، وتصحيـح نِيـاتهم بقولـه:

---

١ - حَرَدَ حَرْدًا: «قَصَدَ، وبابه: ضرب؛ وقوله تعالى: ﴿فغدوا عَلَى حَرْدٍ قادرين﴾ أي: عَلَـى قَصدٍ، وقيل: عَلَى منع». الرازي: مختار الصحاح، ص٩١. ويمكن أن نقرأ: «جَـرَّدَ لهـم الأمرَ به»، أي خصَّهم به.

﴿يعذِّبْهُمُ ا للهُ بأيديكم﴾ قتلا، ﴿ويُخزِهم﴾ أسرا، ﴿ويَنصرْكُم عليهم﴾ يُغلِّبكم عَلَيْهِم، ﴿ويشفِ صُدورَ قومٍ مؤمنِينَ(١٤)﴾ بإذهاب مَا وقع عليها مِنَ الغيظ، (لَعَلَّهُ) بسبب مخالفتهم وأذاهم لَهُم بدليل قوله:

﴿ويُذهبْ غيظَ قلوبِهِم﴾ وقد حصَّل هَذِهِ المواعيد كلَّها، وكَانَ[1] دليلا عَلَى صِحَّة نُبوَّته، ﴿ويتوب ا للهُ عَلَى من يَشَاء﴾ مِنْهُم، ﴿وا للهُ عليم﴾ مَا كَانَ وَمَا سيكون، ﴿حكيم(١٥)﴾ فِي تدبير أموره وقبول التوبة.

﴿أم حَسِبتم أن تُتركوا وَلَمَّا يَعلَم ا للهُ الذِينَ جاهدوا﴾ أي: لاَ تُترَكُون عَلَى مَا أَنتُم عليه حتَّى يتبيَّن الخُلَّص ﴿منكم﴾ وَهُم الذِينَ جاهدوا فِي سبيل ا للهِ لإعزاز الحق وأهله، وانمحاق الكفر وأهله، ﴿ولم يتَّخذوا من دون ا للهِ﴾ من دون القيام بأمر دينه، ﴿وَلاَ رسولِه وَلاَ المؤمنين وليجة﴾ أي: مَخبَأً وبِطانة مِنَ الذين يُضادُّون [٢٠٤] رسولَ ا للهِ والمؤمنين، كأنَّه قيل: وَلَمَّا يعلم ا للهُ المجاهدين منكم والمخلصين غير المتَّخذين وليجةً من دون ا للهِ؛ والمعنى: أحسبتم أن تُتركوا بلا مُجاهدة وَلاَ براءة مِنَ المشركين؟ ﴿وا للهُ خبير بِمَا تَعْمَلُونَ(١٦)﴾ من إخلاص ونفاق.

﴿مَا كَانَ للمشركين﴾ مَا صحَّ لَهُم وَلاَ استقام ﴿أن يَعمُروا مساجدَ ا للهِ﴾ عَلَى الحقيقة، لأنَّ من كَانَ كافرا، فليس من شأنه أن يعمرها؛ لأنَّ حقيقة عمارة المساجد أن تُعمر بعبادة ا للهِ وحده، لاَ لغرض سواها؛ ومن كَانَ بمعزل عَن العبادة للهِ، فكيف يستقيم مِنْهُ عمارتُها، بل ذَلِكَ مِنَ المُحال،

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وقد حصلت هَذِهِ المواعيد كلُّها، وكانت دَلِيلا».

ومِن تنافي المعاني؛ ومن دخلها لغرض دنياويٍّ فقد تعـدَّى أمـر ا لله مـن حيـث أنـَّه استعملها لغير مَا جُعلت لَهُ، كما قَالَ ﴿ومَن يُرد فِيهِ بإلحاد بِظُلـم...﴾ [1] الآيـة، وقـال: ﴿فِي بيـوتٍ أَذِنَ ا لله أن تُرفـع﴾ أَي: تُمنـع وتطهَّـر عَـن الأمــور الدُّنـيَاوية ﴿ويُذكرَ فِيهَا اسمه﴾ [2] فقد جُعلت للذِّكر كما قَالَ: ﴿وطهـر بيـتيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّعِ السجود﴾ [3]؛ ﴿شاهدين عَلَى أنفسهم بـالكفر﴾ باعترافهم بعبادة غير ا لله بلسان مَقَالهم أو لسان حالهم، والمعنى: مَا استقام لَهُم أن يجمعوا بين أمرين متضادَّين: عمارة متعبَّدات ا لله مَعَ الكفر با لله وبعبادتـه، ﴿أولَـئِكَ حَبِطَـت أعمـالُهم، وفِي النـار هـم خـالدُونَ(١٧)﴾ وإذا وَجَـدت المساجد بـين ظُهرانـي مـن يَقـدر عَلَى عمارتهـا خربـة مِـنَ العمـارة بـالذكر، ومخروبة بأعمال الدُّنـيَا، فذلك دليل عَلَى أنَّ قلوبَهم خاليةٌ مِـنَ الذكـر، خَرِبَـة مشحونة بالوساوس اللَّغْوِيَّة والأوهام الباطلة، كما قَالَ:

﴿إنـَّمَا يَعمرُ مسـاجدَ ا لله﴾ عمارتهـا بالعبـادة لله، لأنـَّها بُنيـت لذلـك وللذِّكر؛ ومِن الذكر درس العلم، ويمنعها عن الذكر جميـع الأمـور الدُّنـيَاويـَّة الشاغلة، إلاَّ من دخلها للذكر، ثُمَّ عرض له أمر دنياويٌّ مِمَّا لاَ يُوعِثُهـا [4] وَلاَ

---

١ - سورة الحـج: ٢٣؛ وتمامهـا: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَـرُواْ وَيَصُـدُّونَ عَـن سَبِـيلِ ا للهِ وَالْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ الذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي، وَمَـن يُّـرِدْ فِـيهِ بِإِلْـحَادٍ بِظُـلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٢ - سورة النور: ٣٦.

٣ - سورة الحجُّ: ٢٦.

٤ - في المنجد: وَعِثَ يَوعَثُ وَعثا الطريق: تعسَّر سلوكه، ووعث الأمر: اختلط وفسد.

يضرُّ بها وَلاَ يَكِرُّ[1] بها، وَلاَ يُؤذي القائمين بها والذاكرين فِيهَا، من قول أو عمل، أو نوم ففيه اختلاف بين المُسْلِمِينَ بالرأي، فقيل: فِيهِ بالمنع، وقيل: بالترخيص، وَأَمَّا مَا يقع مِنْهُ الأذى للمسجد أو عُمَّارِه، فذلك ممنوع بالإجماع، ولو كَانَ قصده عند الدخول للعمارة، ولَحِقه اسم الظلم والتعدي بذلك، كما قَالَ: ﴿ومَن أظلمُ مِمَّن مَنَعَ مساجدَ الله أن يُذكر فِيها اسمه، وسعى فِي خرابها...﴾[2] الآية. وكذلك من قَصَدَها بالدخول لذلك الفعل لاَ للذِّكر، ولو كَانَ مِمَّا لاَ يضرُّ بها وَلاَ يَضرُّ بالقَائمِينَ بها، فذلك لاَ ينساغ جوازه. ﴿مَن آمَنَ بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾. وفي قوله: ﴿ولم يخشَ إلاَّ الله﴾ تنبيه عَلَى الإخلاص، والمراد: الخشية فِي أبواب الدين، بأن لاَ يختار عَلَى رِضى الله رِضى غيره لتوقُّع مَخوف؛ إذِ[3] المؤمن يخشى المحاذير وَلاَ يتمالك لاَ يخشاها [كَذَا]؛ ﴿فعسى أُولَئِكَ أن يكونوا مِنَ المهتدِينَ(١٨)﴾ تبعيدٌ للمشركين عَن مواقف الاهتداء، وحَسمٌ لأطماعهم فِي الانتفاع بأعمالهم؛ والمعنى: إنَّمَا تستقيم عِمارة هؤلاء ويكون معتدًّا بها عند الله دون من سِواهم.

﴿أجعلتم سِقايةَ الحاجِّ﴾ مِنَ العاصين، ﴿وعمارةَ المسجدِ الحرامِ﴾ مِمَّن لم يُؤْمِن إيمانا مقرونا بالعمل، ﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهَدَ فِي

---

١ - كرَّ بمعنى: رجع، ولم يتَّضح معناه في هَذَا السياق، «يقال: (كرَّه) و(كرَّ) بنفسه: يتعدَّى ويلزم». الرازي: مختار الصحاح، ص٣٦١. ويمكن أن نقرأ: «ولا يَكْرِبُها».

٢ - سورة البقرة: ١١٤؛ وتمامها: ﴿...وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاَّ خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

٣ - في الأصل: «إذا المؤمن»، وهو خطأ.

سبيل ا لله، لاَ يستوون عند ا لله، وَا لله لاَ يهدي القوم الظالِمِينَ(١٩)﴾ إنكارا أن يشبه المشركون المؤمنين، وأعمالُهم [٢٠٥] المحبَطة، بأعمالهم المثبَتَة، وأن تُسوَّى بَيْنَهُم؛ وجعل تسويتهم ظلما بالكفر[١] لأنَّهم وضعوا المدح والفخر فِي غير موضعهما قيل: نزلت جوابا لقول العبَّاس حين أُسر، وجعل يوبَّخ بقتال رسول ا لله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال: «تَذكُر مساوئنا، وتَدَع محاسننا» فقيل: أولَكم محاسن؟ فقال: «نعمر المسجد ونسقي الحاجَّ ونفكُّ العاني»؛ وقيل: افتخر العبَّاس بالسقاية وشيبة بالعمارة.

﴿الذِينَ آمنوا وهاجروا وجاهدوا فِي سبيل ا لله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً﴾ أعلى رُتبةً، وأكثر كرامةً مِمَّن لم يستجمع هَذِهِ الصفات **﴿عند ا لله﴾** من أهل السقاية والعمارة **﴿وأولئك هُمُ الفائزُونَ(٢٠)﴾** لاَ مَن سَقَى الحاجَّ، وعَمَرَ المسجد الحرام بغير إيمان حقيقيٍّ.

﴿يبشِّرهم ربُّهم برحمةٍ مِنْهُ﴾ بتوفيق وتيسير فِي الدُّنْيَا **﴿ورضوان﴾** ورضًى عَنْهُم **﴿وجنَّات لَهُم فِيهَا نعيم مقيم(٢١) خالدين فِيهَا أبدا إِنَّ ا لله عنده أجر عظيم(٢٢)﴾** يُستحقر دونه مَا استوجبوه لأجله، أو نعيم[٢] الدُّنْيَا.

﴿يَا أيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تتَّخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبُّوا الكفر عَلَى الإيمان ومن يتولَّهم منكم فأولئك هُمُ الظالِمُونَ(٢٣)﴾ بوضعهم الموالاة فِي غير موضعها.

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وجعل تسويتهم بالكفر ظلما».

٢ - فِي الأصل: «النعيم»، وهو خطأ.

﴿قل: إن كَانَ آباؤُكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها، وتجارةٌ تَخشَون كسادَها، ومساكنُ تَرضونها أحبَّ إليكم مِنَ ا للهِ ورسوله وجهادٍ فِي سبيله﴾ أي: الحبُّ الاختياري دون الطبيعي، فإنَّه لاَ يدخل تحت التكليف؛ ﴿فتربَّصوا﴾ فانتظروا ﴿حَتَّى يأتي ا لله بأمره﴾ وَهُوَ الموت، أو عذابٌ عاجلٌ أو آجل، أو فتح مكَّة، ﴿وا لله لاَ يهدي القوم الفاسقِينَ(٢٤)﴾ والآية تنعى عَلَى الناس مَا هم عليه من رخاوة عُقَد الدين، واضطراب حبل اليقين، إذ لاَ تجد أورع الناس يُؤثِر دينه عَلَى الآباء والأبناء والأهواء وحظوظِ الدُّنْيَا.

﴿لَقَد نصركم ا لله فِي مواطنَ كثيرة﴾ مَعَ قِلَّتكم وضعفكم وكثرة عدوكم وقوَّتِهم، يُذكِّرهم ا لله بين تلك الوقائع وبين وقعةِ حُنَين ﴿ويوم حنين﴾ أي: واذكر يومَ حُنَين: وَهُوَ وَالدَّلِيل ـ قيل ـ بين مكَّة والطائف، كَانَت فِيهِ الوقعة بين المُسْلِمِينَ ـ وَهُم اثنا عشر ألفا ـ وحَرْبُهم[1] أربعة آلاف فيما قيل؛ ﴿إذ أعجبتكم كثرَتُكم﴾ فأدرك المُسْلِمِينَ كلمةُ الإعجاب بأكثره[2]، وزال عَنْهُم أنَّ ا لله هُوَ الناصر لاَ لكثرة الجنود، فانهزموا؛ والعجب من هَذَا الإعجاب كيف عَمَّهم جميعًا، وزيَّن لَهُمُ الشيطان (لَعَلَّهُ) ذَلِكَ. ﴿فلم تُغن عنكم شَيْئًا، وضاقَت عَلَيْكُم الأَرْض بمَا رَحُبَت﴾ المعنى: لم تجدوا موضعا لفراركم عَن أعدائكم ﴿ثُمَّ ولَّيتم مدبرِينَ(٢٥)﴾.

١ - «وقومٌ حَرْبٌ كذلك، وذهب بعضهم إِلَى أَنَّهُ جمع "حارب" أو "محارب" عَلَى حذف الزائد». ابن منظور: لسان العرب، ١/٥٩٥، مادَّة «حرب».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «بالكثرة».

﴿ثُمَّ أنزل ا لله سكينَتَه﴾ رحمَتَه التِي سكنوا بها، بعد أن تابوا من إعجابهم وآمنوا. ﴿عَلَى رسوله وعلى المؤمنين﴾ سمَّاهم مؤمنين عَلَى الحقيقة، بعدما أنزل سكينته عَلَيْهِم، ﴿وأنزل جُنودا لم تَروها وعذَّب الذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر، ﴿وذلك جزاء الْكَافِرِينَ(٢٦)﴾ أي: مَا فَعَل بهم إلاَّ جزاء لكفرهم فِي الدُّنْيَا.

﴿ثُمَّ يتوبُ ا لله مِن بعد ذَلِكَ[1] عَلَى مَن يَشَاء﴾ مِنْهُم، من تاب مِنْهُم، وأهل مشيئته هُمُ التائبون ﴿وا لله غَفُور رحيم(٢٧)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِنَّمَا المشركون نَجَسٌ﴾ لِخُبث بواطنهم [٢٠٦] وظاهر معاملتهم، كالنجاسة بعينها، ظاهرُها خبيثٌ وباطنُها خبيثٌ؛ مبالغةً فِي وصفهم. ﴿فلا يقربوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِهم هَذَا﴾ قيل: نهيُ المشركين أن يَقربُوه راجع [إلى] نهي المُسْلِمِينَ عَن تمكينهم، وذلك لأَنَّهُ لاَ تصلح لَهُم أحوالهم، وَلاَ يَصلُحون لعمارته؛ ﴿وإن خفتم عَيلَة﴾ أي: فقرا، بسبب منعِ المشركين مِنَ الحج، وَمَا كَانَ لكم فِي قدومهم عَلَيْكُم مِنَ الأرفاق[2] والمكاسب؛ ﴿فسوف يغنيكمُ ا لله مِن فضله﴾، كلُّ شيء يتركه المرءُ لله وكَانَ سبب غناه فِي الدُّنْيَا، فسوف يُغنيه ا لله من فضله بسواه ﴿إن شاء﴾، هُوَ تعليمٌ لتعليق الأمور بمشيئة ا لله لِتنقطع الآمال إِلَيْهِ. ﴿إنَّ ا لله عليم﴾ بأحوالكم، ﴿حكيم(٢٨)﴾ فِي تحقيق آمالكم.

١- في الأصل: - «مِن بعد ذلك»، وهو سهو.

٢ - «والرِّفق والمِرفَق، والمَرفِق، والمَرفَق: ما استعين به... وَفِي التنزيل: ﴿ويهيِّء لكم من أمركم مرفقا﴾». ابن منظور: لسان العرب، ١٢٠١/٢. مادَّة «رفق».

ونزل فِي أهل الكتاب: ﴿قاتِلوا الذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بـا لله وَلاَ بـاليوم الآخـر﴾ فإن قيل: أهل الكتاب يُؤْمِنُونَ با لله واليوم الآخر، قيل: لاَ يُؤْمِنُونَ كإيمان المؤمنين؛ فإنَّـهم إِذَا قَالُوا: العُزَير ابن ا لله والمسيح ابن ا لله، لاَ يكـون ذَلِـكَ إيمانـا لله. ﴿وَلاَ يُحرِّمـون مَـا حَـرَّم ا لله ورسـوله، وَلاَ يدينـون ديـن الحقّ﴾ وَلاَ يعتقـدون ديـن الإسلام الذِي هُوَ الحقُّ، لأَنَّ التديُّـن: هُوَ الاعتقـاد، يقـال: فـلان يَدِيـن بكـذا، إِذَا اتَّـخَذَه دِينه ومُعتقده[1]؛ وقيل معنـاه: وَلاَ يطيعـون ا لله طاعـة أهـل الحـق. ﴿مِن الذِينَ أوتوا الكتاب حَتَّى يُعطوا الجزيَة عَن يدٍ﴾ أي: عَن يدٍ مُواتِيـة غـير مُمتنعة ﴿وَهُم صاغرُونَ(٢٩)﴾ لأَنَّ كلَّ من لم يستكمل طاعةَ ا لله فهو للصَّغَار أهلٌ.

﴿وقالت اليهود: عُزيـر ابـن ا لله، وقـالت النصـارى: المسـيح ابـن ا لله، ذَلِكَ قولهم بأفواههم﴾ أَي: قولٌ لاَ يَعضُده بُرهان، وَلاَ يستند إِلَىَ بيـان؛ فمـا هُـوَ إِلاَّ لفـظٌ يَفُوهون بِهِ، فارغٌ معناه؛ لأَنَّهُ صادر عَن ظنٍّ لاَ عَن حقيقة. قَالَ أهل المعاني: لم يَذكر ا لله عـزَّ وجـلَّ قـولاً مقرونـا بـالأفواه والألسـنة إِلاَّ كَـانَ ذَلِـكَ زورا. ﴿يُضَـاهِئُون﴾ يشابهون ﴿قول الذِينَ كَفَرُوا﴾ بكذبهم عَلَى ا لله بالقول أو العمل ﴿من قبلُ﴾ [مـن قبلِ] هَؤُلاَءِ؛ ﴿قَاتَلهم ا لله﴾ أي: هم أحقَّاء بِأَن يقال هَذَا، لأنَّـهم حزبٌ لله وحـزبٌ للشيطان؛ ومن قَاتَله مولاه لاَ يُرجى لَهُ فلاح وَلاَ نجاح، وَهُوَ هالك معذَّب فِي الدُّنْـيَا والآخِرَة، وهذا وعيد وتهدُّد عَلَى كل من كفر با لله بارتكاب كبيرة، أو إصـرارٍ عَلَـى صغيرة أصرَّ عليها و لم يتب منها لَمحة عين، مُقيما عَلَى ذَلِكَ ﴿أنىَّ يؤفكُـونَ(٣٠)﴾ كيف يُصرفون عَن الحق بعد قيام البرهان.

---

١ - في الأصل: + «ومعتقده».

﴿اتَّخَذُوا أحبارَهم﴾ علماءهم ﴿ورُهبَانَهم﴾ نُسَّاكَهم ﴿أربابا﴾ آلهة ﴿من دون ا لله﴾ قَالَ ابن رَوْح: «﴿اتَّخَذوا أحبارَهم ورُهبانهم أربابا من دون ا لله﴾ فجاء فِي التأويل أنَّهم لم يتَّخذوا أحبَارهم ورهبانهم أربابا من دون ا لله وَلاَ آلهة مَعَ ا لله، ولكن قلَّدوهم دينَهم فاتَّبعوا قولهم فيما لاَ يَحلُّ أن يتَّبعوهم فِيهِ؛ فخالفوا ـ فِي اتبَاعهم لقول أحبارهم ورهبانهم ـ الحقَّ فِي ذَلِكَ، واستحقُّوا عند ا لله أن سَمَّاهم ا لله بأنَّهم قد اتَّخَذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا» انتهى. ﴿والمسيحَ ابن مَرْيَم﴾ عطفٌ عَلَى "أحبارَهم". ﴿وَمَا أُمروا إلاَّ ليعبدوا إلها واحدا لاَ إله إلاَّ هُوَ سبحانه عمَّا يُشرِكُونَ(٣١)﴾ تنزيه إله[1] عَن الإشراك.

﴿يُريدون أن يُطفِئوا نور ا لله﴾ وَهُوَ قيام الدليل ﴿بأفواههم﴾ [٢٠٧] بشركهم وقولهم غير الحق عَلَى ا لله؛ ﴿ويأبى ا لله إلاَّ أن يُتمَّ نوره﴾ بإعلاء التوحيد، وإعزاز الإسلام، ﴿ولو كَرِه الْكَافِرُونَ(٣٢)﴾ مَثَّل حالهم فِي طلبهم أن يُبطلُوا وحدانية ا لله باتخاذ الآلهة من دونه، بِحال من يريد أن يَنفُخ فِي نور عظيمٍ ساطعٍ عَلَى جميع الموجودات الشاهدة لَهُ بالوحدانية، يريد ا لله أن يزيده ويبلغَه الغايةَ القصوى مِنَ الإشراق ﴿ولو كره الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الذِي أرسلَ رسوله﴾ محمَّدًا ﷺ ﴿بالهدى﴾ بالقرآن ﴿ودين الحقِّ﴾ الإسلام، ﴿ليظهِره﴾ لِيُغلِبَه ﴿عَلَى الدين كلِّه﴾ عَلَى كل دين خالفه ﴿ولو كره المشركُونَ(٣٣)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تنزيهًا له»، أو «تنويهٌ لله».

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إنَّ كثيرا مِنَ الأحبار والرهبَان﴾ المتسمَّونَ بهذا الاسم الشريف بزعمهم ﴿لَيَأكُلُون أموالَ الناس﴾ استعَارَ الأكلَ للأخذ ﴿بالباطل، ويصدُّون﴾ سَفَلَتَهم ﴿عَن سبيل ا لله﴾ دينه.

﴿وَالذِينَ يكنِزون الذهبَ والفضَّة وَلاَ يُنفقونها فِي سبيل ا لله﴾ خُصَّا بالذكر من بين سائر الأموال، لأنَّهما قانون[1] التموُّل، وأثمان الأشياء. قَالَ ابن عمر فيما يُروى عَنْهُ: «كُلُّ ما يُؤَدَّى زكاته فليس بكنز، وإن كَانَ مدفونا، وكُلُّ ما لاَ يُؤدَّى زكاته فهو كنز وإن كَانَ غير مدفون». ﴿فبشِّرهم بعذاب أليم(٣٤)﴾ بِمحقِ مَا يكنزونه فِي الدُّنيَا وفي الآخِرَة، كما قَالَ:

﴿يوم يُحمَى عليها فِي نارِ جَهَنَّم﴾ إنَّ نار جَهَنَّم يُحمي عليها أي: تُوقد ﴿فَتُكوى بها جِباهُهُم وجُنوبهم وظُهورهم﴾ لأنَّ جمعهم وإمساكهم كَانَ لطلب الوَجَاهة بالغنى، والتنعُّم بالمطاعم الشهيَّة والملابس البهيَّة ﴿هَذَا مَا كنزتم لأنفسكم﴾ يقال لهم: هَذَا مَا كنزتموه لتنتفع بِهِ نفوسُكم، وَهُوَ توبيخ. ﴿فذوقوا مَا كُنتُم تَكنزُونَ(٣٥)﴾ أي: وبالَ المالِ الذِي تكنزونه.

﴿إنَّ عدَّة الشهورِ عندَ ا لله اثنا عشرَ شهرا﴾ من غير زيادة، والمراد: بيان أنَّ أحكامَ الشرع تُبنى عَلَى الشهور القمريَّة المحسوبة بالأهلَّة، دون الشمسيَّة، ﴿فِي كِتَاب ا لله﴾ فيما أثبته وأوجبه من حكمه أو اللوح، ﴿يوم خَلَقَ السَّمَاوَات والأَرْض منها أربعةٌ حُرم﴾ ثلاثة سَرد: ذو القعدَّة للقعود

---

١ - «والقوانين: الأصول، الواحد: قانون، وليس بعربيٍّ». ابن منظور: لسان العرب، ١٧٧/٥.

عَن القتال، وذو الحجَّة للحج، والمحرَّم لتحريم القتال فِيهِ، وواحد فَردٌ وَهُوَ رجب لترجيب العرب إيَّاه، أَي: تعظيمه؛ ﴿ذَلِكَ الدينُ القيِّم﴾ أَي: الدين المُسْتَقِيم، لاَ مَا يفعله أهل الجاهليَّة، يعني: أنَّ تحريم أربعة الأشهر هو الدين المُسْتَقِيم، دين إبراهيم وإسماعيل، وكَانت العرب تمسَّكت بِهِ، وكَانُوا يعظِّمونَهَا، ويحرمُون القتال فِيهَا؛ ثُمَّ أَحدَثت النسيء فغيَّروا. ﴿فلا تَظلموا فيهنَّ﴾ فِي أشهر الحرُم، أو فِي الاثني عشر ﴿أنفسَكم﴾ بارتكاب المعاصي، ﴿وقاتِلوا المشركين كَافَّة كما يُقاتلونكم كَافَّة﴾أمرٌ وتحذيرٌ لجميع الْمُؤْمِنِينَ أن يتشمَّروا لمعاداة جميع الْكَافِرِينَ، وجعل ا لله جميع المتعبدين مِنَ الجن والإنس حزبين لاَ ثالث لهما، حزبا لله تعالى، وحزبا للشيطان الرجيم؛ ﴿واعلموا أنَّ ا لله مَعَ المُتَّقِينَ(٣٦)﴾ بالنصر.

﴿إنَّمَا النسيء﴾ بالهمزِ مصدر نَسَأَه: إِذَا أخَّره، وَهُوَ تأخير حُرمَة الشهر إِلَى شهر آخر؛ وذلك أنَّهم كَانُوا أصحابَ حُروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وَهُم مُحاربون شقَّ عَلَيْهِم ترك المحاربة، فيحلُّونه ويحرمون مكانه شهرا آخر، حتَّى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم؛ فكَانُوا يُحَرمُون من شق[كَذَا] شهورِ العام أربعة أشهر، ﴿زيادة فِي الكفر﴾ أَي: هَذَا الفعل مِنْهُم زيادة فِي كفرهم؛ [٢٠٨] لأَنَّ لَهُم أعمالاً سيئةً غير هَذَا الفعل، ﴿يُضَلُّ بِهِ الذِينَ كَفَرُوا﴾ بالنسيء، والضمير فِي ﴿يُحِلُّونَه عاما، ويُحَرِّمُونَه عاما﴾ للنسيء، أَي: إِذَا أَحلُّوا شهرا مِنَ الأشهر الحرُم عاما، رجعوا فحرَّموه فِي العام القابل؛ ﴿ليواطئوا عدَّة مَا حَرَّمَ ا لله﴾ ليوافقوا العدَّة التِي هِيَ الأربعة وَلاَ

يخالفوها، وقد خالفوا التخصيص الذِي هُوَ أحدُ الواجبين؛ ﴿فيحلُّوا مَا حَرَّم ا لله﴾ أي: فيحلُّوا مواطأة العدَّةِ وحدها، مِن غير تخصيص مَا حَرَّم ا لله مِنَ القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها. ﴿زُيِّن لَهُم سوء أعمالهم﴾ زَيَّن الشيطان لَهُم ذَلِكَ، فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة. ﴿وا لله لاَ يهدي القوم الْكَافِرِينَ(٣٧)﴾ حال اختيارهم الثابت عَلَى الباطل.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا مَا لكم إِذَا قيل لكم: انفروا فِي سبيل ا لله اثَّاقلتم﴾ أي: تباطأتم ﴿إِلَى الأَرْض﴾ أي: مِلتم إِلَى الدُّنْيَا وشهواتها، وكرهتم مشاقَّ السفرِ ومتاعِبه؛ ﴿أرضيتم بالحياة الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَة﴾؟ بدل الآخرة؟ ﴿فما متاعُ الحياةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَة﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلاَّ قليل(٣٨)﴾ تحقير لها.

﴿إِلاَّ تنفروا يعذِّبكم عذابا أليما﴾ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، لأَنَّهُ حكم بالعذاب عَلَى من لم يمتثل أمره، ﴿ويستبدل قوما غيرَكم﴾ لأَنَّ من سنَّته ذَلِكَ، ﴿وَلاَ تضرُّوه شيْئًا﴾ سُخطٌ عظيمٌ عَلَى المتثاقلين، حيث أوعدهم بعذاب أليم، مطلق يتناول عذاب الدارين، وبه[1] وليستبدل بهم قوما آخرين، خيرا مِنْهُم وأطوع، وإن كَانُوا هم فِي الوجود؛ وأنَّه غنيٌّ عَنْهُم فِي نُصرة دينه، لاَ يقدح تثاقلهم فِيهَا شَيْئًا؛ وقيل: الضمير فِي «وَلاَ تضرُّوه» للرسول، لأَنَّ ا لله وعده أن يعصمَه مِنَ الناس وأن ينصره، وَوَعْدُه كائن لاَ محالة، ﴿وا لله عَلَى كُلِّ شيء قدير(٣٩)﴾ جلَّ عَن أن يُعجزه شيء.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: - «وبه».

﴿**إلاَّ تنصروه فقد نصرَه ا لله**﴾ إنْ لاَ تنصروه فسينصره من نَصَرَهُ حين لم يكن معه إلاَّ رجلٌ واحد؛ فدلَّ بقوله: ﴿فقد نَصَرَه ا لله﴾ عَلَى أنـَّهُ ينصره فِي المستقبل، كما نصره فِي ذَلِكَ الوقت؛ ﴿**إذْ أخرجه الذِينَ كَفَرُوا**﴾ أسند الإخراج إِلَى الكفّار، لأنـَّهُ حين همـُّوا بإخراجه أذن ا لله [له] فِي الخروج، وكأنـَّهم أخرجوه. ﴿**ثانيَ اثنين**﴾ أحد اثنين وهما: رسول ا لله وأبو بكر فيما قيل. ﴿**إذ هُما فِي الغار**﴾ وَهُوَ ثقب فِي جبل، فِي يُمنى مكّة، عَلَى مسير ساعة فيما قيل. ﴿**إذ يقول لصاحبه: لاَ تحزن إنَّ ا لله معنا**﴾ بالنصرة والحفظ، فالمعيَّة المذكورة لاَ يجتمع معها حُزن، وَهُوَ وجود العيان، والعيانُ دَرجةً فوق درجةِ اليقين. قيل: طلع المشركون فوق الغار، فأشفق أبو بكر عَلَى الرسولﷺ فقال له: إن أُصبتَ اليوم ذهب دين ا لله؛ فقال عليه السلام: *«ما ظنُّك باثنين ثالثهما ا لله»*[1]؛ وقيل: لَمَّا دخل الغار، بعث ا لله حمامتين فباضتا فِي أسفله، والعنكبوت نسجت عليه؛ فأعمى ا لله أبصارهم. ﴿**فأنزل ا لله سكينته**﴾ مَا أُلقَي فِي قلبه من الأمَنَةِ التِي سَكَنَ عندها، وعلم أنـَّهم لاَ يصلُون إِلَيْهِ. ﴿**عليه**﴾ عَلَى النبي ﷺ أو عَلَى صاحبه، لأنـَّهُ كَانَ يخاف وكَانَ عليه السلام ساكنَ القلبِ. ﴿**وأيـَّده بجنودٍ لم ترَوهَا**﴾ هُمُ المَلاَئِكَة، يحتمل تأييد ا لله لَهُ

---

١ - رواه البخاري عن أنس «قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ ا للهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ ا للهُ ثَالِثُهُمَا». كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٢٩٥. مسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم ٤٣٨٩. الترمذي: كتاب تفسير القرآن، رقم ٣٠٢١. أحمد: مسند العشرة المبشـَّرين بالجنـَّة، رقم ١١. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «ما ظنـُّك باثنين».

بالمَلاَئِـكَة، لتثبيت قلبه وتـثبيط من عاداه؛ ويحتمل لقتـالهم، لأنَّ ا لله لاَ [٢٠٩] يُعجـزه شـيء. ﴿وجعـل كلمـةَ الذِيــنَ كَفَــرُوا﴾ أي: دعوتهـم إِلىَ الكفــر ﴿السفلى، وكلمة ا لله﴾ دعوته إِلىَ الإسلام ﴿هِيَ العليـا﴾ أي: هِـيَ لم تـزل كَانَت عالية[1] ﴿وا لله عزيز﴾ يُعزُّ بنصره أهلَ كلمته، ﴿حكيم(٤٠)﴾ يُـذِلُّ أهلَ الشرك بحكمته.

﴿انفروا خفافا﴾ فِي النفور لنشاطكم لَهُ، ﴿وثقالا﴾ عَـنْـهُ المشقة[2] عَلَيْكُم، أو خفافاً لقلّة عيالكم، وثقالا لكثرتهـا؛ أو خفافـا مِـنَ السـلاح، وثقـالاً مِنْـهُ؛ أو رجالاً وركبانا، أو شبابا وشيوخا؛ وقيل: مشـاغيل وغـير مشـاغيل. ﴿وجـاهدوا بأموالكم وأنفسِكم﴾ إيجاب للجهاد بهما إن أمكــن، أو بأحدهمـا عَلَـى حسـب الحال، لأنـَّهُمَا لم يُجعلا للعبد إِلاَّ (لَعَلَّهُ) لِيُجاهد بهمـا لاَ غـير، ﴿فِي سـبيلِ ا لله﴾ فِي طاعتـه. ﴿ذلكـم خير لكــم﴾ أي: الجهــاد خـير مــن تركــه، ﴿إِن كُنتــم تَعْلَمُونَ(٤١)﴾ كونَ ذَلِكَ خيرًا، فبادروا إِلَيْـهِ. قيل: خرج سعيد بن المسيِّب إِلىَ الغـزو، وقـد ذهبـت إحـدى عينيـه؛ فقيـل لَـهُ: «إِنـَّك ضعيـف ومُضَــرٌّ» فقــال: «أستـنـفِر الخفيفَ والثقيل، إن لم يُمكني الحرب كثَّرت السواد».

﴿لو كَانَ عَرَضًا﴾ مَا عُرِض لك من مَنافع الدُّنْـيَا؛ يُقال: «الدُّنْـيَا عَرَضٌ حاضر يأكل مِنْهُ البرُّ والفاجرُ». ﴿قريبـا﴾ سَـهل المـأخذِ ﴿وسـفرًا قـاصدا﴾ وسطًا مقاربا، والقصد: المعتدل؛ ﴿لاتـَّبَعُوك﴾ لخَرجوا معك؛ ﴿ولكن بَعُـدَت

---

١ - فِي العبارة اختلال تركيب، والأحسن: «هي التِي لم تزل عالية».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «لمَشقَّته».

عَلَيْهِمُ الشُّقَّة﴾ بُعدُ المسافة، والشُّقَّة: السفر البعيد، لأنَّهُ يَشقُّ عَلَى الإنسان. **﴿وسيحلفونَ با لله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾** ذَلِكَ من دَلائل النبوَّة، لأَنَّهُ أخبر بِمَا سيكونُ قبلَ كونه؛ فقالوا كما أخبر. **﴿يُهلِكون أنفسهم﴾** والمعنى: أنَّهم يُهلكونها بالحلف الكاذب؛ لأَنَّهَا تُهلِك بالمعنى الوَاحِدِ، كما تُهلِك بالمعاني، **﴿وا لله يعلم إنَّهُمْ لكاذبُونَ(٤٢)﴾** بِمَا يعتذرون ويحلفون.

﴿عفا ا لله عنك﴾ كناية عَن الزلَّة، لأنَّ العفو لاَ يكون إلاَّ من تقصير، وَهُوَ من لطيف التعاب[1] بتصدير العفو فِي الخطإ؛ وفيه دلالةُ فَضلِه عَلَى الأنبياء، حيث لم يُذكر مِثلُه لسائر الأنبياء. **﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتَّى يتبيَّنَ لك الذِينَ صَدقوا﴾** فِي عذرهم، **﴿وتعلم الكاذبِينَ(٤٣)﴾** أي: تعلمَ من لاَ عُذر لَهُ؛ قيل: لأَنَّهُ لم يكن يَعرف المنافقين مِنَ المؤمنين بعد بالوحي، كأنَّه أذِن لَهُم عَلَى غير عِلم لَهُ سَبَقَ مِنَ ا لله؛ وفيه زجرٌ لمن يرتكب الأمور عَلَى جهالة، لاَ يَعرف حَجْرَها مِن إباحتها؛ لأَنَّ من دخل فيما لاَ يعلم، فليس بعاقل؛ ثُمَّ أعلمه بحال الفريقين بقوله:

﴿لاَ يستأذنك الذِينَ يُؤْمِنُونَ با لله واليوم الآخر أن يُجاهدوا﴾ ليس من عادة المؤمنين أن يَستأذنوا فِي أن يُجاهدوا **﴿بأموالهم وأنفسهم، وَا للهُ عليم بالمتَّقِينَ(٤٤)﴾** عِدَةٌ لَهُم بأجزل الثواب.

﴿إنَّمَا يَستأذنك الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ با لله واليوم الآخر﴾ يعني: المنافقين، **﴿وارتابت قُلوبهم﴾** شكُّوا فِي دينهم، واضطربوا فِي عقيدتهم؛ **﴿فَهُم فِي**

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «العِتَاب».

رَيبهم يترَدَّدُونَ(٤٥)﴾ يتحيَّرون، لأَنَّ الترَدُّد ديدن المتحير، كما أنَّ الثبات ديدن المستبصر.

﴿ولو أرادوا الخروجَ لأعدُّوا لَهُ﴾ للخروج، أو للجهاد **﴿عُدَّةً﴾** أُهبَة، لأنَّهم كَانُوا قادرين عليها، وترك العُدَّة علامةٌ للتخلُّف؛ **﴿ولكن كرِهَ الله انبعاثَهم﴾** نهوضهم للخروج، كأنَّه قيل: ماخرجوا، ولكن تثبَّطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم، **﴿فثبَّطهم﴾** فحَبَسَهم بالجبن والكسل، وضعف رغبتهم فِي الانبعاث، والتثبيط: التوقيف عَن الأمر بالتزهيد فِيهِ. **﴿وقيل: اقعدوا﴾** أي: قَالَ بعضهم لبعض؛ أو قاله [٢١٠] الرسول ﷺ غضبا عَلَيْهِم؛ أو قاله الشيطان؛ وقيل: أوعي إِلَىَ قلوبهم، وأُلهموا أسباب الخذلان؛ **﴿مَعَ القاعِدِينَ(٤٦)﴾** هُوَ ذمٌّ لَهُم، حيث أنزلوا بالنساء[1] والصبيان والزَّمْنَى الذين شأنهم القعود فِي الحضوض[2] الدُّنْيَاوِيَّة ويُدعى بذلك عَلَى مَن قَعَد عَن فعل جميل.

﴿لو خرَجوا فيكم مَا زادوكم إِلاَّ خَبَالاً﴾ فسادا، ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر، **﴿ولأوضعوا خلالَكم﴾** ولَسَعَوا بينكم بالتضريب[3] والنمائم، وإفساد ذات البين، وَ«لاَ أوضعوا» خُطَّ فِي

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أنزلوا منزلة النساء...».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «الحظوظ»، أو هو من الحضيض، وَهُوَ «قرار الأرْض عند سفح الجبل». ابن منظور: لسان العرب، ٦٦٠/١.

٣ - «ضربتُ الشيءَ بالشيء، وضرَّبتُه: خلطتُه، وضرَبت بينهم في الشرِّ: خلطتُ. والتضريب بين القوم: الإغراء». ابن منظور: لسان العرب، ٥٢١/٣.

المصحف بزيادة الألـف، لأنَّ الفتحة كَـانَت تُكتب ألفًـا قبل الخـطِّ العربي، والخطُّ العربيُّ اختُرع قريبا من نزول القرآن، وقد نفى من تلك الألف أثر فِي الطباع[كَذَا]، فَكَتَبوا صورةَ الهمـزة ألفًـا، وفتحَهـا ألفـًا أُخْرَى، ونحـوُه: «أو لاأذبحنّـه». ﴿يبغُونَكم الفتنةَ﴾ أي: يَطلبون أن يفتنوكـم، بِـأن يُوقعوا بينكـم ويفسدوا نياتكم فِي مغزاكم؛ ﴿وفيكم سَمَّاعون لَهُم﴾ ضعفةٌ يسمعون قولهـم ويطيعونهـم؛ وقيـل: يسـمعونَ حديثكـم، فينقلونـه إِلَـيْهِم؛ ﴿وا لله عليـم بالظالِمِينَ(٤٧)﴾ بالمنافقين.

﴿لَقَد ابتغَوا الفتنـةَ﴾ تشتـُّتَ أمـرِك، وتفريـقَ أصحـابِك، ﴿مـن قبـلُ، وقلَّبوا لك الأمور﴾ ودبَّروا لك الحيَـلَ والمكايد، ودوَّروا لك الآراء فِي إبطال أمرِك أو لَبِسُوا عليك الحقَّ بالباطل، بمعنـى: إضلالـك، ﴿حَتَّـى جـاء الحـَقُّ﴾ ببـيان ا لله لـك، ﴿وظَهَـرَ أمـرُ ا لله﴾ أي: دِينـه عَلَـى كـل ديـن ﴿وَهُـم كارِهُونَ(٤٨)﴾ عَلَى رغم مِنْهُم.

﴿ومنهم مَن يقول: اِئْـذن لي وَلاَ تـفـتـنِّـي﴾ وَلاَ تُوقعـنِي عَلَى الفتنـة، وهي الإثم، بِأن لاَ تَأذن لي فإنـي إن تخلَّفتُ بغيرِ إِذنِك أَثِمتُ. ﴿ألاَ فِي الفتنـةِ سَقطوا﴾ فِي فتنة التخلُّف، أو فِي فتنة النفاق من حيث استأصلَتْـهم وملَكَتهم، ﴿وإنَّ جَهَنَّم لَمُحيطة بالْكَافِرِينَ(٤٩)﴾ لأَنَّ أسبابَ الإحاطةِ أحاطت بهـم، أو هِيَ تحيط بهم يوم القيامة.

﴿إن تُصِبْك﴾ فِي بعض الغـزوات ﴿حسنةٌ﴾ ظفـرٌ وغنيمـةٌ ﴿تَسُؤْهُم، وإن تُصِبك مُصيبَة﴾ نكبةٌ وشدَّة ﴿يقولـوا: قـد أخذنـا أَمْرَنـا﴾ الـذِي نَحْنُ

متّسمون بِهِ مِنَ الحذَرِ والتيقُّظ، والعمل بالحزم ﴿من قبل﴾ من قبلِ مَا وقع، وَهُوَ يشبه معنى قوله: ﴿قَالَ: إِنَّمَا أوتيتُه عَلَى علم عندِي﴾[1]. ﴿ويتولَّوا﴾ من مَقَام التحدُّث بذلك إِلىَ أهاليهم ﴿وَهُم فرحُونَ(٥٠)﴾ مسرورون.

﴿قل: لن يصيبَنا إلاَّ مَا كَتَبَ ا لله لَنَا﴾ أي: قضى من خير وشرٍّ، ﴿هُوَ مولانا﴾ أي: يتولىَّ أمورنا ويعلم مصالحنا، و(لعلَّ) مصالحنا[كَذَا] فيما يصيبنا، ﴿وعلى ا لله فليتوكَّل المؤمنُونَ(٥١)﴾ وحقُّ المؤمنين أن لاَ يتوكَّلوا عَلَى غير ا لله.

﴿قل: هل تَربَّصون بنا﴾ تنتظرون بنا ﴿إلاَّ إحدى الحسنَيَيْن﴾ إلاَّ إحدى العاقبتين اللَّتين كلٌّ منهما حُسنى العواقبِ، وهما النصرة أو الشهادة، ﴿ونحن نتربَّص بكم﴾ إحدى السوأتين، إمَّا ﴿أن يصيبكم ا لله بعذابٍ مِن عندِه﴾ وَهُوَ نزول الموت عَلَيْكُم، ﴿أو بأيدينا﴾ وَهُوَ القتل عَلَى الكُفرِ؛ فانظر كيف سمىَّ ا لله الشهادةَ للمؤمنين إحدى الحسنيين، وقتل الكفَّار عذابا، وهما فعل وَاحِد فيِ الاسم والصفة؛ والمعنى: وذلك لأَنَّ إحدى الحسنيين يفضي بهم إِلىَ الحسنة، وهي الجنَّة، وقتل الْكَافِرِينَ يُفضي بهم إِلىَ العذاب المؤبَّد وَهُوَ نار جهنَّم، أعاذنا ا لله منها. وجميع مَا يُصيب المؤمنَ [٢١١] فيِ الدُّنْيَا مِنَ المكروهِ والمحبوب فهو حسنةٌ لَهُ، وكذا مَا يصيب الْكَافِرَ فيِ الدُّنْيَا مِمَّا يكره أو يحِبُّ فهو عذابٌ لَهُ، لأنَّه يكون سببا لزيادة عذابه فيِ الآخِرَة؛ ﴿فتَربَّصوا﴾ مَا هُوَ عاقبتنا ﴿إنَّا معكم متربِّصُونَ(٥٢)﴾ مَا هُوَ عاقبتكم.

---

١ - سورة القصص: ٧٨.

﴿قل: أنفقوا﴾ فِي وجوه البر ﴿طوعا﴾ عَلَى اختيارٍ منكم، ﴿أو كرها﴾ عَلَى غيرِ اختيارٍ ﴿لن يُتَقبَّل منكم﴾ ليس بمقبول منكم ذا وَلاَ ذا؛ ﴿إنـَّكُم﴾ تعليلٌ لـرد إنفـاقهم، ﴿كُنتُم قوما فاسقِينَ(٥٣)﴾ متمردين خارجين عَن الطاعة، وَلاَ تقومُ طاعةٌ من فاسق.

﴿وَمَا منعهم أن تُقبَلَ مِنْهُم نَفَقَاتُهم إلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ أي: مَا منعهم قبولَ نفقاتهم إلاَّ كفرُهم ﴿با لله وبرسوله، وَلاَ يأتون الصلاة إلاَّ وَهُم كُسالى﴾ متثاقلين ﴿وَلاَ يُنفقون إلاَّ وَهُم كارهُونَ(٥٤)﴾ لأنـَّهم يعدُّونها مغرما، ومنْعَها مَغنما؛ لأنـَّهم لاَ يرجون بها ثوابا، وَلاَ يخافون عَلَى تركها عقابا، لأنـَّهم لاَ يريدون بها وجه ا لله؛ وصفهم بالطوع فِي قوله: ﴿طوعا﴾[1] وسَلَبَه عَنْهُم ها هنا، لأنَّ المراد بِطَوعهم أنـَّهم يُبدلونه من غير إلزام من رسول ا لله ﷺ أو من رؤسائهم، وَمَا طَوعُهم ذَلِكَ إلاَّ عَن كراهةٍ واضطرار، لاَ عَن رغبةٍ واختيارٍ.

﴿فلا تُعجبكَ أموالُهم وَلاَ أولادُهم﴾ فإنَّ ذَلِكَ استدراج ووبال لَهُم، كما قَالَ: ﴿إنـَّمَا يُريد ا لله ليعذِّبهم بها فِي الحياة الدُّنـْيَا﴾ بسبب مَا يكابدون لجمعها وحفظها مِنَ المتاعب، وَمَا يرون فِيهَا من الشدائد؛ والإعجاب بالشيء: أن يُسَرَّ بِهِ سرورًا راضٍ بِهِ، مُعجب من حُسنه؛ والمعنى: فلا تَستحسن بِمَا أُتوا من زينة؛ فإنَّ ا لله إنـَّمَا أعطاهم مَا أعطاهم، ليعذِّبهم بالمصائب فِيهَا، وبالإنفَاق مِنها، وبِنَهبِها وبجمعها وحفظها وحُبها والبخل

١- فِي الأصل: «أو طوعا» وَهُوَ خطأ.

بها والخوف عليها، وكلُّ هَذَا عذاب من حيث أنَّهم لاَ يُؤجَرون عليه؛ وكلُّ من كَانَ أكثر مالا وأولادًا مِنَ الموصوفين، كَانَ أكثر عذابا فِي الدُّنْيَا، وعدمهما[كَذَا] عذاب فِي حق الأكثر مِنَ الكَافِرِينَ؛ وَأَمَّا المؤمنون وإن كابدوا أمرها فلا يُسمَّى عذابا، ويُسمَّى حُسنا، لأنَّ فِعلهم فِيهَا حقٌّ يُثَابون عليه، ويُفضي بهم إِلَىَ جنَّات النعيم. ﴿وتَزهَقَ أنفسُهم، وَهُم كَافِرُونَ(٥٥)﴾ وتخرج أرواحُهم عَلَى الكفر، من عدم توبتهم، والثباتِ عَلَى غيهم؛ وأصل الزهوق: الخروج بصعوبة، فيموتوا كَافِرِينَ مُشتغلين بِالتَّمَتُّعِ العاجل عَن النظر فِي العاقبة، فيكون ذَلِكَ استدراجا لَهُم.

﴿ويحلفُونَ[1] با لله إِنَّهُمْ لَمِنكم﴾ أي: عَلَى دينكم، [وإنَّهم] لَمِن جملة الـمُسْلِمِينَ، ﴿وَمَا هم مِنكُم﴾ لكفرِ قلوبهم، [و]اختلاف أعمالهم، ﴿ولكنَّهم قوم يَفرقُونَ(٥٦)﴾ يَخافون القتل، وَمَا يُفعل بالمشركين؛ فيُظاهرون بالإسلام تقيَّة.

﴿لو يجدون ملجأً﴾ مكانا يَلجأون إِلَيْهِ متحصنين من رأس جبل، أو قلعة أو جزيرة، أو فُرصة لمخالفتكم، ﴿أو مغاراتٍ﴾ أو غِيرَانًا، ﴿أو مُدَّخَلا﴾ أو نَفَقًا يَندسُّون فِيهِ، ﴿لَوَلَّوا إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نَحوَه، ﴿وَهُم يَجمحُونَ(٥٧)﴾ يُسرعون إسراعا لاَ يردُّهم شيء، مُستعمل مِنَ "الفَرَس الجَمُوح"؛ ومعنى الآية: أنَّهم لو يجدون مَخلَصا منكم ومَهرَبا (لَعَلَّهُ) يُخالفوكم.

١- في الأصل: - «و» وَهُوَ سهو من الناسخ.

﴿ومنهم﴾ ومِن المنافقين **﴿مَن يَلمِزُك فِي الصدقاتِ﴾** يَعِيبُك فِي قِسمَتِها، ويطعن عليك؛ **﴿فإن أُعطوا منها رَضُوا﴾** عنك، وفي الآية دليل عَلَى جواز إعطاء الزكاة المنافقين؛ لأنَّ الصدقات فِي هَذَا يُراد بها الزكاة فِي التأويل. **﴿وإن لَم يُعطَوْا منها إِذَا هم يَسخَطُونَ(٥٨)﴾** عليك، وَصَفهم بِأَنَّ رضاهم وسُخطَهم [٢١٢] لأنفسهم لاَ للدين وَمَا فِيهِ صَلاح أهله.

﴿ولَو أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتاهم ا لله ورسوله، وَقَالُوا: حسبُنا ا لله﴾ كَفَانا فضله، **﴿سَيؤتينا ا لله مِن فضلِه ورسولُه﴾** لأَنَّ من تَوَكَّل عليه لاَ شكَّ أنَّه يُغنيه؛ ودليله قوله: **﴿إِنَّا إِلَى ا لله راغبُونَ(٥٩)﴾** فِي أن يُغنينا ا لله من فضله؛ والمعنى: لو أنَّهم مَا أصابهم بِهِ الرسول مِنَ الغنيمة، فطابت بِهِ نُفوسهم ـ وإن قلَّ ـ قَالُوا: كَفانا فضل ا لله وصَنيعه، وحسبُنا مَا قَسَمَ لَنَا، سيرزُقنا غنيمة أُخْرَى فيُؤتينا رسوله ﷺ منها.

﴿إنَّمَا الصدقاتُ للفقراء والمساكين﴾ أي: الزكَوَات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم، **﴿والعاملين عليها﴾** الساعين فِي تحصيلها وجمعها، **﴿والمؤلَّفةِ قلوبهم﴾** للعطاء، **﴿وفي الرقابِ والغارمين﴾** المديونين فِي غير معصية، **﴿وفي سبيلِ ا لله﴾** فِي الجهاد، **﴿وابنِ السبيل﴾** المسافر المنقطعِ عنه ما يكفيه فِي سفره؛ **﴿فريضة مِنَ ا لله﴾** أي: واجب منه **﴿وا لله عليم﴾** بالمصلحة، **﴿حكيم(٦٠)﴾** فيما قَسَمَ، يَضع الأشياء مواضعها.

﴿ومنهم الذِينَ يُؤذون النبيَّ ويقولون: هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كلَّ ما يُقال لَهُ، ويُصدقه. سُمي بالجارحَة للمبالغة، كأنَّه من فَرْطِ استماعه صار آلةً للسَّماع؛

كما سُمي الجاسوس عَيْنًا؛ وإيذاؤهم لَهُ وَهُوَ قولهم فِيهِ: «هُوَ أُذنٌ» قصدوا بِهِ المذمَّة، وأنَّهُ مِن أهل سلامةِ القلوب والغِرَّة[1]، ففسَّره الله تعالى بِمَا هُوَ مدحٌ لَهُ وثناءٌ عليه فقال: ﴿قل أُذُنُ خيرٍ لكم﴾ كقوله: رجل صِدْقٍ، يريد الجودة والصلاح؛ كأنَّه قيل: نَعَم هُوَ أُذُنٌ، ولكن نِعْمَ الأُذن؛ ويجوز أن يريد هُوَ أذنٌ فِي الخير والحق، وفيما يَجب سَماعه وقبوله، وليس بأُذنٍ فِي غير ذَلِكَ؛ ثُمَّ فَسَّرَ كونه أُذن خير بأنَّه ﴿يُؤْمِنُ با لله﴾ أي: يصدق با لله لِما قَام عنده مِنَ الأدلَّة، ﴿ويُؤمن للمؤمنين﴾ ويَقبل مِنَ المؤمنين الخُلَّص وعدَّى فعل "الإيمان" بالباء إِلَى ا لله، لأَنَّهُ قصد بِهِ التصديق با لله الذِي هُوَ ضِدُّ الكفر بِهِ، وَإِلَى المؤمنين باللاَّم، لأنَّه قصد السّماع مِنَ المؤمنين، وأن يسلِّم لَهُم مَا يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده، ألا تَرى إِلَى قوله: ﴿وَمَا أنت بمؤمن لنا﴾[2] كيف ينبو عَن ينبوُ عَن[3] الباء. ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أي: هُوَ رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم مِنَ الكفر إِلَى الإيمان. ﴿وَالذِينَ يُؤذون رسول ا لله لَهُم عذابٌ أليم(٦١)﴾ فِي الدارين، كأنَّ الرسول ﷺ لمَّا كَانَ رحمةً للمؤمنين، كَانَ عذَابا للمنافقين، من حيث استحقُّوا العذاب بإيذائهم لَهُ ومخالفتهم إيَّاه؛ ويحتمل أنَّ نفس الإيذاء يكون عذابا

---

١ - «وَفِي الحديث: "المؤمن غِرٌّ كريم"، أي ليس بذي نُكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، وَهُوَ ضدُّ الخَب، يقال: فتى غِرٌّ، وفتاة غِرٌّ... ومنه حديث الجَنَّة: "يدخلني غِرَّة الناس، أي البُلْهُ الذين لم يجربوا الأمور، فهم قليلو الشر منقادون». ابن منظور: لسان العرب، ٤/٩٧١.

٢ - سورة يوسف: ١٧.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «كيف ينبو عن الباء»، أي أنَّ السياق لا يحتمل إدخال الباء عَلَى الضمير "نا"، فلا يليق أن يقول: «وما أنت بمؤمن بنا».

لَهُم من قبل اشتغالهم بشيء يضرُّهم وَلاَ ينفعهم؛ وبذلك صارُوا عبيدًا مسخَّرين للشَّيطان لعنَه ا للهُ.

﴿**يحلفون با لله لكم ليُرضوكم**﴾ الخطاب للمسلمين، وكَانَ المنافقون يَتكلَّمون بالمطاعن، أو يتخلَّفون عَن الجهاد، ثُمَّ يأتونهم فيعتذرون إليهم، ويؤكِّدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويَرضوا عَنْهُم، لأَنَّهُم يكرهون الافتراق فيِ الظاهر، وإن كَانُوا فارقين فيِ السرائر؛ فقيل: لهم: ﴿**وا للهُ ورسولُه أحقُّ أن يُرضُوهُ إن كَانُوا مؤمنِينَ(٦٢)**﴾ أَي: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحقُّ مَن رضيتم[1] ا لله ورسوله بالطاعة والوفاق.

﴿**ألم يعلموا أَنـَّهُ من يُحادِدِ ا للهَ ورسولَه**﴾ تجاوز الحدَّ [٢١٣] بمشاقته لهما، والمعنى: أن يكون فيِ جانب مُباين عَن أمر ا لله ورسولِه؛ ﴿**فأنَّ لَهُ نار جَهَنَّم خالدا فِيهَا ذَلِكَ الخزيُ العظيم(٦٣)**﴾ الهلاك الدائم، والفضيحة العظيمة.

﴿**يَحذَرُ المنافقون أن تُنزَّل عَلَيْهِم سورةٌ تنبِّئهم بمَا فيِ قلوبهم**﴾ مِنَ الكفر والنفاق، وتهتك عَلَيْهِم أستارهم ﴿**قُلِ: استهزِئُوا إِنَّ ا للهَ مُخرجٌ مَا تَحذَرُونَ(٦٤)**﴾ مُظهرٌ مَا كُنتُم تَحذرونه، أي: تَحذرون إظهاره من نِفاقكم، وكَانُوا يَحذرون أن يَفضَحَهم ا لله بالوحي فيهم، وفيِ استهزائهم بالإسلام وأهلِه؛ حتّى قَالَ بعضهم: «وَدِدت أَني قدمتُ فجُلِدتُ مائة، وأنّه لاَ ينزل فينا شيء يفضحنا».

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أرضيتم».

﴿ولئن سألتَهم ليقولنَّ: إنَّمَا كُنَّا نخوضُ ونلعبُ﴾ قيل: بينما رسول الله ﷺ يسير فِي غزوة تبوك، وركبٌ مِنَ المنافقين يَسيرون بين يديه، فَقَالُوا: «انظروا إِلىَ هَذَا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات!!»، فأطلعَ الله نبيَّه عَلَى ذَلِكَ، فقال: «*احبسوا عَلَى الركب*»، فأتاهم؛ فقال: «*قلتم كذا وكذا*»؛ فَقَالُوا: «يا نبيَّ الله، لاَ وَالله مَا كُنَّا فِي شيء من أمرك، وَلاَ من أمر أصحابك؛ ولكن كُنَّا فِي شيء مِمَّا نخوض فِيهِ، لِيُقصر بعضُنا عَلَى بعضِ السفر»، أي: ﴿ولئن سألتهم﴾ قلت لَهُم: «قلتم ذَلِكَ» لقالوا: ﴿إنَّمَا كُنَّا نخوضُ ونَلعبُ﴾، وكَانَ اعتذراهم عَن اللعبِ باللعبِ[كَذَا]، لأَنَّ الله لاَ يهدي القوم الظالمين للحجَّة، ﴿قل﴾ يا محمَّد، ﴿أَبِاللهِ وآياتِه ورسولِه كُنتُم تستهزئُونَ(٦٥)﴾ لم يعبؤوا باعتذارهم، لأنَّهم كَانُوا كاذبين فِيهِ؛ فجُعِلُوا كأنَّهم مُعترفون باستهزائهم، وبأنَّه مَوجود فِيهِم الخوض واللعب ظاهرا، فلم يقدروا أن ينفوه عَن أنفسهم.

﴿لاَ تعتَذِروا﴾ لاَ تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة، فإنَّها لاَ تنفعُكُم بعد إظهار شركم ونفاقكم، ﴿قد كَفَرتم﴾ قد ظهر كُفركم بالاستهزاء ﴿بعد إيمانكم﴾ الظاهر؛ ﴿إن نَعفُ عَن طائفة منكم﴾ بعد توبتهم[1] وإخلاصهم الإيمانَ بعدَ النفاقِ، ﴿نعذِّب طائفة بأنَّهم كَانُوا مجرمِينَ(٦٦)﴾ مصرين عَلَى النفاق، غير تائبين.

---

١ - فِي الأصل: «تنوبتهم»، وهو خطأ.

﴿المنافقون والمنافقات بعضُهم من بعضٍ﴾ أي: متشابهون فِي النفاق، والبعد عن الإيمان، كأبعاض الشيء الوَاحِد، كأنَّهم نفس وَاحِدَة، أي: عَلَى دينٍ وَاحِد بالاجتماع عَلَى النفاق؛ وفيه نفيٌ أن يكونوا مِنَ المؤمنين، وتكذيبهم فِي قولهم ﴿ويحلفون با لله إنَّهم لمِنكم﴾، وتقرير لقوله: ﴿وَمَا هم منكم﴾؛ ثُمَّ وصفهم عَلَى مضادَّة حالهم لحال المؤمنين، فقال: ﴿يأمُرُون بالمنكر﴾ بالكفر والعصيان، ﴿وينْهَوْنَ عَنِ المعروف﴾ عَن الطاعة والإيمان، ﴿ويقبِضون أيديَهم﴾ شُحًّا بالمَبار والصدقات، والإنفاق فِي سبيل ا لله؛ ﴿نسوا ا لله﴾ تركوا أمره، وغفلوا عَن ذكره، ﴿فنَسِيَهم﴾ فتركهم[1] من رحمته وفضله وتوفيقه، ﴿إنَّ المنافقين هُمُ الفاسقُونَ(٦٧)﴾ هُمُ الكاملون فِي الفسق الذِي هُوَ: التمرُّد فِي الكفر، والانسلاخ [٢١٤] عن كل خير؛ وكفى المسلم زاجرا أن يُلِمَّ بِمَا يُكسِبُه هَذَا الاسم الفاحش، الذِي وُصف بِهِ المنافقون، حين بالغ فِي ذمهم.

﴿وعد ا لله المنافقين والمنافقات والكفَّارَ نَارَ جَهَنَّم خالدين فِيهَا، هِيَ حَسْبُهُم﴾ كَافِيهِم جزاءً عَلَى كفرهم؛ وفيه دلالة عَلَى عِظَمِ عذابها، وأنَّه بحيث لاَ يُزاد عليه، ﴿ولَعَنَهُمُ ا لله﴾ وأهانهم وأبعدهم مَعَ التعذيب المقيم، ﴿ولهم عذابٌ مقيمٌ(٦٨)﴾ دائم أي: فعلتم كفعل الذِينَ من قبلكم، بالعدول عَن أمر ا لله، فلُعِنتُم كما لُعنُوا.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «فطردهم من...».

﴿كالذين مِن قَبلِكم﴾، فمن حين لازموا النفاق، لازمهم العذاب ﴿كَانُوا أشدَّ منكم قوَّةً، وأكثر أموالا وأولادا، فاستَمتَعُوا بخَلاَقِهم﴾ نصيبهم من ملاذ الدُّنْيَا، ﴿فاستَمْتَعْتُم بخَلاَقِكُم﴾ بمَا خُولتُم إيَّاه، ﴿كما استمتع الذِينَ من قبلكم بخَلاَقِهم﴾ ذمَّ الأَوَّلين باستمتاعهم بحظوظهم مِنَ الشهوات الفانية، واشتغالهم بها عَن النظر فِي العاقبة، والسعي فِي تحصيل اللذائذ الحقيقيَّة، ﴿وخُضتُم﴾ دخلتم فِي الباطل، والكذب عَلَى ا لله، وتكذيب رُسُلِه، والاستهزاء بالمؤمنين، ﴿كالذي خاضوا﴾ كالخوض[1] الـذِي خاضوا، والخوض: الدخول فِي الباطل واللهو، ﴿أولَـئِكَ حَبِطَت أعمالُهُم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾، فِي مقابلة قوله: ﴿وآتيناه أجرَه فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ في الآخرة لمن الصالحين﴾[2]، ﴿وأولئك هُمُ الخاسرُونَ(٦٩)﴾ أي: كما حَبِطت أعمالهم، وخسروا، كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم.

﴿ألم يأتهم﴾ يعني المنافقين ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذِينَ من قبلهم﴾، حين عصوا رُسُلنا، وخالفوا أمرنا، كيف عذَّبناهم وأهلكناهم، ثُمَّ ذكرهم فَقَال: ﴿قومِ نوح وعاد وثمود وقومِ إبراهيم وأصحابِ مَديَنَ والمؤتفكاتِ﴾ مدائن قوم لوط، وائتفاكهنَّ: انقلاب أحوالهن عَن الخير إلَى الشر ﴿أتتهم رُسُلهم بالبَيِّنَاتِ﴾ فكذَّبوهم، فعصوهم كما فعلتم، فاحذروا تعجيل العذاب؛ ﴿فما كَانَ ا لله ليظلمهم﴾ فما صحَّ مِنْهُ أن يظلمهم بإهلاكهم، لأَنَّهُ حكيم

---

١ - فِي الأصل: «كالخوظ»، وهو خطأ.

٢ - سورة العنكبوت: ٢٧. وفي الأصل: ﴿واتيناه اجره فِي الدنيا والاخرة﴾ وهو خطأ.

فلا يعاقبهم بغير جرم، ﴿ولكن كانُوا أنفُسَهُم يظلمُونَ(٧٠)﴾ بالكفر، وتكذيب الرسل.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ فِي التناصر والتراحم، والدين، واتفَاق الكلمة، والعون والنصرة، ﴿يَأْمُرُون بالمعروف﴾ بالإيمان والطاعة، ﴿ويَنهَونَ عَن المنكر﴾ عَن الشرك والمعصية، وَمَا لاَ يُعرف فِي الشرع، ﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون ا لله ورسوله﴾ فِي سائر الأمور، ﴿أولَئِكَ سيرحمُهُمُ ا للهُ﴾ لاَ محالة، ﴿إنَّ ا لله عزيزٌ حكيمٌ(٧١)﴾.

﴿وعد ا لله المؤمنين والمؤمنات جَنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا، [٢١٥] ومساكنَ طيبة﴾ تستطيبها النفس، أو يَطِيبُ فِيهَا العيش. وفي الحديث: «*إنَّها قصور مِنَ اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر*»[1]، ﴿فِي جَنَّات عدن﴾ إقامة وخلود؛ ويُروى عَنْهُ الْكَلِيْلاَ أنَّه قَالَ: «*عدن دار ا لله التِي لم ترها*[2] *عين ولم تخطر عَلَى قلب بشر*»[3]، ﴿ورضوان مِنَ ا للهِ﴾ وشيء من

---

١ - لم نعثر عَلَيه فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

٢ - فِي الأصل: «لم تراها»، وهو خطأ.

٣ - جاء فِي صحيح البخاري: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ: «قَالَ ا للهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾». كتاب بدء الخلق، رقم ٣٠٠٥، ونحوه فِي كتاب تفسير القرآن، كتاب التوحيد. مسلم: كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها. الترمذي: كتاب تفسير القرآن. ابن ماجه: كتاب الزهد. أحمد: باقي مسند المكثرين. الدارمي: كتاب الرقاق. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «خطر على قلب».

رضو[1] الله ﴿أكبر﴾ من ذَلِكَ كلّه، لأنَّ رضاه سبب كل فوز، وسعادة وسلامة من كل شرٍّ، كما كانت الدراهم والدنانير سببا لشهوات الدُّنْيَا، وقيل: يقول الله لأهل الجنَّة: «*أُحلُّ لكم رضواني، فلا أسخط عَلَيْكم أبدا*»[2]، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إِلَى مَا وعد أو إِلَى الرضوان، ﴿هُوَ الفوز العظيم(٧٢)﴾ وحده دون مَا يَعُدُّه الناس فوزا.

﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمنافقين واغلُظْ عليهم﴾ وَلاَ تُحَابهم، وكلُّ من وُقِفَ مِنْهُ عَلَى فساد فِي العقيدة، أو مخالفة فِي العمل، فهذا الحكم ثابت فِيهِ، يُجَاهَد بالحُجَّةِ، وتُستعمَل معه الغلظة مَا أمكن منها، ﴿ومأواهم جَهَنَّم وبِئسَ المصير(٧٣)﴾ مصيرهم.

﴿يحلفون بالله مَا قَالُوا﴾ بشيء مِنَ الكذب، فَأكذَبَهُمُ الله بقوله: ﴿وَلَقَد قَالُوا كلمةَ الكفر﴾ يعني قولهم: «إن كَانَ مَا يقول محمَّد حقًّا، فنحن

---

١ - لم أجد في اللسان هَذَا المصدر، وَإِنَّمَا رضي مصدره: «الرضا، مقصور: ضدُّ السخط... وقد رضي، رِضًا، ورُضًا، ورِضوانا، ورُضوانا». ابن منظور: لسان العرب، ٢/١١٧٩.

٢ - نصُّ الحديث عند البخاري: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». كتاب الرقاق، رقم ٦٠٦٧، وكتاب التوحيد. مسلم: كتاب الإيمان، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها. الترمذي: كتاب صفة الجَنَّة، أحمد: باقي مسند المكثرين. العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «لا أسخط».

شرٌّ مِنَ الحمير»، أو هِيَ استهزاؤهم، ﴿وكفروا بعد إسلامهم وهَمُّوا بِمَا لم ينالوا﴾ من قتل محمَّد ﷺ؛ أو من إيثارهم بالدُّنْيَا [كَذَا] عَلَى الآخِرَة. ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ ومَا أنكروا وَمَا عابوا، ﴿إلاَّ أن أغنَاهم ا للهُ ورسوله مِن فضله﴾ وذلك أنَّهم كَانُوا حين قَدِم رسول ا لله المدينة فِي ضَنكٍ مِنَ العيش، لاَ يركبون الخيل وَلاَ يحوزون الغنيمة، فأُثْرُوا بالغنائم. وقتل للجلاَّس[1] مولىً، فأمر رسول ا لله ﷺ بديَّة اثني عشر ألفا فاستغنى، ﴿فإن يتوبوا يكن خيرا لَهُم﴾ فِي الدارين، ﴿وإن يتولَّوا﴾ بالإصرار عَلَى النفاق ﴿يعذِّبهم ا لله عذابا أليما فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾، فكلُّ متولٍّ عَن أمر ا لله معذَّبٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، بدليل هَذِهِ الآية، ﴿وَمَا لَهُم فِي الأَرْض من وليٍّ وَلاَ نصير(٧٤)﴾ ينصرهم مِنَ العذاب.

﴿ومنهم مَن عاهد ا لله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكوننَّ مِنَ الصالحِينَ(٧٥) فَلَمَّا آتاهم من فضله﴾ قيل: نزلت فِي ثعلبة بن حاطب، ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ منعوا حقَّ ا لله، و لم يَفُوا بالعهد، ﴿وتولَّوا﴾ عَن أداء الواجب مِنْهُ ، ﴿وَهُم معرضُونَ(٧٦)﴾.

﴿فأعقبهم نِفَاقًا فِي قلوبهم﴾ فأورثهم البخل نفاقا متمكِّنًا فِي قلوبهم، لأَنَّهُ كان سببا فِيهِ. وقيل: جعل ا لله عاقبة فعلهم فِي ذَلِكَ نفاقًا وسوءَ اعتقادٍ فِي قلوبهم، ﴿إلَى يوم يَلقَونَه﴾ بالموت، أو يلقون جزاء أعمالهم، يريد: حَرَمهم التوبة ﴿بِمَا أخلفوا ا لله مَا وعدوه، وبما كَانُوا يَكذِبُونَ(٧٧)﴾.

---

١ - في الأصل: «اللحلاس»، وهو خطأ.

﴿ألم يعلموا أنَّ ا لله يعلم سرَّهم﴾ مَا أسرُّوه مِنَ النفاق، بالعزم عَلَى خلاف مَا وعدوه، ﴿ونجواهم﴾ وَمَا يتنَاجَون بِهِ فيما بَيْنَهُم، مِنَ المطاعن فِي الدين، وتسمية الصدقة جزية، وتدبير منعها [٢١٦]، ﴿وأنَّ ا لله علاَّم الغيوب(٧٨)﴾.

﴿الذِينَ يَلمِزُون المطَّوعين﴾ بالعيب؛ والمتطوعون: هُمُ المتبرعون ﴿من المؤمنين فِي الصدقات، وَالذِينَ لاَ يجدون إلاَّ جهدهم﴾، وَهُم فقراء الـمُسْلِمِينَ، لاَ يجدون فضلا عَن سد خلَلِهم، فيتصدَّقوا بِهِ، وَهُم أعدم مِنَ الأَوَّلين، لأَنَّ الأَوَّلين يتصدَّقون بالقليل، وهؤلاء لاَ تفضل مكاسبهم عَن لوازمهم، وَهُم أهلٌ لها، ﴿فيَسخَرون مِنْهُم﴾ فيهزؤون؛ ﴿سخر ا لله مِنْهُم﴾، جازاهم عَلَى سُخرِيتِّهم ﴿ولهم عذاب أليم(٧٩)﴾ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة.

﴿استغفر لَهُم أو لاَ تستغفر لَهُم﴾ يريد بِهِ التساوي بين الأمرين فِي عدم الإفادة لَهُم، وذكر عدد السبعين للمبالغة فِي اليأس، عَلَى طمع المغفرة؛ والضمير للمنافقين الذِينَ وصفهم ا لله فيما مضى، ﴿إن تَستغفِر لَهُم سبعين مرَّة﴾، وَمَا كَانَ النبيُّ ﷺ ليستغفر لَهُم بعد أن علم أنَّ ا لله لاَ يَغْفِر لَهُم؛ ﴿فلن يَغفِر ا لله لَهُم ذَلِكَ﴾ إشارة إِلَى اليأس مِنَ المغفرة ﴿بأنَّهم﴾ بسبب أنَّهُمْ ﴿كَفَرُوا با لله ورسوله، وَا للهُ لاَ يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عَن الإيمان، مَا داموا مختارين الكفر والطغيان.

﴿فَرِحَ المخلَّفون﴾ المنافقون الذِينَ استأذنوا رسول ا لله ﷺ، فأذن لَهُم؛ خلَّفهم كَسَلُهم ونفاقُهم أو الشيطان. ﴿بمقعدهم﴾ بقعودهم عَن الغزو، ﴿خلاف رسول ا لله﴾ ﷺ مخالفة لَهُ؛ وذلك بأنَّهم يفرحون بالعاجل،

﴿وكرهوا أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فِي سبيل ا لله﴾ أي: لم يفعلوا مَا فَعَله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فِي سبيل ا لله، وكيف لاَ يكرهونه وليس فِيهِم كما فِي المؤمنين من باعث الإيمان، وداعي الإيقان، ﴿وَقَالُوا لاَ تَنفروا فِي الحَر﴾ قَالَ بعضهم لبعض، أو قَالُوا للمؤمنين[1]. ﴿قل نَارُ جَهَنَّم أشدُّ حرًّا لو كَانُوا يفقهُونَ(٨١)﴾ استجهالٌ لَهُم، لأَنَّ من تَصوَّن من مشقَّة ساعة، فوقع بسبب ذَلِكَ التصوُّنِ فِي مشقَّة الأبد، كَانَ أجهل من كل جاهل. ولأنَّهم ﴿لو كَانُوا يفقهون﴾ أنَّ مآلهم إِلَيْهِا، أو أنَّها كيف هِيَ مَا اختاروها بإيثار الدعة عَلَى الطاعة.

﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ أي: فليضحكون[2] قليلاً عَلَى فرحهم بتخلُّفهم فِي الدُّنْيَا، ويبكون[3] كثيرا ﴿جزاءً﴾ فِي العقبى، إلاَّ أنَّه عَلَى لفظ الأمر للدلالة عَلَى أنَّه حتمٌ واجب لاَ يكون غيره. يروى أنَّ أهل النار يبكون فِي النار عُمْر الدُّنْيَا لاَ يرقى[4] لَهُم دمعٌ، وَلاَ يَكتحلون بنوم، ﴿جزاء بِمَا كَانُوا يكسبُونَ(٨٢)﴾.

﴿فإن رَجَعَك ا لله﴾ أي: ردَّك ﴿إِلَى طائفةٍ مِنهُم﴾ بِأن ردَّك إِلَى المدينة وفيها طائفة مِنَ المتخلفين، يعني: منافقيهم؛ ﴿فاستأذنوك للخروج؛ فقل: لن

١ - فِي الأصل: «المؤمنين»، وهو خطأ.

٢ - كذا فِي الأصل، والصواب: «فليضحكوا».

٣ - كذا فِي الأصل، والصواب: «ويبكوا».

٤ - كذا فِي الأصل، والصواب بالهمزة: «يرقأ»، ففي اللسان: «رقأت الدمعة ترقأ رقْأً ورُقوءا، جفَّت وانقطعت». ابن منظور: لسان العرب، ٢/١٢٠٣.

تخرجوا معي أبدا، ولن تقاتلوا معي عدوًّا، إنّكُم رضيتم بالقعود أوَّل مَرَّةٍ﴾ أوَّل مَا دُعيتم؛ **﴿فاقعدوا مَعَ الخالِفِينَ(٨٣)﴾** مَعَ النساء والصبيان؛ وقيل: مَعَ المرضى والزَّمنَى، وقيل: مَعَ الذِينَ يَخلفون بغير عدل.

﴿وَلاَ تُصل عَلَى أحدٍ مِنْهُم﴾ مِنَ المنافقين **﴿مات أبدا، وَلاَ تقم عَلَى قبره، إنَّهُمْ كَفَرُوا با لله ورسوله، وماتوا وَهُم [٢١٧] فاسقُونَ(٨٤)﴾**.

﴿وَلاَ تُعجبكَ أموالهم وأولادهم﴾ يُريد أموال المنافقين وأولادهم قلَّت أو كَثُرت؛ **﴿إنَّمَا يُريد ا لله أن يعذِّبهم بها فِي الدُّنْيَا، وتزهَقَ أنفسُهم وَهُم كَافِرُونَ(٨٥)﴾** تَكرير للتَّأكيد والمبالغة، والأمر حقيق بِهِ، فإنَّ الأبصار طامحة إلَى الأموال والأولاد، والنفوس مُغتَبطَةٌ بها؛ وإذا كَانَ ا لله تعالى لَيُعَذِّبُهم بالأموال والأولاد فِي الحياة الدُّنْيَا، فكيف بِمَا عداها مِنَ المكارهِ لاَ يُعذَّبون بها، بَل معذَّبون بِكُل مَا تَكرَهُه نفوسهم؛ وَأَمَّا المؤمن وإن نالَهُ[1] مكروه فِي الدُّنْيَا فَلاَ يُسمَّى عذابا لَهُ، بل يُسمَّى بلاءً حسنا، لقوله: **﴿ولِيُبلِيَ المؤمنين مِنْهُ بلاءً حسنا﴾**[2]، لأَنَّهُ يرجو ثوابه فِي الآخِرَة عند ربه ويستبشر بوعد ا لله لَهُ. **﴿وإذا أُنزِلَت سُورَة﴾** يجوز أن تُرادَ سورة بتمامها، وأن يراد بعضها، كما يقع اسم القرآن والكتاب عَلَى كُلِه، وعلى بعضه. **﴿أن آمِنوا با لله وجاهِدوا مَعَ رسوله، استأذنك أولو[3] الطول مِنْهُم﴾** ذَوُو السعة، لأنَّهم يتطاولون

١ - فِي الأصل: «وإنَّاله» وقد أدغم الناسخ النون فِي النون الأخرى فكتبها واحدة.

٢ - سورة الأنفال: ١٧.

٣- فِي الأصل: «ألو».

بها الأمور العليّة، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَعَ القَاعدِينَ(٨٦)﴾ مَعَ الذِينَ لَهُم عذر فِي التخلّف كالمرضى والزمنى والفقراء.

﴿رَضُوا بأن يكونوا مَعَ الخوالفِ﴾ أي: النساء، جمع خَالِفَة؛ وقد يقال الخالفةُ: الذِي لاَ خير فِيهِ؛ ﴿وطبع عَلَى قلوبهم﴾ ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق؛ ﴿فَهُم لاَ يفقهُونَ(٨٧)﴾ مَا فِي الجهاد مِنَ الفوز والسعادة، وَمَا فِي التخلّف مِنَ الهلاك والشقاوة.

﴿لكنِ الرسولُ وَالذِينَ آمنوا معه جَاهَدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ أي: إن تَخلّف هؤلاء فقد نهض للغزوِ مَن هُوَ خيرٌ مِنْهُم. ﴿وأولئك لَهُمُ الخيرات﴾ تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ؛ فهؤلاء لَهُم خيرات الدُّنْيَا والآخِرَة؛ والْكَافِرُونَ لَهُم عذاب أليم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة؛ ﴿وأولئك هُمُ المفلحُونَ(٨٨)﴾ الفائزون بِكُل مطلوب.

﴿أَعَدَّ ا لله لَهُم جَنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا، ذَلِكَ الفوزُ العظيم(٨٩)﴾ لِمَا لَهُم مِنَ الخيرات الأخرويّة.

﴿وجاء المعذّرُونَ مِنَ الأعرابِ ليؤذنَ لَهُم﴾ هُوَ مِن عَذّرَ فِي الأمر: إِذَا قَصَّرَ فِيهِ وتَوَانَى[1]؛ وحقيقته أن تُوهم أنَّ لَهُ عذرًا فيما فعل، وَلاَ عذر لَهُ؛ أو المتعذّرون بالباطل، قَالُوا: إنَّ لَنَا عيالاً، وبنا جَهدًا، وبيوتنا عورةٌ، فَأْذَن لَنَا فِي التخلّف. ﴿وقعدَ الذِينَ كَذَبوا ا لله ورسوله﴾ هم منافقو الأعراب الذِينَ لم

١ - انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٧١٧/٤، مادّة «عذر».

يجيئوا و لم يعتذروا، وظهر بذلك أنـهم كَذَبوا ا لله ورسـوله بادعـائهم الإيمـان. **﴿سَيُصيبُ الذِينَ كَفَرُوا مِنـْهُم عذاب أليمٌ(٩٠)﴾** فِي الدُنْـيَا والآخِـرَة؛ ثُـمَّ ذكر أهل [٢١٨] العُذرِ فقال:

﴿ليس عَلَى الضعفاء﴾ الهرمى والزمنى، **﴿وَلاَ عَلَى المرضى﴾** كـلُّ مـن بِهِ علّةٌ تمنعه عَن الجهاد، **﴿وَلاَ عَلَى الذِينَ لاَ يجدون مَا يُنفِقُون﴾** هُمُ الفقـراء، **﴿حرجٌ﴾** إثمٌ وضيقٌ فِي التأخـُر، **﴿إِذَا نَصَحوا للهِ ورسوله﴾** هُـمُ الـخـُلّص. **﴿مَا عَلَى المحسنين﴾** الذِينَ اعتادوا فعل الإحسان **﴿من سبيل﴾** أي: لا جنـاح عَـلَـيْـهِـم (لَعَلَّهُ) وَلاَ طريق للعائب عَـلَـيْـهِـم، والطريق عَلَى العـائب عَـلَـيْـهِـم [كَذَا] **﴿وا لله غَفُور﴾** يَغْفِر لَهُم تَخلـُّفهم **﴿رحيم(٩١)﴾** بهم.

﴿وَلاَ عَلَى الذِينَ إِذَا مَا أَتَوكَ لتَحمِلهم﴾ لِتُعطيهـم الحمولـة **﴿قلـتَ: لاَ أجد مَا أحملكم عليه؛ تولَّوا وأعينهم تفيـضُ مِنَ الدمـع﴾** أي: تسيل، وَهُـوَ أبلغ من «يفيض دمعها» لأَنَّ العـين جُعِلـت كـأنَّ كلَّها دمـعٌ فـائضٌ **﴿حزنـا أَلاَّ[1] يَجدوا مَا يُنفقُونَ(٩٢)﴾**.

﴿إِنـَّمَا السبيل عَلَى الذِينَ يَستَأذنونك وَهُم أغنياء، رَضوا بـأن يكونـوا مَعَ الخوالف﴾ بيانٌ لِـمَا هُوَ السـبب لاسـتئذانهم مـن غـير عـذر **﴿وَطَبَـع ا لله عَلَى قلوبهم فَهُم لاَ يَعْلَمُونَ(٩٣)﴾** مآلَ الفريقين.

---

١ - فِي الأصل: «لا»، وهو خطأ.

﴿**يعتذرون إليكم إِذَا رجعتم إِلَيْهِم**﴾ لتمكُّن النفاق فِي قلوبهم؛ ﴿**قل: لاَ تعتذروا لن نُؤمِن لكم**﴾ لن نصدقكم، ﴿**قد نبَّأَنَا ا لله مِن أخباركم**﴾ علّة لانتفاءِ تصديقهم؛ لأَنَّهُ تعالى إِذَا أوحى إِلىَ رسوله لإعلامٍ بأخبارهم وَمَا فِي ضمائرهم، لم يستقم[1] (لَعَلَّهُ) رسوله مَعَ تصديقهم فِي معاذيرهم. ﴿**وسيرى ا لله عملكم ورسولُه**﴾ أتتوبون أم تصرُّون. ﴿**ثُمَّ تُردُّون إِلىَ عالم الغيب والشهادة، فينبئكم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٩٤)**﴾ فيجازيكم عَلَى حسب ذَلِكَ.

﴿**سَيَحلفون با لله لكم إِذَا انقلبتم إِلَيْهِم، لِتُعرضوا عَنْهُم**﴾ لتتركوهم ولا تعاتبوهم، ودعوهم[2] وما اختاروه لأنفسهم من النفاق؛ ﴿**فأعرضوا عَنْهُم**﴾ فأعطوهم طلبتهم، ﴿**إِنَّهُمْ رِجسٌ**﴾ تعليلٌ لترك معاتبتهم، أَي: إنَّ المعاتبةَ لاَ تنفع فِيهِم وَلاَ تُصلِحهم، إنَّهم أرجاس لاَ سبيل إِلىَ تطهيرهم، ﴿**ومأواهم جهَنَّم**﴾ يعني: وَكَفَتهم النار عِتابا وتوبيخا؛ فلا تتكلّفوا عتابهم؛ ﴿**جزاءً بِمَا كَانُوا يكسبُونَ(٩٥)**﴾.

﴿**يَحلفون لكم لترضوا عَنْهُم**﴾ أَي: غرضهم بالحلْفِ با لله طلب رضاكم، لينفعهم ذَلِكَ فِي دُنياهم؛ ﴿**فإن تَرضوا عَنْهُم، فإنَّ ا لله لاَ يَرضى عَن القوم الفاسقِينَ(٩٦)**﴾ أَي: فإنَّ رضاكم وحدَكم لاَ ينفعهم إِذَا كَانَ ا لله ساخطا عَلَيْهِم، وكَانُوا عُرضة لعاجلِ عقوبتِه وآجلها؛ وإنَّما قيل: ذَلِكَ لئلاَّ يُتوهَّم أنَّ رِضي المؤمنين يقتضي رِضَى ا لله عَنْهُم.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «لم يستتبهم».

٢ - في الأصل: «وادعوهم»، وهو خطأ.

﴿الأعرابُ﴾ أهل البدو، ﴿أشدُّ كفرا ونفاقا﴾ من أهل الحضر، لجفائهم وقسوتهم، وبعدهم عَن العلم وأهله ﴿وأَجدَرُ ألاَّ يعلموا﴾ وأحقُّ بأن لاَ يعلموا ﴿حدودَ مَا أنزلَ ا لله عَلَى رسولِه﴾ حدودَ الدين، وَمَا أنزل ا لله مِنَ الشرائع والأحكام؛ ومنه قوله: [٢١٩] الطَّيِّلاً *«إنَّ الجفاء والقسوة فِي الفدَّادين»*[١]، يعني: أهل الحروث، لأنَّهم يُصبحون فِي حروثهم [كَذَا]؛ وكذلك كلُّ من تَقَاعد عَن التعليم وأهمل نفسه عَنْهُ، ورَضيَ بالدعة والبطالة، والعطالة عَن التشمُّر والاجتهاد فِيهِ، واستغنى بعلمه عَن الطلب والسؤال، بثاثربه[٢] الكفر والنفاق، لأَنَّ ذَلِكَ ثمرة الجهل، ﴿وا لله عليم﴾ بأحوالهم ﴿حكيم(٩٧)﴾ فِي إمهالهم.

﴿ومِن الأعراب من يتَّخِذ مَا يُنفق﴾ أي: يتصدَّق ﴿مَغرَمًا﴾ غرامة وخسراناً، لأَنَّهُ لاَ يُنفِق إلاَّ تَقِيَّةً مِنَ الـمُسْلِمِينَ ورياء، لاَ لوجه ا لله وابتغاء المثوبة عنده. ﴿ويتربَّص بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان، وتبدُّل الأحوال، تدور الأيَّام لتذهب قوَّتكم عَنْهُ فيتخلَّص من إعطاء الصدقة؛ ﴿عليهم دائرةُ السَّوءِ﴾ أي: عَلَيْهِم تَدُورُ المصائبُ التِي يتوقَّعون وُقوعها فِي المسلمين ﴿وا لله سَميع﴾ لِمَا يقولون إِذَا توجَّهت عَلَيْهِمُ الصدقة، ﴿عليم(٩٨)﴾ بِمَا يُضمِرُون.

---

١ - رواه الإمام الربيع بن حبيب في صحيحه، باب [٩] في الإيمان والإسلام والشرائع، رقم ٥٨، عن أبي مسعود الأنصاريِّ قال: أشار النبيء ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «أَلاَ إِنَّ الإِيمَانَ هَاهُنَا وَإِنَّ الْفِتْنَةَ (الْقَسْوَةَ) وَغِلَظَ الْقَلْبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ». وروى نحوه البخاري في كتاب بدء الخلق؛ كتاب المناقب؛ كتاب المغازي؛ كتاب الطلاق. مسلم: كتاب الإيمان. أحمد: باقي مسند المكثرين.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «بأَثَرَتِهِ».

﴿ومنَ الأعرابِ مَن يُؤْمِنُ بـا لله واليـوم الآخـر، ويتـَّخِذ مَـا يُنفـق﴾ فِي الـمـبَار، ﴿قُربـاتٍ﴾ أسبابا للقُربَـة ﴿عنـد ا لله، وصلـوات الرسـول﴾ أي: دُعاءه لَهُ واستغفاره؛ ﴿ألاَ إنـَّهَا﴾ إنَّ النفقة أو صلوات الرسول ﴿قُرُبَة لَهُم﴾، وهذه الشهادة مِنَ ا لله للمتصدق بصِحَّـة مَـا اعتقـد، مـن كـون نفقتـه قُرُبَـات وصلوات، ﴿سيُدخِلُهم ا لله فِي رحمته﴾ التوفيق فِي الدُّنـيَا، والجنَّة فِي العقبـى، وَمَا أدلَّ هَذَا الكلام عَلَى رضاء ا لله عَن المتصدقين، وأنَّ الصدقة مِنْـهُ بمكَان إذَا خَلـُصت من صاحبها، ﴿وا لله[1] غَفُور رَحيم(٩٩)﴾.

﴿والسابقون الأوَّلون من المهاجرين﴾ قيل: هُمُ الذِينَ صلُّـوا إِلىَ القبلتـين، أو الذِينَ شهدوا بدرا، أو الذِينَ أسلموا قبل الهجـرة، ﴿والأنصـار﴾ وقيـل: هـم أهـل بيعة العقبة الأولى: كَانُوا سبعة؛ أو أهل العقبة الثانية: كَانُوا سـبعين عَلَـى مَـا قيـل؛ ﴿والأنصار الذِينَ اتـَّبَعُوهم بإحسان﴾ الذيـن اتـَّبَعُوهم بالإيمـان والطاعـة إلى يـوم القيامة، ﴿رَضِيَ ا لله عَنـهُم﴾ بأعمـالهم الحسنة ﴿ورضـوا عَنــهُ﴾ لِمَـا أفـاضَ عَـلَيْـهِـم مِن نعمته الدينيـَّة والدنيويـَّة، ﴿وأعـدَّ لَهُـم جـنَّات تجري مـن تحتهـا الأنهار خالدين فِيهَا أبداً، ذَلِكَ الفوز العظيم(١٠٠)﴾.

﴿وَمِمَّـن حولكم﴾ يعنِي: حول بلدتكـم وهـي المدينـة، ﴿مـن الأعـراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا عَلَى النفاق﴾ وتَمهَّروا فِيـهِ، ﴿لا تَعلَمُهـم﴾ أي: يَخفَون عليك مَعَ فطنتـك، وصِدقِ فِراستك، لفـرطِ بثوقهـم [كـذا] فِي تحامي مَا يشكل مـن أمرهـم، ﴿نحن نعلمهـم﴾ أي: لاَ يعلمهـم إلاَّ ا لله، وَلاَ

١ - فِي الأصل: «إنَّ ا لله»، وهو خطأ.

يطَّلِع عَلَى سرهم غيره، لأنـَّهم يُبطنون الكفر من[1] سويدات[2] قلوبهم، ويُبرزون ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين، ولذا قَالَ النبي ﷺ: *«المنافق بالمؤمن أشبه مِنَ الغراب من الغراب [كَذَا]، والماء مِنَ الماء»*[3] ﴿**سنعذِّبهم مرَّتين ثمَّ يردُّون إِلىَ عذاب عظيم(١٠١)**﴾.

﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم**﴾ أي: لم يعتذروا من تخلُّفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا عَلَى أنفسهم بأنـَّهم بِئْسَ مَا فعلوا نادمين؛ ﴿**خلَطوا عملا صالحا**﴾ أي: توبتهم واعترافهم، ﴿**وآخرَ سيِّئا**﴾ الإثم؛ وفي الكلام تقديم وتأخير، معناه: وآخرون عملوا سيئا واعترفوا بِهِ وتابوا مِنْهُ؛ ﴿**عسى ا لله أن يتوبَ عَلَيْهِم إِنَّ ا للهَ غفُور رحيم(١٠٢)**﴾ فيتجاوز عَن التائب، ويَتفضَّل عليه.

﴿**خُذْ مِن أموالهم صدقةً**﴾ كفَّارةً لذنوبهم، وهي الزكاة ﴿**تطهِّرهم**﴾ من رذيلة البخل، ﴿**وتزكِّيهم بها**﴾ تُنمي بها حسناتِهم، وترفعهم إِلىَ منازل المخلصين، ﴿**وصلِّ**[4] **عليهم**﴾ واعطف عَلَيْهِم بالدعاء لَهُم؛ ﴿**إِنَّ صلاتك سكنٌ لَهُم**﴾ يسكنون إِلَيْهِ وتطمئنُّ قلوبُهم بِأَنَّ ا لله قد تاب عَلَيْهِم؛ ﴿**وا لله سميع عليم(١٠٣)**﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «في».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «سويداء». في المنجد: سُوَيداء القلب: حبَّته.

٣ - لم نعثر عَلَيه في الربيع ولا في الكتب التسعة ولا في الجامع الصغير وزياداته.

٤- في الأصل: «وصلي» وَهُوَ خطأ.

﴿**ألم يعلموا أنَّ ا لله هُوَ يقبل التوبة عَن عباده**﴾ إِذَا صحَّت، ﴿**ويأخذ الصدقات**﴾ ويقبلها إِذَا صَدَرَت عَن خُلوص النيَّة ﴿**وأنَّ**[1] **ا لله هُوَ التوَّاب الرحيم(١٠٤)**﴾.

﴿**وقل**﴾ لهؤلاء التائبين: ﴿**اعملوا؛ فسيرى ا لله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ فإنَّ عملكم لاَ يخفى خيرا كَانَ أو شرا عَلَى ا لله وَعَلَى رسوله وَعَلَى المؤمنين، ﴿**وستُردُّون إِلَى عالم الغيب والشهادة، فينبِّئكم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(١٠٥)**﴾ فيجازيكم عَلَى حسب أعمالكم.

﴿**وآخرون مُرجَوْنَ لأمر ا لله**﴾ أَي: وآخرون مِنَ المتخلفين موقوفون إِلَى أن يظهر أمر ا لله فيهم، لاَ يحكم لَهُم وَلاَ عَلَيْهِم بإيمان وَلاَ كفر، حتَّى ينكشف سرُّهم يوم القيامة؛ فحين ذَلِكَ يحكم فِيهِم بحكم ا لله من سعادة أو شقاء؛ ﴿**إمَّا يعذِّبهم**﴾ إن أَصرُّوا و لم يتوبوا؛ ﴿**وَإمَّا يتوب عليهم**﴾ إن تابوا ﴿**وا لله عليم حكيم(١٠٦)**﴾.

﴿**وَالذِينَ اتَّخَذُوا مسجدا ضرارا**﴾ أَي: مُضارَّة لإخوانهم، أصحاب مسجد قُبَاء؛ ﴿**وكُفرا**﴾ وتقوية للنفاق، ﴿**وتفريقا بين المؤمنين**﴾ لأنَّهم كَانُوا يصلُّون مجتمعين فِي مسجد قُبَاء؛ فأرادوا أن يتفرَّقوا عَنْهُ، وتختلف كلمتهم؛ وهذا يعمُّ كلَّ مسجد يُعمل فِيهِ شيء من أعمال الدُّنْيَا يمنع عمل الطاعة لله ويشغلهم عنها؛ ﴿**وإرصادا لمن حارب ا لله ورسولَه من قبلُ،**

١- في الأصل: «إنَّ» وَهُوَ خطأ.

ولَيحلفُنَّ إن أردنا إلاَّ الحسنى﴾ أي: العبادة فِيهِ لله؛ **﴿وا لله يشهد إنـَّهُمْ لَكاذبُونَ(١٠٧)﴾** أي: مَا مُرادهم إلاَّ الباطل.

﴿لاَ تَقُم فِيهِ أبدا﴾ ومعناه: أنَّ هَذَا النهيَ عامٌّ لِكُل مُؤْمِن عَن القيام بمسجد يخاف عَلَى دينه أو نفسه، مِن قِبَل من كَانَ فِيهِ من عبادِ الشيطان؛ لأنَّ عبادةَ ا لله وعبادة الشيطان متنافيتان، لاَ يتأتَّيان بمقام وَاحِد فِي حال وَاحِد، ولأنَّ النهي وارد عَن القعود مَعَ الخائضين فِي الحق، حتَّى يخوضوا [٢٢١] فِي حديث غيره، إذ القدر عليه نهيهم فِيهِ. **﴿لمسجد أُسِّس عَلَى التقوى﴾** هُوَ مسجد قُبَاء فيما قيل؛ **﴿من أوَّل يوم﴾** من أيَّام وجوده وتأسيسه، **﴿أحقُّ أن تقوم فِيهِ﴾** للصلاة والذكر؛ **﴿فِيهِ رجال يُحِبُّون أن يتطهَّروا﴾**؛ فقد انكشف لأهل التحقيق أنَّ المراد بالمسجد الضرار[1] من كَانَ فِيهِ مِنَ المضارين للمسلمين الذِينَ يريدون عمارتها، والمسجد المؤسَّس عَلَى التقوى، عُمَّاره الذِينَ يُحِبُّون أن يتطهَّروا مِنَ المعاصي والنجاسات، وَإلاَّ فلا يضر عُمَّارها المطيعين إِذَا أُسست عَلَى غير التقوى إذا اتُّخذت مساجد، وإن أسست عَلَى التقوى فلا تنفع الداخلين فِيهَا لعبادة الشيطان. **﴿وا لله يُحِبُّ المطَّهرِينَ(١٠٨)﴾** معنى محبَّتِهم للتطهُّر أنَّهم يُؤثرونه ويَحرصون عليه، حِرْصَ المُحب للشيء، ومعنى محبَّة ا لله إيَّاهم: أنَّه يرضَى عَنْهُم، ويُحسن إِلَيْهِم، ويوفِّقهم لمرضاته.

﴿أفمن أسَّس بُنيانَه﴾ وضع أساس مَا يبنيه من أمر دينه **﴿عَلَى تقوى مِنَ ا لله ورضوان خير، أم من أسَّس بُنيانَه عَلَى شفا جُرف هَارٍ﴾** المعنى:

---

١ - فِي الأصل: «لضرار»، وهو خطأ.

أفمن أَسَّس بنيانَ دينه عَلَى قاعدة مُحكمـة، وَهُـوَ تقـوى ا لله ورضوانـه خـير، أمَّـن أسَّسه عَلَى قاعدَة هِيَ أضعف القواعد، وَهُوَ الباطل والنفاق، الـذِي مَثَلُه مثل «شفا جُرف هار» فِي قِلَّة الثبات والاستمساك. وَضَعَ «شـفا الجـرف» فِي مقابلة «التقـوى» لأَنـَّهُ جُعل مجـازا عَمـَّا ينـافي التقـوى؛ والشَّفا: الحـَرف، والشفير وجُرفُ الوادي: جانبُه، يتحفَّر أصلـه بالمـاء، وتحفـره السـيول، فيبقـى واهيا؛ والهار الهائر: وهو المنصدع الذِي أشفى عَلَى التهدُّم والسقوط. ﴿**فانهار بِهِ فِي نار جَهَنَّم**﴾ فطاح بِهِ الباطل فِي نار جَهَنَّم؛ وَلَـمَّا جُعل الجـرف الهـائر مجازا عَن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الاهتيار الذِي هُوَ للجـرف، وليصـور أنَّ المبطل كأنـَّه أسَّس بنيانا عَلَى شفا جُرف من أوديةِ، جهنَّم فانهار بِهِ ذَلِـكَ الجرف، فهو[1] فِي قعرها؛ ﴿**وا لله لاَ يهـدي القـوم الظـالِمِينَ(١٠٩)**﴾ إِلىَ مَـا فِيهِ صلاح ونجاة.

﴿**لاَ يَزال بُنيَـانهم الـذِي بَنَـوا ريبـةً فِي قلوبهـم إِلاَّ أن تقطَّـع قُلوبهـم**﴾ وذلك كلُّ مَا كَانَ مِـنَ البنـاء الـذِي يبـنيه عَلَى معصيـة ا لله، كَـانَ مـن أمـر الدُّنْـيَا أو الآخِرَة؛ والتقطيع: أن تُقطع فِي نار جهنـَّم النجاةُ با لله مِـنَ النـار[2]؛ ﴿**وا لله عليم حكيم(١١٠)**﴾.

﴿**إِنَّ ا للهَ اشترى مِنَ المؤمنين أنفسَهم وأموالهـم بـأَنَّ لَهُـمُ الجَـنَّة**﴾ عَـن بـذل أنفسـهم وأموالهـم فِي طاعتـه، وطلـب رضـاه. ﴿**يقـاتلون فِي سـبيل ا لله**

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «فَهَوَى».

٢ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ صواب العبارة: «والتقطيع: أن تُقطَّع فِي نار جهنَّم، نسأل ا لله النجـاةَ مِنَ النار».

﴿فيَقتُلُون [٢٢٢] ويُقتَلُون وَعدا عليه حقًّا﴾ وعدٌ ثابت قد أثبته ا لله ﴿فِي التَّوْرَاة والإِنجِيل والقرآن﴾ وَهُوَ دليل عَلَى أنَّ أهل الشرائع الماضين قبلنا أُمروا بالقتال، ووعدوا عليه؛ ثُمَّ قَالَ: ﴿ومَنَ أوفَى بعهده مِنَ ا للهِ﴾ لأَنَّ إخلاف الميعاد قبيح، لاَ يَقدم عليه الكريم من خلقه، فكيف بأكرم الأكرمين؛ وَلاَ يُرى ترغيبا فِي الجهاد أحسن مِنْهُ وأبلغ.

﴿فاستبشروا ببيعكم الذِي بايعتم بِهِ﴾ فافرحوا بِهِ، فَإِنَّكُم تبيعون فانيا خسيسا بباق حسن؛ ﴿وذلك هُوَ الفوز العظيم(١١١)﴾ قَالَ الصادق: ليس لإبدانكم ودنياكم ثمن إِلاَّ الجنَّة؛ فلا تبيعوها إِلاَّ بها.

﴿التائبون﴾ صفةُ صفقةِ بيعهم، ﴿العابدون﴾ أي: الذِينَ عبدوا ا لله وحده وأخلصوا لَهُ العبادة، أَي: التائبون مِنَ الكفر عَلَى الحقيقة، الجامعون لهذه الخصال؛ وعن الحسن: «هُمُ الذِينَ تابوا مِنَ الشرك، وتبرَّؤوا مِنَ النفاق». ﴿الحامدون﴾ عَلَى نعمة ا لله وَلِمَا نالهم مِنَ السوء والضرَّاء؛ ﴿السائحون﴾ لرياضة أنفسهم، يتوصَّلون إِلىَ الاطِّلاع عَلَى خفايا الملك والملكوت، ومن ذَلِكَ، قيل: «السائحون طلبة العلم» وقيل: الصائمون، لتركهـ[ـم] اللذات كلِّها؛ ﴿الراكعون الساجدون﴾ المحافظون عَلَى الصلوات؛ ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالإيمان والطاعة، عَلَى مَا يحكم بِهِ العلم، ﴿والناهون عَن المنكر﴾ عَن الشرك والنفاق، ﴿والحافظون لحدود ا لله﴾ أوامره ونواهيه إِذَا توجَّهت إِلَيْهِم، أو معالم الشرع؛ ﴿وبشِّر المؤمِنِينَ(١١٢)﴾ المتَّصفين بهذه الصفات.

﴿مَا كَانَ للنبيِّ وَالذِينَ آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كَانُوا أولي قُربى﴾ أي: مَا صحَّ لَهُ وَلاَ لَهُمُ الاستغفارُ فِي حكم ا لله وحكمته ﴿من بعدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُمْ أصحابُ الجحيم(١١٣)﴾ من بعد مَا صحَّت معاصيهم واستتابوهم وأصرُّوا.

﴿وَمَا كَانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلاَّ عَن مَوعِدَة وَعَدَها إِيَّاهُ﴾ قيل: وعده أبوه أن يُسلم؛ **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ﴾** أي: صحَّ معه إصراره، وإيباؤه عَن التوبة **﴿تبرَّأ مِنْهُ؛ إِنَّ إبراهيم لأوَّاه حليم(١١٤)﴾** هُوَ المتأوه، واختلفوا فِي صفته، قيل: هُوَ الخاشع المتضرع؛ وقيل: الدعاة[1] إلَى الحق؛ وقيل: المؤمن التوَّاب؛ وقيل: الرحيم بالمؤمنين؛ وقيل: هُوَ الذِي يُكثر التأوُّه، يقول: آه مِنَ النار. والحليم: هُوَ الصبور عَلَى البلاء، الصفوح عَن الأذى، لأَنَّهُ كَانَ يَستغفر لأبيه وَهُوَ يقول: لأرجُمنَّك.

﴿وَمَا كَانَ ا لله لِيُضِلَّ قوما بعد إذ هداهم حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَا يَتَّقُونَ﴾ أَي: مَا أمر ا لله باتقائه واجتنابه، وبَيَّن أنَّه محظور[2]، لاَ يُؤاخِذ بِهِ عباده الذِينَ هداهم للإسلام، وَلاَ يَخذلهم [٢٢٣] إلاَّ إِذَا أقدموا عليه بعد بيان حظْرِه، وعِلمِهم بأنَّه واجبُ الاجتناب؛ وَأَمَّا قبل العلمِ والبيانِ فلا؛ وَأَمَّا مَا يُعلم بالعقل فغير موقوف عَلَى التوقيف للسؤال[كَذَا]؛ **﴿إِنَّ ا لله بِكُلِّ شَيْء عليم(١١٥)﴾**.

﴿إِنَّ ا لله لَهُ مُلكُ السَّمَاوَات والأَرْض يُحيِي ويُميتُ، وَمَا لكم من دون ا لله من وليٍّ وَلاَ نصير(١١٦)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «الداعية».

٢ - في الأصل: «محضور»، وهو خطأ.

﴿لَقَد تَابَ ا لله عَلَى النَّبِيِّ﴾ قيل: تاب عليه بإذنه للمنافقين فِي التخلُّف عَنْهُ، كقوله: ﴿عفا ا لله عنك﴾[1]؛ ﴿والمهاجرين والأنصارِ﴾، فِيهِ بعثٌ للمؤمنين عَلَى التوبة، وأنَّه مَا من مُؤْمِن إلاَّ وَهُوَ مُحتاج إِلَى التوبة والاستغفار، حتَّى النَّبِي والمهاجرين والأنصار، ﴿الذِينَ اتَّبَعُوه فِي ساعة العسرة﴾ قيل: فِي غزوة تبوك؛ والعسرة: الشدَّة، وكانت عَلَيْهِم عُسرة فِي الظَّهْرِ والزاد والماء، ﴿من بعد مَا كاد يَزِيغ﴾ أي: يميل ﴿قلوبُ فريق مِنْهُم﴾ عَن الثبات عَلَى الإيمان؛ أو عَن اتباع الرسول فِي الغزوة والخروج معه؛ ﴿ثُمَّ تاب عليهم﴾ تكرير للتأكيد؛ ﴿إنَّهُ بهم رءوف رحيم(١١٧)﴾.

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب عَلَى الثلاثة ﴿الذِينَ خُلِّفوا﴾ عَن الغزو ﴿حَتَّى إِذَا ضاقت عَلَيْهِمُ الأَرْض بِمَا رَحُبَت﴾ برَحبها، أي: مَعَ سعتها، وَهُوَ مَثَل للحيرة فِي أمرهم، كأنَّهم لاَ يجدون فِيهِ مكانا يَقِرُّون فِيهِ قلقًا وجزَعًا؛ ﴿وضاقت عَلَيْهِم أنفسهم﴾ أي: قلوبهم لاَ يسعها أُنسٌ وَلاَ سُرورٌ، لأنَّها خرجت [كَذَا] من فرط الوحشة والغم، ﴿وظنُّوا أن لاَ ملجأ مِنَ ا لله إلاَّ إِلَيْهِ﴾ وعلموا أن لاَ ملجأ من سَخَطِ ا لله إلاَّ إِلَى استغفاره؛ ﴿ثُمَّ تاب عَلَيْهِم ليتوبوا﴾ ليكونوا فِي جملة التائبين؛ ﴿إنَّ ا لله هُوَ التوَّاب الرحيم(١١٨)﴾. عَن أبي بكر الورَّاق أنَّه قَالَ: «التوبة النصوح: أن تَضيقَ عَلَى التائب الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وتَضيقَ عليه نفسُهُ كتوبة هَذِهِ[2] الثلاثة».

١ - سورة التوبة: ٤٣.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «هؤلاء».

﴿يَـا أَيـُّهَا الذِينَ آمنوا اتَّقُـوا ا لله وكونـوا مَـعَ الصـادِقِينَ(١١٩)﴾ فِي إيمانهم دون المنافقين، أو مَعَ الذِينَ صَدقوا فِي دين ا لله قـولا وعمـلا ونيـّة؛ والآيـة تدلُّ عَلَى أنَّ الإجماع حجَّة، لأَنـَّهُ أمر بالكَونِ مَـعَ الصـادقين، فـلزم قبـول قولهـم؛ وتدلُّ عَلَى أنَّ الأَرْض لاَ تخلو منهم فِي زمن مِنَ الأزمنة إِلىَ أن تقوم القيامة.

﴿مَا كَانَ لأهل المدينة ومَن حولهم مِنَ الأعراب أن يتخلّفوا عَن رسـول ا لله﴾ المـُرَاد بهذا النفي: النهيُ، ويحتمل بمعنى[1] النفي، أي: لاَ يصحُّ؛ كقولـه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لنبيٍّ أن يـُغَلَّ﴾[2]؛ وخصَّ هؤلاء بـالذكر وإن استوى كـلُّ الناس فِي ذَلِكَ لِقربهم مِنـْهُ، وَلاَ يخفى عَـلَـيْـهِـم خروجه، ﴿وَلاَ يَرغَبُـوا﴾ وَلاَ أن يَضِنُّوا ﴿بأنفسهم عَن نفسه﴾ عَن صحبتـه فِي الأعمـال؛ ﴿ذَلِـكَ﴾ إشـارة [٢٢٤] لتفسير مَا سبق ذكره؛ والمعنى: أنـَّهم لاَ يرغبون بأنفسهم عَـن نفسـه، مـن أجـل أنـَّهم يَعْلَمُـونَ؛ وذلـك إِذَا كَـانَ النفـي بمعنـى النهـي. ﴿بأنـَّـهم لاَ يُصيبهم ظمـأٌ﴾ عطـشٌ، ﴿وَلاَ نصـب﴾ تَعـبٌ، ﴿وَلاَ مخمصـة﴾ مجاعـةٌ ﴿فِي سـبيل ا لله﴾ فِي الجهـاد، أو فِي جميـع الاجتهـاد. ﴿وَلاَ يَطَئُـون موطئـا﴾ وَلاَ يَدوسـون مكانـا مـن أمكنـة الكفّـار بحوافر خيولهم وأخفـاف[3] رواحلهـم وأرجلهم، ﴿يَـغِيظُ الكُفَّار﴾ يغيظهـم ويضيـق صدورَهـم، ﴿وَلاَ ينـالون مـن عدوٍّ نَيلاً﴾ وَلاَ يُصيبـون مِنـْهُم إصابـة بقتـل أو أسرٍ، أو جـرحٍ أو كسـرٍ أو

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «معنى».

٢ - سورة آل عمران: ١٦١.

٣ - «الخفُّ واحد أخفاف البعير، وهو أيْضًا واحد الخِفاف التي تلبس...». الرازي: مختار الصحاح، ص١٢٤.

هزيمةٍ، أو أذًى فِي أجسامهم، ولاَ فِي قلوبهم؛ ﴿**إِلاَّ كُتِب لَهُم بِهِ عمل صالح**﴾ دليل عَلَى أنَّ من قصد خيرا كَانَ سعيه فِيهِ مشكورا، من قيام وقعود ومشيٍ وكلام، وغير ذَلِكَ. ﴿**إِنَّ الله لاَ يُضيع أجر المحسنِينَ(١٢٠)**﴾ أي: أنـَّهم محسنون، وَالله لاَ يُبطِل ثوابهم.

﴿**وَلاَ يُنفِقون نفقةً**﴾ فِي سبيل الله ﴿**صغيرة**﴾ وإن قلَّت، ﴿**وَلاَ كبيرةً**﴾ أو جلَّت، ﴿**وَلاَ يَقطعون واديا**﴾ أي: أرضا فِي ذهابهم ومجيئهم؛ ﴿**إِلاَّ كُتب لَهُم**﴾ ذَلِكَ مِنَ الإنفاقِ وقطع الوادي؛ ﴿**ليجزيَهم الله**﴾ متعلّق بـ«كُتِب»، أي: أُثبت فِي صحائفهم لأجل الجزاء، ﴿**أحسنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٢١)**﴾ أي: يجزيهم عَلَى كل وَاحِد جزاءَ أحسنِ عملٍ كَانَ لَهُم؛ فيلحق مَا دونه توفيراً لأجرهم.

﴿**وَمَا كَانَ المؤمنون لينفروا كافَّة**﴾ ومَا استقام لَهُم أن يَنفروا جميعا لنحو غزوٍ، أو طلب علم، كما لاَ يستقيم لَهُم أن يَتركوا جميعا، فإنـَّه يُخِلُّ بأمر المعاش؛ ﴿**فلولا نفر**﴾ فحين لم يُمكن نفير الكافَّة فهلاَّ نفَرَ ﴿**مِن كُلِّ فرقة مِنْهُم طائفة**﴾ أي: من كل جماعة كبيرة، جماعة قليلة مِنْهُم يَكفُونهم النفير؛ ﴿**ليتفقَّهوا فِي الدين**﴾ ليتكلَّفوا الفقاهة فِيهِ، ويتجشَّموا المشاقَّ فِي تحصيلها، ﴿**ولِيُنذِروا قومهم**﴾، وليجعلوا مري[1] همَّتهم إِلَى التفقُّة إنذارُ قومهم

١ - كذا فِي الأصل، والصواب: «مَرْمَى». انظر: أبو السعود محمَّد بن محمَّد العمادي: تفسير أبي السعود المسمَّى: إرشاد العقل السليم إِلَى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مج٢/ج٤/ص١١٢.

وإرشادهم ﴿إِذَا رجعوا إِلَيْهِم﴾[1] دون الأغراض الخسيسيَّة [كَذَا] من التصدُّر والترؤُّس[2]، والتشبـُّه بالظلمة فِي المراكب والملابس؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يحذَرُونَ(١٢٢)﴾ مَا يجب اجتنابه؛ وقيل: إنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا بَعَثَ بَعْثًا بعد غزوة تبوك، بعدمَا أُنزِلَ فِي المتخلّفين[3] مِنَ الآيات الشداد استبق المؤمنون عَن آخرهم إِلَى النفير، وانقطعوا جميعا عَن التفقُّهِ فِي الدين؛ فَأُمِرُوا أن ينفر من كل فرقة مِنْهُم طائفةٌ إِلَى الجهاد، ويبقى سائرهم يتفقّهون، حتّى لاَ ينقطعوا عَن التفقُّه الذِي هُوَ الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحِجَاج أعظمُ أثرًا[4] مِنَ الجهاد والنضال، والضمير فِي «ليتفقّهوا» للفِرَق الباقية بعد الطوائف النافِرة من بَيْنِهِم، ﴿ولينذروا قَومهم﴾ ولتنذر[5] الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إِلَيْهِم، بما حصَلوا فِي أيـَّام غيبتهم مِنَ العلوم؛ وَعَلَى الأوَّل الضمير للطائفة النافرة إِلَى المدينة للتفقُّه.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا قاتلوا الذِينَ يلونكم﴾ يَقرُبون منكم، أُمروا بالقتال، الأقرب فالأقرب إِلَيْهِم فِي الدار والنسب ﴿من الكُفَّار﴾. القتال واجب مَعَ جميع الكفرة، قريبِهم ثُمَّ غيرهم من عرب الحجاز، ثُمَّ الشام؛ والشام: أقرب إِلَى المدينة مِنَ العراق وغيره؛ وبعيدِهم، ولكنَّ الأقرب فالأقرب [٢٢٥] أوجب، وقد

---

١ - في الأصل: - «إليهم»، وهو سهو من الناسخ.

٢ - في الأصل: «والنروس»، ولا معنى له.

٣ - في الأصل: «المختلفين»، وَهُوَ خطأ. ويقصد بهم الثلاثة التي خُلفوا.

٤ - في الأصل: «أثر»، وهو خطأ، فهو تمييز منصوب.

٥ - في الأصل: «ولينذروا»، وهو خطأ.

حارب النَّبِيُّ ﷺ قومه، وهكذا المفروض عَلَى أهل كل ناحية أن يُقاتلوا مَن (لَعَلَّهُ) يَلِيهم؛ ﴿ولْيجدوا فيكم غِلظةً﴾ وليعلموا فيكم شدَّة عَلَيْهِم، وغضبا لله فِي المقال قبل القتال، لَعَلَّهُم يرجعون عَن كفرهم بالجفاء والغلطة دون القتال؛ أو ليعلموا أن حظَّهم ساقط مَعَ الإسلام وأهله؛ وقيل: صبرا عَلَى جهادهم. ﴿واعلموا أنَّ الله مَعَ المتَّقِينَ(١٢٣)﴾ بالنصرة والغلبة.

﴿وإذا مَا أُنزلت سورةٌ فمنهم﴾ فمن المنافقين ﴿من يقول﴾ بعضهم لبعض: ﴿أيُّكم زادته هَذِهِ إيمانا﴾ إنكارا واستهزاء بالمؤمنين؛ وقيل: هُوَ قول المؤمنين للحثِّ والتنبيه. ﴿فَأَمَّا الذِينَ آمنوا فزادتهم إيمانا﴾ يقينا وثباتًا؛ أو خشيةً؛ أو إيمانا للسُّورة، لأنَّهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً؛ وقيل: بزيادة العلم الحاصل من تَدبُّر السورة وانضام[1] الإيمان بها وبما فِيهَا إِلَى إيمانهم؛ ﴿وَهُم يستبشرُونَ(١٢٤)﴾ يَعدُّون زيادة التكليف بشارة التشريف؛ وقيل: يستبشرون بِنُزولها، لأنَّها سبب لزيادة كمالهم، وارتفاع درجاتهم.

﴿وَأَمَّا الذِينَ فِي قلوبهم مرضٌ﴾ شكٌّ ونفاق، وهوًى مُتَّبع؛ وَهُوَ فسادٌ يحتاج إِلَى علاجٍ، كالفساد فِي البدن؛ ﴿فزادتهم رجسا إِلَى رجسهم﴾ كفرا مضموما[2] إِلَى كفرهم؛ ﴿وماتوا وَهُم كَافِرُونَ(١٢٥)﴾ واستحكم ذَلِكَ فِيهِم، حتَّى ماتوا عليه مصرين.

---

١ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «انضمام».

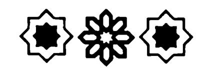
٢ - فِي الأصل: «كفروا مضمونا»، وفيه خطآن.

﴿أَوَلاَ يَرون﴾ يعني: المنافقين؛ ليس هَذَا تعطيل [كَذَا]؛ ﴿أَنَّهُمْ يُفتَنُون﴾ يُبتَلَون بالقحط والمرض وغيرهما ﴿فِي كُلِّ عام مَرَّةً أو مرَّتين، ثُمَّ لاَ يَتُوبون﴾ عَن نفاقهم، ﴿وَلاَ هم يَذَّكرُونَ(١٢٦)﴾ وَلاَ يعتبرون؛ أو بالجهاد مَعَ رسول الله ﷺ، ثُمَّ لاَ يتوبون بِمَا يرون من دولة الإسلام، وَلاَ هم يذّكرون بِمَا يقع بهم من أهل الإسلام.

﴿وإذا مَا أُنزلَت سورةٌ، نَظَر بعضهم إِلَىَ بعض﴾ تغامزوا بالعيون، إنكارا للوحي وسُخرية بِهِ؛ قائلين: ﴿هل يَراكم مِن أحد﴾ مِنَ الـمُسْلِمِينَ لننصرف؛ فإنَّا لا نصبر عَلَى استماعه ويغلبنا الضحك، فنخاف الافتضاح بَيْنَهُم؛ أو إِذَا مَا أُنزلت سورة فِي عيب المنافقين أشار بعضهم إِلَىَ بعض، هل يراكم من أحدٍ إن قمتم من حضرته الطَّيْقُلاَ؛ ﴿ثُمَّ انصرفوا﴾ عَن حضرة النَّبِي ﷺ مخافة الفضيحة؛ أو عَن الإيمان بالمنزَّل. ﴿صَرَفَ الله قلوبهم﴾ عَن فَهْمِ القرآن، وعن مجالسة الكرام، ﴿بأنَّهم﴾ بسبب أنَّهم ﴿قوم لاَ يفقهُونَ(١٢٧)﴾ لاَ يتدبَّرون حتَّى يفقهوا.

﴿لَقَد جاءكم رسولٌ﴾ مُحَمَّد الطَّيْقُلاَ، ﴿من أنفسكم﴾ من حَسَبِكم ونسبكم، عربيٌّ مثلكم، ﴿عزيز عليه مَا عنتُّم﴾ شديد عليه شاقٌّ، لكونه بعضا منكم عَنَتُكم ولقاءَكم المكروه؛ فهو يخاف عَلَيْكُم الوقوع فِي العذاب. ﴿حريصٌ عليكم﴾ عَلَى إيمانكم وخلاصكم وصلاحكم؛ ﴿بالمؤمنين﴾ منكم ومن غيركم ﴿رءوف رحيم(١٢٨)﴾ قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ.

﴿فإن تَوَلَّوا﴾ فإن أعرضوا عَن الإيمان بك وناصبوك، ﴿فقل: حسبيَ الله﴾ واستعن با لله، وفوِّض إِلَيْهِ؛ فهو كافيك معرَّتهم، وناصرك [٢٢٦] عَلَيْهِم. ﴿لاَ إله إلاَّ هُوَ عليه توكّلت﴾[1] لاَ كافِيَ وَلاَ مُغنيَ سواه؛ فوَّضتُ أمرِي إِلَيْهِ؛ ﴿وَهُوَ رَبُّ العرش﴾ هُوَ أعظم خلَقِ الله خُلِقَ مَطافا لِمَلاَئِكَة الله فيما قيل؛ كما جُعِلَت الكعبة مَطافا. ﴿العظيم(١٢٩)﴾ قيل: آخر آية نزلت ﴿لَقَد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾.



١ - في الأصل: - «عليه توكّلت»، وهو سهو من الناسخ.

تَمَّ بحمد اللّه وحُسن عونه الجُزء الأول من " التفسير الميُسر للقُرآن الكريم " ، ويليه الجُزء الثاني بحول اللّه ، ويبدأ بتفسير سُّورَة يُونس (عليه السلام) .

فهرس الجُزء الأول

رقم الإيداع: ٣١/١٩٩٨م